

دراسات وأبحاث

المجلة العربية للأبحاث في العلوم الإنسانية والاجتماعية
مجلة علمية دولية محكمة
يصدرها نخبة من الباحثين الجزائريين - تصدر بجامعة الجلفة -

السنة السابعة_العدد 20 _ سبتمبر 2015 ذو الحجة 1436

(1) الحراك الشعبي الأردني: من هم وما مطالبهم.

البروفيسور د. ذياب البداينة / كلية الشرطة- قطر
د. رافع الخريشة / قسم علم الاجتماع جامعة مؤتة - الأردن
د. خولة الحسن / قسم العلوم الاجتماعية- جامعة قطر

(2) العدمية والتاريخ نقد سيوران لأسطورة المعنى التاريخي.

أ.م.د. د. هبة عادل / كلية الآداب-جامعة بغداد

(3) المرأة الشنقيطية ونوازل الزينة والبدانة (وقف مع المنحى الاجتماعي في التوجه الإفتائي).

د. محمد بن أحمد بن المحبوبي / نواكشوط - موريتانيا

(4) الإنبعث الأوراسي الجديد قراءة في العقيدة الجغرافية السياسية الروسية الجديدة.

د. بلهول نسيم / قسم العلوم السياسية-جامعة علي لونيبي - البلدية

(5) نحو برامج إرشادية مستندة على التعلم الاجتماعي العاطفي SEL

د. حواس خضرة / جامعة الحاج لخضر-باتنة

(6) الإدارة الالكترونية وتأثيرها في عملية اتخاذ القرار.

أ. طرش فيروز / جامعة باجي مختار - عنابة

الترقيم الدولي المعياري للدورية (ر.د.م.د.): 1112 - 9751 ISSN:

الترقيم الالكتروني الدولي المعياري للدورية (ر.د.م.د.): 0363 - 2253 E-ISSN:

الإيداع القانوني لدى المكتبة الوطنية الجزائرية: 2009/6013 Legal deposit:



دراسات و أبحاث

دورية علمية دولية مُحكمة ربع سنوية

يصدرها نخبة من الباحثين في جامعات جزائرية و دولية

تصدر بجامعة الجلفة - الجزائر

الترقيم الدولي المعياري للدورية (ر. د. م. د.): ISSN: 9751 – 1112 (النسخة الورقية)
الترقيم الدولي المعياري للدورية (ر. د. م. د.): e-ISSN: 2253 – 0363 (النسخة الإلكترونية)
الإيداع القانوني لدى المكتبة الوطنية الجزائرية: 2009 / 6013

دراسات و أبحاث

أول دورية جزائرية علمية دولية مُحَكَّمة تصدر في شكل إلكتروني وورقي
تحت إشراف هيئة علمية من مختلف الجامعات من داخل و خارج الوطن

توجه المراسلات و الاقتراحات و الموضوعات المطلوبة للنشر إلى
رئيس التحرير الدكتور/ عطاء الله فشار، على العنوان الآتي:

دورية دراسات وأبحاث

طريق المجبارة – ص.ب: 3117 الجلفة - الجزائر

هاتف: 00213 550 24 85 39

بريد إلكتروني: dirasat.waabhath@gmail.com

موقع المجلة: www.revue-drassat.org

جميع الحقوق محفوظة © مجلة دراسات وأبحاث

لا يسمح بطبع أو نسخ أو إعادة نشر المجلة أو جزء من الأبحاث المنشورة بها، إلا بإذن خطي من مدير المجلة.
وكل مخالفة لذلك يتحمل صاحبها مسؤولية المتابعة القضائية.

مجلة دراسات و أبحاث، أول دورية جزائرية علمية دولية مُحَكَّمة ربع سنوية تصدر في شكل إلكتروني وورقي تحت إشراف هيئة علمية من الباحثين ذوي الخبرة والكفاءة من داخل و خارج الوطن، و بمتابعة من هيئة تحكيم ذات كفاءة تشكل دورياً لتقييم البحوث و الدراسات.

الدورية متخصصة في الدراسات والبحوث العلمية الأكاديمية المحكمة من ذوي الخبرة و الاختصاص في ميدان العلوم الإنسانية، والاجتماعية، والإسلامية، والأدب، واللغات، والفنون، والحقوق، والعلوم السياسية، والعلوم ذات العلاقة.

الترقيم الدولي المعياري للدورية

دورية دراسات و أبحاث مسجلة وفق النظام العالمي للمعلومات، وحاصلة على الترقيم الدولي المعياري الموحد للدوريات، سواء بالنسبة للنسخة الورقية أو النسخة الإلكترونية، ومودعة في المكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم (2009/6013)

الدورية متاحة للعرض في قواعد البيانات والفهارس الوطنية و العالمية

- قواعد البيانات الجزائرية (CERIST).
- قاعدة بيانات مؤسسة دار المنظومة، الرياض - المملكة العربية السعودية.
- قاعدة البيانات العربية الإلكترونية "معرفة" بالتعاون مع شركة إيسكو (EBSCO) العالمية، المملكة الهاشمية الأردنية.
- قاعدة بيانات شركة المنهل للنشر الإلكتروني، دبي – دولة الامارات العربية المتحدة.

ملاحظة: تعتبر مجلة "دراسات وأبحاث" متاحة للعرض في هذه القواعد مع احتفاظها بكامل حقوق ملكية ما ينشر فيها، حيث هذه الإتاحة ليست بيعاً أو تنازلاً.

علاقات تعاون

ترتبط "دراسات وأبحاث" بعلاقات تعاون مع عدة مؤسسات جزائرية وعربية ودولية، بهدف تعزيز البحث العلمي و تعميق المعارف، واكتساب الخبرات في المجالات ذات الاختصاص المشترك، وتحقيق الفائدة من البحوث والدراسات الأكاديمية، وتعميمها على الباحثين والطلبة، وتوسيع حجم المشاركة، وخدمة أهداف البحث العلمي، وفق مبدأ سيادة الدولة الجزائرية وقوانينها.

- دورية كان التاريخية المتخصصة في الدراسات التاريخية، القاهرة-مصر.
- مركز ابن خلدون للبحوث والدراسات، عمان -الأردن.
- المركز المتوسطي للدراسات القانونية والقضائية، أصيلة -المغرب.
- مجلات ودوريات علمية تصدر في الجزائر و مخابر ووحدات بحث في جامعات جزائرية ودول صديقة وشقيقة.

فعاليات علمية

تنظم "دراسات وأبحاث" سنوياً ندوة علمية دولية متخصصة بمشاركة خبراء و باحثين من داخل و خارج الوطن. و تصدر كتاباً دورياً متخصصاً، و ملحق غير دوري للمجلة خاص بأبحاث طلبة الماجستير يسمى "الوسيط العلمي".

الراعي الرسمي	أعداد الدورية
• جامعة الجلفة – الجزائر.	• موقع المجلة: www.revue-drassat.org
• مركز الخلدونية للدراسات والبحوث والنشر والتوثيق.	• موقع جامعة الجلفة: www.univ-djelfa.dz
• مركز ابن خلدون للدراسات والأبحاث – الأردن.	• قواعد البيانات الوطنية والعالمية.

مدير المجلة ورئيس التحرير

د. عطاء الله فشار

منسقو الهيئة العلمية

أ.د. ذياب البداينة

أ.د. أسعد المحاسن لحرش

د. راضية بوزيان

هيئة التحرير

عبد القادر كداوة

هزريشي عبد الرحمان

نادية بن ورقلة

هيئة التحكيم

تشكل دورياً تحت إشراف :

أ.د. دليلة براف

د. عطاء الله فشار

د. فتيحة أوهابية

د. سمير شعبان

د. سعيد الحسين عبدولي

الهيئة العلمية للمجلة

من داخل الجزائر

جامعة الجزائر 1	أستاذ باحث في الدراسات الاسلامية	أ.د. كمال بوزيدي
جامعة الجزائر 2	أستاذ باحث في الدراسات التاريخية	أ.د. الغالي غربي
جامعة المسيلة - الجزائر	أستاذ باحث في الدراسات التاريخية	أ.د. صالح لميش
جامعة تلمسان - الجزائر	أستاذ باحث في اللغة والأدب العربي	أ.د. شعيب مقنونيف
جامعة الجلفة - الجزائر	أستاذ باحث في الفقه والقانون ومدير مخبر	أ.د. أسعد المحاسن لحرش
جامعة البليدة - الجزائر	أستاذة باحثة في الفقه والقانون	أ.د. دليلة براف
جامعة باتنة - الجزائر	أستاذ باحث في الدراسات القانونية	د. سمير شعبان
جامعة المدية - الجزائر	أستاذ باحث في الدراسات القانونية	د. أسامة غربي
جامعة عنابة - الجزائر	أستاذة باحثة في علوم الإعلام والاتصال	د. فتيحة أوهابية
جامعة الجزائر 3	أستاذة باحثة في علوم الإعلام والاتصال	د. فايزة يخلف
جامعة المسيلة - الجزائر	أستاذة باحثة في الدراسات القانونية	د. عقيلة خرباشي
جامعة الطارف - الجزائر	أستاذة باحثة في علم الاجتماع	د. راضية بوزيان
جامعة قالمة - الجزائر	أستاذة باحثة في علم الاجتماع	د. ليليا بن صويلح
جامعة الجلفة - الجزائر	أستاذ باحث في العلوم السياسية والعلاقات الدولية	د. طعيبة أحمد

د. نورالدين حمادي	أستاذ باحث في الفقه والقانون	جامعة الجلفة – الجزائر
د. عطاء الله فشار	أستاذ باحث في القانون وتاريخ العلوم	جامعة الجلفة – الجزائر
د. مريم خليفي	أستاذة باحث في العلوم القانونية	جامعة بشار – الجزائر
د. خالد خيرة	أستاذة باحثة في علم النفس وعلوم التربية	جامعة الجلفة – الجزائر
د. عبد الوهاب مسعود	أستاذ باحث في اللغة والأدب العربي	جامعة الجلفة – الجزائر
د. الطيب لطرشي	أستاذ باحث في اللغة والأدب العربي	جامعة الجلفة – الجزائر

الهيئة العلمية للمجلة

من خارج الجزائر

أ.د. بن زغيبه عز الدين	رئيس قسم الدراسات والنشر – مركز جمعة الماجد	الإمارات
أ.د. ذياب البداينة	مدير مركز ابن خلدون للبحوث والدراسات	الأردن
أ.د. محمد نشطاوي	أستاذ باحث في العلوم القانونية – جامعة القاضي عياض	المغرب
أ.د. عبدالله الرشدي	أستاذ باحث في البلاغة و النقد الأدبي مؤسسة دار الحديث الحسنية	المغرب
أ.د. هاشم ماقورا	أستاذ باحث في القانون الدولي الجنائي – جامعة طرابلس	ليبيا
أ.د. محمد سالم سعد الله	باحث في النقد الأدبي – جامعة الموصل	العراق
أ.د. محمد هوارى	أستاذ باحث في تاريخ الحضارات – جامعة عين شمس	مصر
أ.د. محمد بوساق المدني	أستاذ باحث في الفقه والقانون الجنائي – جامعة الرياض	السعودية
أ.د. حبيب الله علي ابراهيم	أستاذ باحث في الأدب والنقد، كلية اللغة العربية – أم درمان	السودان
أ.د. فاطمة زيارعيزان	أستاذة باحثة في التراث والمخطوط – جامعة بغداد	العراق
أ.د. منصف الوناس	باحث متخصص في علم الاجتماع – جامعة تونس	تونس
أ.د. طارق هاشم خميس	باحث في الفلسفة و علوم التربية – جامعة تكريت	العراق
أ.د. أحمد الخمليشي	باحث في الفقه و القانون – دار الحديث الحسنية	المغرب
أ.د. بديع العابد	رئيس الجمعية الأردنية لتاريخ العلوم	الأردن
د. حلا النعمي بنت فؤاد	باحثة في القانون الدولي – جامعة حلب	سوريا
د. فاطمة الزهراء عواطي	أستاذة باحثة في كلية الدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة	الإمارات
د. المصطفى الغشام الشعبي	مدير المركز المتوسطي للدراسات القانونية والقضائية – أصيلة	المغرب
د. ابراهيم صبري الأرناؤوط	أستاذ باحث في القانون – جامعة المجمع	السعودية
د. مازن مصباح صباح	أستاذ الفقه وأصوله – جامعة الأزهر (غزة)	فلسطين
د. علي الصالح موّلي	أستاذ الحضارة المعاصرة – جامعة صفاقس	تونس
د. حسن عبد الجليل العبادلة	أستاذ باحث في الدراسات الإسلامية – جامعة البلقاء التطبيقية	الأردن
د. سعيد الحسين عبدولي	أستاذ باحث في علم الاجتماع – جامعة تونس	تونس
د. حبيب حسن اللولب	أستاذ باحث في التاريخ الحديث و المعاصر	تونس
د. عبدالله محمد سعد الحكيم	رئيس قسم القانون الجنائي – جامعة تعز	اليمن
د. ديدي ولد السالك	باحث في العلاقات الدولية – نواكشوط	موريتانيا
د. حسام سبع محي الدين	أستاذ التاريخ العربي - الجامعة اللبنانية	لبنان
د. أنور محمود زناتي	أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية - جامعة عين شمس	مصر
د. عبلة حسن	أستاذة باحثة في اللغويات – جامعة نبراسكا لينكولن	أمريكا
أ. أشرف صالح محمد سيد	أستاذ باحث في الدراسات التاريخية – جامعة ابن رشد	هولندا
أ. محمد المهدي ولد محمد البشير	أستاذ باحث – جامعة عبد الله بن ياسين	موريتانيا

الشروط والقواعد والاجراءات الخاصة بالنشر في الدورية

ترحب دورية "دراسات وأبحاث" بنشر البحوث الجادة والأصيلة والتي لم يسبق نشرها بمجلة أخرى، ولا تكون جزءاً من كتاب منشور، أو رسالة جامعية يعدها الباحث.

هيئة التحرير

- تعطى الأولوية في النشر للبحوث والعروض والتقارير حسب الأسبقية الزمنية للورود إلى هيئة تحرير الدورية، وذلك بعد إجازتها من هيئة التحكيم، ووفقاً للاعتبارات العلمية والفنية التي تراها هيئة التحرير.
- تقوم هيئة التحرير بالقراءة الأولية للبحوث العلمية المقدمة للنشر بالدورية للتأكد من توافر مقومات البحث العلمي، وتخضع البحوث والدراسات والمقالات بعد ذلك للتحكيم العلمي والمراجعة اللغوية.

هيئة التحكيم

- يعتمد قرار قبول البحوث المقدمة للنشر على توصية الهيئة العلمية والمحكمين، حيث يتم تحكيم البحوث تحكيمياً سرّاً بإرسال العمل العلمي إلى المحكمين بدون ذكر اسم الباحث أو ما يدل على شخصيته، ويرفق مع العمل العلمي المراد تحكيمه استمارة تقويم تضم قائمة بالمعايير التي على ضوءها يتم تقويم العمل العلمي.
- يستند المحكمون في قراراتهم في تحكيم البحث إلى مدى ارتباط البحث بحقل المعرفة، والقيمة العلمية لنتائجه، ومدى أصالة أفكار البحث وموضوعه، ودقة الأدبيات المرتبطة بموضوع البحث وشمولها، بالإضافة إلى سلامة المنهج العلمي المستخدم في الدراسة، ومدى ملاءمة البيانات والنتائج النهائية لفرضيات البحث، وسلامة تنظيم أسلوب العرض من حيث صياغة الأفكار، ولغة البحث، وجودة الجداول والأشكال والصور ووضوحها.
- البحوث والدراسات التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات جذرية عليها تعاد الى أصحابها لإجرائها في موعد أقصاه أسبوعين من تاريخ إرسال التعديلات المقترحة إلى المؤلف، أما إذا كانت التعديلات طفيفة فتقوم هيئة التحرير بإجرائها.
- في حالة عدم مناسبة البحث للنشر، تقوم الدورية بإخطار الباحث بذلك، أما بالنسبة للبحوث المقبولة والتي اجتازت التحكيم وفق الضوابط العلمية المتعارف عليها، واستوفت قواعد وشروط النشر في الدورية، فيمنح كل باحث إفادة بقبول بحثه للنشر.
- تقوم الدورية بالتدقيق اللغوي للأبحاث المقبولة للنشر، ليخرج في الشكل النهائي المتعارف عليه لإصدارات الدورية.

البحوث والدراسات العلمية

- تقبل الأعمال العلمية المكتوبة باللغة العربية والفرنسية والإنجليزية التي لم يسبق نشرها أو تقديمها للنشر في مجلة أو مطبوعة أخرى.
- يجب أن يتسم البحث العلمي بالجودة والأصالة، وأن يكون موضوعه ومنهجه وعرضه متوافقاً مع عنوانه.
- التزام الكاتب بالأمانة العلمية في نقل المعلومات واقتباس الأفكار وعزوها لأصحابها، وتوثيقها بالطرق العلمية المتعارف عليها.
- اعتماد الأصول العلمية في إعداد وكتابة البحث من توثيق وهوامش ومصادر ومراجع، مع الالتزام بعلامات الترقيم المتنوعة.
- يرفق الباحث تعهد مع البحث المطلوب للنشر، يبين فيه أن هذا البحث غير منشور ولم يرسل لجهة أخرى بغرض النشر، ويتعهد فيه بعد اخطاره بقبول نشر بحثه، بانتقال جميع حقوق الملكية المتعلقة بالبحث إلى الدورية.

الاشتراطات الشكلية والمنهجية

ينبغي ألا يزيد حجم البحث على خمسة وعشرين (25) صفحة، من القطع المتوسط بواقع 7500 كلمة على الشكل الآتي:

- Page Size (taille de la page): A4 (21cm x 29.7cm).
- Fonts (polices): Simplified Arabic (14) and Times New Roman (12).
- Single-spaced (Interligne Simple) and justified (justifiée).
- Margins (marges): Top (haut) 2cm, Bottom (bas) 2cm, Left (gauche) 2cm, Right (Droite) 2.5cm, Binding position (position de la reliure): Right (Droite).

ترسل عبر البريد الإلكتروني للمجلة، مع الالتزام بالقواعد المتعارف عليها عالميًا بشكل البحوث، بحيث يكون المحتوى حسب التسلسل: ملخص، مقدمة، موضوع البحث، خاتمة، ملاحق: (الأشكال، الجداول)، الهوامش، المراجع.

عنوان البحث

يجب أن لا يتجاوز عنوان البحث عشرين (20) كلمة، وأن يتناسب مع مضمون البحث، و يدل عليه، أو يتضمن الاستنتاج الرئيسي.

نُبذة عن الباحث صاحب المقال

يقدم مع البحث نبذة عن كل باحث في حدود خمسين (50) كلمة تبين آخر درجة علمية حصل عليها، واسم الجامعة (القسم/الكلية) التي حصل منها على الدرجة العلمية والسنة، والوظيفة الحالية، والمؤسسة أو الجهة أو الجامعة التي يعمل لديها، والمجالات الرئيسية لاهتماماته البحثية، مع توضيح عنوان المراسلة (العنوان البريدي) وأرقام (الهاتف، المحمول، الفاكس).

ملخص البحث

- يجب تقديم ملخص للبحث باللغة العربية في حدود مائة (100) كلمة.
- البحوث و الدراسات باللغة الفرنسية أو الإنجليزية، يرفق معها ملخص باللغة العربية في حدود (150 - 200) كلمة.

الكلمات المفتاحية

الكلمات التي تستخدم للفهرسة لا تتجاوز عشرة كلمات، يختارها الباحث بما يتواءم مع مضمون البحث، وفي حالة عدم ذكرها، تقوم هيئة التحرير باختيارها عند فهرسة المقال وإدراجه في قواعد البيانات بغرض ظهور البحث أثناء عملية البحث والاسترجاع على شبكة الإنترنت.

مجال البحث

الإشارة الى مجال تخصص البحث المرسل "العام والدقيق".

المقدمة

تتضمن المقدمة بوضوح دواعي إجراء البحث (الهدف)، وتساؤلات وفرضيات البحث، مع ذكر الدراسات السابقة ذات العلاقة.

موضوع البحث

يراعي أن تتم عملية كتابة البحث بلغة سليمة واضحة مركزة وبأسلوب علمي حيادي، وينبغي أن تكون الطرق البحثية والمنهجية المستخدمة واضحة، وملائمة لتحقيق الهدف، وتتوفر فيها الدقة العلمية، مع مراعاة المناقشة والتحليل الموضوعي للهادف في ضوء المعلومات المتوفرة بعيداً عن الحشو.

الجداول والأشكال

ينبغي ترقيم كل جدول (شكل) مع ذكر عنوان يدل على فحواه، والإشارة إليه في متن البحث على أن يدرج في الملاحق، ويمكن وضع الجداول والأبحاث في متن البحث إذا دعت الضرورة إلى ذلك.

الصور التوضيحية

في حالة وجود صور تدعم البحث، يجب إرسال الصور على البريد الإلكتروني في ملف منفصل، حيث أن وضع الصور في ملف الكتابة word يقلل من درجة وضوحها.

خاتمة (خلاصة)

تحتوي على عرض موضوعي للنتائج والتوصيات الناتجة عن محتوى البحث، على أن تكون موجزة بشكل واضح، ولا تأتي مكررة لما سبق أن تناوله الباحث في أجزاء سابقة من موضوع البحث.

الهوامش

- يجب إدراج الهوامش في شكل أرقام متسلسلة في نهاية البحث، مع مراعاة أن يذكر اسم المصدر أو المرجع كاملاً عند الإشارة إليه لأول مرة، فإذا تكرر يستخدم الاسم المختصر، وعليه سيتم فقط إدراج المستخدم فعلاً من المصادر والمراجع في الهوامش.
- يمكن للباحث اتباع أي أسلوب في توثيق الهوامش بشرط التوحيد في مجمل الدراسة، و بإمكان الباحث استخدام نمط (APA) الشائع في توثيق الأبحاث العلمية والتطبيقية.

المراجع

يجب أن تكون ذات علاقة فعلية بموضوع البحث، وتوضع في نهاية البحث، وتتضمن قائمة المراجع الأعمال التي تم الإشارة إليها فقط في الهوامش، أي يجب أن لا تحتوي قائمة المراجع على أي مرجع لم تتم الإشارة إليه ضمن البحث. وترتب المراجع طبقاً للترتيب الهجائي، وتصنف في قائمة واحدة في نهاية البحث مهما كان نوعها، كتب، دوريات، مجلات، وثائق رسمية ..الخ، ويمكن للباحث اتباع أي أسلوب في توثيق المراجع والمصادر بشرط التوحيد في مجمل الدراسة.

عروض الكتب

- تنشر الدورية المراجعات التقييمية للكتب "العربية والأجنبية" حديثة النشر ، أما مراجعات الكتب القديمة فتكون حسب قيمة الكتاب وأهميته.
- يجب أن يعالج الكتاب إحدى القضايا أو المجالات العلمية المتعددة، ويشتمل على إضافة علمية جديدة.
- يعرض الكاتب ملخصاً وافياً لمحتويات الكتاب، مع بيان أهم أوجه التميز وأوجه القصور، وإبراز بيانات الكاتب كاملة في أول العرض (اسم المؤلف، المحقق، المترجم، الطبعة، الناشر، مكان النشر، سنة النشر، السلسلة، عدد الصفحات).
- ألا تزيد عدد الصفحات عن (15) صفحة.

عروض الأطاريح الجامعية

- تنشر الدورية عروض الأطاريح الجامعية (رسائل الدكتوراه و الماجستير) التي تم إجازتها بالفعل، ويراعى في الأطاريح موضوع العرض أن تكون حديثة، وتمثل إضافة علمية جديدة في أحد حقول الدراسات العلمية المختلفة.
- إبراز بيانات الأطروحة كاملة في أول العرض (اسم الباحث، اسم المشرف، الكلية، الجامعة، الدولة، سنة الإجازة).
- أن تشمل العرض على مقدمة لبيان أهمية موضوع البحث، مع ملخص لمشكلة (موضوع) البحث وكيفية تحديدها.
- ملخص لمنهج البحث وفروضه وعينته وأدواته، وخاتمة لأهم ما توصل اليه الباحث من نتائج.
- ألا تزيد عدد صفحات العرض عن (15) صفحة.

تقارير اللقاءات العلمية

- ترحب الدورية بنشر التقارير العلمية عن الندوات، والمؤتمرات، والحلقات النقاشية الحديثة انعقاد في دول الوطن العربي، والتي تتصل موضوعاتها بالدراسات في ميدان العلوم الإنسانية، والاجتماعية، والإسلامية، والأدب، واللغات، والفنون، والحقوق، والعلوم السياسية، والعلوم الاقتصادية، والتاريخية، بالإضافة إلى التقارير عن المدن والمواقع الأثرية والمشروعات التراثية.
- يشترط أن يغطي التقرير فعاليات اللقاء (ندوة، مؤتمر، ورشة عمل، حلقة نقاشية) مركزاً على الأبحاث العلمية، وأوراق العمل المقدمة، ونتائجها وأهم التوصيات التي توصل إليها اللقاء.
- ألا تزيد عدد صفحات التقرير عن (10) صفحات.

حقوق المؤلف

- المؤلف مسؤول مسؤولية كاملة عما يقدمه للنشر في الدورية، وعن توافر الأمانة العلمية، سواء لموضوعه أو محتواه، ولكل ما يرد بنصه، وفي الإشارة إلى المراجع ومصادر المعلومات.
- جميع الآراء والأفكار والمعلومات الواردة في البحث تعبر عن رأي كاتبها وعلى مسؤوليته هو وحده، ولا تعبر عن رأي أحد غيره، وليس للدورية أو هيئة التحرير أي مسؤولية في ذلك.
- ترسل الدورية لكل صاحب بحث أجاز للنشر، نسخة من العدد المنشور به البحث، ومستله من البحث على البريد الإلكتروني ونسخة ورقية منهما (في حالة طبع المجلة ورقياً) ، علماً بأن الدورية لا تدفع أي مكافآت مالية عما تقبله للنشر فيها.
- يحق للدورية إعادة نشر البحث المقبول منفصلاً، أو ضمن مجموعة من المساهمات العلمية الأخرى بلغتها الأصلية، أو مترجمة إلى أي لغة أخرى، وذلك بصورة إلكترونية أو ورقية.
- تحتفظ الدورية بحقوقها في طلب رسوم مقابل النشر والتحكيم والطباعة.

الإصدارات والتوزيع

- تصدر الدورية أربع مرات في السنة (مارس – جوان – سبتمبر – ديسمبر).
- الدورية متاحة للقراءة والتحميل عبر موقعها الإلكتروني على شبكة الانترنت وعلى موقع جامعة الجلفة.
- يتم الإعلان عن صدور الدورية عبر المواقع المتخصصة، والمجموعات البريدية، والشبكات الاجتماعية.

- ترسل كافة الأعمال المطلوبة للنشر بصيغة برنامج Microsoft Word ولا يلتفت الى أي صيغ أخرى.
- المساهمون للمرة الأولى من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات يرسلون أعمالهم مصحوبة بسيرهم الذاتية العلمية "أحدث نموذج".
- ترتب الأبحاث عند نشرها في الدورية وفق اعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الباحث أو قيمة البحث.
- كل الأبحاث الواردة للمجلة والتي لا يتقيد أصحابها بشروط وقواعد وإجراءات النشر تعتبر لاغية، ولا يرد على أصحابها، ولا تؤخذ بعين الاعتبار.

فهرس العدد

كلمة العدد

- الحراك الشعبي الأردني: من هم ومطالبهم.....ص 01
- البروفيسور د. ذياب البدانية . د. رافع الخريشة . د. خولة الحسن
العدمية والتاريخ نقد سيوران لأسطورة المعنى التاريخيص 33
- أ.م. د . هبة عادل
المرأة الشنقيطية ونوازل الزينة والبدانة.....ص 49
- د. محمد بن أحمد بن الحوي
الإنبيات الأوراسي الجديد قراءة في العقيدة الجغرافية الروسية الجديدة.....ص 73
- د. بلهول نسيم
نحو برامج إرشادية مستندة على التعلم الاجتماعي العاطفي SEL.....ص 86
- د. حواس خضرة
النسوية و خطاب الجنسانية (رواية " اكتشاف الشهرة " لفضيلة الفاروق - أنموذجا-).....ص 108
- د. بن عطية كمال
الإدارة الإلكترونية وتأثيرها في عملية اتخاذ القرار.....ص 122
- أ. لطرش فيروز
العزوف عن الزواج و الاعتداء الجنسي على الاطفال.....ص 145
- د. أوكيل عتيقة
صراع القديم والجديد في رواية " الخندق العميق" لسهيل ادريس.....ص 160
- د. محمد قراش
التعبيرات الثقافية والممارسات الدينية الشعبية بحث اثربولوجي في مجتمع إقليم البترا.....ص 187
- د. مرام معن الفريجات د. عايدة مهاجر ابو تاية
الآثار القانونية المترتبة على تصفية الشركات المساهمة في القانون اليمني والفقہ الإسلامي.....ص 212
- د. حسين أحمد محمد الغشامي
إشكالية التسامح في الفقه الإسلامي بين الواقع والمغالطات.....ص 235
- د. علاء الدين عبد الرزاق جنكو
تأثير الانترنت على هوية الطالب الجامعي في ظل المنظومة القيمية للمجتمع الجزائري.....ص 261
- د. سهى حمزوي
العلاقة بين الضغوط المهنية وممارسة السلوك الصحي لدى عمال الإدارة.....ص 280
- أ. عيادي نادية - أ. د. جبالي نور الدين
شعر الحرية والعاطفة في كتابات صالح خرفي بين نشوة الانتصار وصمت القوافي.....ص 290
- د. منصور عبد الوهاب

- دور تطبيق التخطيط الإستراتيجي في تحسين أداء كلية فلسطين التقنية – دير البلحص 300
- د. رضوان الأمين عبد الرحمن - د. عاطف عبد الحميد عثمان الشويخ
- تقديم كتاب: جيوغرافيا كامبي، الأمهات العازبات: من الخليلات الرومانيات إلى الأمهات العازباتص 328
- د. سعيد الحسين عبدولي
- Scientific language credibility: a philosophical investigationص 333
- Abla Hasan, PhD**
- La stratégie de la Révolution Algérienne face à l'opération wilaya IIIص 342
- Docteur Mahmoud AIT MEDDOUR**



كلمة العدد:

مسافة الألف ميل تبدأ بخطوة ، تلك هي كانت مسيرة ألف ، باء ، مجلة دراسات و أبحاث الاكاديمية الدولية التي انطلقت في الثلاثي الأخير من سنة 2009 حيث كان هدف طاقمها العلمي وهيئة تحريرها الوصول بالمجلة إلى بر الأمان في بحر متلاطم تحفه كثيرا من المصاعب و العراقيل و الحواجز المفتعلة و كان هدف طاقمها هو ترسيخ و تطوير هذا المنبر العلمي الجامعي المفتوح على مختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية و عبر مختلف الجامعات في العالم من خلال شبكة علاقات مع باحثين و أكاديميين من مختلف الجامعات من أجل الإطلاع على مختلف التجارب و الأبحاث و نقل رؤاهم و مقترحاتهم لقضايا الشعوب في مختلف المجالات من أجل ترسيخ تبادل المعرفة و التعايش في كنف الأمن والسلم و الاستقرار و ذلك من خلال دراسات جادة و بحوث علمية تهدف إلى تلاقي الفكر و تبادل المعرفة و تحقيق الاحتكاك العلمي البناء.

هاهي مجلة ودراسات و أبحاث التي تصدر بجامعة الشهيد زيان عاشور بالجلفة بالجمهورية الجزائرية بعد مسيرة ست سنوات تصل إلى العدد العشرين من إصدارها المنتظم تضع لجنة في صرح البحث العلمي من خلال ما تنشره من أبحاث و دراسات شاملة و جامعة و متنوعة تتصف بالعمق و الجدة ، إذ يتوشح هذا العدد بجمللة من البحوث و المقالات جمعت باحثين جامعيين من أكثر من عشر دول في قضايا متنوعة تمس الواقع اليومي حيث شملت حوالي عشرين مقالا يأتي في مقدمتها دراسة للبروفسور ذياب البداينة جامعة بقطر ، والدكتورة خولة الحسن و الدكتور رافع الخرايشة من الأردن بدراسة موسومة بـ: الحراك الشعبي الأردني : من هم و ما مطالبهم ، حيث تعتبر الدراسة عملا أكاديميا يمكن أن يكون نموذجا لدراسة شاملة عن محطات الحراك العربي في مختلف الدول ، حيث أن الدراسة تريد إيصال رسالة إلى كل المجتمعات العربية و حكامها بأن الإصلاحات الجادة هي التي يمكن أن تكون البديل عن الفوضى ، و أن مطالب الشعوب بالأساس إنما هي العدالة والحرية الإنصاف و المساواة وقطع دابر الفساد وانه من غير هاته الأمور فان الطريق الوحيد أمام الشعوب قد يكون هو التمرد والثورة.

ومن الولايات المتحدة الأمريكية تتحفنا الباحثة الدكتورة عبلة حسن من جامعة نبراسكا لينكولن بمقال حول الإشكالية الفلسفية لموثوقية اللغة العلمية تتناول فيه صعوبة استخدام اللغة العلمية التي تواجه الباحث عند صياغة أبحاثه بهدف تقديمها للعامة.

و من السليمانية بالعراق ينقلنا الدكتور علاء الدين عبد الرزاق جينكو بمقال حول :إشكالية التسامح في الفقه الإسلامي بين الواقع و المغالطات. حاول من خلاله تحديد مفهوم التسامح ومنشئه و تبلوره مقدما لنا قراءة فقهية من خلال النصوص الدينية و الاتفاقيات الدولية و ميرزا بعض المغالطات التي تشوب مفهوم التسامح.

و ينقل لنا الدكتور حسين أحمد الغشامي من اليمن من خلال مقال علمي: التجربة اليمنية في تصفية الشركات على ضوء نصوص قانونية استنادا إلى التراث الفقهي.

ومن شقيط .موريتانيا ينقلنا الدكتور محمد بن المحبوبي بدراسة حول قضية من النوازل مرتبطة بقضايا اجتماعية تخص المرأة .

أما الباحث سعيد الحسين العبدولي بجامعة قرطاج بتونس فيقدم قراءة نقدية لكتاب: الأمهات العازبات: من الخلية الرومانية إلى الأمهات العازبات للباحثة الإيطالية في مجال الانتروبولوجيا و علم الاجتماع وهي الكاتبة ' جيوفا كامبني'. كما تحفنا الباحث في العلوم السياسية من جامعة البليدة بالجزائر الدكتور بلهول نسيم بدراسة تحليلية سياسية في اللغز الناهض و هي روسيا المنبعثة من جديد من شتات الاتحاد السوفياتي من خلال عقيدة إيديولوجية تنساب داخل الكيان الروسي متغلغلة في مفاصل الدولة و منظومتها السياسية و العسكرية والإعلامية ليشكل بديلا عن "الشيوعية"، هذه الاستفاقة الهادفة إلى بناء إمبراطورية جديدة على أسس قومية وجغرافية تتحاشى أخطاء الماضي للوصول إلى الريادة تضاهي الولايات المتحدة الأمريكية.

و تأتي دراسة الباحث الدكتور محمد قراش من جامعة الجلفة بالجزائر في شكل دراسة نقدية في رواية : " الخندق العميق" لسهيل إدريس من خلال مقارنة تحليلية لرواية انطلاقا من فرضية استكشافية تتمثل في أن الرواية هي: رواية صراع حضاري يقع ضمن نوع رواية السيرة.

و هكذا يزخر هذا العدد بباحثين آخرين أيضا في شتى مجالات البحث بمقالات هادفة و جادة و متميزة. إننا في مجلة دراسات و أبحاث نهدف إلى بلورة نموذج لمفهوم التعاون العلمي و تبادل الخبرات و ترقية المجالات العلمية لتضاهي مجالات عالمية أخرى و ضمن هذا المنظور فإن مجلة دراسات و أبحاث تسعى إلى تنظيم ندوة علمية حول عمل المجالات و صيرورتها و شروطها العلمية التي تجعلها في مصاف الدوريات التي تتحقق فيها الشروط العلمية و ستنظم على هامش هذه الندوة دورة تدريبية في كفاءات تحكيم المقالات العلمية وطرقها و أساليبها.

نتمنى في الأخير أن تجدوا متعتكم وفائدتكم في هذا العدد وإننا على يقين أننا لسنا في المقدمة و لكننا لسنا بمتأخرين و إلى لقاء آخر في عدد جديد أتمنى لكم التوفيق.

رئيس التحرير د/ عطاء الله فشار

الحراك الشعبي الأردني: من هم وما مطالبهم

البروفيسور د. ذياب البداينة د. رافع الخريشة

كلية الشرطة - قطر قسم علم الاجتماع جامعة مؤتة - الأردن

د. خولة الحسن قسم العلوم الاجتماعية - جامعة قطر

ملخص*

تتناول هذه الدراسة خصائص المشاركين في الحراك الشعبي الأردن الشخصية والاجتماعية والاقتصادية ، وبيان من يشارك في الحراك؟ وماذا يطالب؟ . تكونت عينة الدراسة من 1527 مشاركاً توزعت على 12 محافظة. طورت استبانة خاصة بالدراسة ذات صدق وثبات عاليين.

أظهرت نتائج الدراسة ان فيما يتعلق بالنوع ان حوالي ثلثي المشاركين من الذكور 71% وفق القطاع 30% من القطاع الخاص ومن الشباب 29%. اما وفق التعليم فغالبية تعليم المشاركين بكالوريوس 42%. في حين كان أكثر من النصف متزوجون 56% ويعمل اداري 35% وبحجم اسرة أقل من 6 لأفراد 48% وبدخل اقل من 400 دينار 37%. ويعمل في الاسرة 2 من افرادها 57%، في حين في الاسرة عاطل عن العمل 1-4 أفراد في 44% ومنهم شرق اردنيون 74%. اما وفق التوجه الحزبي فمنهم 12% حزيون 61% مستقلون. شارك منهم 18% بعدد مرات من 1-5 مشاركة في عام 2013 مقارنة 14% منهم في عام 2012. كان متوسط عدد المشاركين في كل فعالية 562 شخص ومتوسط 64 أنثى. كانت مواقع التواصل الاجتماعي الأكثر استخداماً في الإعلان عن الفعاليات 61% وكان حراك الإصلاح الأكثر 29%. يرى 19% من المشاركين استمرار الحراك ويرى 36% انه سيستمر بقوة، ويرى 16% انه سيستوعب من الدولة. ويرى 29% ان الأردن يسير نحو الإصلاح، ويرى 57% ان الإصلاح ممكن في الأردن ويرى 22% ان محاربة الفساد ممكنة. ويرى أكثر من ثلثي العينة 79% ان الفساد منتشر، ولا يشعر 38% بالعدالة ويرى 94% ان الإصلاح أولوية وطنية، ويرى 94% ان محاربة الفساد ومحاربة الفقر 91% وتعديل الدستور 86% أولويات وطنية. ويرى 80% ان الإصلاح السياسي يقع في أعلى أولويات الإصلاح. ويرى أكثر من نصف العينة 57% ان معاملة الشرطة هي الأفضل مع الحراك. أفاد 64% وجود بلطجة ضد الحراك. تركزت مطالب الحراك في محاكمة الفاسدين 91% وحماية حقوق الانسان 89% ومكافحة الفقر 89% والتخلص من المديونية الحكومية 88%.

* نفذت بدعم مشكور من صندوق دعم البحث العلمي، عمان الاردن

Abstract

Participants in the Jordanian Social Movement: Who They Are and What They Demand

This study aims to describe personal, social and economic characteristics of the participants in the Jordan Social Movement (JSM). Who participates? What are their demands? The sample consisted of 1527 participants distributed among 12 governorates. A special questionnaire was developed with a high validity and reliability.

Results of the study showed that over two-thirds (71%) of the participants were male and 30% were from the private sector. 29% were youth, almost half of the participants (42%) earned a Bachelor's degree, and 56% were married. Around one-third of the participants or 35% work in an administrative field.

With regard to family size, 48% of participants had less than 6 members. 37% of the participants have an income of less than 400 dinars. More than half of participants 57% have at least two individuals working in the family. However, 44% have 1-4 unemployed persons in the family. The majority of the participants (74%) in the Social Movements were East Jordanian.

With regard to the political affiliation, only 12% of the sample was politically affiliated and 61% consider themselves politically independent. 18% of them participated in 1-5 demonstrations in 2013 compared to 14% in 2012. The average number of participants in each event was 562 individuals, with an average of 64 females. The most widely used contact method (61%) was social networking sites to call for events. Reform social movement was accounted for 29% of the participants. Only 19% of participants believe that the Jordan Social Movement (JSM) will continue. 36% strongly believe it will continue, and 16% believe it will be contained by the state. In the opinion of 29% of the participants, Jordan is moving towards reform, and 57% believe reform is possible in Jordan. 79% believe that corruption is widespread but only 22% believe that the fight against corruption is possible. 38% of participants do not feel justice exists and the vast majority (94%) believe that reform and the fight against corruption should be national priorities. Also, 91% and 86%, respectively, reported that the fight against poverty and amending the Constitution are national priorities. 80% believe that political reform should be at the top of reform priorities. Police performance was rated by JMS as the best 57% among the other security sector organizations. And 64% believe the existence official bullying against the JSM. Finally, 91% agree that the core demands of the JSM is the trial of the corrupters, 89% agree it is about the protection of human rights, 89% believe it is about the fight against poverty, and 88% agree it is about solving the government debt.

Findings were explained in the light of Aristo's conflict and relative deprivation theory.

المقدمة

إن الحراك الشعبي هو احد أشكال الحركات الاجتماعية، وقد يتخذ شكل الإصلاح أو التمرد والعصيان أو الثورة. وهذه الأشكال الثلاثة الأولى متداخلة وقد تقود أحداها إلى الأخرى. فقد يؤدي الحراك والاحتجاج إلى التمرد والعصيان، والليدان قد يقودان بدورهما إلى الثورة. وهذا ما حدث في دول الربيع العربي بدءاً من تونس ومصر ثم اليمن وليبيا وانتهاء بسوريا، إذ أسقطت الحركات التي بدأت احتجاجية ذات طابع مطلبى، ينادي بالإصلاح السياسي، وعدم التوريث ومحاربة فساد الأنظمة السياسية الحاكمة في تلك البلدان، وسيطرة الدولة العميقة والأجهزة الأمنية على مفاصل الحياة الاجتماعية عندما تحولت إلى ثورات نتيجة تعنت الأنظمة الحاكمة في تلك البلدان. وهذا ما حدث أيضاً في ثلاثة ثورات عالمية هي الثورة الفرنسية 1789، والثورة الروسية 1917، والثورة الصينية 1949، حيث ظهرت الأزمة السياسية في البلدان الثلاثة، لأن الأنظمة القديمة لم تكن راغبة في

إنجاز أبسط الإصلاحات الأساسية. إن عدم مرونة الدولة وفسادها وضعفها هو أحد أهم ثلاثة أسباب حددتها سكبول كأسباب رئيسية لاندلاع التمرد والعصيان والثورة (Skocpol, 1979:113).

وقد يؤدي الحراك الشعبي إلى الإصلاح داخل النظام. وهذا الإصلاح قد يكون فعلي أو شكلي، وذلك بهدف المحافظة على النظام الحاكم، ومحاولة امتصاص النقمة الجماهيرية. ففي الدول التي قامت بها حركات تطالب بالإصلاح السياسي كالمغرب والأردن والبحرين، فإن الإصلاح الذي قامت به هذه الدول لم يرتقي للمستوى الشعبي المطلوب.

والحراك الشعبي هو حركة اجتماعية جماهيرية واسعة النطاق تطالب بالإصلاح وتقوم على رفض سياسات محددة أو احتجاج على سياسات أو نواقص أو مظالم معينة في النظام الحاكم. ينطلق الحراك للمطالبة بتغيير تلك السياسات، وقد يكون واسعاً وسلمياً وقد يتحول إلى العنف عندما يلجأ النظام الحاكم إلى استخدام العنف ضد المحتجين المطالبين بالإصلاح، بشكل مباشر (الشرطة) أو غير مباشر (خلق حركات مضادة وعلى شكل بلطجة) فالعنف يولد العنف. وكما هو معروف على مدار التاريخ، فإن الاحتجاج والمطالبة بالإصلاح قد يتجاوز حدوده عندما يتحول إلى المطالبة بتغيير النظام برمته، إما لأن النظام رفض الإصلاح والتغيير الجزئي الذي يطالب به المحتجون، أو لأن المحتجين شعروا بأنهم من القوة بمكان، والتي تمكنهم من الانتقال إلى الثورة. وهذا ما حدث في دول الربيع العربي عندما تحول المحتجون من رفع شعار الإصلاح ومحاربة الفساد المالي والإداري إلى المطالبة برحيل الأنظمة ورموزها تحت شعار " الشعب يريد إسقاط النظام، وارجل ارجل". وفي هذه الحالة فإننا أمام ظاهرة قائمة بذاتها، أو مرحلة من مراحل الثورة السياسية.

مشكلة الدراسة

لقد شغلت ظواهر الاحتجاج والتمرد والعصيان والثورة، الفلاسفة والمفكرين وعلماء الاجتماع، والسياسة منذ أزمنة بعيدة. وتتناول الدراسة تحديد الخصائص الشخصية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمشاركين في الحراك الشعبي ومطالبهم وتصوراتهم لمستقبل الحراك وتقييمهم لتعامل الأجهزة الأمنية مع الحراك.

أهداف الدراسة

تتلخص أهداف الدراسة بالأهداف التالية:

1. تحديد الخصائص الشخصية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمشاركين في الحراك الشعبي
2. تحديد تصورات المشاركين لمستقبل الحراك.
3. تقييم المشاركين في الحراك لتعامل الأجهزة الأمنية (المخابرات، والشرطة، والدرك) مع الحراك الشعبي
4. وصف تصورات ومدركات المشاركين في الحراك ولالإصلاح والفساد
5. تحديد الأولويات الوطنية للإصلاح
6. تحديد مطالب المشاركين في الحراك الشعبي

أسئلة الدراسة

1. ما الخصائص الشخصية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمشاركين في الحراك الشعبي؟

2. ما هي تصورات المشاركين لمستقبل الحراك؟

3. ما تقييم المشاركين في الحراك لتعامل (المخابرات، والشرطة، والدرك) مع الحراك الشعبي؟

4. ما تصورات ومدركات المشاركين في الحراك وللإصلاح والفساد؟

5. ما هي مطالب المشاركين في الحراك الشعبي؟

الاطار النظري والدراسات السابقة

يعد أرسطو " المؤسس الحقيقي الأول لدراسة الثورات" (Calver, 1970:39). ولكن الدارسين اللاحقين لا يتفقون في الإجابة على السؤالين لماذا؟ وكيف تحدث الثورات؟. وتتضح هذه المسألة عند تناول النظريات التي حاولت تفسير اندلاع ظواهر الاحتجاج والتمرد والعصيان والثورة. وهذه النظريات هي: نظرية أرسطو، ونظرية الصراع، ونظرية الحرمان النسبي.

1- نظرية أرسطو

ينظر أرسطو إلى الثورة من خلال نمطين من الحكومات هما، الحكومات الصالحة والحكومات الفاسدة. تشمل الحكومة الصالحة الحكومات الملكية، والأرستقراطية، والديمقراطية. أما الحكومة الفاسدة فتشمل حكومة الطغيان، والاوليجاركية، والديمقراطية. وكلا النمطين يحمل في داخله بذور عدم الاستقرار. ويضع معيار العدالة كمعيار حاسم لما يجب أن تكون عليه الحكومات الصالحة، فمن جهة تكون الحكومات صالحة متى كانت غايتها خير المجموع، وفاسدة متى كانت غايتها الحكام مصالحهم الخاصة. فالملكية هي حكومة الفرد الفاضل، والاستقراطية حكومة الأقلية الفاضلة العادلة، والديمقراطية حكومة الأغلبية الفقيرة وهي تمتاز بالحرية وتطبيق الدستور. أما الطغيان فهو حكومة الفرد الظالم، والاوليجاركية حكومة الأقلية من الأغنياء والأعيان أو النبلاء، والديمقراطية حكومة العامة. (أرسطو، 1979 ص 178). إن الطبقة الغنية والطبقة الفقيرة تنقادان بالجشع والخوف، وعدم الشعور بالأمان. فالطبقة الغنية لا تعرف شيئاً غير الحكم، والطبقة الفقيرة لا تعرف شيئاً غير الطاعة، أما الطبقة الوسطى فإن لها أعداء أقل من الطبقتين الآخرين. هذا بالإضافة إلى احتكامها إلى العقل، والانضباط، والاعتدال، وهي أقل عنفاً وطموحاً من الطبقتين الآخرين.

ولقد وجد أرسطو الظلم وعدم المساواة هما سبب الثورة، الظلم الذي لا تناسب فيه ولا اتساق مثل ملكية أبدية في جمع من المتساوين، ودائماً ما تكون الرغبة في المساواة هي سبب اندلاع التمرد...." (أرسطو، 1979 ص: 390). وهذه الفكرة عن المساواة تحدث بطريقتين. الأولى أن يثور المواطنون بسبب الرغبة في المساواة حيث يرون أنفسهم أهم متساوون، إلا أنهم مضحى بهم لأشكال من التمييز والاستبعاد، والثانية رغبتهم في اللامساواة وفي السيادة والسيطرة السياسية مفترضين أن لهم من الحقوق أكثر مما للآخرين أو أقل على رغم ما يفترضون لأنفسهم من الفضل.

وهذا هو الاستعداد النفسي للمواطنين الذين يبدأون الاحتجاج والتمرد أو الثورة. وهدفهم هو التخلص من البؤس والحرمان والظلم. فالثورة لا يكون لها "على الأغلب موضوع إلا تخلص غالبية المواطنين من الظلم واللامساواة" (أرسطو، 1979 ص 391). وهناك سبعة أسباب تهيئ الاستعداد النفسي للاحتجاج والتمرد

والثورة، الطمع في الثروات وفي المكنات إذ يمكن أن يشعلا ويؤججا نار الفتنة دون أن يطمح القائمون بها إلى هذه أو تلك، بل لأنه يثير حنقهم أن يروها بلا حق في أيدي آخرين. ويضاف إلى هذين السببين الإهانة والخوف والتفوق والاحتقار والنمو غير المتناسب لبعض أجزاء الدولة. وهناك أسباب أخرى للاحتجاج والتمرد والثورة مثل الإهمال واختلاف أصول مواطني الدولة. فقد وجد مواطني إحدى الدويلات اليونانية أنفسهم غرباء في وطنهم عندما استقدم ملك تلك الدولة الغرباء والمرترقة وشذاذ الآفاق مفضلاً إياهم على مواطنيه (أرسطو، 1979ص391).

وتؤدي الإهانة والمنفعة إلى اندلاع التمرد والثورة. فمتى كانت الفئة الحاكمة شرهة تكس الثروات على حساب الجماهير الفقيرة ثار الناس عليها وعلى الدستور الذي يعطيها مثل هذه الامتيازات الظالمة. ويثور الناس أيضاً حينما يرون أنفسهم محرومين كل حق من حقوقهم، ويرون الآخرين تسبغ عليهم الامتيازات. "والعدل لا يكون إلا إذا كان توزيع السلطة متناسباً مع الإمكانيات والأهلية الخاصة لكل فرد ويسبب النمو غير المتناسب لبعض الطبقات في الدولة الاضطرابات السياسية والثورة. ومثال ذلك ازدياد أعداد الطبقة الفقيرة في الديمقراطيات والجمهوريات ومتى ازداد عدد الأغنياء ونمت الثروات الفاحشة، فإن الديمقراطية تتحلل إلى أوليغاركية. ويؤدي الإهمال أيضاً إلى اندلاع الاحتجاجات والثورة عندما ينغمس الحاكم في ملذاته تاركاً الحكم يقع في أيدي أشخاص لا قمتهم إلا مصالحهم الخاصة (انظر المصدر (أرسطو ، 1979ص391 وخاصة الصفحات: 392،394).

إلا أن الأسباب الأشد ظهوراً للاضطراب والثورة هي الظلم والإفقار الذي تتعرض له الطبقات الفقيرة المهمشة أو التي يتم تهميشاً وإفقارها. فالاحتجاجات والتمردات التي تقود إلى الثورة تتولد إذاً من اللامساواة، ومن البؤس والحرمان الأقصى للغالبية والثروة الطائلة إلى الأقلية، وتركز إدارة الدولة في أيدي قليلية العدد، واختلاس الحكام للأموال العامة (أرسطو ، 1979ص: 419) هذا بالإضافة إلى أن الحكام وخاصة المستبدين والطماع منهم وغير المقيدين بدستور يوجدون حاشية لهم من الوضعاء والشذاذ والمرترقة والذين لا تعرف لهم أصول، والذين لا عمل لهم سوى إجادة التملق للحاكم. ومن أجل ذلك لا يجب الحاكم الظالم المستبد والفاقد إلا الفاسدين من شرار الناس لأنه يجب التملق إليه، والقلب الحر لا ينحط إلى هذا الدرك المنحط والسافل من الرخص. والرجل الحر يعرف كيف يحب ولكنه لا يتملق أبداً. وزد على ذلك " أن الأوغاد والأنذال يصلحون للإغراض والمهمات الخسيسة الشريرة، وهم يتنافسون في أداء ذلك. فهم كما يقول المثل " مسمار يطرد آخر". ومن عادة الحاكم المستبد الفاسد وغير المقيد بدستور أن لا يقبل في بطانته الخاصة، إلا حثالة وشرار الناس من الأجانب المرترقة، وشذاذ الآفاق باعتبارهم أولى بذلك من الوطنيين الشرفاء (أرسطو ، 1979ص 438).

واختصاراً لما سبق ، فانه يمكن القول أن النموذج الذي صاغه أرسطو يتمثل بما يلي: ادراك الظلم وعدم المساواة يؤدي إلى الاضطراب والتمرد والثورة. ففي مجتمع يساء فيه توزيع الثروات حيث يمتلك فيه القلة

الكثير منها، بينما تمتلك الغالبية بالكاد شيئاً، فإن الفرص المتاحة لتحقيق الاستقرار والتناغم الاجتماعي وتحقيق الروح الجماعية يضعف وينهار.

2- نظرية الصراع:

حدد ماركس عاملاً واحداً شاملاً مسؤول عن حدوث التمرد هو التنظيم أو البناء الاقتصادي للمجتمع. وعلى مدار التاريخ وجد، في كل مجتمع طبقتان رئيسيتان: طبقة مهيمنة حاكمة وأخرى محكومة مهيمنة عليها. إن مشاكل المجتمع وخاصة المعاصر ناتجة عن تناقضات كامنة في البناء الاقتصادي - الاجتماعي القائم. وهذه التناقضات ستؤدي إلى انهيار المجتمع انهياراً كيفياً: شكل جديد للمجتمع، (كوهان، 1979:69، 1986: Aveneri).

وتقوم نظرية ماركس في الثورة وهي أيضاً نظرية في التغيير الاجتماعي على أنموذجه للمجتمع. وهذا الأنموذج القائم على الصراع الدائم بين الطبقات. ومن هذا النموذج يفسر الاحتجاج والتمرد كشكل من الصراع في ضوء علاقات اجتماعية عيانية ومحددة (ماركس إنجلز، د.ت، 49-50). إن كل تاريخ المجتمعات التي وجدت حتى الآن هو تاريخ الصراع الطبقي، الرجل الحر والعبد، النبيل ورجل العامة، السيد والمرؤوس، رئيس الطائفة المهنية والعامل المياوم، إي بالاختصار المضطهدون والمضطهدون، كانوا في تعارض دائم، وكانت بينهم حرب مستمرة تارة ظاهرة وتارة مستترة، حرب كانت تنتهي دائماً إما بانقلاب ثوري يشمل المجتمع بأسره وأما بالهيار الطبقتين المتصارعتين معاً (ماركس إنجلز، د.ت: 50).

تؤدي عملية الاغتراب والإفقار السابقة بالطبقة العاملة المستغلة، إلى أن يبرز لديها الوعي بالواقع البائس والمزري الذي تعيشه. وتحدد قدرة الطبقة المستغلة عن طريق مثقفيتها ودرجة تعليمها. إذ يجب أن تتخلص من ما اسماه ماركس الوعيا الزائف المتمثل بتبنيها واعتناقها لايدولوجيا الطبقة المسيطرة، المتمثلة بقيم العمل والجد والمثابرة والادخار التي عن طريقها كما تشيع الطبقة الحاكمة يمكن للعامل أن ينجح في الحياة، ويصبح غنياً بل مليونيراً. وعندما تتخلص الطبقة الفقيرة المقموعة من وعيها الزائف، وتعي أنها مستغلة وتنخرط في الصراع السياسي كجماعة منظمة، فإنها تتحول من طبقة في ذاتها إلى طبقة لذاتها على حد تعبير ماركس. وهذه الجماعة المنظمة لن تشكل ما لم يعي أفرادها أنهم في موقف مشترك ويصبحون على وعي بأهدافهم المشتركة فينخرطون في تحركات واحتجاجات مطالبين بظروف وأجور معيشية أفضل. ولا يلبثون أن يشكلوا نقاباتهم واتحاداتهم وأحزابهم ثم ينخرطون في معركتهم ضد الطبقة المسيطرة المستغلة، وعادة ما تتم هزيمتهم، إلا أنهم أحياناً ينتصرون (كاهان، 1979:76).

ويمكن تحديد نموذج ماركس السابق على شكل قضايا على النحو التالي:

أولاً: - كلما تزايدت حدة الظلم واللامساواة في توزيع الخيرات المادية والموارد النادرة في المجتمع ازداد صراع المصالح بين الجماعات المسيطرة والخاضعة في ذلك المجتمع.

ثانياً: - كلما زاد وعي الطبقات والجماعات المقهورة بمصالحها الجمعية الحقيقية ازداد احتمال تساؤلهم عن مدى شرعية النظام القائم الذي يتولى توزيع المواد والخيرات النادرة.

أ- كلما أدت التغيرات لاجتماعية التي أحدثتها الفئة المسيطرة إلى تفكك وتحلل العلاقات القائمة بين الطبقات والجماعات المقهورة، ازداد احتمال وعي المهمشين والمفقرين بمصالحهم الحقيقية.

ب- كلما أدت ممارسات الفئة المسيطرة الحاكمة إلى زيادة حالات الإفقار والتهميش والاحتقار والاغتراب بين الخاضعين المقهورين ازداد احتمال وعي هؤلاء بمصالحهم الحقيقية الكلية.

ج- كلما تزايدت مشاركة المقهورين والخاضعين والمهمشين في التعبير عما يعانونه من آلام ومآسي وظلم وقهر وتهميش ازدادت احتمالية وعيهم بمصالحهم الحقيقية.

د- كلما ازداد تجمع الأفراد والجماعات المقهورة المظلومة في أماكن محددة، للتظاهر والاحتجاج والاعتصام، ازدادت مظاهر الاتصال والمشاركة بينهم في التعبير عما يعانونه من ظلم وحرمان وانتهاك للكرامة.

هـ- كلما ازداد إمكانيات الجماعات والفئات المهمشة والمحرومة في الاتفاق على وتوحيد مطالبهم وتكوين إيديولوجيا خاصة بهم زاد اتحادهم ووعيهم.

ثالثاً:- كلما ازداد وعي الجماعات الخاضعة المقهورة في المجتمع بمصالحها الحقيقية زاد تساؤلهم عن شرعية النظام الحاكم في توزيعه للخيرات والموارد. وهذا يزيد احتمال تضامنهم وانخراطهم في صراع علني صريح ضد الفئة الحاكمة المسيطرة.

أ- كلما ازداد تحول حرمان الفئات الخاضعة من الحرمان المطلق إلى الحرمان النسبي ازداد احتمال انضمامهم إلى الصراع الدائر في المجتمع بين المقهورين والمهمشين والفئة الحاكمة.

ب- كلما ازدادت قدرة الجماعات المهمشة والمقهورة على اختيار قيادة سياسية " عن طريق الانتخابات " زاد تضامنهم في مواجهه الفئة الحاكمة المسيطرة.

رابعاً:- كلما زاد الاتفاق والوحدة الإيديولوجية بين أعضاء الجماعات المقهورة ازداد احتمال ظهور القيادة السياسية وازدادت فرص استقطاب وتعبئة الجماعات المقهورة ضد الفئة المهيمنة.

خامساً:- كلما ازداد استقطاب الجماعة المهيمنة " عن طريق الشراء بالمال أو المناصب " ازداد عنف الصراع.

سادساً:- كلما زاد عنف الصراع، ازدادت فرص التغيير البنائي الاقتصادي والاقتصادي والسياسي عن طريق إعادة توزيع الثروات والموارد. (كاهان 1979:76).

نظرية الحرمان النسبي

فهي أهم هذه النظريات والذي يعد تيد غير Gurr أبرز ممثليها (غير، 2004). ونظرية الحرمان النسبي هي تعديل وتطوير لنظرية ارتفاع التوقعات وهي نظرية في الاحتجاج والتمرد الجماهيري أكثر مما هي نظرية في الثورة.

تعد نظرية الحرمان النسبي من أكثر النظريات قبولا، والسبب في ذلك القبول يعود إلى أن النظرية قد تم تطبيقها على نطاق واسع في دراسة حركات الاحتجاج والاضطرابات التي قام بها الطلبة في الولايات المتحدة وأوروبا عام 1968. وهذه النظرية مهمة بالنسبة لموضوع دراسة الحراك الاجتماعي وذلك لأنه تم إثباتها بالأدلة الامبريقية من خلال مدى واسع من المؤشرات المتعلقة بالأداء الاقتصادي والسياسي والتغير الاجتماعي. وقد قام تيد غير وغيره من الباحثين بتصميم نماذج دقيقة للاستقرار والجيشان والتمرد الاجتماعي وذلك بهدف إثبات مصداقية النظرية.

وسنعرض النظرية بشكل مختصر قدر الأماكن، والسبب في ذلك صعوبة الإطاحة بكافة المتغيرات الداخلة في النظرية في الحيز المحدود في هذه الدراسة.

يرى غير أن السلسلة السببية الأولى في العنف السياسي تبدأ من نشؤ السخط ثم تسييس ذلك السخط والاستياء، وأخيراً إخراجها إلى حيز التنفيذ الذي يتجلى بالإجراءات العنيفة ضد الأشياء والأطراف السياسية الفاعلة. ويعد السخط الناجم عن إدراك الحرمان النسبي الظرف الأساسي المحرض للمشاركين في العمل الجماعي. ويعرف غير الحرمان النسبي على أنه " التناقص المدرك بين توقعات القيم وقدرات القيم لدى الناس. وتتمثل توقعات القيم بسلع الحياة وظروفها، التي يعتقد الناس بأنها حق لهم. أما قدرات القيم فهي السلع والظروف التي يعتقدون أنهم قادرون على بلوغها أو المحافظة عليها انطلاقاً من الوسائل الاجتماعية المتاحة لهم (غير، 2004: 67-68).

يقوم هذا التعريف على افتراض أن هناك علاقة بين الإحباط والعدوان والعنف بمعنى أن إدراك الناس الفاعلين للتناقص بين توقعاتهم وقدراتهم المتعلقة بالقيم يؤدي إلى الإحباط الذي يؤدي بدوره إلى التمرد والعنف. إن نطاق الحرمان النسبي هو سريانه على كل فئة من الفئات بين أفراد المجتمع. وبعض أنواع الحرمان تميز بعض الأفراد في الجماعات التي يتكون منها المجتمع كافة. وللحرمان صلة بالاستعداد للقيام بالعنف الجماعي بمقدار ما يشعر الناس بالسخط نحو الأشياء ذاتها. وتتمثل شدة الحرمان النسبي بمدى العاطفة المقترنة بإدراكه أو بحدة السخط أو العنف الذي ينبثق منه. وتعرف درجة الحرمان بأنها شدة الشعور به (غير، 2004: 75).

وهناك ثلاثة أنماط من الحرمان النسبي هي: الحرمان المتناقص الذي تظل فيه توقعات قيم جماعة من الجماعات ثابتة، ولكن ينظر فيه إلى قدرات القيم على أنها في تناقص. والحرمان الطموحي وهو الذي تظل فيه القدرات ثابتة نسبياً في حين أن التوقعات تزداد أو تتعمق والحرمان المتدرج الذي ينطوي على زيادة كبيرة ومتزامنة في التوقعات وعلى نقص في القدرات. وهذه الأنماط الثلاثة عوامل سببية أو مهياة للاحتجاج والاضطراب والعنف السياسي. وتوجد علاقة قوية بين شدة الغضب والمتغيرات السيكولوجية والثقافية حيث يتعاظم السخط بإزدياد التناقص بين توقعات الناس وقدراتهم. فكلما إزدادت الأهمية التي تعطى للقيم المتأثرة، وكلما قل إشباع حاجات الناس إزداد سخطهم واحتجاجهم وتمردهم على النظام السياسي القائم.

ولما كانت القيم والأشياء المرغوبة التي يكافح البشر من أجل الحصول عليها، والتي من أهمها والتي لها صلة بنظرية العنف والاحتجاج والتمرد والثورة هي التي يعتبرها غالبية الناس ذات قيمة. وتعتبر القيم من منطلقات سيكولوجية أنها التي تستهدفها دوافع البشر والتي ترد إلى الاحتياجات أو الغرائز الأساسية التي تشتق منها. وفي هذا الخصوص، ومن أبرز هذه القيم وأهمها قيم الرفاه، وقيم القوة، والقيم ما بين الأشخاص. ولهذه القيم صلة بولادة وتشكل الحرمان النسبي.

1- قيم الرفاه. تتمثل قيم الرفاه بالقيم التي تؤدي إلى الرفاه المادي، وتحقيق الذات وتشمل سلع الحياة المادية- الغذاء والمأوى، والخدمات الصحية ووسائل الراحة المادية- وتطوير القدرات الجسدية والعقلية واستخدامها. ويشار إلى هذه القيم على أنها قيم اقتصادية ومحقة للذات. وقد تكون قيم تحقيق الذات وسيلة لبلوغ قيم رفاه

أخرى والعكس بالعكس. ويعتبر تحقيق الذات غاية بحد ذاته لدى الكثير من الناس. وتعتبر القيم الاقتصادية الأكثر أهمية بالنسبة لغالبية الناس من قيم أخرى، وذلك يعود جزئياً إلى أن مستوى أدنى من السلع الاقتصادية شيء ضروري لاستمرار الحياة. ومع ذلك توجد عتبة طبيعية لا يؤدي الإفقار الاقتصادي دونها إلى الاحتجاج والتمرد، مهما كانت عليه توقعات الناس، وهي "عتبة المجاعة"، فإذا بلغ الحرمان الاقتصادي حداً كبيراً بحيث يصبح الناس في مستوى البقاء المادي أو أدنى منه، فإنهم يصبحون غير قادرين على التمرد. وهذه المسألة تكاد تكون مسلمة في الدراسات المتعلقة بموضوع الاحتجاج والتمرد والثورة. كتب هوبسباوم: عندما يكون الناس جوعاً حقاً فإنهم ينشغلون بالبحث عن الطعام، بحيث أنهم لا يستطيعون القيام بشيء آخر، وإلا فإنهم سيموتون" (Hobsbawm, 1959:79).

وكثيراً ما قام الناس بأعمال الشغب طلباً للمزيد من الطعام، الذين اشتركوا في هذه الانتفاضات كانوا بعيدين عن المجاعة، فقد كانوا يحتجون على إرتفاع الأسعار التي تهدد أمنهم الغذائي وليس وجودها الفعلي. يزداد الدافع إلى الاحتجاج والتمرد بعبوط وضع الناس المتعلق بالقيم الاقتصادية إلى هامش البقاء، لكن شدته تتناقص عند بلوغ الهامش، عندما تكون القيم الاقتصادية غير مرنة، وعندما يعيش الناس على هامش البقاء، فإن أي عبوط اقتصادي هامشي تقريباً يمكن أن يعجل بحدوث الاحتجاج والتمرد.

ويؤدي سوء وتباين توزيع الدخل إلى استياء أفراد المجتمع. فالاقتصاديات ذات الدخل كثيرة التشتت والتركيز من شأنها أن تؤدي إلى الاضطرابات السياسية، في حين أن الاقتصاديات ذات التوزيع الطبيعي تكون مستقرة سياسياً. وعلى وجه التحديد كلما زاد التركيز الشديد والخرج للدخل تكون الاضطرابات والثورات محتملة الحدوث. وكلما كانت نسبة التركيز أدنى من حد أدنى حرج (أي واسعة التشتت) يكون الاحتجاج والتمرد والثورة أموراً محتملة الحدوث. فحالة عدم المساواة المتطرفة ستؤدي على الأغلب إلى عدم الاستقرار السياسي. وهذه مسألة سبق وأن بين بارتيتو مضامينها السياسية (انظر للمزيد من التفاصيل (Tilly, 1964: 181 وما بعدها).

وكثيراً ما تم التأكيد على أن التعليم وخاصة الجامعي يشكل مصدراً للتوقعات المتصاعدة. فالشباب الذي يكمل تعليمه الجامعي يشعر بأن ذلك سوف يسهل عليه الوصول إلى أهدافه، المال والمكانة والمشاركة السياسية. ولكنه إذا وجد بعد ذلك أن الأعمال والوظائف نادرة، وأن الراتب متدنٍ، وقدراته السياسية متدنية، فإن المحتمل هو أن تكون العاقبة شعوراً بخيبة الأمل أو كما يسميها ليرنر "ثورة الاحباطات المتصاعدة" والتي مصدرها الطموحات المتزايدة التي لا يقابلها تحقيق تلك الطموحات (Lerner, 1958:330).

2- قيم القوة

تتمثل قيم القوة بشكل خاص بالنسبة للعنف السياسي بالرغبة في المشاركة في صنع القرار، أي التصويت والاشتراك في المناقشات السياسية واكتساب عضوية النخب السياسية — والرغبات ذات الصلة المتعلقة بتقرير المصير الأمني، على سبيل المثال التحرر من التنظيم القمعي أو من الفوضى. ويشار إلى هاتين الفئتين من القيم بقيم المشاركة والأمن.

تلقى مشاركة المواطنين العاديين في العملية السياسية معارضة شديدة من قبل النخب المسيطرة في الأنظمة السياسية المركزية، وشبه المركزية وفي الأنظمة ذات الديمقراطية الشكلية، فالمواقع السياسية الهامة مورثة، تنتقل من الجد إلى الأب ثم الحفيد. ولقد أدى التعقيد المتزايد لعمليات صنع القرار، إلى إضعاف فعالية الوسائل التقليدية للمشاركة. وبالتالي تقلص وطميش وإضعاف مواقع قيم المشاركة السياسية بالنسبة لغير النخبة. ويمكن ان تعزى عملية اللجوء لأساليب مثل المظاهرات والاحتجاجات والاضطرابات العامة وأعمال الشغب إلى محاولة التأثير في السياسات الحكومية جزئياً إلى هذه الظاهرة.

النتيجة النهائية هي أن النظام السياسي يصبح هو المسؤول عن كل تعاسات وشقاء الشعب. وفي الكثير من الحالات وحين يكون الناس في غاية السخط والتذمر وحين يعتقدون بأن لدى النظام الحاكم القدرة والموارد اللازمة لحل مشكلة حرمانهم ومعاناتهم، لكنهم يشعرون بأنه ليس في نية النظام أن يقوم باتخاذ إجراءات فعالة، فإنهم يلجأون إلى الاحتجاج والتمرد بل والثورة. وتركز الجماعات المحرومة جام غضبها على نقطة واحدة هي شخص الحاكم (غير، 2004:285).

وفي هذه الحالة يبدأ النظام الحاكم بفقد شرعيته تدريجياً. فالأنظمة تعتبر شرعية حسبما يرى الشعب أنها شرعية وتستحق الدعم والمؤازرة. وقد يكون النظام شرعياً، لكن بعض قوانينه غير شرعية إلى درجة كبيرة من وجهة نظر الغالبية العظمى من الشعب. فإذا فرض النظام ذي الشرعية سياسات تخالف مخالفة جوهرية توقعات الشعب. فإذا فرض النظام ذي الشرعية سياسات تخالف مخالفة جوهرية توقعات الشعب، فإن الناس يشعرون بالدافع إلى الاحتجاج على تلك السياسات لا بسبب الحرمان الذي تفرضه فقط، بل لأنها لا تنسجم مع صورة النظام التي كونوها في أذهانهم. وإذا قاوم النظام الضغوط الهادفة إلى إحداث التغيير عبر القنوات الاعتيادية، فقد يزيد الحرمان النسبي من المشاركة إلى الحد الذي يندلع فيه العنف التعبيري العلني الموجه ضد السياسة وأصحاب المناصب الذين فرضوا تلك السياسة.

ويرى غير أنه وفي المرد الأخير قد يشعر عامة الشعب الذي يبلغ بهم السخط درجة شديدة بأن النظام الحاكم ذو شرعية مقبولة لا يمكن المحافظة عليها إلا عن طريق المقاومة العنيفة لكل من الذين يحتلون المناصب والمؤسسات والذين يمارسون الفساد. فالشعب يعتبر نظامه شرعي وأن العنف السياسي غير مبرر. ولكن إذا تصرف النظام عالي الشرعية، فإنه يتعرض آجلاً أم عاجلاً إلى اندلاع العنف السياسي وخاصة الاحتجاجات والاضطرابات.

وشرعية النظام الحاكم تتمثل بمقدار ما تعتبر فيه الوحدة السياسية الوطنية ومؤسساتها الحاكمة والذين يشغلون المناصب فيها مناسبين وجديرين بالدعم والمساندة. ويميل المواطنون في الدول الديمقراطية المتقدمة إلى اعتبار شرعية المؤسسات أكثر أهمية من شاغلي المناصب. أما في الدول النامية فان شخصية شاغلي المناصب أكثر أهمية من المؤسسات.

وعندما يبلغ النظام ذروة فساده ويرى أن الدائرة تدور على رأسه بوصفه أساس الفساد، فإنه يلجأ إلى التضحية ببعض عناصره مستخدماً إياهم كأكبش فداء ((غير، 2004:285)).

3- قيم العلاقات بين الأشخاص

إن مصادر الاحتجاج والتمرد تعتمد بدرجة أساسية على تحليل الهوية الجماعية بوصفها السلاح النظري لمثل هذا التحليل. إذ بالرغم من محورية الأفراد في المجتمعات المعاصرة، فإن الهوية الجماعية والسياق الجماهيري ما فتئا يحددان طبيعة وآفاق الآمال التي تحدد الأفراد والمظالم التي يعانون منها. تغزو أكثر التفسيرات شيوعاً جذور الاحتجاج والتمرد والثورة إلى فقدان التماسك التصوري. فقدان إيمان الناس بالمعتقدات والمعايير التي تحكم التفاعل الاجتماعي أو عدم توافقهم بشأنها. إن التماسك التصوري وسيلة وغاية على حد سواء، وبالتالي فإن فقدان الانسجام هو هبوط في وضع القيم وهبوط في فرض القيم على حد سواء. وتمثل حجة اعتبار التماسك التصوري غاية بحد ذاته.

ويرى غير أن التحلل من القيم والروادع وقد أوضح ميرتون أن التحلل يمكن أن يؤدي إلى سلوك واسع الانتشار يبحث عن معايير وقيم ووسائل بديلة، وهو ما يمثل التمرد، "وعندما يشيع التمرد في جزء كبير من المجتمع، فإنه يوفر دافعاً كامناً للثورة، يعيد تشكيل التركيبة المعيارية والاجتماعية على السواء". إلا أنه لم تجري محاولات لاحقة للربط بين التحلل وحدوث العنف الجماعي غير سلوك العصابات (غير، 2004:95).

ولعل أكبر أثر للتحلل على الحرمان النسبي هو تأثيره في فرص القيم. إن مسألة ما إذا كانت الأنظمة المعيارية تثنى جوهرياً، بمعنى أن تثنى المصالح والأمن والمركز هو سؤال امبريقي ويمكن الإجابة عليه بشكل مباشر من خلال التأكد من المدى الذي تثير فيه التهديدات لأنظمة المعايير غضب الناس. أن مفاهيم التحلل من معايير السلوك تتصل بصفه عامة بالحرمان النسبي بطريقة مماثلة للتنافر: فهي تتطابق مع الحرمان النسبي، لكن لا يمكن أن تكون متضمنة فيه ولا تشمل جميع نواحيه أو معظمها (غير، 2004:96).

الدراسات السابقة

لا توجد دراسات عربية حول الربيع العربي، وهناك بعض الدراسات والتحليلات الغربية، ويرجع ذلك إلى حداثة ظاهرة الربيع العربي وسرعة انتشارها ولعنصر المفاجئة والسرعة في تطورها. ولا تزال الدراسات في بداياتها ومن المتوقع أن يستحوذ هذا الموضوع على اهتمام الباحثين قريباً، حيث بدأت هذه الدراسات بالظهور بشكل ملفت للنظر في أوروبا ومنذ العام 2011.

ففي مبادرة من مجلس الأعيان تم عقد ندوة انتهت بتقرير عن موقع الأردن في الربيع العربي ومنها دراسة البداينة (2012) بينت الورقة العمليات الاجتماعية المولدة للحراك وهي أن الحلقة الأولى في السلسلة هي تراكم المشكلات الاجتماعية كالفقر والبطالة والتفاوت والشعور بالظلم والتمهيش وضعف المشاركة السياسية، وشيوع مستوى عال من مدركات الفساد وتكوين جماعات المصالح التي اختطفت الدولة، وسيطرت على مفاصل الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وشيوع ثقافة العود للعشائرية والفرعات وإضعاف القانون، وسيادة عادات اجتماعية سلبية. كل هذه المشكلات وغيرها قادت إلى أن يتحول تراكم المشكلات الاجتماعية ويتعمق ليصبح معضلات اجتماعية كبرى خاصة تلك المتعلقة بالإصلاح واستعصاءه والفساد ومحاربه مما أعاق محاولات

التحول الاجتماعي والسياسي والاقتصادي. كما أن هذه العضلات قد قادت إلى طرح أسئلة صعبة سياسياً واجتماعياً وتجاوزت المحرمات الاجتماعية والأمنية.

ثم أن هذه العضلات الاجتماعية سرعان ما قادت إلى أزمات اجتماعية حادة وأزمات سياسية واضحة، وانبثق عنها تحديات اجتماعية كبرى، منها تحديات محاربة الفساد، والإصلاح المستعصي، والتغير العشوائي، وتعاضم قوة مجموعات المصالح وعودة العشائرية وتجاوزها للقضاء ولسلطة الدولة. كما وضعت الكثير من الضغوط على كل اللاعبين تتعلق بماذا يحدث؟ كيف يحدث؟ وماذا نفعل؟ وجاءت الاستجابة الرسمية تقليدية جبرية أحياناً تعتمد الحلول الأمنية الناعمة مع قليل من الحلول غير الناعمة عمادها الفرقة وشيطة الطرف الآخر وثافتها الاختباء خلف صمام الأمان ودافعها المصالح الذاتية والوظيفية. نجم عن هذه المعطيات تحول المجتمع الأردني من أكثر مجتمع في العالم ممثل للسلطة في السبعينيات إلى مجتمع حراك، انتقل إلى القوة الجمعية والمجتمعية مطالباً بالتغير والإصلاح ومحاربة الفساد، وبناء اردن قوي، مستفيداً من التقنيات الحديثة في خلق مجتمعات تخيلية وتواصل عن بعد، وإعلام مواطن عوضاً عن إعلام الدولة. وامتاز هذا الحراك بعفويته وبقاعدة كبرى من المهمشين وقليل من جماعات المصالح وجماعات الظل والمتسلقة على الحراك أو المقلدة للحراك لتحقيق مكاسب فردية أو جمعية. كما غاب عن الحراك المغبون عن المجتمع والمغتربون - الصفوة والمثقفون. والمخرجات المتوقعة لهذه العمليات المتداخلة والمتسلسلة من مشكلات ومعضلات وأزمات وتحديات هي بالتأكيد ليس بالعودة للحالة القبلية السابقة. وليس بالاستمرار بالحالة الراهنة: ونتيجة المخرجات المتوقعة اما: 1. مخرج الفوضى والتغير القسري، او 2. مخرج الإصلاح والتغير. (البداينة، 2012)

اما الورقة الأخرى ذات العلاقة فتناولت واقع الحراك الشعبي تناول فيها الخريشه (2012) واقع الحراك الشبابي، فيرى انه منذ اندلاع عاصفة المطالبة بالتغيير في الشارع العربي والتي اتخذت إما شكل الثورة السلمية أو شكل الاحتجاجات والمظاهرات المستمرة التي تقترب من العنف أحياناً، أو ما كان منها أقل من ذلك لكنه في تصعيد متواصل. والسؤال المطروح هو ... لماذا حدث ما حدث؟ ... وكيف حدث؟ ... ولماذا الآن؟ .. والسؤال في شكله العام بديهي ومباشر. هناك أسباب عامة تلخص في الظلم والفساد السياسي والإداري والمالي وغياب العدالة الاجتماعية وغيرها من الحقوق الإنسانية والوطنية. وبما أن حركات المطالبة بالتغيير قام ويقوم بها جيل أكثرية من الشباب في العشرينات والثلاثينيات من العمر فمن المهم أن نتعرف على البيئة والظروف المختلفة التي يعيش فيها الشباب.

ويقول إن أية مراجعة عابرة لمؤشرات التنمية البشرية التي تضمنتها تقارير الأمم المتحدة وغيرها من المرجعيات والمراكز والمؤسسات المتخصصة خلال العقد الماضي فقط ستكشف أسوأ ما يمكن تخيله فهي ليست سيئة فقط بل تزداد مؤشراً سوأاً بشكل تصاعدي من سنة إلى أخرى.... مؤشرات التنمية البشرية الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والثقافية والصحية كلها من أدنى المؤشرات حتى عند مقارنتها بدول غير عربية أقل كثيراً في مواردها وإمكاناتها... تقارير حقوق الإنسان تؤكد التزايد المستمر والمخيف في انتهاك هذه الحقوق بمختلف أشكالها. الحريات العامة تتعرض للمصادرة بأساليب قمعية فظة.

ويرى أن المساواة والعدالة الاجتماعية غائبة، حرية التعبير والرأي غير موجودة. الشفافية في أدبي مستوياتها. الفساد والعبث بالمال العام في أشد صورة. معدل دخل الفرد من الناتج القومي في أدنى مستوياته. معدلات البطالة والفقر في زيادة متواصلة، وشريحة الشباب أصبحت تمثل النسبة الأكبر من السكان هي التي أصبحت تواجه هذه المعاناة وتكتوي بنارها. هذه العضلات والأوضاع المتردية ليست وليدة السنوات الأخيرة، إنها موجودة منذ زمن طويل لكنها بلغت ذروتها الآن في الزمن المفاجئ الذي لم يحسب له حساب ولم يتخيل أن شرارة الحراك الشبابي ستنتقل منه. لقد تضافرت الأسباب السابقة خالقة احتقان شديد في نفوس جيل جديد من الشباب الذي حقنهم اليأس والقنوط. لقد ساهمت تراكمات النظام الاقتصادي والإداري وسلبات اجتماعية كبيرة في تهميش وتغييب دور الطبقة الوسطى وهي الطبقة الأكثر حيوية وتعلما وثقافة، الأمر الذي راكم الفجوة التي ازدادت اتساعاً بين المجتمع والدولة، خصوصاً بإضعاف دور الطبقة الوسطى والتي تقاس درجة تقدم أي مجتمع بوجودها ودورها وتأثيرها، وخاصة في اتخاذ القرار والمشاركة فيه، ولعل وجودها يعتبر صمام أمان للتقدم والاستقرار بما تمثله من ثقل ووزن اجتماعي وثقافي. لقد وصل الأمر إلى حد تركز السلطة حول مجموعات وبؤر اجتماعية حاولت أن تضعف رأس المال الاجتماعي للوطن، وأن تعبت بالثقة السائدة والمتواصلة بين القيادة والشعب، وبين صفوف الشعب نفسه فرقة وتفتيتاً للنسيج الاجتماعي. وتحولت تدريجياً إلى نظام غنائم تحتاج إلى زبائن من الأشياء والاتباع، وتدخلت إلى حدود كبيرة السلطة بالمال. وهكذا ولدرجة أن حصل انزياح وتهميش لطبقات وفئات اجتماعية واسعة ومن ضمنها الطبقة الوسطى الوعاء والحامل الاجتماعي للتغيير بسبب سياسات الهيمنة ومواقف النخبة واحتكار العمل السياسي والنقابي لدرجة أن الجهوية والعشائرية والعائلية سيطرت على الدولة التي أصبحت ممثلة بأقلية شديدة معزولة لكنها متحكممة بكل شيء. إن قاعدة التوريث الإداري والسياسي لمنصب الحكومة أصبحت ملاحظة امتزجت أحيانا بالفساد المالي والإداري والسياسي، بينما كان موقف النخبة السياسية والثقافية والعشائرية من كافة الطبقات إما السلبية أو المشاركة على استحياء. فأنتجت في مجتمع اردني محافظ حراكا شعبيا سلميا في مناطق جغرافية وديموغرافية (الخريشا، 2012)

ومن الجهود العربية العلمية الندوة التي نظمها قسم علم الاجتماع والانثروبولوجيا والدراسات الإعلامية بالجامعة الأمريكية ببيروت والجمعية اللبنانية لعلم الاجتماع ومؤسسة فريدريش ايرت (لبنان) بالتعاون مع الجمعية الدولية لعلم الاجتماع وجامعة قطر - وحتى هذه الندوة فعالية المشاركين غير عرب. - وكانت بعنوان الانتفاضات العربية: مناظير سوسيولوجية ومقارنات جغرافية ونشر ملخصها امينة عربي وجوليان يورغنماير في حوار كوني (Arabi and Jürgenmeyer 2012)، وهدفت إلى إبراز ما اعتيد إهماله من المناظير السوسيولوجية وكذا إلى استشراف سيناريوهات مستقبل الانتفاضات عبر مقارنات تاريخية وما بين البلدان والقارات. وجاء فيها: لايزال مصير الانتفاضات الشعبية غير موثوق، على أنه بات من الواضح أن مشهد المنطقة السياسي مسه تغير لم يسبق أنه شهد منذ الانقضاء الرسمي للاستعمار، وأن "الاستثنائية العربية" الجوهرانية التي بدت زمنا ما غير قابلة للمحو فقدت أخيرا مصداقيتها.

ومن بين المداخلات جسد ماركوس شولز (Markus Schulz) هذا المنظور في عرضه الذي تناول "احتلوا وول ستريت" مقدما إطارا نظريا للبحث في الحركات الاجتماعية من خلال خطوط التوازي بين الانتفاضات العربية وحركة احتلوا من مثل طبيعتها الحوارية، وانعدام القيادة. أما محمد باميه فيرى أن الحالة العربية ترجع إلى ماضٍ سحيق من تقاليد الايتيقا الفوضوية، وهي تعبير عن ذاكرة تاريخية تتسم بعمق ربيتها تجاه التسلطية وتسعى لوضع الشعب لا موضع الممثل عنه يل بوصفه الحاكم الفعلي. ففي حالة البحرين التي حللها عبدالهادي خلف مثالا لثورة سياسية يَحتج مناصروها على ما يتبعه الملك من سياسة "الخبز والسيرك" مطالبين أن يكونوا مواطنين لا رعايا.

أكد كل من راكال سوزا اليثاغا (Raquel Sosa Elizaga) و ادغاردو لاندر (Edgardo Lander) على الحاجة الى ثورة اجتماعية جديدة بدلا من مجرد تغيير النظام، وحدها تلك التي مكنت من تجاوز بنى الاستغلال والقهر التي ظلت موجودة في معظم بلدان أمريكا اللاتينية. كما أشار يزيد صايغ الى اختراق الجيش لكل مجالات المجتمع جراء الدور الحيوي الذي اضطلع به العسكر في بناء الأنظمة التسلطية في العالم العربي، وعليه تكون إعادة تشكيل العلاقات المدنية العسكرية واحدا من الرهانات الأكثر اتصافا بالإلحاح والمخاطرة التي تواجه حكومات ما بعد الثورة (Arabi and Jürgenmeyer (22012)

يرى فروند شتاين (Freudenstein) ان الشيء المؤكد حول التسونامي الكاسح في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا أنه لا شيء سيكون كما كان قبل 2011، كل شيء آخر هو موقف متطور يظهر صورة متنوعة. ولقد أدت الحركات والثورات إلى تغييرات ناجحة في تونس ومصر ثم اليمن وليبيا وستتبع سوريا. كما أدت إلى عدم استقرار أنظمة أخرى مثل البحرين وقد يكون معاقبتها القادمة الأردن والمغرب ويمكن العربية السعودية. كما أدت إلى وضع خطط استراتيجية في كل من ايران وتركيا وإسرائيل. وفوق هذا وذاك، فقد بات ما يعرف بالربيع العربي قد وفر فرصة فريدة لأوروبا والولايات المتحدة لنشر الديمقراطية والحرية حيث يمكن أن يصل ملايين العرب إلى إمكاناتهم القصوى. وهذا يؤدي إلى استقرار جيران أوروبا، علما أنه يحتمل شيوع العنف والمهجرات والأزمات في المنطقة. لقد راهنت أوروبا والغرب على الحصان الخاسر من خلال دعمهم للدكتاتورين والمستبدين في أغلب دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، انطلاقا من فكرة أن بديل الاستبداد هو الفوضى أو الإسلاميين والجهاديين، وكان في هذا الاستمرار الضمان لمصالح الغرب على الأقل جزئيا. كما كانت الفكرة تقوم أحيانا على الفرضية الثقافية ، وهي أن الثقافة والعرف في هذه المنطقة غير مناسبة لبناء مجتمعات ديمقراطية.

كما يرى فروند شتاين أن جذور هذه التظاهرات هي مزيج من العوامل الديموغرافية والاجتماعية-الاقتصادية والسياسية لعدد لم يسبق له مثيل من الشباب يواجه أنظمة تتنن (stagnant) وفسادة (corrupt)، وقمعية (repressive) ويواجهون مظاهرين مغمومون بسبب مستقبلهم الاقتصادي، وقرروا المخاطرة بكل شيء من أجل فرصة في حياة أفضل. أما العوامل المسرعة فقد كانت معرفتهم بالعالم ، والحضور الإعلامي مثل الجزيرة ووسائل التواصل الاجتماعي مثل الفيس بوك (face Book) ويوتيوب (You Tube) بالإضافة إلى الحماقات والعدوان من أجهزة النظام (Freudenstein, 2001).

أما دراسة سبندل (Spindell, 2011) والتي كانت بعنوان الشعب يريد إسقاط النظام (The people want to topple the regime)، فيرى أن الربيع العربي قد أتى من لا مكان. ويستعرض الأحداث في عدد من دول الربيع العربي مصر، وسوريا، والأردن. ويسرد كيف بدأت المظاهرات في درعا حيث قام عدد من الشبان الصغار ممن تتراوح أعمارهم بين 10-15 سنة بوضع شعار الشعب يريد إسقاط النظام الذي استعاروه من تونس ومصر. تم اعتقال 15 شاب وتم ربطهم واقتيادهم من قبل الشرطة السرية السورية، تم اعتقالهم وتعذيبهم وضربهم وخلع أعضائهم، إدارة الشرطة كانت تحت إدارة الجنرال عاطف نجيب وهو قريب للرئيس السوري (CBS News, 2011)، احتشد أولياء أمور الشباب إلى المحافظ لطلب إطلاق سراح أولادهم اطلقت الشرطة النار عليهم في اليوم التالي زاد عدد المتظاهرين وكانت استجابة الشرطة مزيدا من العنف، مع غارة على المسجد حيث قتل 5 أشخاص بما فيهم طبيب كان يعالج الجرحى، وفي مراسم تشييع القتلى اطلقت الشرطة النار على المشيعين مما أدى إلى سقوط مزيد من الضحايا. اطلق سراح الشبان بعد أسبوعين حيث لا زالت آثار التعذيب واضحة على أجسادهم (CBS News, 2011). تحدث سبندل عن عوامل الربيع العربي وهي: العوامل الديموغرافية، الدين، ومتوسط العمر للسكان (median age) والبطالة وهذه تمثل مفتاح فهم الموقف الراهن في الشرق الأوسط الكبير. ففي بعد الديموغرافيا، فإن أكثر من 90% من السكان مسلمين (Pew Research Center, 2011) منهم 84% سنة و 16% شيعة لا يوجد تسلسل هرمي عند السنة وهذا يسمح للأنظمة في ممارسة الضبط الحكومي على القادة الدينيين المحليين من خلال الدعم المالي والإداري (Brown, 2000). كما أن للتعليم دور مهم في توعية الناس بمصيرهم وحياتهم، خاصة مع زيادة نسبة المتعلمين في المنطقة. كما أن قطاع واسع من الشباب عامة يعاني من البطالة. أما الأجهزة القمعية (Coercive apparatus) وبناءً على إيفا بيلن (Eva Bellin, 2004) فإن الأجهزة القمعية في أغلب دول الشرق الأوسط هي الجيش أو القوى الأمنية الأخرى. أن قائد الدولة يعتمد بشكل كبير على الأجهزة القمعية في البقاء. وبالمقابل، يمنحهم القائد رواتب مجزية، ومميزات ويتجاهل فسادهم (Bellin, 2004). وتمتاز هذه الأجهزة بمؤسستها من حيث الشكل وأعرافها الخاصة، وعاداتها، وموالياها، وفي الوقت ذاته يمكن أن تكون وراثية في بعض المناصب المفتاحية والتي تقرر على أساس المحسوبية (cronyism) والسياسة. أما الصلة بالدولة (relevance) وكما قالت بيلن "فإن الشرق الأوسط وشمال أفريقيا يفتقد إلى المتطلبات المسبقة للديموقراطية، وغياب المجتمع المدني القوي، واقتصاد السوق، والدخل المناسب ومستويات تعليم مناسبة، والجيران الديموقراطيين، والثقافة الديموقراطية كلها تفسر فشل المنطقة في الديمقراطية (Bellin, 2004, p.141). هذا بالإضافة إلى تاريخ المنطقة في حكم الامبراطوريات والتي زودت إلى درجة كبيرة من الاستقلالية للكيانات القبلية المحلية في معالجة شؤونها مقابل دفع الضريبة وتقديم الجيوش لقتال الأعداء عند الحاجة. وهذه العوامل تشكل اتزان هش في حكم الشرق الأوسط. وكما قال ماكس فيبر (Weber) "إذا كانت الدولة تثبت وجودها، يجب أن يسيطر عليها الانصياع للسلطة المطالب بها من القوى التي تكون: (Weber, 1918/2010, p.115). هذا بالإضافة إلى الخوف من التغيير وخاصة من الطبقات غير المتعلمة، والأوضاع الاقتصادية السيئة.

ولقد أظهر تقرير الاكونومست (مد الربيع العربي) أول تقرير علمي لرصد الربيع العربي ومحاولة تحليل جوانبه المختلفة. أظهر تقرير الاكونومست (مد الربيع العربي، 2011) والذي حاول الإجابة عن تساؤلات هل الانتفاضة العربية ستؤدي إلى الديمقراطية أم للدكتاتورية أم للفوضى؟ وباستخدام فهرس شو (Shoe) الذي طور للتنبؤ. يمثل هذا الوضع، وهو مقياس من 100، حيث يمثل 100 الأكثر في عدم الاستقرار: ومكون من حرية الصحافة والفساد، والديمقراطية ونصيب الفرد من الدخل القومي، ونسبة السكان دون 25 سنة ونسبة السكان عمر 25 فأكثر إلى نسبة السكان، وعدد سنوات الحكم. يبين هذا المقياس ترتيب الدول العربية على النحو التالي: اليمن، ليبيا، سوريا، العراق، مصر، عمان، موريتانيا، السعودية، الجزائر، تونس، الأردن، المغرب، البحرين، لبنان، الإمارات، الكويت، وقطر. وهو يرى ان هناك 3 دول ذات نظام سياسي هجين والباقي أنظمة سلطوية. والخارطة التالية تبين ذلك، واحتل اليمن حوالي (98%). ويحتل الأردن منتصف المقياس (50%)، ولا بد من أخذ بعض المؤشرات الأخرى بالحسبان. فموقع الأردن على مقياس الديمقراطية 117 من 167، وعلى الفساد 50 من 178، وعلى حرية الصحافة 140 من 196، وفيه معدل بطالة 12.5%، ومعدل فقر 13.4%، وهو مجتمع شاب 56.1% من السكان عمر 24 سنة فما دون، وينتشر استخدام الانترنت بين 27.6% بين السكان. (The Economist Intelligence Unit, 2011)

ولقد أثارت فاطمة العيساوي (El-issawi, 2011) مخاوف حقوق الأقليات (المسيحيين) في الربيع العربي، وتلخص هذه المخاوف بأن الربيع العربي قد أتى بالإسلاميين وقد يكون لتطبيق الشريعة الإسلامية تمهيش لحقوق الأقليات والتي لا تتوقف على المسيحيين بل والمرأة. وقد استخدم هذا المبرر لدعم الأنظمة الدكتاتورية في الوطن العربي، كي يتم التأثير على الداخل والخارج في محاصرة عدم دعم الربيع العربي.

أما دراسة ارونسون (Aronson, 2011) فقد حاول تحليل الربيع العربي وانعكاساته على فلسطين. حيث بين أن ردود فعل الأنظمة العربية تجاه الربيع العربي متباينة، ففي بعض الأنظمة قد وجهت بنادق الجيش نحو صدور شعبها كما في سوريا، والبعض تمت الإطاحة به كما في ليبيا، وفي البعض تنازل كما في مصر وفي حالة اليمن تم الانسحاب من السلطة ضمن صفقة ضمانات. ويخلص للقول أن الوطن العربي اليوم ضعيف ومقسم أكثر من أي فترة سابقة. فقد انقسم الوطن العربي حول الحرب مع إيران، واحتلت 3 عواصم عربية (بغداد، بيروت وطرابلس). قدمت العربية السعودية خطة سلام مقابل الاعتراف بإسرائيل. القادة العرب ذوي العلاقة المتينة مع الولايات المتحدة وإسرائيل (حسني مبارك محمود عباس، وكذلك بشار الأسد) لم يستطيعوا استثمار الدعم الأوروبي والأمريكي وترجمته في معادة سلام لاسترجاع أراضيهم المحتلة. وبرى أن الربيع العربي ثورة اجتماعية-تطالب الحكام أن يحترموا كرامة كل مواطن. فلسطين ليست موضوع دافع للربيع العربي في تغير النظام.

وفي دراسة بليدس ولو (Blaydes & Lo, 2011) والتي كانت بعنوان "رجل واحد صوت واحد وقت واحد" فيريان أن الربيع العربي قد شكل تحدياً للأنظمة الاستبدادية العربية في الشرق الأوسط وتحت أي ظروف يمكن للربيع العربي أن يترجم إلى "الموجة الرابعة" من الديمقراطية؟ وفيريان أن سؤال مدى التزام المعارضة الإسلامية بالديمقراطية بعيداً عن الانتخابات الأولى للبلد ربما تضعف ديمقطة الشرق الأوسط.. أن الانتقال للديمقراطية ممكن

فقط تحت شرطين هما: أولاً، عدم التيقن بخصوص تفضيلات الفاعلين من الصفوة شرط ضروري للتحويل الديمقراطي. ثانياً، القدرة القمعية للدولة يجب أن تبقى أعلى من الحد الأدنى. آخذين هذه الشروط بالحسبان، ويمكن الديمقراطية أن تحدث عندما يلتقي نوعان من اللاعبين السياسيين - الذين يحاولون لبرلة النظام (regim liberalizers) الذين يفضلون الديمقراطية لتضييق الدكتاتورية، والصفوة في المجتمع المدني والذين يقدرّون المبادئ الديمقراطية. (Blaydes & Lo, 2011).

منهجية الدراسة

المسح الاجتماعي. من أجل جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات التي تحقق أهداف الدراسة، التي تستهدف دراسة خصائص المشاركين في الحراك المجتمعي الأردني، حيث اعتمدت الدراسة على أداة الاستبيان، واختيار عينة ممثلة من المشاركين في الحراك المجتمعي من مختلف محافظات الأردن.

مجتمع وعينة الدراسة

يتألف مجتمع الدراسة من جميع المشاركين في الحراك المجتمعي الأردني من مختلف المحافظات الأردنية، ويعد مجتمع الدراسة من المجتمعات الإحصائية المتذبذبة في أعدادها، والتي من الصعب تحديد عددها بدقة، وذلك نظراً لظروف الحراك وعوامل تشكيله ووقت حدوثه، ويصعب تقدير عدد الحراكين في الأردن، وذلك لان المشاركة في الحراك متباينة وفق اليوم (الجمعة يوم الذروة) والمناسبة. ولاختيار أفراد عينة الدراسة بطريقة عشوائية فقد اعتمدت الدراسة على اختيار المشاركين في الحراك المجتمعي باستخدام طريقة العينة القصدية على أساس اختيار أفراد عينة الدراسة من مختلف المحافظات الأردنية، ومن مختلف ألويتها وأفضيتها، ولقد جرت عملية جمع البيانات من المشاركين خلال المسيرات الشعبية، وذلك بعد أن تم توضيح طريقة الإجابة عن أسئلة الاستبيان من قبل فريق العمل، وطلب منهم الإجابة بمتنهي الموضوعية عن أسئلة الاستبيان، وإعطاء الحرية لهم في المشاركة أو عدمها، حيث تم توزيع (2500) استبانة، وبعد إجراء عملية التطبيق كان العدد الإجمالي للاستبانات القابلة للتحليل (1527) استبانة، وتشكل ما نسبته (61%) من عدد الاستبانات الموزعة، وهي نسبة مقبولة لأغراض الدراسة، ويظهر الجدول (1) التوزيع النسبي لأفراد عينة الدراسة حسب المحافظة، كما يظهر الجدول (2) التوزيع النسبي لأفراد عينة الدراسة حسب الإقليم.

جدول (1)

التوزيع النسبي لأفراد عينة الدراسة حسب المحافظة

المحافظات	العدد	النسبة
العاصمة	170	11.13
الزرقاء	135	8.84
البلقاء	55	3.60
مادبا	82	5.37
اريد	164	10.74
المفرق	87	5.70
عجلون	74	4.85
جرش	93	6.09
الكرك	264	17.29
الطفيلة	152	9.95
معان	163	10.67
العقبة	88	5.76
المجموع	1527	100.00

جدول (2)

التوزيع النسبي لأفراد عينة الدراسة حسب الإقليم

الأقاليم	العدد	النسبة
إقليم الشمال	418	27.37
إقليم الوسط	442	28.95
إقليم الجنوب	667	43.68
المجموع	1527	100.00

أداة القياس: الاستبانة

تم تطوير استبانة تشمل الخصائص الشخصية والاجتماعية والديموغرافية للمشاركين في الحراك، هذا بالإضافة إلى أبعاد الدراسة الأخرى الموصوفة تالياً. فقد اتبع في إعداد أداة الدراسة الأسس العلمية لبنائها وإخضاعها لاختبارات الصدق والثبات وفقاً للخطوات الإجرائية التالية:

1- بناء أداة الدراسة: تم تصميم أداة الدراسة "الاستبيان" من خلال الاطلاع على الأدبيات المتصلة بموضوع الدراسة والإطار النظري للدراسة، بالإضافة إلى الاستفادة من مخرجات الجماعات البؤرية، وآراء الخبراء في موضوعها، وتكونت الاستبانة من الأجزاء الرئيسة التالية:

الجزء الأول: البيانات النوعية لأفراد عينة الدراسة وتشمل البيانات الديموغرافية والأسرية وهي: النوع الاجتماعي، والعمر، والدخل الشهري للأسرة، والمستوى التعليمي، وعدد أفراد الأسرة، والعمل، وعدد أفراد الأسرة العاطلين عن العمل، ومقدار الإنفاق على الغذاء.

الجزء الثاني: وتضمن مجموعة أسئلة مغلقة ذات علاقة بموضوع الحراك ومطالبه، وهي بيان عدد مرات المشاركة في الحراك، أدوات التواصل خلال الحراك، وطبيعة ونوع الحراك المشارك به، وتقدير عدد المشاركين في الحراك والتوقعات المستقبلية للحراك، تقييم أداة المؤسسات الأمنية في الدولة خلال الحراك الشعبي، وتضمن أيضا مجموعة أسئلة تتعلق بالمطالب المجتمعية من حيث أولويتها النسبة للإصلاح والتغيير.

صدق الأداة:

للتحقق من صدق الأداة تم عرض الاستبانة بشكلها الأولي على مجموعة من المحكمين من (5) من الأساتذة المتخصصين في العلوم الاجتماعية والنفسية والإدارية الذين قاموا بوضع ملاحظاتهم فيما يتعلق ببعض المفاهيم وإعادة صياغة بعض الأسئلة والفقرات، حيث تم الأخذ بأرائهم والقيام بالتعديلات المقترحة في سياق الدراسة. أقيمت الفقرات التي أجمع عليها المحكمين.

وبعد إتمام عملية التحكيم الأولية، تم تطبيق أداة الدراسة على (50) فرداً من مجتمع الدراسة، لاختبار مدى مصداقيتها ميدانياً، وللتعرف على طريقة الإجابة عنها من قبل المبحوثين على نحو مسبق، وفي ضوء نتائج هذا الاختبار التحريبي المسبق لمضمون الاستبانة، أجريت بعض التعديلات على بعض الفقرات، وبناءً عليه أخذت أداة الدراسة صيغتها النهائية.

ثبات أداة الدراسة:

تم احتساب الثبات باستخدام طريقة الاتساق الذاتي (كروناخ الفا) لتقدير معامل ثبات الأداة حيث كانت قيم الفا لمقياس أسباب الحراك (0.98)، ولمقياس مطالب الحراك (0.97)، ولمقياس التطرف (0.95)، ومقياس المخاطر (0.97). وتعد قيمة (كروناخ الفا) مؤشراً على الصدق كذلك.

عرض النتائج

1. الخصائص الشخصية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمشاركين في الحراك الشعبي

كانت نسبة المشاركة وفق النوع الاجتماعي لصالح الذكور حيث مثلوا حوالي ثلثي المشاركين. كما كانت نسبة المشاركات من القطاع الخاص الأعلى والتي وصلت إلى حوالي أكثر من الثلث، تلاها القطاع الحكومي وكانت أقل من الثلث بقليل. أما وفق العمر فقد كان الشباب هم الأكثر مشاركة، حيث بلغت نسبتهم أكثر من النصف. أما بالنسبة لمستوى التعليم فقد غلبت فئة البكالوريوس على المشاركين وكانت أقل من النصف، تلا ذلك فئة الثانوي والدبلوم والتي كانت أكثر من الثلث. أما وفق الحالة الاجتماعية فقد تجاوزت فئة المتزوجين نصف عدد المشاركين. ويعمل أكثر من ثلث المشاركين في العمل الإداري وحوالي الربع في العمل المهني. وكان حجم الأسرة لما نستته 47.8 من أفراد العينة هو (6) أفراد فاقل، تلاهم أولئك الذي يتراوح حجم أسرهم من ما بين (7-8) أفراد حيث شكلوا ما نسبته 21.3% من العينة.

أ- الخصائص الأسرية

جدول (3)

الخصائص الأسرية للمشاركين

المتغير	الفئة	التكرار	النسبة المئوية (%)
النوع الاجتماعي	ذكر	1087	71.2
	أنثى	440	28.8
قطاع العمل	حكومي	451	29.5
	خاص	556	36.4
	مجتمع مدني	123	8.1
	لا أعمل	296	19.4
	غير مبين	101	6.6
	أقل من 20	58	3.8
	20 - 30	436	28.6
العمر	31 - 40	444	29.1
	41 - 50	275	18.0
	51 - 60	97	6.4
	غير مبين	217	14.2
	أمي	34	2.2
	إعدادي فاقل	52	3.4
	ثانوي	293	19.2
مستوى التعليم	دبلوم كلية مجتمع	280	18.3
	بكالوريوس	647	42.4
	دراسات عليا	78	5.1
	غير مبين	143	9.4
	متزوج	855	56.0
	أعزب	487	31.8
	مطلق	94	6.2
الحالة الاجتماعية	أرمل	33	2.2
	غير مبين	58	3.8
	بلا عمل	296	19.4
	عمل حر في	102	6.7
	عمل مهني	323	21.2
	عمل إداري	533	34.9
	غير مبين	137	9.0
طبيعة العمل	أقل من 4	347	22.7
	4 - 6	382	25.1
	7 - 8	325	21.3
	أكثر من 8	196	12.8
	غير مبين	277	18.1
	عدد أفراد الأسرة		

ب- الخصائص الاقتصادية للحراك

جدول (4)

الخصائص الاقتصادية لأفراد عينة الدراسة

المتغير	الفئة	التكرار	النسبة المئوية (%)
الدخل الشهري للأسرة	أقل من 200	125	8.2
	200 - 400	435	28.5
	401 - 600	246	16.1
	أكثر من 600	166	10.9
	غير مبين	555	36.3
	لا يوجد	9	0.6
عدد العاملين في الأسرة	1 - 2	865	56.6
	3 - 4	206	13.5
	أكثر من 4	65	4.3
	غير مبين	382	25.0
	لا يوجد	27	1.8
عدد عاطلين عن العمل في الأسرة	1 - 2	348	22.8
	3 - 4	333	21.8
	أكثر من 4	231	15.1
	غير مبين	588	38.5
	لا يوجد	27	1.8
المجموع		1527	100%

يبين الجدول أعلاه أن أكثر من ثلث العينة كان دخلهم أقل من 400 دينار وأن ما نسبته 42.8% يقل دخلهم الشهري عن (600) دينار فهم عملياً تحت خط الفقر المطلق، وإن أكثر من نصف العينة يعمل فيها شخص إلى شخصين. وإن هناك أكثر من نصف أسر أفراد العينة فيها 4 أشخاص فأكثر عاطلين عن العمل.

ج- خصائص أفراد عينة الدراسة وفق الأصل

جدول (5)

التوزيع النسبي لأفراد عينة الدراسة حسب الوصف

الوصف	العدد	النسبة
شرق أردني	1127	73.8
غرب أردني	156	10.2
غير مبين	244	16.0
المجموع	1527	100.0

يتبين من الجدول أعلاه أن الغالبية العظمى المشاركة في الحراك هي من الشرق أردنيين.

د-خصائص أفراد عينة الدراسة حسب طبيعة الانتماء السياسي

جدول (6)

التوزيع النسبي لأفراد عينة الدراسة حسب طبيعة الانتماء السياسي وطبيعة الانتماء الحزبي

طبيعة الانتماء	العدد	(%)	الانتماء الحزبي	العدد	(%)
حزبي	189	12.4	وسطي	79	5.2
تنظيم شبابي	179	11.7	يميني	26	1.7
تجمع نقابي	106	6.9	يساري	101	6.6
مستقل	565	37.0	إسلامي	603	39.5
لا انتمى لحزب	366	24.0	مستقل	565	37.0
غير مبين	122	8.0	غير مبين	153	10.0
المجموع	1527	100.0	المجموع	1527	100.0

يتبين الجدول أعلاه أن حوالي ثلث المشاركين ينتمون إلى أحزاب أو تنظيمات شبيهة أو نقابية حيث شكلوا ما نسبته 33% من أفراد العينة. أما المستقلين وغير المنتمين فشكلوا ما نسبته 61% من أفراد العينة. أما وفق الانتماء الحزبي فتبين أن أكثر من ثلث المشاركين إسلاميين وحوال الثلث مستقلين، في حين توزعت النسب الأخرى على بقية الأحزاب.

هـ-عدد المشاركات في الحراك

جدول (7)

التوزيع النسبي لأفراد عينة الدراسة حسب عدد المشاركات في الحراك عام 2012 و 2013

عدد المشاركات 2013	العدد	(%)	عدد المشاركات 2012	العدد	(%)
ولا مرة	82	5.4	لا يوجد	66	4.3
5-1	274	17.9	5-1	209	13.7
10-6	142	9.3	10-6	136	8.9
15-11	181	11.9	15-11	125	8.2
أكثر من 15	181	11.9	أكثر من 15	321	21.0
غير مبين	667	43.7	غير مبين	670	43.9
المجموع	1527	100	المجموع	1527	100

تبين أن حوالي أقل من النصف قد شارك عدة مرات في الحراك عام 2013. كما تبين كذلك أن حوالي أقل من النصف قد شارك عدة مرات في الحراك عام 2012.

و—إجابات أفراد عينة الدراسة حول تقدير المشاركة في الفعالية الواحدة
تبين أن متوسط عدد المشتركين في كل فعالية حراك 562 شخص ومتوسط 64 أنثى

جدول (8)

التوزيع النسبي لإجابات أفراد عينة الدراسة حول تقدير عدد المشاركين (ذكور وإناث) والانات في كل فعالية

عدد المشاركين	العدد	(%)	عدد الاناث	العدد	(%)
أقل من 100	330	21.6	أقل من 100	668	43.7
100-200	242	15.8	100-200	30	2.0
201-500	162	10.6	201-500	27	1.8
501-1000	57	3.7	501-1000	5	0.3
أكثر من 1000	74	4.8	أكثر من 1000	2	0.1
غير مبين	662	43.4	غير مبين	795	52.1
المجموع	1527	1000	المجموع	1527	100

وسائل التواصل للمشاركة في الحراك الشعبي الأردني

جدول (9)

التوزيع النسبي لأهم وسائل التواصل للمشاركة في الحراك

العدد والنسبة المئوية		وسائل التواصل للمشاركة في الحراك
العدد	(%)	
213	13.9	الموبايل
931	61.0	مواقع التواصل الاجتماعي (الفيس بوك)
165	10.8	المواقع الإخبارية
68	4.5	مواقع أخرى
150	9.8	غير مبين
1527	100.0	المجموع

تبين أن غالبية المشاركين في الحراك يتواصلون عبر الفيس بوك، ونسبة قليلة الموبايل.

جدول (10)

التوزيع النسبي لنوع الحراك

الحراك الذي تشارك	العدد والنسبة المئوية	
	العدد	(%)
الأحرار	108	7.2
الإصلاح	449	29.4
التجمعات الشبابية	81	5.3
المعارضة	37	2.4
الإسلاميون	89	5.8
اليساريون	57	3.7
بصفة شخصية	439	28.7
الموالة	55	3.6
غير مبين	212	13.9
المجموع	1527	100

وكما يتبين من الجدول فإن أعلى نسبة مشاركة كانت للإصلاح تلاه الذي يشاركون بصفة شخصية.

جدول (11)

التوزيع النسبي إلى أين يتجه الأردن في ظل الربيع العربي

	العدد والنسبة المئوية	
	العدد	(%)
الإصلاح	449	29.4
الربيع السلمي	380	24.9
الربيع الدموي	243	15.9
يبقى كما هو	263	17.2
غير مبين	192	12.6
المجموع	1527	100

يرى حوالي ثلث العينة أن الأردن يتجه نحو الإصلاح، وحوالي الربع يرون أنه يتجه للربيع السلمي.

2. تقييم المشاركين في الحراك لتعامل الأجهزة الأمنية مع الحراك الشعبي

ومن أجل التعرف على مستوى تقييم أفراد عينة الدراسة لأداء المؤسسات الأمنية تم إيجاد التكرارات والنسب المئوية لإجابات أفراد عينة الدراسة وبالشكل التالي في الجداول التالية.

1-الشرطة:

يبين الجدول التالي التوزيع النسبي لمستوى تقييم أفراد عينة الدراسة لمستوى أداء رجال الشرطة في تعاملهم مع الحراك.

جدول (12)

التوزيع النسبي لمستوى تقييم أداء الأجهزة الأمنية في تعاملهم مع الحراك

الترتيب	التقييم العام		الداخلية		المخابرات		الدرك		الشرطة		مستوى التقييم
	%	الجهاز	(%)	العدد	(%)	العدد	(%)	العدد	(%)	العدد	
1	56.87	الشرطة	18.0	275	12.4	189	11.5	175	22.5	344	ممتاز
2	48.53	الداخلية	15.8	242	19.6	300	22.5	344	17.9	273	جيد
3	47.52	الدرك	14.9	227	12.9	197	15.3	234	22.1	337	مقبول
4	42.38	المخابرات	14.9	227	9.4	144	14.7	224	13.8	211	ضعيف
-	48.83	المستوى العام	13.3	203	13.0	199	14.3	218	6.4	97	غير مقبول
			20.4	312	30.2	461	19.4	297	15.3	234	سيئ جداً
			2.7	41	2.0	37	2.3	35	2.0	31	غير مبين
			100	1527	99.5	1527	100.0	1527	100.0	1527	المجموع

يتبين أن أكثر من نصف العينة يرون أن أداء الشرطة مقبول بصورة عامة، في حين يرى ما نسبته 35.5% من أفراد العينة أن أداء الشرطة كان إما ضعيف أو مقبول أو سيئ جداً. تبين أن نصف أفراد العينة تقريباً يرون أن أداء الدرك مقبول بصورة عامة، في حين يرى تقريباً النصف الآخر أنه سيئ وغير مقبول وضعيف. تبين أن أقل من نصف العينة يرون أداء المخابرات مقبول بصورة عامة بنسبة 44.9%، في حين يرى عكس ذلك أكثر من نصف العينة بنسبة 52.6%. وتبين أن حوالي أقل من نصف العينة يرون أن أداء الداخلية بصورة عامة مقبول وبنسبة 48.7%، في حين يرى أيضاً أقل من نصف العينة عكس ذلك وبنسبة 48.6%. كما تبين أن تقييم المشاركين لأداء الشرطة هو الأفضل تلا ذلك الداخلية .

3. تصورات ومدركات المشاركين للحراك والإصلاح والفساد

أظهرت نتائج الدراسة أن أكثر من نصف العينة يرون أن الإصلاح ممكن في الأردن. في حين يرى حوالي ثلثي العينة أن النظام غير جاد في محاربة الفساد، وري أقل من ثلثي العينة وجود بلطجة حكومية ضد الحراك. ويرى

أكثر من ثلثي العينة أن الفساد مستشري في الأردن. يشعر حوالي ثلث العينة بعدم العدالة، بينما يشعر حوالي الربع بعدالة متوسطة. كما يشعر حوالي الثلث بعدم الرضاء.

جدول (13)

التوزيع النسبي للاستجابات بخصوص الإصلاح والفساد والبلطجة والعدالة والرضاء عن الحياة

	الإصلاح ممكن		الجدية في مكافحة الفساد		وجود بلطجة ضد الحراك		انتشار الفساد		الشعور بالعدالة		الرضاء عن الحياة	
	العدد	(%)	العدد	(%)	العدد	(%)	العدد	(%)	العدد	(%)	العدد	(%)
نعم	870	56.97	341	22.3	982	64.3	1479	96.9	873	57.1	866	56.7
لا	627	41.06	1149	75.2	504	33	17	1.2	578	37.90	585	38.3
غير مبین	30	1.96	37	2.4	41	2.7	31	2.0	76	5.00	76	5.00
المجموع	1527	100.00	1527	100	1527	100	1527	100.0	1527	100.0	1527	100.0

الأولويات الوطنية للإصلاح في الأردن

جدول (14)

النسب المئوية (%) والمتوسطات الحسابية نحو الأولويات الوطنية للإصلاح

	لا أولوية (%)	أولوية بسيطة (%)	أولوية مهمة (%)	أولوية قصوى (%)	المتوسط المرجح	النسبة المئوية العامة (%)	الترتيب حسب الأهمية
الإصلاح	0.7	3.1	9.5	86.7	2.82	94.1	1
مكافحة الفساد	0.6	2.1	13.3	84.0	2.81	93.5	2
مكافحة الفقر	0.7	6.6	13.3	79.4	2.71	90.5	3
تعديل الدستور	1.9	9.2	17.0	72.0	2.59	86.3	4
حقوق الإنسان	0.6	9.4	25.8	64.2	2.54	84.5	5
الأمن الوطني	0.9	9.7	28.9	60.5	2.49	83.0	6
العدالة	1.2	11.0	26.6	61.1	2.48	82.6	7
قانون الانتخاب	1.9	15.2	19.8	63.0	2.44	81.3	8
الديمقراطية	1.3	16.8	23.8	58.1	2.39	79.6	9
الهوية	2.6	15.4	26.4	55.7	2.35	78.4	10
العنف المجتمعي	1.5	16.8	27.5	54.2	2.34	78.1	11
المواطنة	2.5	15.6	27.9	53.9	2.33	77.8	12
الحراك المجتمعي	1.7	18.1	35.3	44.9	2.23	74.5	13
البحث العلمي	2.7	19.4	30.4	47.6	2.23	74.3	14
أزمة اللاجئين	2.9	25.8	27.1	44.2	2.13	70.9	15
فك الارتباط	10.0	34.1	26.4	29.5	1.75	58.5	16
الكونفدرالية مع الضفة الغربية	13.8	36.4	22.0	27.8	1.64	54.6	17

تركزت الأولويات الوطنية على الإصلاح، ومحاربة الفساد، ومحاربة الفقر، وتعديل الدستور، وحقوق الإنسان، والأمن الوطني، والعدالة، وقانون الانتخاب، والديموقراطية والهوية.

مطالب الحراك

تركزت مطالب الحراك في محاسبة الفاسدين، وحماية حقوق الإنسان، ومكافحة الفقر، والتخلص من المديونية، وتحسين معيشة المواطنين، وإخضاع المؤسسات للرقابة والتدقيق، والمساواة، ومحاربة البطالة، والعدالة والإنصاف.

أولويات الإصلاح

يتبين أن أولويات الإصلاح من وجهة نظر الحراك هي على النحو التالي: الإصلاح السياسي (80%) والاقتصادي (80%) والاجتماعي (73%) والأمني (66%).

جدول (15)

النسب المتوقعة (%) والمتوسطات الحسابية لمطالب الحراك

الترتيب حسب الأهمية	النسبة المتوقعة العامة (%)	المتوسط المرجح	مهم جداً (%)	مهم (%)	غير مهم (%)	غير مهم على الإطلاق (%)	الفقرة
1	90.5	2.716	76.2	20.7	1.3	1.7	محاسبة الفاسدين
2	89.2	2.677	72.6	24.2	1.5	1.7	حماية حقوق الإنسان
3	88.5	2.655	71.8	23.7	2.6	1.9	مكافحة الفقر
4	88.2	2.647	71.3	24.0	2.8	1.9	وضع استراتيجية للتخلص من
5	88.2	2.645	71.2	24.2	2.4	2.1	تحسين معيشة المواطنين
6	88.2	2.645	72.0	22.5	3.4	2.1	إخضاع جميع الموازنات للرقابة
7	87.8	2.636	70.0	25.2	3.0	1.7	المساواة
8	87.8	2.636	70.1	25.6	2.0	2.3	محاربة البطالة
9	87.5	2.625	70.1	25.2	1.9	2.9	العدالة والإنصاف
10	87.2	2.615	69.3	24.9	3.8	2.0	إخضاع جميع الموازنات للرقابة
11	86.9	2.608	69.0	25.1	3.6	2.3	ضمان الحريات
12	86.8	2.605	67.4	27.6	3.2	1.9	تطوير التعليم
13	86.7	2.603	67.4	27.7	2.7	2.2	ضمان الحريات العامة
14	86.5	2.594	66.8	27.5	3.8	1.8	دعم الحياة الديمقراطية
15	85.7	2.571	67.4	25.1	4.7	2.8	استقلالية الأجهزة الأمنية
16	85.3	2.559	67.2	25.1	4.2	3.5	استقلالية الجامعات
17	85.1	2.554	64.8	28.4	4.2	2.6	تعزيز المواطنة
18	85.0	2.550	67.7	23.8	4.4	4.2	إزالة التدخلات الأمنية في الحياة
19	84.9	2.547	65.5	26.3	5.8	2.5	الوصول للملكية الدستورية
20	84.9	2.547	64.9	27.6	4.8	2.7	تعزيز الهوية وحمايتها

الخلاصة والمناقشة والتوصيات

تناولت هذه الدراسة خصائص المشاركين في الحراك الشعبي الأردن الشخصية والاجتماعية والاقتصادية، وبيان من يشارك في الحراك؟ وبماذا يطالب؟ . تكونت عينة الدراسة من 1527 مشاركاً توزعت على 12 محافظة. يمكن القول ان أهم الخصائص الشخصية للحراك الاجتماعي الأردني انه حراك شاب متعلم من كلا النوعين ذو روابط واستثمارات اجتماعية مسؤول غالبيتهم متزوجون وأتوا من اسر عشائرية (شرق اردنية) غير مسيسون ومن أسر معيارية الحجم فقيرة تعاني الفقر والبطالة والأهم من يشعرون بالحرمان وعدم العدالة. ويمكن النظر إلى هذه النتيجة في ضوء النظريات المفسرة للحراك والتمرد، والتي تجمع على الحرمان والظلم وعدم المساواة وعدم العدالة، فمن منظور ارسطو يعد الظلم وعدم المساواة هما سبب الثورة، حيث يثور الناس بسبب الرغبة في المساواة وان لهم حقوق أكثر مما هي في الواقع. وهذه النتيجة تتماشى مع تفسيره للتمرد بان هدفه التخلص من البؤس والحرمان والظلم (ارسطو، 1979). أن أكبر دافع وفق ارسطو هو الظلم والافقار الذي تتعرض له الطبقات الفقيرة. كما يشترك ماركس مع ارسطو في هذا التفسير حيث يرى ماركس ان زيادة حدة الظلم واللامساواة في توزيع الثروة وزيادة صراع المصالح بين الجماعات المسيطرة والخاضعة. ومع زيادة وعي الجماعات المقهورة (التعليم هنا) تزداد أسئلة الشرعية للنظام القائم مما يؤدي للتمرد والثورة (كاهان، 1979). في حين يمكن تفسير هذه النتيجة من منظور الحرمان النسبي حيث ترى ان نشؤ السخط وتسييس السخط واخراجه للتنفيذ وخاصة السخط الناجم عن إدراك الحرمان النسبي المحرض للمشاركين في العمل الجماعي، بالإضافة للعلاقة بين الإحباط والعدوان والعنف (غير، 2004).

ويغلب على الحراك أنه حراك رقمي استخدم مواقع التواصل الاجتماعي بشكل كبير في التواصل والحشد والإعلان عن الفعاليات وهذا تغير اجتماعي كبير، جيل يرى ان الحراك سيستمر وان الإصلاح ممكن وان محاربة الفساد ممكنة، جيل يؤمن بالتغير السلمي، وهذه أولويات وطنية من منظور المشاركين. والمشاركون يدركون وجود قوى عكسية بلطجة ضد الحراك. في حين تركزت مطالب الحراك في محاكمة الفاسدين وحماية حقوق الانسان ومكافحة الفقر والتخلص من المديونية الحكومية، وهي أهداف تلاقي اجماع اجتماعي. وكما رأت نظرية ماركس ان التمرد والثورة نوع من التغير الاجتماعي وان ان انتشار الفساد واختلاس المال العام وتركز السلطة في ايدي قليلة العدد واختلاف أصول مواطني الدولة والافهماء في الامتيازات الخاصة سبب للثورة (ارسطو، 1979). كما ان ذلك يمثل هوية موحدة للمشاركين من خلال البعد التقني والبعد الاجتماعي الذي يربطهم معا، والتمرد هنا نوع من البحث عن وسائل بديلة في ضوء التحلل من القيم والروادع

الحراك الشعبي الأردني حراك عقلائي إصلاحي حيث تركزت مطالبة بالإصلاح وبالعدالة والمساواة ومحاربة الفقر والفساد وضمان الحرية وحقوق الانسان وهي مطالب واعية وذات بعد انساني وقانوني محلي ودولي. ساهم في ذلك استجابة الدولة والأمن بطرق عقلانية وحكيمة، فقول الملك "ان كان ابني فاسد فحاكموه" ومحاكمة مدراء مخبرات وسجنهم ورفض التوسط لرموز هامة في السلطة ومقربة من الاسرة الملكية وتعديل الدستور ووصف الملك للحرس القديم بالديناصورات كلها إشارات على الرغبة في الثورة البيضاء المخطط لها سياسيا واجتماعيا.

كما ان استجابة الشرطة ابان كانت حكيمة ومتماشية مع هذا النهج ولذلك جاء تقييم المشاركين في الحراك للشرطة في الترتيب الأول كأحسن معاملة مقارنة بالأجهزة الأمنية الاخرى. واذا ما حافظ الأردن على هذا النهج فان تحقيق أهداف الحراك هي أولوية حكومية قبل ان تكون هدف حراك. الحاجة قد تكون للحكومة رقمية مستقلة وقوية قادرة على التنفيذ، الا ان ذلك معضلة في ظل التطرف السياسي والاجتماعي لمثل هذه الحكومات وقوى الديناصورات التي تقف خلف هكذا تطرف. فالأردن الذي احتل موقعا وسطيا في الدول العربية وفق فهرس شو (Shoe) في موقعه من الربيع العربي استطاع ان يبقى وسطيا على الرغم من ظهور بلطجة كادت تحرق "الأخضر واليابس" وهذا ما لجأت اليه دول مثل مصر وسوريا وادت بالمجتمع والدولة للاهيار والعودة للمجتمع العسكري والأمني القمعي.

ان حراك الشباب المتعلم عامة والمغموم بمستقبله القاتم الذي يواجهه كما وصفه فروندشتاين أنظمة نتنة وفاسدة وقمعية، ليس لديه ما يخسره، فقرر المخاطرة بكل شيء من أجل فرصة في حياة أفضل. شباب يعيش في مجتمع مفتوح يرى الفساد وضع مقدرات بلاده والتلاعب بها ومجتمعه محمل بكل أنواع القيود الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية والتي تجعل منه حبيس مجتمعه. كل هذه الضغوط قد ولدت مشاعر الحرمان والشعور بعدم العدالة وعدم المساواة و النقمة والسلبية على النظام وعلى رموز السلطة، وهذه من أهم محركات التمرد والعصيان والثورة.

ان ادراك الحراك بانتشار الفساد بشكل كبير من ناحية والشعور بعدم العدالة وبعدم الرضاء عن الحياة يدق ناقوس الخطر، فهذا الادراك هو نتاج الواقع المعاش لهذه الفئات ويشكل وقودا كبيرا للحراك وللتمرد والعصيان. فمن ناحية فشل الحكومة في تغيير مدركات الناس عن الفساد، والذي أثر سلباً على أي استثمارات اجنبية وربما أدى إلى نزوح راس المال المحلي، اضيف إلى ذلك الضغوط الناجمة عن اللجوء والخلل الاجتماعي والثقافي والاقتصادي الناجم عن ذلك جعلت البحث عن الحلول بالطرق التقليدية لا يزيد الا في تفاقم الازمات الراهنة والمخاطر المستقبلية. وفي ظل هكذا ظروف، فان الوضع الاجتماعي العام وضع غير مستقر ومتحول ولا يمكن له البقاء طويلاً هكذا، اذ لا بد من التغيير من الحدوث لإعادة التوازن الاجتماعي والذي قد تكون عواقبه كبيرة ان كان قسرياً خاصة مع غياب استراتيجيات إدارة التغير والأزمات وضعف أجهزة الدولة في مثل هذه الظروف.

التوصيات

1. إيلاء الشباب الأولوية الوطنية الملحة والمستعجلة وفي كافة جوانب مجالات اهتمام الشباب من التعليم والعمل.
2. إدارة المشاعر وذلك من خلال رصد مشاعر الناس فيما يتعلق بالشعور بالحرمان والعدالة والمساواة. فهي مؤشرات للأوضاع مقلقة كثيرة.
3. تعزيز ثقافة ونهج المشاركة في الحياة السياسية.
4. تطوير منهجية الأمن بكلفة الأجهزة وتعزيز سيادة القانون
5. وضع وتنفيذ خطط الإصلاح المجتمعي عامة وفي كافة قطاعات الحياة.
6. خلق قيادات للتغير قادرة على نقل المجتمع بأمان الى مراحل متقدمة.
7. تعزيز استقلالية القضاء وإعادة هندسة القضاء إداريا وبشريا ومعايير صارمة.
8. وضع نظام رقابة حكومي غير تقليدي لمحاربة الفساد ولضمان النزاهة في الإدارة الحكومية

المراجع

- البداينة، ذياب والخريشه رافع(2013) *نظريات الجريمة* (ترجمة) Ronald L. Akers and Christine S. Sellers . دار الفكر - عمان
- البداينة ذياب، والحسن خولة والخريشه رافه والخطار عارف (2013). *نظرية الجريمة* (ترجمة) Frank P. Williams III & Marilyn D. McShane دار الفكر - عمان
- البداينة، ذياب والحسن خولة (2016) *علم النفس الجنائي* (ترجمة). (Curt R. Bartol and Anne M. Bartol) دار الفكر - عمان
- البداينة، ذياب (2012) *سيناريوهات الربيع الأردني*. ورقة مقدمة في ندوة اللقاء الأول لمنتدى الحوار الاجتماعي الأردني. الاردن في منتصف طريق الربيع العربي. مجلس الأعيان
- الخريشة رافع (2012). *الحراك المجتمعي*. مقدمة في ندوة اللقاء الأول لمنتدى الحوار الاجتماعي الاردني. الأردن في منتصف طريق الربيع العربي مجلس الأعيان
- بشارة عزمي (2012) *في الثورة والقابلية للثورة*، ط1، بيروت المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- ارسطو (1979) *السياسة*، ترجمة احمد لطفي السيد، ط2 الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ديلو ستيفن (2003) *التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني*، ترجمة ربيع وهبة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.
- هوبسوم اريك (2008) *عصر النهضة: أوروبا 1789-1848*، ترجمة فايز صياغ، ط2، بيروت المنظمة العربية للترجمة.
- سيغمان جان (1983) *الثورات الكبرى في التاريخ 1848*، الثورات القومية والديمقراطية الرومانسية، ترجمة هنرييت عبود، بيروت دار الطليعة للطباعة والنشر.
- كوهان أ.س (1979) *مقدمة في نظريات الثورة*، ترجمة فاروق عبدالقادر، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- ماركس كارل انجلز فردريك (د،ت) *مختارات في اربعة اجزاء*، الجزء الاول، دار التقدم موسكو.
- شاختر ريتشارد (1980) *الاغتراب*، ترجمة كامل يوسف حسين، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- اسكندر رمزي (1988) *الاغتراب وازمة الانسان المعاصر*، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية.
- تيرنر جوناثان (1999) *بناء النظرية الاجتماعية*، ترجمة محمد سعيد فرح، القاهرة منشأة المعارف.
- غير تيد (2004) *لماذا يتمرّد البشر*، ترجمة ونشر مركز الخليج للأبحاث، دبي - الامارات العربية المتحدة.
- برنتون كرين (د.ت) *دراسة تحليلية للثورات*، ترجمة عبد الغني فهمي، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

Amina Arabi and Julian Jürgenmeyer (2012) The Arab Uprisings: Sociological Perspectives and Geographical Comparisons. *Global Dialogue*. Volume 2, Issue 4. Retrieved from <http://www.isa-sociology.org/global-dialogue/2012/05/the-arab-uprisings-sociological-perspectives-and-geographical-comparisons/>

Arendt Hannah (1963) *On Revolution*, New York, the Viking press.

Aronson, G., (2011). The middle east conflict after the Arab Spring: the case of Palestine. *European View*. 10:215-220

Aveneri shlomo (1986) *the social and political thought of karl Marx*, Cambridge University press.

Bellin, E. (2004). The robustness of authoritarian in the Middle East: Exceptionalism in comparative perspective. *Comparative Politics*, 36, 139-157. Retrieved from www.jstor.org/stable/4150140

Black, I. (2011). Jordan denies reports about attack on king Abdullah. *The Guardian*. Retrieved from <http://www.gurdian.com.uk/world/2011/jun/13/jordan-kingabdullah-attack-denied>

Blaydes, L. and Lo, J. (2011). One man, one vote, one time? A model of democratization in the Middle East. *Journal of Theoretical Politics* 24:110-146

Brown, L. C. (2000). *Religion and State: The Muslim approach to politics*. New York, NY: Columbia University Press

Calver peter (1970) *The Revolution*, London.

CBS News. (2011). How schoolboys began the Syrian revolution. Retrieved from http://www.cbsnews.com/2012-503543_162-20057082.html?tag=contentMain;contentBody

El-Issawi, F. (2011). The Arab spring and the challenge of minority rights: Will the Arab revolutions overcome the legacy of the past? *European View*. 10:249-258

Freudenstein, R. (2011). The Arab Spring: What's in it for us. *European View* 10: 67-72

Hobsbawn E.J. (1959) *PRIMITIVE Rebels*. Toronto, Canada. M.I, Limited.

Johnson Chalmers (1964) *Revolution and the social system*, Hoover institution studies.

Johnson chatmers (1966) *Revolutionary change*, Boston, Little, Brown.

lerner Daniel (1958) *The passing of traditional society*, new york, the Free press.

Pew Research Center. (2011). Muslims as a share of overall population, 1990-2030. Retrieved from <http://pewforum.org/future-of-the-global-muslim-population-regional-middle-cast.aspx>

Skocpol, Theda (1979) *States and Social Revolutions*, Cambridge University press.

Spindel, C. (2011). The People want to topple the regime: Exploring the Arab spring in Egypt, Syria and Jordan. *Sage Open* 1: 11, November, 2001

Staff, (2011, Feb. 8). Jordan tribe threaten revolution over country's Palestinian Queen Rania. *Reuter*. <http://www.haaretz.com/news/international/jordan-tribes-threaten-revolution-over-country-s-palestinian-queen-rania-1-342072>

Sullivan, T. (2011b, JulyY 4). Jordan navigates warily in turmoil of Arab spring. *Associated Press*. Retrieved from http://hosted.Ap.org/dynamic/stories/M/ML_JORDAN_ROYAL_POLTICS?SITE=AP&SECTION=HOME&TEMLATE=DEFAULT

Sullivan, T. (2011a, June 26). Chaos feared as Syria nears bloody impasse. *Associated Press*. Retrieved from http://hosted.Ap.org/dynamic/stories/M/ML_SYRIAS_BLOODY_SPRING?SITE=AP&SECTION=HOME&TEMLATE=DEFAULT

The Economist Intelligence Unit limited (2011). *Spring Tide: Will the Arab risings yield democracy, dictatorship or disorder?* Special Report.

Tilly Charles, Louis Tilly, Richard Tilly, (1975) *The Rebellions Century 1830-1930*, Harrard University press.

Weber, M. (2010). What is politics. In Lemert C. (ed.), *Social theory the multicultural and classical readings* (vol. 4, pp. 114-116). Boulder, CO:Westview. (original work published 1918).

العدمية والتاريخ

نقد سيوران لأسطورة المعنى التاريخي

أ.م.د. د. هبة عادل

كلية الآداب - جامعة بغداد

الخلاصة :

العدمية والتاريخ :

بحثنا يتحدث عن قراءة اميل سيوران للتاريخ ونظراته للمستقبل ، وهو هنا من فلاسفة ما بعد الحداثة ، ممن توجهوا بالنقد للحداثة الغربية .

Abstract :

Nihilism and history :

Our research Speaks a bout reading Of history and his Vision For the Future . it is here Post moderism Philosophers . One Of those Who headed For Cash to Western modernity's .

المقدمة :

الشعور التراجيدي أو المأساوي بالحياة Asense of Tragic ليس غريباً على الفكر الفلسفي وما اكثر الشخصيات الفلسفية التي انصهرت بذلك الشعور قبل ان تسقطه على جمل مكتوبة بتاريخ ذلك الفكر. بل كم من متلق أنصهر بذلك الشعور الذي تلبسه حالما أنتزع عن الكلمات التي قرأ. بحثنا سيكون إبحاراً خطراً في شعور مركز من النوع الذي ذكرنا ، إذ هو عصارة لشعور بدأ مع سن مبكرة جعلت صاحبه الروماني الاصل* يرتقي في أحضان والدته منادياً انه ضاق ذرعاً بكل شيء ، ما جعلها ترد بالقول : بانها لو كانت تعلم بانه سيكون غير سعيد لأجهضته. ما زاد- بحسبه- الشعور مرارة ، فما معنى ذلك غير ان وجودي الا صدفة⁽¹⁾!!!. وان كان ذلك كذلك فان صاحب ذلك الشعور اميل سيوران Emil Cioran ، رغب التخلص منه بالفرار من خلال القراءة . فكان واحداً من اكبر قراء القرن العشرين ، اذ قرأ مكثبات بأكملها⁽²⁾ . وعلى ما يبدو ان القراءة لم تستطع تخليصه منه كذلك ، ما جعله يفر الى الكتابة ، إذ كانت طريقته فيها هي الكتابة المقطعية أو الشذرات ، تلك الطريقة التي عرف بها سلفه نيتشه Nietzsche إذ كان تأثيره عليه شديد الوضوح والكتابة المقطعية ، بحسب سيوران نفسه ، إن هي الا إستجابة لتشظي الكائن⁽³⁾ . في عام 1995 توفي ذلك الفيلسوف في باريس تاركاً لعنة الشعور الذي حملهُ بين أسطر كتبه التي ترجمت الى مختلف لغات العالم ، وترجم معها عذابات وأرق وشعور المأساة واللاجدوى لينتقل كل ذلك بعدوى وبائية لكل من

(*) فيلسوف فرنسي من أصل روماني (1911-1995)

(1) . 3 p :Wikipediainq Emil Ciopan

(2) مستقبل العالم وفقاً لسيوران ، فلم وثائقي M. You Tube.Com 2013/12/12 .

(3) سيوران ، اميل : لو كان آدم سعيداً ، ترجمة وتقديم محمد علي اليوسفي ، الاردن ، 2008 ، ص 7 .

يصاب بفعل القراءة له . وكما نيتشه ، أوصى بعدم رغبته في الصلاة عليه عند مماته ، إذ صرح (بأي حق تصلون من أجلي ؟ لا حاجة بي الى شفيع ، شأني ونفسي)⁽⁴⁾. ونحن لا ندعي بان إبحارنا سيكون في جوانب شعوره المساوي كلها . بل سيكون في منطقة خاصة منه ، والتي توجه حركة التاريخ ومن خلالها نتعرف على فلسفته في قراءة المستقبل .

ذلك إن تلك المنطقة كانت الأهم بل والقيمة الرئيسة في كل فلسفته . ويؤكد ذلك اعترافه الشخصي بالاهتمام بها إذ قال (حكمي المسبق ضد كل ما يحتمل نهاية سعيدة هو الذي جعلني شغوفاً بالقراءات التاريخية والأفكار غير صالحة للاحتضار إنها تموت طبعاً لكنها لا تعرف كيف تموت . في حين ان الحدث لا يوجد الا بقصد ان ينتهي سبب كافي كي نفضل صحبة المؤرخين على صحبة الفلاسفة)⁽⁵⁾. إذن في تلك المنطقة سنبحر باحثين عن حل للغز تساؤل إشكالي عن محرك التاريخ ، سؤال طرحه الفيلسوف بطريقة غير مباشرة من خلال شذراته واجاب عنه بالطريقة ذاتها . ومحاولتنا في الحل ستنتقل من وضع فرضيات وتطبيقات لها من آراء سيوران نفسه . مثلت آراء الفرضية الاولى فترة الحداثة ، بينما مثلت آراءه في الفرضية الثانية فترة ما بعد الحداثة باعتقادنا .

الشر الإنساني وحركة التاريخ - إرث فلسفي يستعيده سيوران -

الفرضية : الشر الانساني

آمن سيوران بفرضية فلسفية ليست بالغريبة على الفكر الفلسفي ، إذ قدم لها كثير من الفلاسفة منذ أقدم العصور عبر آرائهم الفلسفية ومعانٍ مختلفة الا إنها تدور على ثيمة إن الإنسان شرير ، محب للسلطة والتملك ، أناني بالطبع وإن صفاته تلك هي التي يمكن ان توصله الى التسيد وتمكنه على الفعل التاريخي والا غاب أثره في غياهب الجماهير القانعة المستسلمة لمصيرها . هذا النوع من الآراء برز مع نيتشه وفلسفته في أخلاق السادة في العصور الحديثة وهي المعين الذي استسقى منه فيلسوفنا النيتشوي آراءه باعتقادنا ، خاصة وانه أعلن رأيه في أن الارادة هي سر ذلك الشر الانساني فبرأيه (ما إن نقول نريد ، حتى نقع تحت طائلة الشيطان)⁽⁶⁾. فان نريد من هنا تكون البداية لرحلة ارتكاب الشر ، والطمع بالسلطة والتملك هو التعبير الأقوى لتلك الارادة التي يجدها شعوراً طبيعياً في الانسان ، يتخذ خصائص الحالة المرضية التي لا نشفى منها الا عرضاً ، او بعد عملية نضج باطني اما الزهد فيها فما هو برأيه الا شذوذ واستثناء خارج عن هويتنا⁽⁷⁾. ويقول (من شأن أي نوع من الملكية أن يفسد ويُسفل ويُصانع الوحش النائم في قراره كل منا)⁽⁸⁾ وقوله ذلك ان هو إلا تأكيد على ان الانسان شرير بطبعه وتلك الحقيقة أكدها أكثر من مرة في اكثر من مكان في كتاباته المتعددة

(4) سيوران ، اميل : توقعات ، ترجمة لقمان سليم ، مراجعة وضاح شرارة ، لبنان ، 1991 ، ص34 .

(5) سيوران ، اميل : مثالب الولادة ، ترجمة آدم فتحي ، بيروت-بغداد ، 2015 ، ص163-164 .

(6) سيوران ، اميل : مثالب الولادة ، ص189

(7) سيوران ، اميل : تاريخ ويوتوبيا ، ترجمة آدم فتحي ، بيروت-بغداد ، 2010 ، ص67

(8) المصدر نفسه ، ص137

، فالإنسان برأيه (كائن يفرز الكارثة)⁽⁹⁾ ويقول (نحن غرقى في الشر . لا يعني ذلك إن أفعالنا كلها شريرة ، لكن ما ان يحدث لنا أن نرتكب الخير حتى نتعذب ، لأننا نتحرك في الاتجاه المعاكس لفطرتنا . تتحول ممارسة الفضيلة الى تمرين في التوبة والى درس في النسك)⁽¹⁰⁾ . وفي تعليقه على قول بوذا Buddha بان الحقيقة لا تنكشف لذي قلب عامر بالشهوة والضغينة، أردفه متهمكماً بالقول لا لحي يعني⁽¹¹⁾ . وفي تساؤل متهمكهم ومتشكك يعلق سيوران على وجود إنسان بريء بالقول (أشعر بالتأثر وحتى بالصدمة كلها وقعت على بريء. من أين هو قادم ؟ عم يبحث ؟ إلا يجهد ظهوره لكارثة ما ؟ إنه لاضطراب شديد الخصوصية ذلك يعترينا أمام شخص لا يمكننا باي وجه من الوجوه أن نعتبره من أمثالنا)⁽¹²⁾ . وإذا كان سيوران قد كشف لنا عن سر الشر ومكمنه فانه يكشف لنا عن سره الآخر ، والذي هو الوعي . ما يصيبنا بالذهول أمام تلك المزاوجة بين الوعي والارادة كمصدر للشر ، إذ كيف يمكن ان يجتمع نقيضان ليكونان المصدر ذاته !! والا يتوجب على الوعي ان يكون كالجأ للشر وملجأ وعاصماً؟؟ يقول سيوران (في كل إنسان ينم نبي . عندما يستيقظ يكون الشر قد زاد قليلا في العالم)⁽¹³⁾ .

وكما إن الانسان شرير بالطبع ، فهو إناني بالطبع كذلك ، ولولا ذلك ما صمد في الحياة يقول ("أنا ومن بعدي الطوفان" هو الشعار غير المعترف به لكل منا . نحن لا نسلم بان الآخرين سيعيشون بعدنا الا على امل أن يعاقبوا على ذلك)⁽¹⁴⁾ . ان رأيه ذلك بالانسان جعله يرفض فكرة وجود إنسان سوبر مان Super Man فكرة نيتشه، وقد كان متأثراً بأفكاره الفلسفية ، على ما أشرنا ، ورغم ان تلك الفكرة كانت ساحرة له في شبابه ، حسب قوله ، الا إنها أضحت هذياناً بعد ذلك⁽¹⁵⁾ . بل إنه انتقد الفكرة بشدة بالقول (هو لم يدرس البشر الا عن بعد ولو راقبهم عن كثب لما أمكنه إطلاقاً أن يتصور ولا أن يمدح الانسان الأعلى ، تلك الرؤية الشاذة المضحكة كي لا نقول المثيرة للاستهزاء . إنها وهم أو نزوة لا يمكن أن تظهر الا في عقل شخص لم يجد الوقت كي يكر)⁽¹⁶⁾ . -من المؤكد هنا انه لايتوجه بالنقد لنيته الا لانه خيب اماله في موضوعه نقده للحدثاء، فكيف بهادم لاصنام الحدثاء، المحيء باصنام اخرى بل واعى لاستبدال فكرة مركزية الانسان بالانسان السوبرمان- وعن علاقة الانسان بالآخرين نجد إن فكرة سارتر Sartre في الآخر الجحيم حاضرة عنده . فالآخر هو العدو الذي أتمنى موته ، لا شعوريا على الاقل⁽¹⁷⁾ ، ولذلك الشعور تجاه الآخر دافعا برأيه ، الاول

(9) سيوران ، اميل :لو كان آدم سعيداً ، ص28

(10) سيوران ، اميل :تاريخ ويوتوبيا ، ص128

(11) سيوران ، اميل :توقعات ، ص53

(12) سيوران ، اميل :مثالب الولادة ، ص175

(13) سيوران ، اميل :لو كان آدم سعيداً ص23

(14) سيوران ، اميل :مثالب الولادة ، ص237

(15) سيوران ، اميل :المياه كلها بلون الغرق ، ترجمة آدم فتحي ، المانيا ، 2003 ، ص61

(16) سيوران ، اميل :مثالب الولادة ، ص108

(17) سيوران ، اميل :لو كان آدم سعيداً ، ص23

فطري محركه شهيتنا في التدمير ، إذ يقول (شهية التدمير راسخة فينا الى حد إننا عاجزون جميعاً عن استئصالها . إنها جزء من بنية كل منا ، بما ان قراره الكينونة الذاتية شيطانية دون شك)⁽¹⁸⁾ اما الدافع الثاني فلأن الآخر ينافسنا في رغبتنا بالتفوق ، خاصة إن كان الآخر ضمن مجال عملنا وذلك قد يدفعنا الى ان لا نقر بتفوق لا حد من الاحياء أبداً ، يقول (لا تعلو قمة احدهم على قامتنا في مجال نشاطنا حتى نرى في ذلك سبباً كافياً كي نتمنى الخلاص منه)⁽¹⁹⁾ . اما ما يمكن أن يظهر من حسن معاملة الآخر أو الاخلاق اللاعدائية عند البعض تجاه الآخر ، فارجعها الى دافعين كذلك . الاول هي النفع الذاتي إذ يقول (نحن لا نكف عن احترام أو مديح فلان أو إعلان لعله في مزاياهما ، بل لأننا لا نستطيع أن نرتفع إلا على حسابهما)⁽²⁰⁾ . اما الدافع الآخر فهو ضعفنا ، عجزنا أو عدم حضيضنا بفرصة لرد العدوان أو التحرش ، ما يضطرنا الى اصطناع أخلاق التسامح ، ويرى إنه حتى في هذه الحالة فان علامات الغضب المكبوت والاهانة والخزي والعار تبدو على وجوه من تحلوا باخلاق التسامح تلك⁽²¹⁾ .

وقد تحدث سيوران عن أهمية الشر الانساني كمحفز للفعل ، وكيف ان من أفقده افتقد التميز . يقول (فلنرث الحالة ولنشفق على هذا البائس الذي لم يُرضه أن يتعهد بذاته وان يتنافس مع غيره فظل دون نفسه وتحت الجميع)⁽²²⁾ . ويقول (لم يبحث بين الآخرين من كان عاجزاً عن الغيرة منهم ؟ لن يكون مصيره غير مصير الحطام ، ومن اجل خلاصه لابد من إجباره على الدخول في قالب الطغاة والاستفادة من شططهم وشرورهم . من الطغاة وليس من الحكماء سيتعلم كيف يستعيد رغبته في الاشياء وكيف يعيش)⁽²³⁾ .

فاذا كانت هذه آثار الشر الانساني في فعله كمحرك أو محفز لابد منه، فما سيكون أثره على حركة التاريخ ؟ الاجابة ستتضح في الجانب التطبيقي للفرضية .

التطبيق : الشر الانساني كمحرك للتاريخ

بعد أن تبين لنا رأي سيوران في كيف يمكن للشر في الانسان ان يكون محركه للانطلاق بعد تغيير تكوينه من جبان الى مغامر بعد أن يضرم النار في دمائه ، وكيف انه هو من يجعله ممكناً⁽²⁴⁾ . فعندما نفسي الانسان من براءته الاولى سقط في التاريخ⁽²⁵⁾ . والانسان لا يجتهد أو ينتج الا بدافع الغيرة أو الجشع ، فيكون إنتاجنا أفضل عما نفعل بدافع النبل أو التزاهة ، إذ تبدو كغيلان رائعة ومريخة ، تبدو في حياة من يتأمل جرمًا

(18) سيوران ، اميل :مثالب الولادة ، ص172

(19) سيوران ، اميل :تاريخ ويوتوبيا ، ص105

(20) المصدر نفسه ، ص107

(21) المصدر نفسه ، ص96

(22) سيوران ، اميل :تاريخ ويوتوبيا ، ص74

(23) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها

(24) سيوران ، اميل :تاريخ ويوتوبيا ، ص106

(25) سيوران ، اميل :لو كان آدم سعيداً ، ص12

مربعاً ، بينما في الحقيقة هيء لعملها⁽²⁶⁾ . وهو المعنى ذاته الذي بينه رينيه جيرار R. Girard . عندما قال ان رغبة الانسان لا تتبع من ذاته بل تثيرها رغبة شخص آخر-الوسيط-⁽²⁷⁾ تلك المقولات التي فضحت الانسان وعرت طباعه وانتقدته بعد أن تأله في فترة الحداثة Modernity. اما إن امتلك الانسان السلطة فبفعله سيكون محركاً للتاريخ ، إذ السلطة هي الجحيم المنشط، هي الخليط من السم والترياق ، لانها الحركة للتاريخ بطموحها⁽²⁸⁾ . إن طبيعة الانسان هذه كانت مع أسلافنا ولم يضطروا وقتها الى كبجها وكتبها ، بينما استبدلنا الجريمة بالكلام والمحادثة والابتسامة والمداهنة ، تلك الخناجر غير المرئية أو ما أطلق عليها سيوران — هومو المتمدن⁽²⁹⁾ . ومعروف إن نص ما قاله كان توماس هوبز T. Hobbes قد صرح به في فترة فلسفية سابقة . وان كان الشر الانساني هو محرك التاريخ فان محور الشر-الطغاة-هم صانعوا التاريخ ، يقول سيوران (إني أرى ان الطغاة ، وان كنت أمقتهم ، هم الذين يصنعون نسيج التاريخ ، ولولاهم ما كان لاحد ان يتصور كيف تنشأ ولا كيف تسير إمبراطورية .

إنهم بفظاعتهم الفائقة وبهمييتهم الملهمة ، ليمثلون الانسان وقد دفع الى حدوده القصوى الى أقصى تجليات حقارته ومزاياه⁽³⁰⁾ . وبحسب ما يخرنا سيوران ، فان التاريخ لن يتوقف حينما يشبع الطغاة شراستهم ويتحولون الى رجال طيبين ، إذ سيغار العبيد راغبين في إشباع شراستهم هم أيضاً فـ(طموح الخروف الى أن يتقمص دور الذئب هو باعث أغلب الأحداث كل من ليس له ناب يحلم به . ويريد أن يفترس هو أيضاً . وينجح في ذلك بواسطة حيوانية الكثرة)⁽³¹⁾ . وكما يصنع الانسان تاريخه بالشر الذي فيه تصنعه الامم بالطريقة ذاتها ، يقول (تنبثق الرغبة في السيطرة على العالم من دفع بدئي ومن أعماق تكاد لا تبين . وهي لا تظهر إلا لدى أفراد معينين وفي عصور معينة ، دون ارتباط بنوعية الامة التي تظهر فيها)⁽³²⁾ . ولذلك نجد ميل الى الامم التي لا وازع لها فكراً وفعلاً ، الدائسة على كل القيم التي تقف في طريق نجاحها ، ناقداً الشعوب الاخذة بالحكمة إذ يرى فيها مُصيبة⁽³³⁾ . وفي تشبيه له للشعوب بالحيوانات يؤكد لنا إن الشعوب التي تعيش منسجمة لفترة غالباً ما تسقط في البلادة والخنوع الذي نلاحظه في حداثق الحيوانات التي ابتعدت عن الاحساس بالخوف من بعضها البعض⁽³⁴⁾ . وهو رأي قال به حتى صاحب كتيب مشروع السلام الدائم، أيام شبابه وأقصد كانط Kant هنا. ميله هذا أثار إعجابه بهتلر وطريقة حكمة التي عاصرها ، رغم إعلانه

⁽²⁶⁾ سيوران ، اميل :تاريخ ويوتوبيا ، ص102-102

⁽²⁷⁾ أبو ناضر ، موريس :التنوير في اشكالاته ودلالاته ، لبنان ، 2011 ، ص65-66

⁽²⁸⁾ سيوران ، اميل :تاريخ ويوتوبيا ، ص68

⁽²⁹⁾ سيوران ، اميل :تاريخ ويوتوبيا ، ص94

⁽³⁰⁾ المصدر نفسه ، ص45

⁽³¹⁾ سيوران ، اميل :المياه كلها بلون الغرق ، ص160

⁽³²⁾ سيوران ، اميل :تاريخ ويوتوبيا ، ص47

⁽³³⁾ سيوران ، اميل :تاريخ ويوتوبيا ، ص45

⁽³⁴⁾ سيوران ، اميل :لو كان آدم سعيداً ، ص46

استهجانته له . الا ان تصريحات كثيرة له تفصح عن رغبته في ان يستعيد الغرب مجده ، ولانه آمن بان الشر الانساني هو المحرك للتاريخ ، على ما أشرنا ، فانه كان يرى في همجية هتلر أمله الذي أخفق يقول (حاول هتلر بواسطة الهمجية ان ينقذ حضارة بأسرها كان مال محاولته الفشل . هذا لا يمنع إنها كانت آخر "مبادرات" الغرب)⁽³⁵⁾. ووجد إن أفول الغرب لانه لم يستطع إنتاج غول من نوع أرقى⁽³⁶⁾. كان لسيوران طموحاً ملحوظاً في استعادة الغرب أمجاده ببث روح القوة فيه ، وشدد على ان سبيل أي أمة لا ترغب في الزوال هو استعادتها للروح الاسبرطية وبثها في سكانها ، عندها ستعود لطريق مهمتها في التاريخ⁽³⁷⁾ ما يذكرنا بدعوات نيتشه ومن بعده هيدجر Heidegger في استعادة أخلاق القوة الرومانية واليونانية . فضلاً عن ذلك السبيل ، بين سيوران سبيلاً آخر يتمثل في إجبار الحضارات الأخرى الى تقليدها (لا يمكن تأسيس إمبراطورية إنطلاقاً من نزوة . علينا أولاً أن نرغم الآخرين على تقليدنا ، على الدخول في قالبنا وفي قالب معتقداتنا وعاداتنا تأتي بعد ذلك الحتمية الفاسدة ، ان نصنع منهم عبيداً كي تنعكس عليهم الخطوط الاولى المجملية أو الكاريكاتورية لذاتها)⁽³⁸⁾. وقد آمن سيوران بإمكانية كل شعب ، مهما كان حجمه ، ان يتبنى إيديولوجيا غربية عن تقاليده ، وان بإمكانه هضمها وتغيير طبيعتها لفائدته⁽³⁹⁾. إن سبيل بسط الهيمنة التي يمكن ان تسلكه الشعوب الكاسرة لاختفاء غرائزها ومقاصدها ، بحسب سيوران ، هو سبيل قال به الفيلسوف الفرنسي ريجيس دوبري R. Debray كذلك ، منتقداً له ، مبينا كيف إنها تفعل فعل الدعاية مشوهة الواقع⁽⁴⁰⁾. وهو السبيل ذاته الذي تسلكه الدول الغربية اليوم وعلى رأسها أميركا ، وذلك من خلال أمركة العالم بالعملة تارة ، وبالقوة تارة أخرى . ومن الواضح ان سيوران سلك سبيل مكيافيلي Machiavelli في تبرير الغاية للوسيلة بعد أن أشر ضعف الحضارة الغربية ووصولها للانحطاط⁽⁴¹⁾. على أمل الاستجابة ومحاولة النهوض ، مع إيمانه ان عصر الكمال في الغرب ولى وان (حقائق الفلسفة الانسانية ، الثقة في الانسان وما الى ذلك ، ليس لها حتى الآن سوى فاعلية الاخيلة وازدهار الضلال . الغرب كان هذه الحقائق لكنه لم يعد غير هذه الضلال)⁽⁴²⁾. وما إيمانه ذلك إلا تأكيد على موت فترة الحداثة الفلسفية Modernity وشروعاً في دخول حقبة جديدة بسمات مغايرة هي حقبة ما بعد الحداثة Post Modernity . وهنا يتبادر الى الذهن سؤال هل إن إيمانه بان الغرب يمكن له إستعادة حضارته فيما لو اتبع سبلاً معينه ، هو إشارة لايمان مشابه لما كان عند الفيلسوف

(35) سيوران ، اميل :المياه كلها بلون الغرق ، ص88

(36) المصدر نفسه والصفحة نفسها

(37) مستقبل العالم وفقاً لسيوران ، فلم وثائقي

(38) سيوران ، اميل :تاريخ ويوتوبيا ، ص57

(39) المصدر نفسه ، ص52

(40) دوبريه ، ريجيس :نقد العقل ، ترجمة ، عفيف دمشقية ، بيروت ، 1986 ، ص87

(41) Cioran, Emili-Wikipedia , P 3

(42) سيوران ، اميل :المياه كلها بلون الغرق ، ص92

الالماني هابر ماس Habermas من إن الحداثة مشروع لم يكتمل وان بالامكان إستعادة الحداثة الغربية
باتباع خطوات معينة ؟ ستتكفل خاتمة رحلتنا البحثية الاجابة عن ذلك السؤال .

العدمية والتاريخ

الفرضية : العدمية

يتفق سيوران وبودا على مصطلح (هاوية الولادة) فهي ، باعتقاده ، غور لا نسقط فيه بل ننبثق منه لسوء حظنا⁽⁴³⁾. وذلك المعتقد جعله يستغرب من حزن ونواح الانسان وقت الموت ، بينما الشر الحقيقي يكمن خلفنا لا امامنا⁽⁴⁴⁾.

كما إن إيمانه بمعتقده هذا جعله يعد الابوة إن هي الا جريمة يرتكبها الآباء بحق الابناء ، يقول (اقتربت كل الجرائم ، باستثناء أن أكون أباً)⁽⁴⁵⁾.

إن استهجانته للميلاد واستخفافه به ونفوره منه ، باعتقادنا ، ما هو الا نتيجة عوامل نفسية Psychology كثيرة، حصدها أغلبها في صغره ، منها الحادثة التي كانت له مع أمه ، والتي أشرنا إليها ، فضلاً عن ظروف ترعرعه في مزرعة يمتلكها أهله قرب مقبرة، وصداقته لدفاها الذي كان يزوده بحماجم الموتى التي كان يتخذها كرة للعبته المفضلة- كرة القدم⁽⁴⁶⁾- فان يتحول مركز الانسان-رأسه-لمجرد مادة غير حية ، عظمية جوفاء للعب فذلك هو العدم بعينه . كل ذلك جعله لا يتوانى عن التصريح (أعلم إن مولدي لا يعدو كونه مصادفة إتفاقاً مُسخرًا)⁽⁴⁷⁾. ويقول (كلما عشنا أكثر إكتشفنا انه لم يكن من المجدي أن نعيش)⁽⁴⁸⁾. فضلاً عن انه ما إنفك ينكر أنه ، يقول (أين توجد أحاسيسي ؟ لقد تبخرت ... في أنا ، وما هذه الانا إن لم تكن مجموع تلك الاحاسيس المتبخرة؟)⁽⁴⁹⁾. ويقول (لم أعتبر نفسي على الاطلاق كائناً . أنا لا مواطن ، هامشي ، انا ذلك اللا شيء الذي لا وجود له الا بفضل عدمه المفرط ، بفضل عدمه بالغ الوفرة)⁽⁵⁰⁾. شعوره بلا شيءية نفسه جعل منه لا منتمي عبثي ، ذلك الشعور الفلسفي الاصيل الذي وجدناه يتكرر في تاريخ الفكر الفلسفي وبرز مع العدمية عند أصحاب المدرسة الفلسفية الوجودية Existentialism . يقول (حيثما وليت وجهي انتابني الاحساس نفسه باللا انتماء ، باللعب غير المجدي: أظاھر بالاهتمام بما لا يهمني البتة ، أجهد نفسي بدافع الي أو بدافع الشفقة ، دون أن أكون معينا بالامر على الاطلاق ، دون ان أكون في مكان أصلاً)⁽⁵¹⁾.

⁽⁴³⁾ سيوران ، اميل :مثالب الولادة ، ص42

⁽⁴⁴⁾ المصدر نفسه ، ص8

⁽⁴⁵⁾ المصدر نفسه ، ص11

⁽⁴⁶⁾ مستقبل العالم وفقاً لسيوران ، فلم وثائقي

⁽⁴⁷⁾ سيوران ، اميل ، توقعات ، ص34

⁽⁴⁸⁾ سيوران ، اميل ، مثالب الولادة ، ص128

⁽⁴⁹⁾ سيوران ، اميل :مثالب الولادة ، ص18

⁽⁵⁰⁾ المصدر نفسه ، ص217-218

⁽⁵¹⁾ سيوران، اميل: مثالب الولادة، ص36

إن ما يستهويني موجود في مكان آخر ، ولا أعرف هذا المكان الآخر ما يكون ؟) وتتجلى العبثية الملازمة للعدمية في أقوال عدة له نذكر منها (أتسكع بين الايام تسكع بغي في دنيا بلا أرصفة) ⁽⁵²⁾ . ويقول (أني يكن من أمر ما كان ، أراي لم أنفق أيامي سُدى . ففي هذا العالم المجنون ، ككل أحدٍ ، لم أفعل أنا كذلك ، الا أن لهوت) ⁽⁵³⁾ . إن سيطرة فكرة العدمية على سيوران دفعته الى إطراح مسألة المعرفة ، إذ لا جدوى منها مع التسليم المطلق بلا حقيقة ، يقول (نقضُ على العلوم ، هذا العالم لا يستأهل تعرفه) ⁽⁵⁴⁾ . فضلاً عن إننا (عندما نعرف بشكل بات ان كل شيء غير حقيقي ، فاننا لا نرى سببا حقيقيا يجعلنا نتعب أنفسنا في البرهنة على ذلك) ⁽⁵⁵⁾ . موجات العدمية رمت به على شاطئ اللامعنى وتفاهة كل شيء إذ صرح قائلاً (لا أحد إقتنع مثلي بتفاهة كل شيء ، ولا أحد تعامل مثلي بما ساوية مع كل هذا العدد الهائل من الاشياء التفاهة) ⁽⁵⁶⁾ وهكذا يكون من الطبيعي والتلقائي في عالم العدم الذي نزل فيه أن لا يطالب بأي التزامات ، ما يجعله حراً الى درجة غير مشعور بها !! يقول (يجدر بي وقد دمرت كل روابطي أن يغمري احساس بالحريّة . والحق ان ذلك الاحساس يغمري فعلا ، وهو حاد ، الى درجة إني أخاف الاستمتاع به) ⁽⁵⁷⁾ .

الا ان أخطر ما في العدمية هو التوقف عن الفعل ، تعليق الحكم ، الشعور بالعجز واليأس والاستسلام . لقد كانت أهم الحقائق التي أوصلتها العدمية له على الاطلاق هي (ليس في وسعنا عمل شيء) ⁽⁵⁸⁾ . يقول (لم يكن الفردوس مكانا يمكن تحمله وإلا لاستطاع الانسان الاول ان يتلائم معه . وليس هذا العالم أكثر قابلية للتحمل بما إننا نفتقد الفردوس أو نطمح الى آخر .

ما العمل ؟ الى أين نذهب ؟ لنمتنع ، ببساطة ، عن عمل أي شيء وعن الذهاب الى أي مكان) ⁽⁵⁹⁾ . إن اختياره للا شيء ، إن هو الا نقداً موجهاً للحدثة بأسلحة أفكار ما بعد الحدثة ، إذ رفض تمجيد الانسان كبديل لله ، كما فعل اصحاب الحدثة ، بل إستبدلها بالا شيء . يقول (لماذا التخلص من الله للوقوع في الذات ؟ لماذا تبادل الجثث هذا ؟) ⁽⁶⁰⁾ وهو هنا يذكرنا بمقولة نيتشة المعروفة في موت الله ، فمثله يصرح سيوران بانه تخلص من الله آخر المزعجين ⁽⁶¹⁾ !!

⁽⁵²⁾ سيوران ، اميل :توقيعات ، ص16

⁽⁵³⁾ المصدر نفسه ، ص119

⁽⁵⁴⁾ سيوران ، اميل :توقيعات ، ص14

⁽⁵⁵⁾ سيوران ، اميل :مثالب الولادة ، ص42

⁽⁵⁶⁾ المصدر نفسه ، ص150

⁽⁵⁷⁾ المصدر نفسه ، ص226

⁽⁵⁸⁾ المصدر نفسه ، ص201

⁽⁵⁹⁾ سيوران ، اميل :المياه كلها بلون الغرق ، ص19

⁽⁶⁰⁾ المصدر نفسه ، ص110 .

⁽⁶¹⁾ المصدر نفسه ، ص103-104.

التطبيق : العدمية ، عبثية التاريخ

يقرأ سيوران التاريخ بأنه فقدان الابدية والسقوط في الزمن والتكيف معه فلو (كان آدم سعيداً لو فر علينا التاريخ)⁽⁶²⁾. والتاريخ هو (ديناميكية الضحايا)⁽⁶³⁾. وانه (ليس مقر الكينونة بل هو غيابها ، نفي كل شيء)⁽⁶⁴⁾. فما هي المسوغات التي أعتمدها في قراءته هذه ؟ لم يؤمن سيوران بالماضي الذي يكف عن الانتماء اليها ويكف عن ان يعني أحداً⁽⁶⁵⁾. فهو تقاطع ونيته في فكرة العود ، إذ بحسبه ، لا شيء يعود ، يقول (محنة قطارات الشمال . فيها ساعة حائطية تشير الى الدقائق : الساعة الآن ، الرابعة و 43 دقيقة ، فكرت في أن هذه الدقيقة لن تعود أبداً ، وانها تلاشت الى الابد ، غاصت في الكتلة المحتومة التي لن تعود . كم تبدو لي نظرية العودة الابدية تافهة وبلا أسس ! كل شيء يتلاشى الى الابد . ولن أعود الى رؤية هذه اللحظة أبداً . كل شيء هو متفرد وبلا أهمية)⁽⁶⁶⁾. وينطبق الامر نفسه على الحاضر الممهد للمستقبل ، إذ لم يؤمن به ، يقول (المستقبل ، اذهبوا لرؤيته اذا كانت تلك رغبتكم . أفضل الاكتفاء بهذا الحاضر الذي لا يصدق ، وهذا الماضي الذي لا يصدق ، تاركاً لكم أنتم عناء مواجهة ما لا يصدق نفسه)⁽⁶⁷⁾. إيمانه هذا دفعه الى اليأس والتقاعد وتعطيل الفعل ، إذ دعا الى إيقاف النسل بالقول (إذا كنا نتوقع النهاية وعلى يقين من إنها لن تتأخر ونكاد نستعجلها ، فان من الأفضل أن ننتظرها لوحدها)⁽⁶⁸⁾. فضلاً عن سخريته من الفعل والاجتهاد وطموح التمييز ، يقول (ما جدوى التمييز في عالم مسكون بالمجانين موغل في البلاء أو الهذيان ؟ من أجل من نجهد النفس ولاي هدف ؟ بقي أن أعرف إن كنت تحررت حقاً من هذا اليقين المخلص في المطلق ، المهلك في الراهن)⁽⁶⁹⁾. ولانه آمن باللا شيء ، بالفناء .. لام الفاعل الانساني وكان ناصحاً له بان يتذكر فناءه وان لا يسقط في النسيان !! (أيها الفاني فكر مثل فان)⁽⁷⁰⁾. وفي إشارة ضمنية ، مبطنة ، يتوجه بالنقد الى الحداثة من خلال نقده ثيمتها الرئيسة-التقدم-كسلفه روسو Rousseau الذي أعده فيلسوف الحداثة وناقدها . فمن نقوداته لهذا المضمار (كل من استطاع عن غير قصد أو بسبب من عدم الكفاءة ، إعاقه البشرية ولو قليلاً عن التقدم ، هو صاحب يد بيضاء على البشرية)⁽⁷¹⁾. ويقول (الايمان بالتقدم من أكثر الخرافات زيفاً وسذاجة)⁽⁷²⁾. ويقول في التقدم بأنه (المظلمة التي يقترفها كل جيل في حق الجيل الذي سبقه)⁽⁷³⁾. وبنقده للتقدم هو

⁽⁶²⁾ سيوران ، اميل :المياه كلها بلون الغرق ، ص160

⁽⁶³⁾ سيوران ، اميل :لو كان آدم سعيداً ، ص27

⁽⁶⁴⁾ سيوران ، اميل : تاريخ ويوتوبيا ، ص164

⁽⁶⁵⁾ سيوران ، اميل :مثالب الولادة ، ص62

⁽⁶⁶⁾ سيوران اميل :لو كان آدم سعيداً ، ص62

⁽⁶⁷⁾ سيوران ، اميل :مثالب الولادة ، ص72 ص170

⁽⁶⁸⁾ سيوران ، اميل :مثالب الولادة ، ص176

⁽⁶⁹⁾ المصدر نفسه ، ص35

⁽⁷⁰⁾ المصدر نفسه ، ص206

⁽⁷¹⁾ سيوران ، اميل :المياه كلها بلون الغرق ، ص92

⁽⁷²⁾ سيوران ، اميل :مثالب الولادة ، ص162

يلغي غائية التاريخ ، يقول (سيتم "تحرير" الانسان يوم يتخلص من ملف الغائية ليفهم إن ظهوره حدث عارض)⁽⁷⁴⁾ . وهكذا يكون التاريخ بلا معنى عنده (ثمة من الصدق والجدية في العلوم الغيبية أكثر مما في الفلسفات التي تصر على جعل التاريخ ذا معنى)⁽⁷⁵⁾ . ويقول (هكذا هو التاريخ الكوني ، في لحظة معينة كل حضارة تنضج للاختفاء . إذن تساءل عن معنى هذا المجرى أو اليسر ، لكن لا معنى له . هناك مجرى فحسب)⁽⁷⁶⁾ . وفي نص ساخر تترج فيه عبثية التاريخ والعبثية الانسانية يُشكل سيوران عزاءً ظريفاً لكل من أخفق في تقبل الوجود والانتماء له ، يقول (لو كان للتاريخ غاية ، لكان مصيرنا يثير الرثاء ، نحن الذين لم ننجز شيئاً . اما في هذا الا معنى الشامل ، فقد بات في وسعنا نحن الحقراء الصعاليك الذين لا جدوى لهم ، أن نرفع رؤوسنا فخورين بكوننا كنا على حق)⁽⁷⁷⁾ . إن التفسير الوحيد الذي أضفاه سيوران على كل ما يحدث من أحداث ، وهو يتفق ونيتشه هنا ، إن هو الا (صيرورة) والتي هي إحتضار بلاخاتمة⁽⁷⁸⁾ . فبرايه (نحن لم نولد كي نُحدد أو نقلب الامور راساً على عقب ، بل ولدنا كي نستمتع بنصيننا من شبه الكينونة ، ونستهلكه هـدوء ، ثم نختفي دون ضجة)⁽⁷⁹⁾ . وعن تفسيره للكيفية التي تحدث بها الصيرورة في التاريخ يقول (التاريخ في جوهره غيبي ... إنه يستقر ويتقدم لان الامم تُصفي أحكامها المسبقة الواحد بعد الآخر . لو تخلصت منها دفعة واحدة لما بقي سوى تفكك كوني سعيد)⁽⁸⁰⁾ . وفي تاريخ الفكر الفلسفي ثمة تفسيرات طرحت عن خلاص وإن آمن أصحابها باللاجدوى أو امتنعوا عن إعطاء تصور للنهايات ، واستبعدوا القول بعوالم أخرى غير عالمنا . فهل كان سيوران منهم ؟ يجب (إعتدنا أن نعيش في حالة إنتظار مراهنين على المستقبل أو على صورة زائفة للمستقبل ، الى درجة إننا لم نتصور فكرة الخلود الا بسبب حاجتنا الى الإنتظار طيلة الابد)⁽⁸¹⁾ . وفي نصه تحكم واضح من كل أمل بخلاص . يؤكد ذلك قوله (اليقين بان لاخلاص هو شكل من أشكال الخلاص ، بل هو الخلاص نفسه .

إنطلاقاً من ذلك نستطيع أن نرتب حياتنا كما نستطيع ان ننشئ فلسفة للتاريخ ما لا يحل باعتباره حلاً ، باعتباره المنفذ الوحيد ...)⁽⁸²⁾ . الا انه رغم ذلك ، كان له نص يبدو فيه باحثاً عن بديل ، يقول (نادرة هي الايام التي ترمي بي في ما بعد التاريخ دون أن أراي شاهداً على ذهول الالهة وهي تشرف على خاتمة الحلقة

(73) المصدر نفسه ، ص159

(74) سيوران ، اميل :المياه كلها بلون الغرق ، ص164

(75) سيوران ، اميل :المياه كلها بلون الغرق ، ص163

(76) سيوران ، اميل :تاريخ ويوتوبيا ، ص11

(77) سيوران ، اميل :المياه كلها بلون الغرق ، ص109

(78) المصدر نفسه ، ص77

(79) سيوران ، اميل :مثالب الولادة ، ص179

(80) المصدر نفسه ، ص238

(81) سيوران ، اميل :مثالب الولادة ، ص127 .

(82) المصدر نفسه ، ص240 .

البشرية . لا بد من رؤية بديل ، ما دامت رؤية القيامة لم تعد تُرضي أحداً⁽⁸³⁾ . في هذا النص يظهر فيه ناكراً لعالم آخر ، للرؤى الماورائية وللتاريخ وصولاً للعدمية ، وهو نص يفصح قائله عن كفره بالحدائث وقيمها وغاياتها . نقول مع كل ذلك يطالب النص ببديل . وكان سيوران قد إمتدح الموت بالقول (الموت نكهة الوجود ، وحده يسبغ مذاقاً على اللحظات ، وحده يقاوم تفاهاتها . نحن مدينون له بكل شيء تقريباً . هذا الاعتراف بالدين . الذي يزداد انكاراً له ، هو أفضل تعزية لنا في الحياة الدنيا)⁽⁸⁴⁾ .

فهل كان كهيدجر في فلسفته عن الموت ؟ ان الموت هو العدم وسيوران أنكر عوالم يمكن ان تقع خلفه ، فلا يمكن القول بالموت كخلاص . وهو اقر ان الموت لا يشكل خلاصه ، لان طعم العدم بعد الموت ليس نفسه قبل الولادة⁽⁸⁵⁾ . فضلاً عن نص الموت ، كان لسيوران نص في إمتداح الشعر والموسيقى ، وكيف يمكن لهما أن يبعدانا خارج الزمن ، يقول (في الشعر يستبعد الزمن ، فاذا انت خارج الصيرورة ... الموسيقى والشعر غيوبتان متساميتان)⁽⁸⁶⁾ فهل يمكن أن نصل من نصه انه مع شوبنهاور Schopenhauer ونيتشه وهيدجر في إعتقاد الفن كخلاص ؟ يمكن لنا القول إنه إتخذ من الشعر والموسيقى نوع من الخلاص ، الا انه خلاص مؤقت ، كالمخدرات والمسكرات ، إذ هما غيوبتان . ما يجعلنا نسلم بان اللاخلاص عنده هو الخلاص الوحيد . ومن ذلك الايمان سحر ووجه نقوداته الحادة لكل من آمن باليوتوبيا ، ذلك إن في اليوتوبيا تنطوي معاني الهدف والغائية والنظرة اللاعدمية-التفاؤلية- وهي المعاني التي تتبناها التفسيرات المثالية ideal والميتافيزيقية Metaphysical للتاريخ . مثلما تنطوي على الاعتراف بقيم ووعود الحدائث . فما اليوتوبيا وكيف انتقدتها ؟ لفظة اليوتوبيا التي إتخذ سيوران منها اسم لكتابه غير المقطعي (تاريخ ويوتوبيا) صيغت من قبل الفيلسوف توماس مور Thomas More في كتابه المشهور اليوتوبيا Utopia سنة 1516⁽⁸⁷⁾ . واليوتوبيا هي محاولة صنع أمكنة غير معتادة⁽⁸⁸⁾ . أو بناء قصور من الرمال إن صح القول . وهي بتعريف سيوران (الغريب الذي يحلو في العين ، تلك الحاجة الى ربط السعادة ، أي ما هو مستبعد ، بما هو في وضع صيرورة ، ودفع الرؤية التفاؤلية الهوائية الى حيث تلتحق بنقطة إنطلاقها)⁽⁸⁹⁾ . يظهر النص كُفر سيوران باليوتوبيا ، وقد أطلق على الكتابات التي تؤمن بها ب (الادب المنفر)⁽⁹⁰⁾ .

يقول (ما إنفك الانسان يعتقد انه أشرف على الاسوأ في كل عصر ، الا في العصور التي أعماها الطيش أو اليوطوبيا)⁽⁹¹⁾ . وكأننا نجده هنا يسوغ لايمانه ، بانه ليس الوحيد المعتقد بترعة تشاؤمية ، فمثله كثير في كل

⁽⁸³⁾ المصدر نفسه ، ص15.

⁽⁸⁴⁾ سيوران ، اميل : لو كان آدم سعيداً ، ص38.

⁽⁸⁵⁾ زناز ، حميد: المعنى والغضب،مدخل الى فلسفة سيوران،الجزائر،2009،ص36.

⁽⁸⁶⁾ سيوران،اميل: لو كان ادم سعيداً،ص18.

⁽⁸⁷⁾ Edards , Paul : The encyclopedia of philosophy , new york , 1967 , P.212 .

⁽⁸⁸⁾ AP , P.215 .

⁽⁸⁹⁾ سيوران ، إميل : تاريخ ويوتوبيا ، ص 59 .

⁽⁹⁰⁾ المصدر نفسه ، ص 120 .

⁽⁹¹⁾ سيوران ، إميل : مثالب الولادة ، ص 163 .

العصور . هو كان يردد إن الإيمان باليوتوبيا هو إيمان البؤساء والبلهاء والسذج ، وإن أصحابها سيصبحون عاطلين عن العمل إن تخلوا عن الدعوة لها⁽⁹²⁾ . وبنص ظاهره نقد لليوتوبيا وباطنه نقد للحدثا وسماها يقول سيوران (في المدن المثالية يُخبو كل صراع وتكبح الارادات وتهدأ وتتفق بما يشبه المعجزة . هناك لا تسود الوحدة المجردة من عنصر الصدفة أو التناقض . إن اليوتوبيا مزيج من العقلانية الصيبانية والملائكية المعلمنة)⁽⁹³⁾ . الا انه ، من جهة أخرى يُقر رغم كل شي باهمية اليوتوبيا ، إذ كانت له آراء شبيهة بآراء ريجس دوبريه عن اليوتوبيات . فالحياة تصبح خانقه والعالم يكون مُتحرراً من دون يوتوبيا ، فالانبهار بالمستحيل هو من يمكنه تحريكنا⁽⁹⁴⁾ .

وأعتقد إن يوتوبيا سيوران ، التي خفت من إحتناق الحياة عنده ،اليوتوبيا الوحيدة التي نعتقد انه قبل القول بها، كانت البراءة الاولى^(*)، مُستحيله الذي ما إنفك مبهوراً به في كتاباته ، ومُتأسفاً على فقدانه ، إنه الوضع الذي كان عليه الانسان قبل الوعي^(*)، يقول (أه لو كان في وسعنا العودة الى تلك العصور حين لا مفردة تعوق الكائنات ، العودة الى إقتضاب الصيحة وفردوس البلادة وذلك الدهول الفرح لما قبل اللغة)⁽⁹⁵⁾ . وهنا يقفز الى الذهن تساؤلا ، بعد أن توصلنا بان خلاصه في الاخلاص ، هل يمكن أن نعود في رأينا لنجد انه قال بانه يمكن ان يكون الخلاص في حالة اللاوعي وانه نشد كـ(نيتشه) الخلاص من الوعي بالسقوط في النسيان ؟ الحق إننا بينا انه كسلفه نيتشه كانت الموسيقى والشعر سبيله للخلاص المؤقت، وهي حالة من اللاوعي المؤقت . فهل يمكن أن يكون الخلاص في اللاوعي الدائم ؟ سيوران لم يقل حتى بذلك ،لايمانه باستحالة العودة لتلك الحالة على ما نعتقد، فهو وإن صرح بالقول (أن تكون حيوانا أفضل من ان تكون إنسانا ، أن تكون حشرة أفضل من أن تكون حيوانا ، أن تكون نباتاً أفضل

من ان تكون حشرة ، وهكذا دواليك . الخلاص كل ما يُوهن سلطان الوعي ويُطيح بهيمته)⁽⁹⁶⁾ . نقول وان كان صرح بذلك الا إنه سلم باللافائدة وإن الجنس البشري يمعن في الانحطاط والعماء وانه لا شيء عادي⁽⁹⁷⁾ . أي انه يؤكد لنا استحالة العودة الى حالة اللاوعي-انكار لامكانية استعادة الحالة الاولى-كذلك وبالتالي هو يؤكد الاخلاص . وواضح ان في كل آرائه السابقة نقد للحدثا وسماها ووعودها وتأكيدها على العدمية والعبيثية للفترة اللاحقة لها ، والكافرة بها . يقول (ما بك ؟ قل لي ما بك ؟ أنا بخير ، أنا بخير ، كل

⁽⁹²⁾ سيوران ، إميل : تاريخ ويوتوبيا ، ص121-123 .

⁽⁹³⁾ المصدر نفسه ، ص128 .

⁽⁹⁴⁾ المصدر نفسه ، ص120 .

^(*) كانت حادثة مغادرته بلده في رومانيا أثرها على كتاباته ، إذ كثيراً ما تسأل عن جدوى مغادرته .

^(*) وكأنا أمام قول هيجل بالوعي الشقي، وأمام قيم ما بعد الحداثة التي تمجد الجنون في مقابل عقل الحداثة.

⁽⁹⁵⁾ سيوران ، إميل : المياه كلها بلون الغرق ، ص29 .

⁽⁹⁶⁾ سيوران ، إميل : مثالب الولادة ، ص41 .

⁽⁹⁷⁾ سيوران ، إميل : المصدر نفسه ، ص215 .

وأنظر : سيوران ، إميل : لو كان آدم سعيداً ، ص14 .

وأنظر : سيوران ، إميل : مثالب الولادة ، ص151 .

ما في الأمر أبي وثبت الى خارج مصيري ، وها أنا لا أعرف الآن إلى أين التفت وفي أي اتجاه أركض...⁽⁹⁸⁾. وأرى أن لا حاجة بنا بعد الآن لسؤال سيوران عن قراءته للمستقبل ، إذ باتت الاجابة واضحة ، وهذا يؤكد بالقول : (رؤيتي للمستقبل واضحة الى حد أبي ، لو كان لي أطفال لحنقتهم على الفور)⁽⁹⁹⁾.

الخاتمة :

أثار ابحارنا مع فكر سيوران الفلسفي، الموجه في هذه الرحلة نحو التاريخ ، أسئلة عدة ففي توقعنا بالخطوة الأولى من الرحلة ، نجد كمن يوجه للغرب دعوة لاستعادة مجده وقوته ، بينما رافقتنا الدهشة ونحن نستمع له في المحطة الثانية من الرحلة وهو يسخر من الاجتهاد والفعل ولا يسلم إلا للعدمية . فهل نحن امام فكر متناقض ؟ واحدة من اعترافات سيوران الصريحة قوله: (اتخذ قراراً وأنا واقف اضطلع فالغيه)⁽¹⁰⁰⁾. ويقول(استطيع ان اضع مقولتين متناقضتين جنباً الى جنب،الاقوال ايضا حقائق عابرة مرتبطة بال اللحظة وليست احكاماً قضائية)⁽¹⁰¹⁾ إلا أننا لا نعه تناقض ، إذ عرفنا فلسفته في الحضارات وان كل حضارة تنضج لتختفي ، أي حتى الحضارات التي تنشأ وترسخ فان مصيرها الأخير هو الالاجدوى - الافول - هذا اولاً، اما ثانياً والا هم، فان الصلة بين الشر كمحرك للتاريخ والانتها للعدمية تنضح جلية في مقولة سيوران، لان الانسان شرير فالتاريخ ملعون، شيطاني وماساوي في ان، لهذا نجد ضد الايديولوجيات التي تصنع التاريخ بينما التاريخ لا يصنع، انه موجود⁽¹⁰²⁾ ومن جهة أخرى ستجلي اجابة السؤال الذي طرحناه في منتصف رحلتنا ، أن كان مع هابرماس في رؤيته للحدثة بأنها مشروع لم يكتمل ام لا ، نقول ستجلي اجابتنا الغموض والشك الذي يمكن ان يزال عندنا نحو امكانية ان يكون هذا الفكر الفلسفي متناقضاً أم غير متناقض يقول: عندما نعمل يكون لنا هدف ، لكن ان انتهى ، تنتهي واقعيته ، ماهيته الحقيقية ، ونذكر انه كان مجرد لعب . وفي اشارة الى نفسه يقول: (ان هنالك من يرى ذلك اللاحقيقي ، فـ(كل شيء لعب) و(كل شيء تافهاً)⁽¹⁰³⁾. يتضح لنا هنا بشكل جلي ، انه ناقد للحدثة الغربية ومن فلاسفة ما بعد الحدثة فالحدثة انتهت ، وبانتهائها وصلنا الى اللا شيء ، الى العدم . وفلسفته في التاريخ كانت وسيلته في نقده للحدثة، فهو كالفيلسوفة الاميركية من اصل الماني حنة ارنت Hannah Arendt نقد الفكر الغربي المتمركز حول ذاته، واسلوب الحدثة في تفسير التاريخ، بل وامال

⁽⁹⁸⁾ المصدر نفسه ، ص 261 .

⁽⁹⁹⁾ المصدر نفسه ، ص 161 .

⁽¹⁰⁰⁾ سيوران ، ايميل : المياه كلها بلون الغرق ، ص 73 .

⁽¹⁰¹⁾ لا فيتش ، ايفاتيكولا : حوار مع المفكر اميل سيوران ، المسرة ، 2010

⁽¹⁰²⁾ المصدر نفسه .

⁽¹⁰³⁾ سيوران ، ايميل : مثالب الولادة ، ص 16-17 .

ووعود الحداثة كلها. وما قوله (تبدا كل حضارة باسطورة وتنتهي بشك)⁽¹⁰⁴⁾. الا اشارة لموت السرديات الحداثية الكبرى.

وفي الختام لابد ان نضع النقط على الحروف لاجل ان يصل المعنى: صرح سيوران ان نصوصه كانت مقطعية (سبب الكسل، سبب الترق، سبب القرف، لكن لاسباب اخرى ايضا...) ⁽¹⁰⁵⁾.

فضلا عن ان اسلوبه المجازي البلاغي الصعب تمذجته ، فكيف يمكن تفسير وتأويل كلام يعج بالرؤى الشعرية؟ من يغامر في تفسير ما لايفسر وما لايفهم؟ كيف التعامل مع نصوص يؤمن صاحبها بان ينفي كل ما هو قابل للتصنيف ولا يبقى الا ما كان(جمال اوجه)، فماسة الكاتب الحقيقية حينما يتم فهمه؟⁽¹⁰⁶⁾. لكل ذلك نحن لاندعي ان رحلتنا البحرية في فكر سيوران كانت امانة. افادتنا منها كانت صورة واحدة من صور فكره المتعدد(جمال الاوجه)، لتخرج على تلك الهيئة، وليغفر لنا سيوران ذلك المونتاج واجتهادنا في اضافة رتوش لانعلم موقفه منها لو كان بيننا. وما عذرنا، واجتهادنا في حياكة خيوط نصوصه لتشكيل نسيجنا موحد الا محاولة منا لا يصال بعض افكاره لكل متلقي لا يمكنه، كالمتلقي المختص، الافادة من الاطلاع على نصوصه المقطعية.

⁽¹⁰⁴⁾ زناز ، حميد : المعنى والغضب ، ص78 .

⁽¹⁰⁵⁾ سيوران ، ايميل : مقتطفات من كتاب اعترافات ولعنات ، ترجمة: محمد علي اليوسفي ، مجلة المسرة الالكترونية ، اكتوبر ، 2012 .
www.al-maseera.com.

⁽¹⁰⁶⁾ زناز حميد : المعنى والغضب ، ص57-58 .

قائمة المصادر :

– مؤلفات أميل سيوران :

- المياه كلها بلون الغرق ، ترجمة : آدم فتحي ، المانيا ، 2003 .
- تاريخ ويوتوبيا ، ترجمة : آدم فتحي ، بيروت – بغداد ، 2010 .
- توقيعات ، ترجمة: لقمان سليم ، مراجعة : وضاح شرارة ، لبنان ، 1991 .
- لو كان آدم سعيداً، ترجمة وتقويم: محمد علي اليوسفي ، الاردن ، 2008 .
- مثالب الولادة ، ترجمة : آدم فتحي ، بيروت – بغداد ، 2015 .

– المصادر الثانوية :

- ابو فاخر ، مورييس ، التنوير في اشكالاته ودلالاته ، لبنان ، 2011 .
- دوبريه ، ريجس ، نقد العقل ، ترجمة: عفيف دمشقية ، بيروت ، 1986 .
- زناز، حميد: المعنى والغضب، مدخل الى فلسفة سيوران، الجزائر، 2009

المصادر باللغة الانجليزية والشبكة العنكبوتية :

- Edward , Pauk : The encyclopedia of philosophy , New York , 1967 .
- Cioran , E-mil : wikipedia .
- سيوران، اميل: مقتطفات من كتاب اعترافات ولعنات، ترجمة محمد علي اليوسفي، مجلة المسرة الالكترونية، اكتوبر، 2012، www.al-maseera.com
- ،ايفانيكولا: حوار مع المفكر اميل سيوران، المسرة، 2010 لافيتش
- <https://azooof.wordpress.com>
- مستقبل العالم وفق سيوران ، فلم وثائقي m.youtube.com ، 2013/12/14 .

**المرأة الشنقيطية ونوازل الزينة والبدانة
(وقفه مع المنحى الاجتماعي في التوجه الإفتائي)**

بقلم: د. محمد بن أحمد بن المحبوبي

رئيس شعبة اللغة العربية وآدابها

بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية

نواكشوط - موريتانيا

**Summary of an essay on the
“The Mauritanian woman and jurisprudential issues related to
Beauty (make-up) and obesity”**

A-Abstract

This essay seeks to highlight the efforts of the Shankeeti (old Mauritanian) people (in particular interested scholars and jurists) in the field of jurisprudential issues and novel cases related to women. In fact, they have looked at the issues of the woman carefully and produced important theorization on them, in different levels and scopes, whether concerning women's meals organized in the form of rotation feeding system (locally called “*Wengala*”), in regards to the corporal volume increasing and matters of obesity and fattening (called “*Teblah*” in local Arabic ‘Hassania’ dialect) or concerning the problematic raised by means and tools of adornment and beauty (“*Sherwita*”, piercing of girls’ ears for earrings);

B-Key words:

- “*Wengala*”(Hassaniaa dialect), a collective contract, in virtue of which, a rotation system is applied for feeding and the supporting of meals and food supply costs, in one day of the feeding cycle of which the duration is mutually agreed by persons or families involved in the contract.
- “*Teblah*” (Hassaniaa dialect), overfeeding for the fattening of the woman so as to increase her weight and expand her size, by forcing her to eat and drink too much until her body become huge.
- “*Lihssan*” (Hassaniaa dialect) which consists in buying and prepaying milk still in dairy cattle udders for a certain period during which the cattle herd (milkman) shall bring to those who contracted with him the milk produced by one or more milking animals (a cow, she-camel for example).
- “*Sherwita*” (from Hassania dialect) which consists of two curved arcs on which we twist a breach of cloth, threads or black fibers; then they are tied to the bottoms of women’s hair with that fully fix them over the head. It is a traditional decoration (make-up) that was common in the old Shanqeeti (Mauritanian) society.

ما من شك في أن الإسلام أنزل المرأة منزلة كريمة، فأخرجها من الظلمة إلى النور، ومن مهانة الوأد وخزي التبرج والسفور، إلى علو المنزلة وعزة الستر والتلبث بظل القصور، فانتقل موقف الرجل تجاهها من الإجحاف إلى الإنصاف، ومن التكميم إلى التكرم، ومن التحقير إلى التوقير، فكانت في الجاهلية تعضل وتورث كرها، وأصبحت مع الإسلام محترمة تستشار وتعطى القنطار نحلة ومهرا، ففتحت أمامها أبواب الدراسة وفرص العمل، لتنظر إلى الحياة بمديد التوقع وفسيح الأمل.

والقارئ لنصوص الشرع يدرك جليا أنها قد أكرمت أمًّا وزوجاً وبتاً وأختاً واستوصي بها خيراً، فمن الواضح أن القرآن الكريم خص النساء بسورة كاملة، واختص الصديقة مريم ابنت عمران بسورة أخرى، وتعززت تلك الخصوصية بسورة المتحنة التي جاءت لتحدث عن مبايعة النساء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعتهم له. ومن هنالك جاءت المدونات الإفتائية⁽¹⁾ لتعني بفقهاء المرأة ساعية إلى تبسيطه وتنشيطه، وفي هذا السياق تتنزل عناية الشناقطة بالفتاوى المتعلقة بشأن النساء، وذلك هو موضوع هذه المعالجة التي تأمل أن تحفر في حقل النوازل الشنقيطية ذات الصلة بالمرأة وشؤونها محاولة أن تستجلي جوانب عديدة من فقه النساء، خاصة ما يتعلق منه بأحكام البدانة والتسمين، وإشكالات الزينة والتجميل.

ذلك ما يسعى هذا الجهد إلى إيضاحه، آملاً أن يوصل للناس القول في بعض إشكالات فقه المرأة محاولاً أن يقرأ الفتاوى الشنقيطية قراءة جادة تستكنه الأعماق وتستفتح الأغلاق متلبثة يسيراً مع المحاور الآتية:

المحور الأول: إشكالات المنهج والتأسيس

وخلافاً ستحدث عن مسألتين: أولاهما تعنى بمحاورة العنوان وتحليله، وثانيتهما تعنى بمقاربة الموضوع وتأصيله.

أ- العنوان محاورة وتحليل:

الواضح أن عنوان هذا الموضوع يتألف من ثلاثة تركيبات نحوية، أولها نعتي: "المرأة الموريتانية" وثانيهما إضافي "نوازل الزينة" وثالثها عطف "والبدانة"، وقد ربطت بينهما أداة العطف "و" التي جاءت للربط والتنسيق واللحمة والتأليف، مجانسة بين عناصر العنوان، وداعية الباحث في الوقت نفسه إلى الكشف عن مستويات التجاوب والتجاذب بين إلزامات الشرع وإكراهات الواقع، في فقه المرأة ضمن مدونات الإفتاء الشنقيطي.

وهكذا فالتركيب الأول يقوم على وحدتين معجميتين أولاهما "المرأة" وهي معروفة، ولئن لا يعرف أصولها المعجمية فهي مؤنث لكلمة "المرء" وقد ورد في أكثر المعاجم "المرء هو الإنسان والأنثى منه امرأة" بإضافة تاء التأنيث، وقد تلحق بها همزة الوصل: امرأة وهي اسم للمبالغة⁽²⁾.

و"الشنقيطية" نسبة إلى بلاد شنقيط، وهي مؤلفة من كلمة "شنقيط" واللاحقة "ية" وهي تفيد انتساب هذه المرأة إلى "بلاد شنقيط"، و"شنقيط" التي تمت النسبة إليها مدينة في الشمال الموريتاني، وكانت في القدم تطلق على المجال

¹ - مقصودنا بالمدونات الإفتائية: تلك المجموعات الضخمة التي دونت في حقل النوازل والفتاوى، وهي في أغلبها مرتبة حسب أبواب الفقه، ومن أبرزها المجموعة الكبرى الشاملة لفتاوى ونوازل وأحكام أهل غرب وجنوب غرب الصحراء، وهي مدونة تحتوى (6800 فتوى ونازلة وحكم) وهي من تأليف الدكتور يحيى بن البراء، وقد نشرت بعناية المرحوم مولاي الحسن بن المختار الحسن، وهي صادرة عن دار المنار في نواكشوط، 2009.

² - المرجع السابق، مادة "مرأ" وكذا القاموس المحيط.

الجغرافي المعروف اليوم بـ "موريتانيا"، فهي تسمية أطلقها أبناء البلاد العربية على سكان هذه الأرض فقبلوها عن طيب خاطر ورحابة صدر، وصاروا لا يعرفون خارج بلدهم إلا بها، ولعل الأصل في اعتمادها أن مدينة شنقيط كانت منارة العلم ومركز التجارة ومنطلق ركب الحجيج، إذ يؤمها من حولها من أهل القرى، فقد أصبحت منذ أواخر القرن العاشر ذات شهرة كبيرة وسيرورة بين الناس، فهذه التسمية تحمل دفء معرفيا وعمقا تاريخيا وبعدا حضاريا، لذلك اعتمدت في عناوين عدد من الكتب والدراسات والبحوث المتعلقة بمعارف البلد وتاريخه الثقافي⁽¹⁾.

أما التركيب الثاني "نوازل الزينة" فهو مؤلف من كلمتين أولاهما "نوازل" جمع نازلة وهي الشدة تزل بالقوم وقيل هي الشدة من الدهر أو المصيبة وفي الاصطلاح هي المسألة الطارئة وعرفها الفقهاء بأنها الواقعة التي تتطلب حكما شرعيا وليس فيها نص من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا فتوى سابقة⁽²⁾. فهي إذن الوقائع المستحقة والحوادث التي لم يرد بشأنها نص صريح ولا فتوى سابقة مما يجعلها تستدعي بذل الجهد واستفراغ الوسع حتى يخرج حكمها ويناط بأمر الشرع⁽³⁾، وثانيتها "الزينة" بالكسر وهي ما يتزين به كالزيان، ويوم الزينة العيد⁽⁴⁾ ويأتي التركيب الثالث عطفيا "والبدانة" ليعرض لأمر السمنة، فالبدانة مصدر قياسي من بدُن ككرم ونصر بدنا، ويضم. وبداناً وبدانة بفتحهما، والبادن والبدن والمبدن كمعظم الجسيم وهي بادنة وبدن، جمعه ككتب وركع⁽⁵⁾.

ومقصودنا من العنوان جملة هو التنبيه إلى جوانب من الإشكالات المتعلقة بخصوصيات المرأة في الفقه الإسلامي، خاصة في نسخته الشنقيطية، وذلك على نحو يروم التركيز على إلزامات الشرع وإكراهات الواقع ضمن المنحى الاجتماعي من المدونات الإفتائية. وقد أبلى الفقهاء الشناقطة في هذا الجانب بلاء حسنا وخلفوا تراثا ثرا ينصف المرأة ويعطيها حقوقها كاملة غير منقوصة.

ب- الموضوع مقارنة وتأصيل:

ما من شك في أن للمرأة في الثقافة العربية الإسلامية حضورا كبيرا، وقد تضاعف هذا الحضور لدى الشناقطة الذين احتفوا بالمرأة احتفاء ما هو بالقليل، فكانوا يعنون بخدمتها موفرين لها كل أسباب المتعة والراحة، فاتبذوا كل ما يسوءها وراء الظهور، وأتفوها بغالي التحف وعظيم المهور، فجنّبوا بذلك كل تعب وعناء، جاعلين منها أعظم مصنع للتربية وإنتاج الأبناء، فهي أميرة الأسرة وسيدة البيت "فكأن النساء عندهم لم يخلقن إلا للتبجيل والإكرام والتودد لهن، فلا تعنيف عليهن ولا تكليف، فالمرأة هي القيم على جميع ما يتعلق بالبيت من متاع وماشية، والرجل بمثابة الضيف، فلها أن

¹ - نذكر على سبيل المثال الوسيط في تراجم أدباء شنقيط لأحمد بن الأمين، وبلاد شنقيط المنارة والرباط الخليل النحوي، الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر أحمد بن الحسن، نشأة الشعر الفصيح في بلاد شنقيط عبد الله بن ابنحميده، وأدب الرحلة في بلاد شنقيط الدكتور محمد بن أحمد بن المحبوبي.

² - المجموعة الكبرى يحيى بن البراء 383/1.

³ - الشناقطة وفقه النوازل والفتوى د. محمد بن أحمد المحبوبي مقال مرقون بحوزتنا ص 5

⁴ - القاموس، مادة زين.

⁵ - القاموس المحيط، مادة بدن.

تفعل ما تشاء من غير اعتراض ولا مراقبة، وليس من العادة أن تفعل شيئا من الخدمة في بيتها إلا أن تكون في بيت فقير فتفعل من ذلك ما لا يناسب الرجل مباشرته⁽¹⁾.

وقد أصبح هذا التكريم لدى الشناقطة تقليدا متبعا وعرفا لازما؛ فالجميع مطالب أن يعطف على المرأة ويعاملها بكل إكبار وتقدير وبكل مودة واحترام، وذلك ما عبرت عنه لهجة القوم (الحسانية) في ألفاظ يسيرة ودلالات عميقة تنصف النساء وترفع من شأنهن مؤكدة أنهن "عمائم الأجواد، ونعائل الأندال"⁽²⁾.

وبذلك يتجلى حضور المرأة المتميز في مختلف نواحي الحياة؛ فقد هيأتها البادية الموريتانية للاضطلاع بدور كبير يشمل إدارة شؤون الأسرة والاستشارة في أمور السياسة إضافة إلى تغطية خدمات البيت والمشاركة أحيانا في صغاب الأعمال، بل إنها في بعض الأوقات قد تعوض مجهود الرجل؛ فهي "تتمتع بمكانة مرموقة مثلما كان عليه الأمر في المجتمع الصنهاجي"⁽³⁾ تشارك الرجال في ميدان المعرفة، وتشاطرهم الرأي في الأمور السياسية، ولها الصدارة في تسيير شؤون الأسرة ورعاية مصالحها"⁽⁴⁾.

وأكثر من ذلك فإنها قد تسهم في تنظيم مسطرة قانون الأسرة متدخلة في جانب الأحوال الشخصية فمثلت بذلك استثناء منقطعاً بين نظيراتها في نساء المنطقة، وقد تجلّى ذلك واضحا في صياغة شروط العقد لدى بعض أبناء هذا المجتمع؛ إذ تنص على نفي السابقة واللاحقة.

وبذلك فإن المرأة الموريتانية فرضت وجودها بنفسها فأثرت في التشريعات المعمول بها في جل الأقطار الإسلامية، من ذلك مثلا وقوفها في وجه موجات تعدد الزوجات، وصدورها عن ظاهرة الاختلاط في حدود مقبولة لا تنافي مقاصد الشرع وصيانة العرض؛ كما اقتضت سنة التعايش في الوسط الريفي المفتوح توسيع دور المرأة الاجتماعي توسيعا كبيرا يحكم أن الرجل يتغيب كثيرا⁽⁵⁾.

وقد ألقى التكريم المذكور بظلاله على مكانة المرأة في النوازل الشنقيطية فكان لها حضور كبير على ألسنة الفقهاء وأقلامهم، فتناولوا مختلف الأحكام الشرعية المتعلقة بما تناولا متنوعا شمل حقولا متعددة تقتصر منها هنا على موضوعي الزينة والبدانية.

1 - المختار بن حامدن، الحياة الثقافية، الجزء الثقافي، دار الكتب العربية، تونس: 1990 ص: 179-180

2 - المرجع السابق والصفحة.

3 - ونقصد به المجتمع الذي كان يدار من قبل صنهاجة، وهو مجموعة بشرية لها خصوصياتها العلمية والاجتماعية كانت في القدم تسكن المجال الشنقيطي، وأسهمت في توجيه سياسته وثقافته إلى حد كبير.

4 - محمد بن باباه: الشيخ محمد اليدالي ووسطه الاجتماعي (تشمشه) مرقون بحوزة المؤلف 50/2-51، وهذا كتاب بالغ الأهمية يستعرض جانبا من التاريخ الثقافي في بلاد شنقيط متناولا بشكل خاص منطقة الجنوب الغربي من هذه البلاد، ومركزا بشكل أخص على سيرة علم من أبرز علماء البلاد وأكثرهم عطاء خلال القرن الثاني عشر الهجري السابع عشر الميلادي.

5 - المرجع السابق والصفحة.

ولعل من أوائل الشناقطة الذين تعرضوا لفقه المرأة الشيخ محمد اليدالي⁽¹⁾ الذي ألف رسالة خاصة ينصح ضمنها لقومه تشمشمه⁽²⁾ ويحذرهم من خطر التبرج والاختلاط مذكرا النساء على وجه الخصوص بأهمية لزوم البيوت والالتزام بطاعة الأزواج؛ فعليهن ألا يخرجن إلا بعد المشورة والاستئذان، وأن لا يختلطن بالأجانب. وينتهي به الأمر إلى إيراد بعض النصوص الواردة في شأن من يترك زوجته تخرج إلى المنكرات أو من يقر في أهله العنت والفاحشة، فهذا الصنف من الناس ملعون مغضوب عليهم، وهم ممن حرم الله عليه الجنة ومأواه النار، يقول: "كفوا النساء عن التبرج والتمرد على أزواجهن والخروج بغير إذن، ودخول الأجانب عليهن، وتارك زوجته كذلك هو المسمى في الحديث بالديوث"⁽³⁾.

ولم يقف اليدالي عند هذا الحد بل انتهى إلى القول بإسقاط شهادة من يسمح لزوجته بالخروج إلى ساحات المنكر وأعراس الأجانب مستدلا لرأيه بأبيات فقهية تجعل من هذا الصنيع معصية وفسقا يمنع الإمامة ويقدر في الشهادة، يقول: "قال ابن الوردي: من ترك زوجته تمشي إلى عرس الأجانب أو عرس قريب فيه ما لا يباح من التبرج فذلك جرحه في شهادته، وكذلك من ترك زوجته تمشي إلى محال سوء، قال:

إن في خروج زوجة زوج سمح فهو عاص فاسق بما جرح
وساقط عن رتبة العدالة بلا شهادة ولا إمامة⁽⁴⁾

وقد أعانته على ذلك قوم آخرون من أمثال الشيخ سيد المختار الكنتي⁽⁵⁾، والشيخ سيد عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي⁽⁶⁾، والشيخ سيدي الكبير الانتشائي⁽⁷⁾، والشيخ محمد المامي الباركللي⁽⁸⁾، ومحمد الكصري الإيديلي⁽¹⁾، والشيخ التراد بن العباس القلقمي⁽²⁾، وغيرهم.

1 - هو محمد بن المختار بن محمد سعيد اليدالي (1096-1166هـ) عالم جليل وشيخ محظرة ومؤلف متميز، يعد من أبرز رواد التأليف الثقافي الموريتاني، له مؤلفات منها: الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز، وفرائد الفوائد في علم العقائد، وخاتمة التصوف وشرحها، والحلة السيرا في أنساب العرب وسيرة خيرى الورى، وشيم الزوايا، ورسالة في النصح والأمر بالمعروف، بالإضافة إلى ديوان شعري ومجموعة من الفتاوى.

2 - وتطلق على تجمع خماسي من القبائل الموريتانية يشمل أولاد ديمان، وبني يعقوب، والألفيين، واليداليين، واليدمسين.

3 - الشيخ محمد اليدالي: نصوص من التاريخ الموريتاني، تحقيق محمد ولد باباه، بيت الحكمة، تونس، 1990 رسالة النصيحة، ص: 201

4 - المرجع السابق، ص: 203

5 - الشيخ سيد المختار بن أحمد بن أبي بكر، فقيه متفنن وصوفي، من قبيلة كنته القاطنين بأزواد، توفي: 1226هـ له مؤلفات عديدة منها هداية الطالب وفقه الأعيان والرشاد وغيرها.

6 - هو سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي (ت 1233هـ) فقيه متمكن وأصولي ومؤلف ومدرس، مكث أربعين سنة يطلب العلم، أخذ عن الطالب عبد الرحمن امبابه بن بوكسه العلوي وعن المختار بن بونه، وعن سيدي عبد الله بن الفاضل البركي، رحل إلى الحج فلقى العلماء في الحجاز ومصر وذاكرهم وأخذ عن محمد الباني والتودي الفاسيين، له مؤلفات منها: مراقي السعود في الأصول، وشرحه نشر البنود، وطلعة الأنوار، وشرحها هدي الأبرار في مصطلح الحديث، وطرد الضوال والهمل عن الكروع في حياض العمل، وغيرها.

7 - الشيخ سيدي بن المختار بن الهيبه، الانتشائي، (ت 1284هـ) فقيه صوفي، شاعر متميز، وقطب من أقطاب العلم والتصوف، له مؤلفات منها تحفة الأطفال لحل عقد لامية الأفعال، وشرح الآجرومية، وشرح القاموس، ومجموعة من الرسائل والفتاوى.

8 - هو الشيخ محمد المامي بن البخاري بن حبيب الله بن باركلل، (ت 1288هـ) فقيه وموسوعي وأصولي وشاعر ومتصوف، من مؤلفاته الدلفينية والبادية، ونظم خليل، ونظم في تفسير القرآن، وأنظم في اللغة وغيرها.

الخوَر الثاني: الشنقيطية ونوازل البدانة والتسمين

ونقصد بها مجموعة من الفتاوي وثيقة الصلة بالمرأة و حياة المجتمع وهموم الناس؛ إذ تعنى بشؤون السمينة وزيادة حجم المرأة وضخامة أعضائها، وسنركز في هذا المقام على ثلاثة موضوعات تهم برصد النوازل المتعلقة بثلاثة مصطلحات حسانية تمثل جانبا من خصوصية المجتمع الشنقيطي وتميزه، وهذه المصطلحات هي: "ونكالة، التبلاخ، لحسان" وما من شك في أن هذه المصطلحات ترتبط بتناول الأغذية والمشروبات، وخاصة واللحوم والألبان ومختلف الأطعمة، لذلك جمعناها تحت عنوان "نوازل البدانة والتسمين" وسنعرض لإيضاح هذه المصطلحات الغذائية في ما يأتي:

1- وَنْكَالَة:

وهي بواو مفتوحة ونون ساكنة وكاف منعقدة فارسية (گ) بعدها ألف مد، بعد ذلك لام مرققة مفتوحة متصلة بها هاء السكت حسانية عامية، وهي عبارة عن تعاقد جماعي وتشارطي إلزامي، يتم خلاله التناوب على الإطعام، وتحمل تكاليف الوجبات ولوازم التغذية في يوم من أيام دورة الإطعام التي يتم التفاهم عليها، فتتفق جماعة محدودة العدد على أن يتولى كل واحد منهم يوما تغطية تكاليف الإنفاق على المجموعة وذلك إما بذبح شاة أو عجل أو فصيل، ليتم توزيعه بينهم بالسوية، وقد يقع الاتفاق على أن تقوم هذه الوجبة مقام الغداء أو العشاء، ويستمر التناوب على هذه الهئية حتى تمر الدولة بأفراد المجموعة كلهم وذلك بإحضار وجبة جاهزة. وإن شاؤوا زادوا دورة ثانية أو ثالثة⁽³⁾، و"ونكالة" هذه أنواع كثيرة منها ما يختص بالرجال ومنها ما يختص بالنساء، ووقتها المختار يمتد من فاتحة فصل الشتاء إلى أوائل فصل الربيع (تفْسُك).

وقد تناول حكمها نخبة من علماء القوم منبهين إلى جوازها إذا وقعت مكارمة ومسامحة، وقوبلت الشياه قبل الذبح. في حين رجحوا حرمتها إذا تغيب شرط من هذه الشروط، ولعل أقدمهم تناولا للموضوع هو سيد عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي⁽⁴⁾، الذي سطر رسالة تقع في أربع صفحات ونصف من الحجم المتوسط سماها "تحرير المقالة في تحريم ونكالة" يقول فيها: "أقول من أراد السلامة فليجمع الطعام والإيدام وأن تتولى طبخه واحدة، قاله الخطاب، قال ابن جماعة وقد تناهد الصحابة من السلف، والتناهد أن يخرج كل واحد من الرفقة شيئا يدفعونه إلى رجل منهم ينفق عليهم، ويأكلونه جميعا، وقال الخطاب في شرح مناسك خليل، إنهم إذا جتمعوا على أن يخرج

¹ - الكصري بن محمد بن المختار بن عثمان الكصري، (ت1235هـ) فقيه نوازلي عالي الكعب، وقاض مشهور، من قبيلة إيدلب، أخذ عن الطالب البشير بن الحاج الهادي، أسس محظرة كبيرة وأخذ عنه جماعة منهم محمد بن البشير بن الحاج الهادي، وصالح بن عبد الوهاب، مارس القضاء والإفتاء بمدينة النعمة، له مؤلفات منها شرح جيد لمختصر خليل سماه فتح الجليل، ومجموعة إفتائية ضخمة.

² - هو الشيخ التراد بن العباس بن الشيخ الحضرمي بن الشيخ محمد فاضل، (ت1365هـ) فقيه مدرّس، وصوفي، وشاعر.. كان شيخ حضرة صوفية قادرية متميزة.

³ - لم نجد تعريفا مسطورا لهذه العادة الغذائية وإنما هذه الكلمات محاولة منا للتعريف بهذه الظاهرة المعروفة والمتداولة في بلادنا، وقد عشناها وشاهدناها، لذلك بذلنا جهدا في التعريف بما واضعين لها هذا الحد حسبما بدا لنا والله أعلم.

⁴ - هو سيد عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي ت1233هـ عالم جليل وشيخ محظرة أخذ عن المختار بن بونه ورحل إلى المشرق والتقى عدد من العلماء له مؤلفات منها مراقي السعود وشرحه نشر البنود، ويسر الناظرين ونور الأفاح في البلاغة وغيرها.

كل واحد منهم طعاما من عنده لأصحابه يوما، فالظاهر أنه لا يجوز إذا كان على سبيل المكايسة، يعني المعاوضة، لأنه بيع طعام بطعام من غير مناجزة، وللغرر أما إذا فعل على سبيل المكارمة والمطايبة فلا بأس به⁽¹⁾. كما حرر الشيخ محنض باب بن اعبيد الديامي⁽²⁾ فتوى مركزة يقول: "وأما ونكالة فأنواع كثيرة منها ما يجوز وهو إخراج شياه أو بقرات مشترك فيها أربابها قبل الذبح فتكون كل واحدة ملكا لجميعهم ثم يقتسمون اللحم بمراضاة أو قرعة معتدلة، ومنها ما لا يجوز إلا أن تدعو الحاجة إليه وهو أن كل واحد يأتي بشاه ويذبحها في يومه لأنه من بيع اللحم بالحيوان وفيه طعام بطعام مؤخر⁽³⁾" ثم يخص تناوب النساء على الإطعام بفتوى تؤكد منع ذلك وحرمة يقول: "ومما يمنع تداول النساء بينهن كل واحدة تصنع لهن عيشا مأدوما لأنه طعام بطعام مؤخر، ولا يبيح ذلك خلط زروعهن ثم يخلطن الإدام كل يوم لتأخير الإدام عن الطعام والله تعالى أعلم"⁽⁴⁾ وقد نظم زين بن الحمد اليدالي⁽⁵⁾ هذه الفتوى بقوله⁽⁶⁾:

خلط الطعام صانع قد جازا	لدى الإمام مالك جوازا
مسألة لمالك جليصة	يبدوها حاجية كليصة
وإن تقابلت نعاج واشترك	فيها كشيائه لـ "ونكالة" ترك
واقتسموا مع تراض واعتدال	وقرعة تسد أبواب الجدال
والحل في "ونكالة" سد بابيه	للعيش للنساء محنض بابيه

وقد جمع محمد مولود بن أحمد فال الموسوي⁽⁷⁾ رسالة مفيدة في شأن "ونكالة" مبينا حكمها وأقوال العلماء فيها يقول: "أما بعد وفقنا الله وإياك فقد عمت البلوى بـ "ونكالة" في هذا القطر لعموم الحاجة إليها لفقد أسواق الطعام... فنقل ابن الحاج أنه يجوز أن يخرج كل واحد من الرفقة شيئا يدفعونه لرجل ينفق عليهم ويأكلونه..

¹ - فتوى العلامة سيد عبد الله بن الحاج إبراهيم: جمع وتحقيق محمد الأمين بن محمد بيه ط 1 2002 ص 359.

² - هو محنض بابيه بن اعبيد الديامي (1185-1277هـ) فقيه متضلّع دعا إلى نصب الإمام وإقامة الدولة وعمل جهده على تطبيق الحدود الشرعية بالتعاون مع الأمير محمد لحبيب له مؤلفات منها ميسر الجليل على مختصر خليل بالإضافة إلى مجموعة من الفتاوى والأنظمة وبعض الأشعار والمقامات. المجموعة الكبرى لابن البراء مرجع سابق ج 2 ص 282

³ - د. د. محمد بن أحمد بن المحبوبي: البعد الاجتماعي في النوازل الشنقيطية. مقال مرقون بحوزتنا ص 5.

⁴ - المرجع السابق والصفحة

⁵ - هو زين بن احمد اليدالي (1277-1358هـ) عالم جليل وفقه مفت ونظامه متبحر له مؤلفات عديدة منها نظم فتاوى محنض بابيه وطريق السداد إلى معرفة الضاد وأنظمة عديدة في علوم القرآن أنظر ترجمته في كتاب طريق السداد في معرفة أمر الضاد لصاحب الترجمة نفسه تحقيق محمد بن أحمد بن المحبوبي مطبعة المنارة بنواكشوط 2006 ص 15..

⁶ - البعد الاجتماعي في النوازل الشنقيطية مرجع سابق ص 5.

⁷ - هو محمد مولود بن أحمد فال الموسوي اليعقوبي (1259-1323هـ) عالم جليل ومؤلف مجيد أخذ النحو عن محمد عالي بن سيدي الحيلسي والفقه عن والده أحمد فال كما أخذ عن والده محمد فال بن متالي وعن محمد مختار (أبوه) بن حبيب الله اليعقوبي، تجاوزت مؤلفاته السبعين وقد تلقاها الناس، عني كثير بالتأليف في الأخلاق والآداب الفاضلة وتطهير القلوب وتأديب الأبناء ومن أبرز مؤلفاته كفاف المبتدي في فني العبادات والتعبد. ونظم المترادف في القرآن وبصائر التالين لكتاب رب العالمين ومظهرة القلوب ومحارم اللسان وغيرها. أنظر المجموعة الكبرى لابن البراء مرجع سابق ج 2 ص 262.

والظاهر أنهم إن اجتمعوا أن يخرج كل واحد طعاما من عنده لأصحابه يوما جاز إن كان على سبيل المكارمة والمطايبة ويحرم إن كان على سبيل المكايسة يعني المعاوضة لأنه طعام بطعام إلى أجل وللجهل وللغرر⁽¹⁾.

ثم يسترسل معززا رأيه بأقوال العلماء مؤكدا حرمة ونكالة خاصة تلك التي يقوم بها النساء لما ينجم عنها من غيبة وغنمة يقول: ".. وبه تعلم أن ونكالة حرام إذ القصد فيها المعاوضة لأن من لم تفعل مثل التي قبلها أو أفضل عيب عليها أشد العيب، هذا بالنسبة لذات "ونكاله" أما بالنظر إلى عوارضها اللازمة لها من غيبة وغنمة وشتم وتفاخر وتكاثر بأمور لا توصف، ووسيلة الحرام حرام⁽²⁾.

أما حيمده بن انجبان⁽³⁾ فقد فصل هو الآخر القول في شأن هذه العادة الغذائية منبها إلى أنها ضربان: ضرب يشبه يشبه النهد (جمع الأزواد) ويمثله، وهو جائز، وضرب آخر يقع فيه الغبن والغرر، ولا يجوز إلا على شرط المكارمة، يقول⁽⁴⁾:

وَنَكَالَ" قَدْ تَأْتِي عَلَى ضَرَبَيْنِ	ضَرْبٌ مِنَ النَّهْدِ بِدُونِ مِيزَانٍ
أَنْ يَخْلُطَ الْمُسَافِرُونَ النِّفَقَاتِ	لَهُمْ وَذَا يَجُوزُ لِلْمُرَافِقَاتِ
وَالثَّانِي هُوَ مَا لَدَيْنَا أَشْتَهَرَا	إِذَا عَلَى الْمَكَارِمَاتِ قَدْ جَرَى
دُونَ التَّرْقُوبِ أَوْ التَّشْوِيفِ	إِلَى تَمَاطُلِ فَفَقْدِهِ يَفِي
فَهُوَ مَعْرُوفٌ وَذَا لَا تَحْظُرُهُ	مِنْهَا عَلَى مَا بَعْضُهُمْ قَدْ شَهَرَهُ
وَجُوزُهُمَا إِذَا أَشْتَرَوْا شَيْئَا	وَاشْتَرَكُوا فِي مَا أَشْتَرَوْا مِنَ الشَّيْءِ
فَإِنْ تَكُنْ وَاحِدَةً تَلْفَتْ	يَكُونُ مِنْهُمْ مَا مِنَ الْمَصِيئَةِ

والخلاصة أن "ونكاله" إذا كانت على طريقة المكارمة والمطايبة، أو قبلت شياها قبل الذبح جازت، وإن لم يقع ذلك منعت، وقد نظم هذا الحكم في بيت جار على الألسنة مشهور هو قوله⁽⁵⁾:

وحيث لم تقابل الشياها فالحل في "ونكاله" لا أراه

1 - مخطوط بمكتبة التيسير بانواكشوط وقد سبق التعريف بها.

2 - المخطوط السابق نفسه.

3 - هو حيمده بن انجبان التندغي 1247-1329هـ عالم جليل كان شيخ محظرة كبيرة هي امتداد لمحظرة شيخه محمد بن متالي وقد أخذ عنه كل من نافع بن حبيب بن الزايد، واحمدناه بن غلام، ومحمد عبد الرحمن بن أحمد بن أمغر، له مؤلفات منها الدرر الملقطة في الفقه ومزيل الشك في شرح قفا نيك والماشي في أحكام المعاشي. والروضة الغنا في شرح وصية الشيخ الحسني ونقلة في الاقتصاد البدوي ونظم في آداب المتعلم أنظر ترجمته في المجموعة الكبرى لابن البراء ج 2 ص 88.

4 - محمد بن الكبير نظم الماشي في أحكام المعاشي المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية ص 28.

5 - مقابلة محمد بن زين بن الحبوبى بانواكشوط بتاريخ يناير 2010..

وبذلك نعلم أن "ونكاله" عادة غذائية شغلت بال الفقهاء الشناقطة، فسعوا جهدهم إلى تبين حكمها، فانتهوا إلى جوازها في أكثر الحالات؛ فهي إذن مباحة ولكن بشرط أن يتم التساوي بين الشركاء وينعدم الغبن والتحايل ويتنفي التطاول على بعض أنصاء الآخرين.

2- التبلاخ:

وهو بالتعريف تعقبه تاء مشددة مكسورة بعدها باء ساكنة، بعدها لام ألف، بعدها حاء مبنية على السكون غير معربة، حسانية عامية، ويعني المبالغة في تسمين المرأة حتى يزداد وزنها ويتضاعف حجمها، وذلك بإكراهها على الطعام والشراب أكثر من اللازم حتى تصبح ضخمة الجسم بضمة المتجرد، وهو من كمال زينة المرأة وجمالها عندهم⁽¹⁾. وقد اختلف العلماء في حكم "التبلاخ" فذهبت طائفة منهم إلى جوازه ومنها الشيخ محمد المامي الذي رخص فيه متعللاً بالحاجة إليه لأنه من تمام زينة المرأة وإصلاح بدنها، يقول: "ومن العادة التبلاخ الذي فيه دفع اللبن فيلحق بالحاجي مكمله في هذه، وقياساً على استعمال الطعام في العادات كإصلاح الجلود باللبن للحاجة، فصلاح الأبدان بضياح بعض اللبن أولى لأن الأمور بمقاصدها، وهذه من العادة القديمة فيستصحب استصحاباً مقلوباً إلى الزمن المعاصر في شرعنا أو شرع من قبلنا وكلاهما كاف"⁽²⁾.

أما حيمده بن أنجبنا⁽³⁾ فقد نظم فيه أبياتاً أوضح ضمنها حكم خروج المرأة مع الرعاية طلباً للسمنة وأما في الضخامة يقول⁽⁴⁾:

وامنع خروجها مع الرعاية	لطلب الشحم على العادات
ولو له لم تجدد إلا أن مشيت	مع الرعاية وأبح إن "تيمشت" ⁽⁵⁾
ولم تجد ما يدفع الضرورة	إلا بهذي المشية المذكورة

ونصل إلى حبيب بن الزايد⁽⁶⁾ الذي سطر بشأن هذا الموضوع فتوى جمع فيها أقوال العلماء ولم يتخذ من التبلاخ التبلاخ موقفاً صريحاً إلا أن الآراء التي أورد يفهم منها ميله إلى تحريمه، أو أنه على الأقل خلاف الأولى، وقد عزز

1 - لم تصادف تعريفاً لهذه العادة الغذائية فقمنا بهذا الجهد تقريباً لهذا المصطلح ونشرنا له في الأوساط حتى يتداول ويتناول ، وقد عشنا هذه الظاهرة وشاهدناها، لذلك بذلنا جهدنا في التعريف بما واضعين لها هذا الحد حسبما بدا لنا.

2 - كتاب البادية للشيخ محمد ، مخطوط بمكتبة محمد يحي بن سيد أحمد المجلسي بانواكشوط .

3 - تقدمت ترجمته

4 - مخطوط بمكتبة التيسير في نواكشوط وقد سبق التعريف بها.

5 - تيمشت بناء مفتوحة وياء ساكنة وميم مفتوحة وشين مفتوحة كذلك بعدها تاء التأنيث فعل ماض في الحسانية ومعناه الإصابة بحساسية جلدية على شكل تقرحات وقشوب ومن أبرز علاجها الإكثار من المأكولات والمشروبات التي ألفتها طبيعة المريض في أزمنة ماضية وكانت عندها بمثابة أنظمة غذائية معتادة . (هذا التعريف منا وقد عرضناه على بعض الأشياخ المسنين المتمكنين من اللهجة الحسانية فأجازوه وتقبلوه بقبول حسن).

6 - هو حبيب بن زايد التندغي ت 1364هـ فقيه مشهور وشاعر متمكن أخذ عن والده وعن محمد مولود بن أحمد فال اليعقوبي وعن يحظيه بن عبد الوودود الجكني وعن حيمده بن أنجبنا التندغي كان شيخ محطرة تفرج منها ابنه محمد نافع وأحمدو ، وكذلك محمد عبد الله بن البشير ومحمد محمود بن الواثق المالكيان وان بن الصفي التندغي له مؤلفات في القرآن منها شرح على منظومة بصائر التالين وله في الفقه نظم طرد الضوال لسيد عبد الله بن الحاج ابراهيم بالإضافة إلى مجموعة من الأنظمة والفتاوي. أنظر ترجمته في المجموعة الكبرى لابن البراء ج 2 ص 82.

مسطوره برأى الإمام النووي يقول: "السمن طراً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال النووي إن عدمه أفضل بدليل ما جرى لعائشة رضي الله عنها في قصة حمل الصحابة رضوان الله عليهم لهودجها يظنون أنها فيه، قال الخطاب في باب الأضحية إنه يحرم إذا أدى لضرب أو ضرر بالجسم أو ضياعة للطعام"⁽¹⁾ ثم يعزز هذه الفتوى بمقطع من وصية الهلالي أوضح ضمنه خطر الشبع من الحلال، معددا جملة من أضراره البدنية والدينية، مصرحا أنه يدعو إلى قسوة القلب ويدفع إلى ارتكاب المعاصي، ويحمل على الكسل، ويصرف إلى الفتور عن العبادة، زد على ذلك ما يذكر من تلازم بينه وبين انتقاص الثواب والأجر واشتداد السكرات يقول⁽²⁾:

عشرة من أقبح الخصال	في شبع المرء من الحلال
داهية للسالكين دهيـا	من ذاك قسوة القلوب وهيـا
معصية الإلهـ واهـب الإلـى ⁽³⁾	ومنه إسراع الجوارح إلى
حتى ترى النعاس أحلى من غسل	ومنه إغراء النفوس بالكسل
وذاك داء من يصيب أبـاده	ومنه فقد لذة العبـاده
لأكل ما حرمت الشرعـه	ومنه أنه يرى ذريعـه
يجمعـه من شاسع ودان	ومنه شغل القلب والأبدان
عند الممات وحلول الغمـرات	ومنه فاعلم اشتداد السكرات
فيتخلـف عن السـباق	ومنه نقصان الثواب الباقي
واحدة منها فيكف بالمزید	فهذه عشرة تكفي المريد

ولا يخفى ما في هذه الأبيات من حضور المحاهدات الصوفية القائمة على تركية النفس وتطهير القلوب. والأبيات وإن كان الخطاب فيها موجها إلى المرء فإنه يصدق أيضا على المرأة ونسوق في هذا المقام رأي حمى الله بن الإمام أحمد الشريف التيشيتي⁽⁴⁾، الذي مال إلى جواز تسمين المرأة ولكن على شرط أن لا يؤدي ذلك إلى إتلاف المأكول أو المشروب، فقد أباح للمرأة أن تتناول ما زاد على الشبع منتهيا إلى أن ذلك من تمام الزينة وكمال المتعة، يقول: «يجوز تسمين النساء بما لا يؤدي إلى إفساد الطعام أما ما زاد على الشبع فالصواب جوازه لأنه من كمال المتعة»⁽⁵⁾. وقد عزا هذا الفرع الفقهي إلى الخطاب، محيلا إلى كلامه في الأضحية من شرحه لمختصر خليل يقول: «انظر الخطاب عند قول "خليل" والتغالي فيها»⁽⁶⁾.

¹ - مخطوط بمكتبة التيسير في نواكشوط وقد سبق التعريف بها.

² - المخطوط السابق نفسه.

³ الإلـى: النعم.

⁴ - هو حمى الله بن بوي أحمد الشريف فقيه صوفي من الشرفاء القاطنين في تيشيت أخذ عن محمد المختار بن أحمد بن أمباله كان قاضي تيشيت له من الآثار مجموعة من الأجوبة والأحكام الفقهية ت 1381هـ

⁵ - المجموعة الكبرى ابن البراء 7/ 2672.

⁶ - المرجع السابق والصفحة.

ونجد الفقيه محمد فال بن محمدن الأهمي⁽¹⁾ يقف من التبلاّح موقفا معتدلا يدعو إلى التوسط في أمره محذرا من المبالغة فيه ومحسنا العزو إلى الخطاب يقول⁽²⁾:

وذكر الخطّاب في الأضاحي ألا يجوز فـادح "التبلاّح"

وأكثر من ذلك نقف على بيت لأحد الشناقطة يشير ضمنه إلى أن الأسرة الصديقية اعتنت كثيرا بعائشة رضي الله عنها وهياتها جسميا وعقليا وسلوكيا لتدخل البيت النبوي الشريف على أحسن هيئة، وأكمل حال، يقول⁽³⁾:

وعولجت عائشة لتسمننا قصد الدخول لإمام الأئمة

وننهي حديثنا عن "التبلاّح" بأبيات من منظومة "ظاهرة السحوة" تنتقد هذا التقليد الغذائي مذكّرة أنه يجرّ إلى التعاسة والشقاء أكثر مما يدفع إلى السعادة والاطمئنان، منبهة إلى خطره الصحي وما يلزمه من الإسراف والتبذير يقول⁽⁴⁾:

وليس للبننت اعتراض مطلقا	على "التبلاّح" وكم جر الشقا
في صوحة وشرف ونفوس	إن أرسلت مع خسيس النفس
ترسلها الأسورة للتسمين	من دون حاضن في كل حين
والقاضي أحمد فال للإصلاح	إخراجها منع لـ "التبلاّح"
أفتى بمنع ذاك في أيّات	من ضمنها البيت الشهير الآتي
"وامنع خروجها مع الرعاة"	لطلب الشحم على العادات"

ويسجل أحمد فال بن محمدن فال الموسوي⁽⁵⁾ موقفه من "التبلاّح" ضمن قطعة من الشعر الحساني أوضح خلالها الشروط التي تجعله مباحا، وقد أوجزها في أن يخلو من إتلاف الطعام وإيلاام الأجساد، والضرر بالأبدان محيلا ذلك كله إلى الخطاب. وقد اعتمد في آخر قطعته الحسانية جناسا لطيفا جناسا لطيفا بين لفظي "لهرام" و "لهرام" وذلك لما بين صوتي الحاء والهاء من التقارب الصوتي وهو ما أكسب القطعة إيقاعا موسيقيا، فـ "لهرام" تعني

¹ - محمد فال (بيها) بن محمدن بن أحمد بن العاقب الأهمي ت1334هـ عالم جليل وشيخ محظرة ومفت وقاضي من بيت علم وصلاح وفضل كان عارفا بالقراءات له مؤلفات منها دمية الخراب في ما في القرآن من تصريف وإعراب بالإضافة إلى ديوان شعري. أنظر ترجمته في المجموعة الكبرى لابن البراء ج 2 ص 234.

² - مخطوط بأحد الكنائش (المجاميع الفقهية) بحوزتنا هنا في نواكشوط.

³ - مقابلة مع الشيخ محمد بن محمد المامي في نواكشوط بتاريخ 2014/01/27

⁴ - د. محمد الأمين ولد محمد موسى، مرجع سابق، ص: 28

⁵ - أحمد فال بن محمدن فال بن الأمين بن المختار بن ألفت موسى ت1264هـ فقيه متميز وقاض مشهور له أنظام عديدة أخذ عن والده محمدن فال وعن مولود بن أحمد الجواد رحل إلى المغرب وقضى به زمنا ومن أخذ عنهم ابنه محمد مولود ومحمد عثمان بن أغشمت له من الآثار نظم في السبع المطالب ونظم في أسماء الله الحسنى وشرح على منظومة عبيد ربه في النحو.

الحرص الشديد على حصول المأمول والرغبة الجارحة في قضاء الحاجات في أسرع وقت ممكن، أما "الحرام" فتعني الحرام⁽¹⁾ يقول:

يسلك من يخسر فيه طعام	بأش إكسد التبلايح ابـيح
للطفـل واطـرورت لجسـام	وامن الضرب اعليه الصريح
ذ راه نقـل نقـل تـام	ويل عاد الخطاب اصـحيح
عنه من لهـرام او لـحرام	واخـير افلعـيات اتـريح

وبذلك نعلم أن الفقهاء الشناقطة بذلوا جهدا مشكورا في بيان الحكم الشرعي لظاهرة "التبلايح"، غير أنهم اختلفوا في شأنها بين الحرمة والجواز وفي نظرنا أنه يلزم القصد والتوسط في هذا الموضوع، فـ"التبلايح" يبدوا أنه من حيث المبدأ جائز؛ لأنه من كمال زينة المرأة وتماز رشاقته، غير أنه يلزم أن يقوم على التوسط ويتعد عن المبالغة والمغالاة لما قد ينجر عنه من ضرر في الجسوم وإضاعة للأموال وخطر على الصحة.

3- لـحسان:

بلام مكسورة وحاء ساكنة بعدها سين بعدها ألف مد بعدها نون ساكنة غير معربة، حسانية، ولعل أصلها "الإحسان" بالفصحى فوصلت همزة القطع وبنيت الكلمة على السكون، وهو عندهم عبارة عن شراء لبن حلائب الأنعام وهو ما زال في الضرع لمدة معينة يلزم الراعي خلالها أن يدفع للمشتري لبن حلوب أو عدد من الحلائب كل ليلة أو كل يوم حتى تنتهي الفترة، بحيث يتعاقدان على ذلك ويتعهدان، وهو شائع في البلاد الموريتانية، خاصة منطقة الكبله (الجنوب الغربي)⁽²⁾ وقد تناوله الفقهاء وأفتوا بشأنه، وممن تعرض له حيمد بن انجبنان الذي فصل القول في بعض أحكامه مؤكدا أن ما كان منه بالملكيا هو جائز إذا توفرت فيه شروط السلم، وأما ما كان منه جزافا فغير جائز يقول:⁽³⁾

فهلـو لا بأس به بحال	"لحسان" إذا كان بالملكيا
وكان في القـبض شرطه نـمى	إذا تـوفرت شـروط السـلم
إلا بما من الشـروط كان له	أما شـراؤه جزافا فاحظله

¹ - مقابلة مع الأستاذ أحمد فال بن سيد أحمد 2012/01/15.

² - هذا التعريف هو محاولة منا متواضعة للتعريف بهذه الظاهرة المعروفة والمتداولة في بلادنا، وقد عشناها وشاهدناها، لذلك بذلنا جهدا في التعريف بها واضعين لها هذا الحد حسبما بدا لنا.

³ - محمد بن الكبير تحقيق نظم الماشي مرجع سابق ص 29.

وَمَنْ تعرض لهذا الموضوع محمد بن متالي التندغي⁽¹⁾، فقد سطر فيه فتوى مصرحاً أنه يعد من بين خمسة أمور شاعت في البلاد الشنقيطية وتعامل معها الفقهاء بشيء من الانسيابية والمرونة وكأنهم يراعون بذلك جانباً من خصوصيات المجتمع الشنقيطي فهذه الخماسيات يبدو المنع بادي الرأي فيها ظاهراً، غير أن الإكراهات الاجتماعية حولتها إلى مباحات، لذلك نظر إليها على أنها نوع من الاستثناءات التي يلجؤ إليها في أحوال الضرورة القصوى، ومن المعلوم أن الضرورة تقدر بقدرها وهذه القضايا هي: "بديلة"⁽²⁾، ونكالة، لحسان، الإيجار بالمنفعة، الإيجار بجزء من المحصول . وذلك ما أوضحه الناظم قائلاً⁽³⁾:

ولا بن متالي الولي أسندوا وممن رواه عنه لا يفند

أن خمسة في أرضنا محظورة ولا يبيحها سوى الضرورة

"بديل" و"نكال" مع "الإحسان" ومثلها إجارة الرعيان

واعمل على نضوي فخذ ما حصل ولك ربع أو نصيف مثلاً

ونقرأ أبياتا لمحمد مولود بن أحمد فال⁽⁴⁾ يبين خلالها جواز "لحسان" مبينا ما له من شروط، وقد أجزها في تحديد الأجل وتعجيل الثمن، بأن يؤخذ ساعة العقد أو بعده بأيام قليلة، يضاف إلى ذلك امتلاك اللبن المبيع وينتتم الأبيات بذكر الخلاف الوارد في تعيين مقدار الحليب، يقول⁽⁵⁾:

لا بأس يامساوي بالإحسان إن وقع الإحسان في الإبان

في أمـد لا ينقص الدرب إلى بلوغه وثمان قد عـجـلا

بالأخذ حين العقد قد شرع أو بعد بأيام قليلة رووا

¹ - هو محمد بن متالي التندغي ت 1287هـ عالم جليل وصوفي شاذلي كان شيخ محظرة وإمام حضرة صوفية

² - بديلة: بناء مفتوحة ودال مكسورة بعدها ياء مد بعدها لام مفتوحة بعدها حاء سكت حسانية وتعني المقايضة التي كانت تقع بين العلك وبعض الأطعمة الأخرى من غير نقد فهي مبادلة طعام بطعام، وقد تقع هذه المبادلة في الملح كذلك، وكان هذا النوع من التعامل شائع في الأوساط الشنقيطية قبل أن تظهر النقود ويتم التعامل بها.

³ - مقابلة مع الشيخ محمد بن محمد المامي نواكشوط 2014/01/27.

⁴ - هو محمد مولود بن أحمد فال الموسوي عالم جليل ت 1323هـ كان شيخ محظرة يعتبر من رواد حركة التجديد الفقهي في بلاد شنقيط له مؤلفات عديدة منها كفاف المتبدي في فني العبادات والتعب، والمترادف في القرآن الكريم وبصائر التالين، ومحارم اللسان، ومجموعة من الأنظمة والفتاوى.

⁵ - مقابلة مع الشيخ أحمد فال بن سيد أحمد.

والشياء ملك بائع والخلف في عرفان مقدار حلالها يفي

كما نصادف أبياتا أخرى لمحمد الأمين بن محمد مولود⁽¹⁾، يستعرض ضمنها جوانب من أحكام هذه المعاملة مبينا صيغها المختلفة التي تتراوح بين المنع والجواز، فصرح بمنع استئجار الأنعام باللبن، ونبه إلى جواز شراء الألبان في الضروع بشروط من بينها: تقدير اللبن بالجزاف من قبل البائع، واندرج الدابة المشتري لبنها ضمن عشرة من جنسها، وعدم التمييز لها من غيرها، وذلك مع تعيين مقدار الحلاب وأجله، بحيث يؤمن النقص ويندفع الغرر، ويضاف إلى ذلك دفع المشتري الثمن في الأجل المحدد، وقد ختم أبياته محسنا العزو إلى كتاب والده محمد مولود المعروف بـ "الظفر" يقول⁽²⁾:

ومنع استئجار شاة باللبن وبعه دوها إذا حدد الزمن

بل جوزوا شراءه في ضرعها بشرط تجزيف على بائعها

واشترطوا عشرة من جنسها وعدم الميز لها بنفسها

ويعرفان أوجه الحلاب وأجلا يكونون ذا اقتراب

يؤمن منه النقص في لبنها والمشتري أسلم في ثمنها

وشرعا في بيعه ومن نفر لرأي ذا الحكم يحده في الظفر

ونذكر في هذا المقام أن أحد الشناقطة نظم بيتا أوضح خلاله حكم ما يقدمه الرعاة من لبن الأنعام التي يجوزهم لمن حل بساحتهم مصرحا أن مالكا أعرض عن التصريح في هذا الفرع الفقهي مكتفيا بأنه لا يعجبه، وهي كلمة قد فهم منها بعض فقهاء المالكية معنى الكراهة أو خلاف الأولى يقول⁽³⁾:

سقي الرعاة من لقوا من لبن مـرعيهم مالـك "لا يعجي"

¹ - هو محمد الأمين بن محمد مولود الموسوي ت 1371هـ درس على والده وأخذ القرآن على أهل بوفره الحاجيين، له من الآثار نظم بالتوسل بالأسماء الله الحسنى ونظم بالتوسل بأسماء النبي صلى الله عليه وسلم وبمجموع من الفتاوى والأحكام.

² - مخطوط بحوزتنا

³ - مقابلة مع الشيخ محمد بن محمد المامي في نواكشوط بتاريخ 13 مارس 2014

الخور الثالث: الشنقيطية ونوازل الزينة والتجميل:

وقد عرف الشناقطة منها عدة نماذج وعينات دعتهم إلى مناقشة جملة من القضايا ذات الصلة بهذا الموضوع. ولعل من أبرز تلك الإشكالات التي طرحت عليهم في هذا الجانب حكم ما يعرف بـ "الشرويطه" وحكم ثقب الأذنين، ، وسنعرض لجملة من آرائهم في هاتين المسألتين في ما يأتي:

1- حكم استخدام "الشرويطه":

قبل الحديث عن حكم هذه الزينة المتعلقة بوصل شعر المرأة وإكمال منظرها وهندامها نشير إلى أن "الشرويطه" - أو ما يسميه بعضهم "أكافه"⁽¹⁾ - هي عبارة عن قوسين حديدين معكوفين تلوى عليهما خرق من القماش أو خيوط أو أسلاك سوداء، ثم يربطان مع أصول شعر المرأة بخيوط تثبتها تثبتا كاملا على الرأس، وهي زينة تقليدية كانت متداولة بكثرة في المجتمع الشنقيطي القديم، وقد اختلف العلماء بشأنها، فمنهم من منعها مصرحا أنها من أصناف وصل الشعر المنهي عنه شرعا، ثم إنها يتعذر معها إكمال مسح الرأس الذي يعد فريضة من فرائض الوضوء، زد على ذلك أن بعضهم يشبهها بأسنمة البخت التي ورد ذمها والتحذير منها في الحديث. ومنهم من قال بجوازها مؤكدا أنها جمال للمرأة وكمال لزيبتها فهي من حسن التبعيل للزوج والتشبت بالأنوثة فلا يستغنى عنها ساعتئذ، وسنورد نماذج من آراء هذين الفريقين في ما يأتي:

• القائلون بالحرمة والمنع:

ويأتي على رأس هؤلاء الكسري بن محمد بن المختار الإيديلي فقد فصل القول في أمر هذه الخرقه إذ أحسن الجواب عن سؤال ورد عليه يستفتي صاحبه عن حكم الخيط أو الخيوط، أو الصوف أو الخرقه التي تجعل في رأس المرأة أيجوز ذلك أم لا؟ فرد عليه قائلا: «جوابه ما في السنهوري عند قول خليل: "ولا ينقض ضفره رجل أو امرأة" ونصه بعد حذف صدر كلامه: وهذا كله إن كان مقعصا بنفسه أو بخيوط يسيرة، وأما لو كثرت شعرها بشعر غيرها أو بصوف أو خيوط كثيرة، على ظاهر الشعر لم يجوز المسح عليه حتى تزعه لأنه مانع وفيه قال صلى الله عليه وسلم: "لعن الله الواصلة والمستوصلة" ووصله بما يشبه الشعر حرام قال مالك: "ووصل كل شيء ممنوع"، وقال عبد الوهاب: "لأنه غرور وتدليس"، قال بعضهم يدل هذا على قصر النهي على عدم العلم به، أما إذا علم الزوج به فلا، لأنه من باب التحمل والتحسين»⁽²⁾.

ومن ذهب هذا المذهب الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل⁽³⁾ فقد حرر فتوى في هذا الشأن ومهد لها، ببعض الآيات والأحاديث تأصيلا للموضوع وتأسيسا للفتوى يقول: «الحمد لله واصل أمر من امثل أمره ولو

¹ - وهي بهزمة مفتوحة وكاف فارسية وفاء مفخمة بعدها هاء سكت، ترادف الشرويطه التي تم تعريفها في المتن،

² - المجموعة الكبرى ابن البراء 2672/7-2673.

³ - هو الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين، ت 1328هـ فقيه متمكن وشيخ صوفي من قبيلة لكلاكمه (أهل اجيه المختار) أخذ العلم عن والده الذي قدمه في الطريقة الفاضلية كما أخذ عن محمد فاضل بن احيبي يعقوبي يعتبر منبع أسرار الطريقة الفاضلية وأحد أبرز الوجوه العلمية في البلد، رحل من مسقط رأسه في الحوض الشرقي إلى تيرس، فطاب له المقام بها، واجتمع عليه أتباع ومريدون كثيرون، توجه إلى جهاد الإسبان ثم الفرنسيين وبنى مدينة اسماره ومن أخذ عنه أبناءه وكذلك أبناء مايي، له آثار عديدة منها إفادة الأمير والرعية والوزير بأسرار فاتحة الكتاب المنير، والتوسل بأسماء الله الحسن، وديوان الشعر ورسالة في التصوف والفقه، وغير ذلك..

يجواب لسائل عما جهل خبره، والسلامان على أفضل من شخص بصره، وبعد فإني تكرر علي السؤال في شأن الخرقه التي تجعل النساء لرؤوسهن هل تجوز أو تمتنع، فأعرضت عن الجواب عنها كثير فإذا الأمر فيها لم يزد إلا احتياجا (...) فأقول وبالله أحول وعلى المقاصد أصول إنه تعالى قال: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾⁽¹⁾ وقال صلى الله عليه وسلم لعن الله الواصلة أي التي تصل الشعر بشعر آخر، والمستوصلة أي التي تطلب أن يفعل بها ذلك، (...) وعن عائشة رضي الله عنه أن جارية من الأنصار تزوجت وأنها مرضت فتشحط شعرها أي تاتثر، وتساقط فأرادوا أن يصلوها أي يصلوها شعرها بشعر آخر فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: لعن الله الواصلة والمستوصلة، وهذا صريح في حكاية ذلك عن الله عز وجل، إن كان خبرا، ويحتمل أنه دعاء منه صلى الله عليه وسلم على من فعل ذلك⁽²⁾.

ومن القائلين بمنع استخدام هذه الخرقه المختار بن سيدي بن ابلول⁽³⁾، فقد حرر فتوى في الموضوع استفتحتها قائلاً، «أما بعد فقد كتبت مستفتية تسألني عن أمر هذا الضفر المحدث في هذه البلاد والجواب فيه عندي ما في الحديث الصحيح "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"⁽⁴⁾، أي فهو مردود عليه، وما في الحديث الآخر "وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة" والبدعة صاحبها في النار، وهذا يكفي المرأة المسلمة من الضفر وارتكاب الشبه ضفر الموريتانيات القديم، فإنه إذا اشتد لزم نقضه في كل طهر، فمن لم تنقضه فلا طهر لها، ومن لا طهر لها لا صلاة لها "والصلاة عماد الدين"، وفي نقض هذا الضفر عند كل طهر من المشقة ما لا يخفى ولذلك ألزم العالم المحقق السني الورع محمد مولود عشيرته الأقربين من اليعقوبيين ترك هذا الضفر الموريتاني لما ذكر فامتثلوا أمره فسماهم الناس أهل "الكرزية" وفيه - أي الضفر القديم - الخرقه المسماة عنهم بالشرويطه وقد اختلف فيها علماء القطر الموريتاني فرأى بعضهم أنها من الوصل الذي هو من كبائر الذنوب، ورخص فيها بعض⁽⁵⁾. وينتتم الشيخ فتواه ناصحا لهذه المستفتية بالتمسك بالسنة عند فساد الأمة يقول: «فعليك يا بنت بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واتباع سبيل المؤمنين فاعتزلي تلك الفرق كلها ولو أن تعضي بأصل شجرة حتى يأتيك الموت وأنت متمسكة بكتاب الله تعالى سالكة سبيل المؤمنين وإياك وبنيات الطريق ولقاء الأراذل دينا ومروءة وأخلاقا وعقولا، فإنهم أعدى من الحرب»⁽⁶⁾.

¹ - سورة الحشر الآية 7 .

² - المرجع السابق 2674/7 - 2675.

³ - هو المختار بن سيدي بن أبلول الحاجي ت 1395هـ فقيه متميز وشاعر مجيد أخذ عن والده وعن محمد فال بن محمدن الديباني وعن محمد فاضل بن أحمد دليل اليعقوبي ناهض الإدارة الإستعمارية وشارك في مقاطعتها له مؤلفات منها شرح الشنفرية والحدائق الجامعة للأمة السامعة، ورسالة في واجب المكلف وما تعمر به ذمته من الخطاب الشرعي، وشرح لأبواب من المختصر.

⁴ - أخرجه البخاري ومسلم أنظر الأربعين النووية.

⁵ - المرجع السابق 2681/7 - 2682.

⁶ - المرجع السابق والصفحة.

ومن منع هذه الخرقه كذلك وحذر منها المختار بن باب بن أحمد بن حمدي الحاجي⁽¹⁾ الذي حرر فتوى مطولة يقول فيها: «أما بعد فإني رأيت بعض النساء أحدثن شيئاً يشبه الشعر، ينسجن منه القرون و الغدائر والدوائر المسميات بـ"الشرويطه" للقرعاء والشمطاء قصيرة الشعر حتى صارت تستعمل الشعر لحسن سواده (...) فأقول إن الإجماع على منع وصل الشعر بالشعر، لقوله صلى الله عليه وسلم: "لعن الله الواصلة والمستوصلة" أما الوصل بغير الشعر فمختلف فيه والجمهور على منعه فقد منعه مالك وجل أصحابه، لحديث مسلم عن جابر زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تصل المرأة بشعرها شيئاً»⁽²⁾.

وبعد أن يسوق عدداً من الأحاديث والأدلة المؤكدة منع وصل الشعر يخلص إلى ما يفهم منه منع "الشرويطه" حيث يقول: "قلت وبهذا يظهر منع استعمال شيء من هذه الأنواع التي تشبه الشعر في مذهب مالك، إلا أن يأذن فيه زوج كما للأبي، وكما نص عليه محض بابه في الميسر، أو كان لا يشبه الشعر مثل القرامل قلت القرامل نبت لين طويل الفروع كما وصفه القاموس، هذا وإن من تستعمل الأنواع التي تشبه الشعر معتقدة أنها حلال لا ينكر عليها لاختلاف العلماء فيها»⁽³⁾.

وتتعرز الآراء السابقة برأي عبد الرحمن القاسم بن محمد أحمد بن سيد ابراهيم القلاوي⁽⁴⁾ الذي سطر فتوى مطولة مطولة يرى ضمنها تقاطع كثير من حلي النساء في هذا الزمان بما لدى الإفرنج فكأنه من باب التشبه بهم يقول: «ومن التشبه بهم - يعني الإفرنج - ما يجعله النساء على رؤوسهم من البرانيط»⁽⁵⁾. وأكثر من ذلك نراه يشبه ما ما تزين المرأة به رأسها من خرق وشعر بأسنمة البخت الوارد ذمها في الحديث. «ثم إهّن يعظمن رؤوسهن بشعر أو خرق فتصير كأسنمة البخت وهن بهذا مائلات أي زائغات عن الهدى مميلات لغيرهن ممن يقتدين بهن أو مميلات للقلوب الفاسدة أو بتكسرهن في المشي والقول فإن هذا كله في مصرنا كثير نسأل الله السلامة»⁽⁶⁾. ويختم هذه الفتوى متعجباً ممن يبيح هذه الخرق أو يقول بجوازها يقول: «ولقد بلغني أن بعض المنتسبين للفقهاء يقول بجواز الوصل وجعل البرانيط وليت شعري ما الأصل الحيز له به، ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ فالوصل والبرانيط صح نهي عنهما، وما علينا إلا إبلاغه لكم عنه صلى الله عليه وسلم»⁽⁷⁾.

¹ - هو المختار بن باب بن أحمد بن حمدي الحاجي ت 1407هـ أخذ عن أحمد بن المختار بن عبد الله الحاجي وعن محض باب بن إمام الحاجي وأفاد كذلك عن المختار بن أبلول له تأليف منها نظم في أسباب الردة ونظم في التوسل بأسماء الله الحسنى، ونظم في حكم صلاة الجمعة بالقرى السنيغالية، وقصيدة في السيرة النبوية ونظم في رسم القرآن ونظم في الطب،

² - المرجع السابق 2683/7.

³ - المرجع السابق 2684/7.

⁴ - هو عبد الرحمن بن القاسم بن محمد أحمد القلاوي فقيه وقاض ونسابة له مؤلفات منها كتاب في التقليد والاجتهاد، ونقطة في إباحة شرب الشاي، ونقطة في تحريم وصل الشعر، ورسالة تبين للقاضي ما يفعله إن جاء قرية لا يعرفها. ت 1401هـ.

⁵ - المرجع السابق 2686/7.

⁶ - المرجع السابق والصفحة.

⁷ - المرجع السابق 2690/7.

ويعتزز رأي هذا الفريق بفتوى سطرها الحاج سيدي محمد بن السالك بن فحفو المسمومي⁽¹⁾ يقول فيها: « أما بعد فإنك أيتها الأخت سألت عما يجوز من هيئة الضفر (...) والذي أفتي به أن كل ضفر فيه تكثير لشعر المرأة بغيره لا يجوز وغير ذلك مما لم تضيف المرأة فيه لشعرها لم أر فيه نهي (...) مفيد العباد: وللحرام أمثلة كثيرة فمنها تعظيم شعر المرأة بزيادة عليه من غيره سواء كان ذلك بشعر أو غيره وسواء زادته بظاهر أو غيره، أذن الزوج أو لا، وصلته أم لا، بأن وضعت عليه شيئا من غير وصل، وهذا مذهب مالك والجمهور⁽²⁾. ويختتم هذه الفتوى ناصحا للنساء بالحذر من الشبهات، وبالمبادرة إلى امتثال السنة يقول: « فإذا تمهد هذا فمن كانت منكن يا معشر من يؤمن بالله تعالى فلتحذر أن تزيد شعرها بشيء بل تضفره وحده بما شاءت من الضفر أو الفتل غير مضاف إليه شيء مما يكبره، لكن إذا اشتد ينقض عنه الغسل⁽³⁾. »

ونختتم هذا التوجه برأي القاضي المصطفى (أبين) بن بيانة⁽⁴⁾ الذي أوجزه في بيت واحد قال فيه⁽⁵⁾:

تعظيم شعرة امرأة بالزبد عليه ممنوع بغير قيد

• القائلون بالإباحة والجواز:

ومن أبرز القائلين بجواز الشروطة وإباحتها للنساء أحمد بن محمودن اليدمسي⁽⁶⁾، فقد حرر فتوى مطولة صرح ضمنها بجواز استخدام هذه الخرقعة، يقول: « الحمد لله وما توفيقى إلا بالله هذا وإني لما رأيت النساء في هذه البلاد لا بد لهن من الخرقعة التي تجعل في وسط الرأس ويسموها الشروطة لم أزل أطلب النص على جواز المسح عليها في الوضوء ولو خارج المذهب وكان شيخنا البشير يوسع فيها بالأقوال التي فيها عدم وجود استيعاب الرأس مسحاً، حتى رأيت في الخطاب ما يدل على جواز المسح عليها أيضاً عند قول خليل: "ولا ينقض ضفره رجل ولا امرأة" فقال بعد تنبيهين ما نصه قلت: وهذا والله أعلم إذا كثرت به شعرها ظاهراً فوق الشعر، فأما إذا كان في مستبطن الشعر فلا يضر⁽⁷⁾. »

¹ - هو الحاج سيد محمد بن السالك بن فحفو المسمومي مد الله في عمره فقيه ونحوي ومدرس اشتهر بالورع والانعزال أخذ العلم عن جماعة منهم أحمد فال بن آد ومحمد المصطفى بن دي ، أسس محظرة مورودة بمنطقة تكانت له من المؤلفات شرح على ابن مالك وآخر على منظومة الأجرومية وشرح على المقصور والممدود ودليل الطلاب على ما قصد من ظواهر الإعراب، وعدد من الفتاوى المتفرقة.

² - المرجع السابق ص 1690

³ - المرجع السابق ص 2691

⁴ - هو المصطفى (أبين) بن بيانة حفظه الله قاض وعالم جليل وشيخ محظرة أخذ عن العلامة محمد سالم بن ألما تقلد مناصب سامية في القضاء الموريتاني له منظومات عديدة في الفقه والنوزال من أبرزها نظم نوازل الهلالي ونظم نوازل عليش، وتحفة الأكياس في نوازل الأحباس، كما نظم الديباج معرفاً بأعلام المالكية بالإضافة إلى مجموعة من الأنظمة والفتاوى.

⁵ - مقابلة مع القاضي المصطفى (أبين) بن بيانة بتاريخ 2014/01/25.

⁶ - هو أحمدو بن محمودن بن محمد بن يامتالي اليدمسي ت 1362هـ أخذ عن البشير بن أمباركي وعن محمد فال بن أحمد بن زياد الديباني له من الآثار رسالة في أحكام زكاة الفطر ومجموعة أنظمة في مسائل علمية مختلفة وديوان شعر، ومجموعة من الفتاوى.

⁷ - المجموعة الكبرى مرجع سابق 2675/7 - 2676.

ونجد هذا الفقيه يشبه "الشرويطه" بالملبد من الشعر، وبالعمامة والخمار والحناء ونحو ذلك، يقول: «ومن نص على جواز مسح الرأس الملبد زروق في شرح الرسالة، ففيه عند قولها وتمسح على دلالها ولا تمسح على الوقاية ما نصه: أي معناها من عمامة وخمار وحناء ونحوها لأن الكل حائل وفي مجهول الجلال يمسح الملبد في الحج ولا شيء عليه»⁽¹⁾.

ومن ذهب هذا المذهب الشيخ سعد أبيه بن الشيخ محمد فاضل⁽²⁾ الذي سطر فتوى مؤصلة رد ضمنها على سائلة استفتته عن حكم وصل الشعر فقال: «(...) وفي أبي الحسن الكبير لما ذكر أنواع تغيير الخلقة قال وتغيير الخلقة على خمسة أوجه قسم يجب وهو من الفطرة خمس، وقسم حرام وهو خصاء الآدميين، وخصاء الخيل مكروه، وخصاء مكروه اللحم مباح وقيل مكروه، وقسم مختلف فيه، وهو إيصال الشعر وفي أربعة أقوال»⁽³⁾. ويدوا أن الشيخ ركز في هذه الفتوى على التوسع في القول الذي يعتمد الإباحة والجواز معولا عليه كثيرا يقول: «قالت عائشة ويجوز لها ذلك - يعني وصل الشعر - وتترين به لزوجهها، قال ربيعة يجوز لها أن تصله بصوف ولا تصله بغيره، وقيل يجوز لها أن تجعل الشعر على رأسها وتجعل عليه الوقاية (...) وأما إذا وصلت شعرها بغير الشعر من خرقة وغيرها فلا يدخل في النهي»⁽⁴⁾. ويختتم الشيخ فتواه بخلاصة يفهم منها ميله إلى الإباحة والجواز وهي أشبه ما تكون بنصيحة للمرأة يقول: «فمن كانت زينتها أو تزينها في الوجه المباح للأزواج إن كانوا أو لعدم التبرج فعندها من أقوال العلماء ما تسلم به، ومن كانت بالعكس فيبقى لها ما يردعها والله يعلم المفسد من المصلح وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما»⁽⁵⁾.

ومن انتهج نهج القول بالإباحة في هذه الخرق محمد محمود بن أحمد بن أواه الأبييري⁽⁶⁾، فقد حرر فتوى استفتحتها استفتحتها برأي المانعين لاستعمال هذه الخرقة ليرد عليهم من طرف خفي مستعرضا جملة صالحة من آراء القائلين بالجواز يقول: «بسم الله الحمد لله أما بعد فإن جمهور العلماء على منع الوصل وخالفه بعضهم، ففي محمد بن عبد الباقي على موطأ مالك في الكلام على حديث الوصل أن الليث من العلماء وعائشة من الصحابة الوصل عندهما مباح بكل شيء، وعند بعضهم يباح بغير الشعر، ففي كنون ما نصه: وذهب الليث ونقله ابن عبيد عن كثير من الفقهاء أن الممنوع هو وصل الشعر بالشعر، وأما غيره من خرق وغيرها فلا يدخل في النهي، وبه قال أحمد وابن جبير وكثير من الفقهاء، انتهى منه بلفظه، وفيه أيضا ما نصه: ومنهم من أجاز الوصل مطلقا إذا كان بعلم الزوج وإذنه، وفي كنون أيضا: وأما ما يجعله النساء في هذا الزمن على رؤوسهن فلا علم عندي بحكمه، إلا أن في كنون

¹ - المرجع السابق والصفحة.

² - عالم جليل وإمام حضرة صوفية قادرية توفي 1335هـ له مؤلفات منها العباب في تفسير القرآن وحاطب ليل، ومرشد الإخوان وغيرها.

³ - المرجع السابق 2679/7.

⁴ - المرجع السابق والصفحة.

⁵ - المرجع السابق والصفحة.

⁶ - هو محمد محمود بن أحمد بن أواه الأبييري ت 1403هـ درس على محمد محمود بن ابن عمر، وأخذ أيضا عن يحظيه بن عبد الودود الجكني وعبد الله العتيق بن ذي الحلال اليعقوبي له من الآثار شرح على نظم شيخه محمد سالم بن أبا المسمى المجتبى في النهي عن العينة والربا، ورسالة في القضاء وكتاب إحياء الموات.

ما نصه: وفي حديث سعيد بن جبير عند أبي داود بسند صحيح قال: لا بأس بالقراصل وهي بالقاف والراء والميم واللام نبات طويل الفروع لين، والمراد به هنا خيوط الشعر من حرير أو صوف تعمل ضفائر تصل بها المرأة شعرها، انتهى من كنون. فالحاصل أن ما تقدم من الفروع يدل على أن الوصل من المختلف فيه، ومن القواعد أن الأصل في الأمور الإباحة حتى يثبت دليل التحريم، ومن القواعد أيضا أن اختلاف العلماء رحمة، ومنها أيضا أن إنكار غير المجمع على تحريمه حرام، وفي زروق على الرسالة ما نصه: وكان مالك وأضرابه يتورعون عن إطلاق الحلال والحرام إلا في شيء ورد فيه نص عن الشارع". انتهى منه⁽¹⁾.

ومن الفقهاء الشناقطة من فصل القول في هذه المسألة مفرقا بين وصل الشعر بجنسه من الشعر وبغير جنسه من الأصناف الأخرى كالصوف والخرق، فجمهور الفقهاء على حرمة وصل الشعر بالشعر أما وصله بغير الشعر فهو محل الخلاف، وقد استعرض محمد بن أحمد يوره⁽²⁾ أهم الآراء الواردة في هذه المسألة مشيرا إلى أن من الفقهاء من أجاز هذه الخرق، ومنهم من حرمها وهم الأكثرون، فصرح الليث بإباحتها، في حين مال مالك إلى حرمتها، وذهب ابن حبيب من المالكية إلى تجويز القراصل، وقد جمع الرجل هذه الأقوال في منظومته المعروفة بـ "فرحة الصبي وتحفة الغني" يقول⁽³⁾:

في وصل امرأة بما سوى الشعر	شعرها قول الأئمة ابذعر
فمنهم مجوز ومنهم	محرم والاكثر المحرم
فالليث وهو كاسميه أباحا	ومالك بعكس ذاك باحبا
وكل ذين للأنام قمر	وبكليهم أضاءت زمر
والقسطلاني على البخاري	جليها طيبة البخار
وابن حبيب جوز القراملا	واذكره إن ذكرت بحرا كاملا

¹ - المرجع السابق 2680/7.

² - هو محمد بن أحمد يوره بن محمد بن أحمد بن محمد العاقل ت 1340هـ فقيه وشاعر متميز ومؤرخ أخذ عن عمه سيد ألمين بن محمد بن علي بكر بن حوبك، وعن محمد بن علي الدبائين، له مؤلفات منها نظم شوارد الفقه سماه فرحة الصبي وتحفة الغني ونظم سلم الوصول إلى علم الأصول. وكتاب إخبار الأخبار بأخبار الآبار، ونظم الراقعة في تفسير الواقعة، وديوان شعري فصيح وآخر شعبي.

³ - المرجع السابق 2684 /7.

2- حكم ثقب الأذنين:

والمقصود ما كان يفعل قديما من ثقب للأذنين حتى تتمكن المرأة من أن تعلق بهما ما تترين به من الأقراط وغيرها، وقد تباينت آراء العلماء بشأن هذه المسألة فرأى بعضهم أنها من تغيير خلق الله المذموم، في حين انتهى آخرون إلى جوازها، بل ربما نديبيتها، لأنها من تمام زينة المرأة واستكمال حليها، وبالجملة فإن العلماء اختلفوا في هذه المسألة فمنهم من منعها ومنهم من مال إلى كراهتها ومنهم من أجازها وذلك ما أوضحه نافع بن حبيب التندغي⁽¹⁾ حينما سئل عن حكم ثقب أذن الصبية لتعليق الحللي عليها فأنشد ناظما من مفيد العباد⁽²⁾:

كـرهه ثقب الأذنين للحلى جمهور أهل العلم كرها مسجلا

وأحمد بن حنبل عنه نقل يكره للصبي والأنثى يحل

وحرم الغزالي في الإحياء تنقيب الأذان من النساء

وواضح أن هذه الأبيات استعرضت أهم الآراء الفقهية الواردة في الموضوع فالجمهور على أن ثقب الأذنين لتعليق الأقراط والحلي مكروه وانفرد الغزالي بتحريمه.

ونقرأ أبياتا أخرى لبعض الشناقطة تؤكد ما انتهى إليه الغزالي من تحريم ثقب آذان الصغيرات لتعليق الحللي فيها، بل إنه يذهب أبعد من ذلك ليحفل في هذا الثقب ما يستلزم القصاص وهو أمر عجيب يقول⁽³⁾:

أذن الصبية الغزالي ذهب لمنع ثقبها لتعليق الذهب

وقال فيه يلزم القصاص وليت شعري منه ما خلاص

وقد عثرنا على أبيات للعلامة محمد الحسن بن أحمدو الخديم⁽⁴⁾ أوضح فيها حكم ثقب الأذنين، مبينا ما ورد فيه عن الفقهاء من المنع والكراهة والجواز، يقول⁽⁵⁾:

وهل لثقب الأذن حكم الظاهر أو حكم باطن خلاف ظاهر

¹ - هو نافع بن حبيب التندغي ت 1416هـ أخذ عن لمرباط محمد سالم بن ألما له مجموعة من الأنظام والفتاوى وديوان شعري

² - المجموعة الكبرى 2675/7.

³ - مقابلة مع القاضي إبين بن بابانه يوم السبت 2014/1/25 انواكشوط.

⁴ - محمد الحسن بن أحمد الخديم حفظه الله عالم جليل شيخ محطرة وإمام حضرة صوفية أخذ عن لمرباط محمد سالم بن ألما وعن محمد بن محمد بن المحبوبي، له مؤلفات عديدة منها مرام المجتدي بشرح كفاف المبتدي، وإزالة الريب والأفهام عن ما يخل بالأفهام ونظم المناسك، وشرحه دليل الناسك، والغارة الشعواء على الخابط خبطة عشواء وبغية الأبرار بشرح قرّة الأبصار وغيرها.

⁵ - مقابلة مع أحمد فال بن سيد أحمد 2014/02/15 بنواكشوط.

والثان قاله الفتي المـواز	الاول يفهم من الطراز
والخلف فيه جاء عن أربابه	وثقب الاذن عمت البلوى به
أن يدعي الإجماع في انظاره	قد قارب الغزالي في إنكاره
وبالصحيح قوله يؤيد	ويجـوازه يقول أحمد
في عهده صلى عليه من خلق	أن النساء كن يلبسن الخلق
إذ في السوى تخريج كل الأمة	وينبغي تقليد هادي الأمة
على امتناع في الذكور مطلقا	بعض الشيوخ قال ذا وافقنا
للعلم فارع أصله والفرعا	وفي ابن حمدون خصيب المرعى

وبالجملة فإن جمهور الفقهاء انتهوا إلى أن ثقب آذان الصغيرات ليتهاً لهن استعمال الذهب والحلي أمر مشروع بل إن تركه يخشى على صاحبه أن تقع في محذور التشبه بالرجال والابتعاد عن سمت ربات الرجال.

خاتمة:

وفي الأخير ننتهي إلى أن القوم بذلوا جهودا مشكورة في شأن المرأة وفقه نوازلهما، فخلفوا تراثا ثرا يعرض لمختلف مشاغلها وهمومها، فحاولنا أن نستخلص من ذلك جملة صالحة لعل من أبرزها:

* التنبيه إلى أهمية الفتاوى الشنقيطية؛ إذ تعد وثائق تاريخية تشكل العمود الفقري لقراءة تاريخ البلد، والمنطلق الأساس لمعرفة كنوزه التراثية.

* ضرورة التوجه إلى حقل النوازل والفتاوى في مصادرها المتعددة وذلك بوصفها إطارا جامعاً لمختلف المواقف والآراء إذ تكشف عن سعة ثقافة القوم ونزوعهم في بعض الأحيان إلى النظر والاجتهاد مع استحضارهم دائما لما في الصدور واعتنائهم بشأن ربات الخدور.

* توجيه البعثة والدارسين إلى طرف من الفتاوى الشنقيطية مغمور مغبون يستصرخ من يستنطقه، ليضعه في عالم التداول والتناول، عسى أن يسهم بذلك في التعامل مع القضايا المستجدة بروح جدية تعنى بفقه الواقع وتستحضر إكراهات المجتمع، عاملة في الوقت نفسه على إنصاف المرأة وإكرامها ليتم النظر إلى فقه المرأة ونوازلهما بشيء من الحيوية والمرونة.

* التنويه بجهود الفقهاء الشناقطة في جانب فقه المرأة، لينظر إليه باجتهاد واهتمام، في مستوياته المختلفة، سواء تعلق بحكم الوجبات النسوية المنظمة على شكل تناوب على الإطعام (ونكاله) أو ارتبط بأمر البدانة والتسمين وزيادة الحجوم (التبلاخ، لحسان)، أو اندرج في سلك إشكالات الزينة والتجميل (الشرويطه، ثقب الأذنين..). وكلها موضوعات تناولها الفقهاء الشناقطة بشيء من الجدية والتأمل في نفس يعتمد المأثور من مسطورات النوازل والنقول ويستحضر المستجد من النظر وإعمال العقول.

المصادر والمراجع:

المصحف الشريف برواية ورش عن نافع

أولاً: الكتب المطبوعة

- أحكام القرآن الأبي بكر بن العربي، تحقيق علي محمد النجاري مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه الطبعة الأولى 1967م
- الجامع الصغير للسيوطي: دار الفكر بيروت دون تاريخ
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 2003
- الشيخ محمد اليدالي ووسطه الاجتماعي (تشمشه) محمد بن باباه، مرقون.
- ظاهرة السحرة: د. محمد الامين ولد محمد موسى، مطبعة مسك، نواكشوط: 2011،
- فتاوى العلامة محمد الأمين بن أحمد زيدان، مكتبة إحياء العلوم، المدينة المنورة، ط 1، 1998
- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، دار الفكر، بيروت: 1985م
- التسهيل: ابن جزى تحقيق رضا نزع الهمامي المكتبة العصرية بيروت الطبعة الأولى 2003
- المجموعة الكبرى الشاملة لفتاوى ونوازل وأحكام أهل غرب وجنوب غرب الصحراء، مطبعة المنار بنواكشوط 2009 الطبعة الأولى، الناشر: المرحوم مولاي الحسن ولد المختار.
- محمد عبد القادر بن أحمد : جواهر التدوين الطبعة الأولى 2001 مطبعة النجاح الدار البيضاء
- المختار بن حامدن، الحياة الثقافية، الجزء الثقافي، دار الكتب العربية، تونس: 1990
- مرام المجتدي، معهد التيسير للعلوم الشرعية والعربية بموريتانيا الطبعة الرابعة 2005
- مسند الإمام أحمد بيت الأفكار الدولية الرياض 1998
- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، القاهرة: 1972 الطبعة الأولى.

ثانياً: الرسائل الجامعية والمقالات

- إتخاف الأذكياء للإمام بداه بن البوصيري، رسالة تخرج، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية 2009-2010
- البعد الاجتماعي في النوازل الشنقيطية، د. محمد بن أحمد بن المحبوبي (مرقون)
- تحقيق نظم الوقائع لابن حنبل. المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية 2006
- د. محمد بن أحمد بن المحبوبي : البعد الاجتماعي في النوازل الشنقيطية. مقال مرقون بحوزتنا
- محمد بن الكبير نظم الماشي في أحكام المعاشي المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية.

ثالثاً المخطوطات:

- رسالة الشيخ سيدي الكبير، مخطوط بمكتبة التيسير في نواكشوط
- كتاب البادية للشيخ محمد المامي مخطوط بمكتبة الشيخ محمد يحيى بن سيد أحمد، نواكشوط.
- منظومات في حكم المصافحة لعدد العلماء الشناقطة مخطوط بمكتبة التيسير في نواكشوط
- مخطوط بمكتبة الراحل بن أحمد سالم في زاوية الشيخ محمد اليدالي بنواكشوط وقد سبق التعريف بها.
- منظومة في حكم خروج المرأة لابن حنبل بن بشير البهناوي، مخطوط لدى محمد يحيى بن سيد أحمد.
- مخطوط في حكم نشوز المرأة الشيخ محمد اليدالي زاوية الشيخ محمد اليدالي في نواكشوط
- مخطوط يضم مجموعة من المنظومات الفقهية الشنقيطية بحوزتنا في مكتبتنا في نواكشوط

الإنبعثات الأوراسي الجديد

قراءة في العقيدة الجغرافية السياسية الروسية الجديدة

الدكتور. بلهول نسيم

أستاذ محاضر "أ" بقسم العلوم السياسية/ جامعة علي لونيسي / البليدة

ملخص:

لفك اللغز الروسي الجيوسياسي غير المنطقي ظاهرا، ينبغي سبر العقيدة الأيديولوجية السائدة في روسيا حاليا، والتي تتغلغل في كل مفاصل الدولة ومنظوماتها السياسية والعسكرية والإعلامية فتشكل بديلا ولو جزئيا عن الشيوعية المنصرمة. إنها "الأوراسية" أو العقيدة الجغرافية السياسية الجديدة والتي تنشأ إعادة بناء الإمبراطورية السوفيتية لكن وفق أسس قومية وجغرافية، وبحيث تتجنب أخطاء الماضي توصلا إلى تحقيق النصر الناجز على قوى البحر لاسيما الولايات المتحدة الأمريكية.

Abstract:

The Russian Federation has seen some discussion regarding its potential of re-emerging as a superpower, while others have made the assertion that it is already a superpower. In 2009, Hugo Chavez, late President of Venezuela whose regime was noted to have enjoyed warm relations with the Kremlin, stated that "Russia is a superpower", citing waning American influence in global affairs, and suggested the ruble be elevated to a global currency. Israeli Prime Minister Benjamin Netanyahu called Russia an important superpower, praising its effectiveness as an ally of Israel and foe of Iran. In his 2005 publication entitled Russia in the 21st Century: The Prodigal Superpower, Steven Rosefielde, predicted that Russia would emerge as a superpower before 2010 and augur another arms race. However, Rosefielde noted that such an end would come with tremendous sacrifice to global security and the Russian people's freedom.

في الحقيقة تعتبر الأوراسية الجديدة مزيجاً من تراث الإتحاد السوفيتي السابق وبعض التوجهات القومية اليمينية المتشددة، في إطار الجغراسياسة أو الجيوبوليتيكا، وتحت اسم "الأوراسيا" (Eurasia). والأوراسيا كناية عن المنطقة الجغرافية التي تجمع جزءاً من آسيا وآخر من أوروبا دون أن تكون آسيوية أو أوروبية وهذا هو حال روسيا وإحياء هذا المفهوم الرائج في أدبيات الجغراسياسيين، من خلال الأعمال الفكرية الرائدة لدوغين¹، ملأ بعض الفراغ الهائل الذي خلفه الإتحاد السوفيتي ورائه. فالروس الذين عاشوا في إمبراطورية شاسعة قرابة سبعين عام، باسم العقيدة الشيوعية، سيطروا فيها على مصائر شعوب وأمم طيلة الحرب الباردة، ووقفوا فيها موقف الخصم الموازي أمام القطب الآخر وهو الولايات المتحدة، أصيبوا بالإحباط الشديد لدى أفول كل شيء فجأة، بل شعروا بتهديد الهوية الذاتية حين تقلصت الحدود وتداخل السكان، فأصبحوا غرباء غير مرغوب فيهم في أصقاع كثيرة من هذا المدى الأوراسي الواسع الذي هيمن عليه الإتحاد السوفيتي سابقاً.

أما الجيوبوليتيكا فهي ليست علماً دقيقاً، بل هي كما يقول ألكسندر دوغين "هي رؤية للعالم، وتقع على مستوى واحد مع كل من الماركسية والليبرالية وغيرهما من النظم التي تفسر المجتمع والتاريخ، وذلك عن طريق طرح المعيار الأهم كمبدأ أساسي ثم ربط كافة الآفاق المتعلقة بالإنسان والتي يصعب حصرها، فإذا كانت الماركسية والليبرالية تعتبر الاقتصاد هو أساس الوجود الإنساني، فإن الجيوبوليتيكا تجعل من المكان هو الأساس لهذا الوجود، أي إن المكان بتضاريسه هو الذي يحدد الإنسان بصورة مسبقة"². أي عبارة أخرى هي أيديولوجية شمولية أخرى تحاول وضع التصورات والحلول بمنهجية مختلفة من أجل واقع مرغوب فيه.

يرسم دوغين ماضي الروس ومستقبلهم على أنه مسار إمبراطوري لا محالة، فمن البدايات الأولى كانت صورة الدولة الإمبراطورية تكمن في طيات روسيا أي منذ توحيد القبائل السلافية الفنلندية وحتى الأبعاد المهولة للإتحاد السوفيتي والأراضي الخاضعة لتأثيره، كان الشعب الروسي يسير دون توقف عبر طريق التكامل السياسي والمكاني نحو بناء الإمبراطورية والتوسع الحضاري، معتبراً أن التوسع الروسي الجغرافي لم يكن على الإطلاق توسعاً مصلحياً يسيره السعي وراء المستعمرات أو الصراع المرضي في سبيل المجال الحيوي، فلا الإفتقار إلى هذا المجال الحيوي ولا الضرورة الاقتصادية دفع الشعب الروسي إلى توسيع حدوده شيئاً فشيئاً نحو الشرق والجنوب والشمال والغرب بحسب زعم دوغين، بل هو توسع على أساس حمل رسالة خاصة بالمعنى الجيوبوليتيكي وهو ما يتجسد في الوعي العميق بضرورة توحيد الأراضي الهائلة المساحة في الأوراسيا القارية، حتى إن الشعب الروسي يرتبط بالواقع الجيوبوليتيكي إلى درجة أن المدى المكاني ومعاناه هذى المدى ووعيه وتقبله الروحي قد صاغ نفسية الشعب حتى صارت من المحددات الأهم لهويته وجوهره. وإن المناخ والتضاريس وجيولوجية المكان والطرق المائية والسلاسل الجبلية تشارك بفعالية في صياغة النمط الحضاري الروسي. وبعبارة مختزلة، فإن الحضارة ومن وجهة نظر الجيوبوليتيكا تتحدد خصائصها وجوهرها بالجغرافيا بصورة صارمة، فلا الدم ولا العرق ولا حتى الدين هو ما جعل هذا الجزء من السلاف الشرقيين جماعة لا تقارن بأي شيء آخر. فهو الشعب الروسي الذي صاغته الآماد

الأوراسية اللامحدودة والانفتاح بالروح الثقافية في حدوده القصوى، وقد تكون الروس وتطوروا وأدركوا نضجهم كافة في نطاق إمبراطورية محدودة، وفي السياق البطولي للبناء ومآثر الدفاع وفي الحملات المتواصلة من أجل توسيعها على حد تعبير دوغين، بما يعني التلازم العضوي بين الروس ككيان وبين السياق الإمبراطوري حتى إن النكوص عن مهمة بناء الإمبراطورية يعني نهاية وجود الشعب الروسي كواقع تاريخي وكظاهرة تاريخية، ومثل هذا النكوص يمثل انتحارا قوميا³.

1- عن سقوط الإتحاد السوفيتي:

وفي محاولة استكشاف أسباب هزيمة الإتحاد السوفيتي في الحرب الباردة، يعتبر دوغين في البداية أن المواجهة ما بين المعسكر السوفيتي وحلف الأطلسي كانت الصيغة الصافية من صيغ المواجهة بين قوى الأرض والبحر في التاريخ. ومن وجهة النظر الجغرافية كان الإتحاد السوفيتي يمثل مجالا واسعا متكاملا ذا مصادر طبيعية هائلة وتسليح استراتيجي متطور، وكان الدفاع عن حدوده البحرية من جهتي الشمال والشرق أيسر بكثير من الدفاع عن الأراضي القارية، ومع اعتماده الاقتصاد المركزي حقق الإتحاد السوفيتي الاكتفاء الذاتي ثمونيا وعسكريا وكان يتطلع وفق الإمكانيات إلى بسط نفوذه على القارات الأخرى إلا أن الحلف الشرقي كان يشكو من أوجه نقص مبدئية جيوبوليتيكية، فإذا كانت الحدود الجنوبية تتوافق مع سلسلة الجبال من منشوريا وحتى القوقاز فإن الحدود في الغرب تخترق وسط أوروبا السهلية التي كانت الجسر الإستراتيجي للقوات الأطلسية، ولم تكن الجبال في الجنوب وسيلة دفاعية وحسب بل كانت أيضا عقبة تسد الطريق أمام التوسع الممكن، أي أن الدفاع كان مكلفا على الجبهة الغربية بوجود السهول الأوروبية، وكانت الجبال في الجنوب تعيق التوسع العسكري نحو البحار الدافئة. وهذا الوضع كان يتناقض بحدة مع ما عليه الغرب ومركزه الولايات المتحدة، إذ كانت أمريكا محمية بحدودها البحرية، ثم حققت السيطرة فوق ذلك على قسم هائل من الحزام الشاطئي حوالي الإتحاد السوفيتي، من أوروبا الغربية عبر اليونان وتركيا إلى الشرق الأقصى ومع المحيطين الهادي والهندي. وكان مقدرا لهذا الخندق الأطلسي الهجومي إنمّاك المعسكر القاري المقضي عليه بالاكتفاء الذاتي والمضطر لأن يقوم بمفرده بتطوير كافة توجهاته الإستراتيجية في وقت واحد. فلم يكن أمام هذا المعسكر الشرقي الشيوعي إلا خيار من اثنين: الأول، تحقيق التوسع العسكري نحو الغرب بهدف احتلال أوروبا حتى المحيط الأطلسي وبذلك يؤمن الإتحاد السوفيتي حدوده البحرية الهادئة إلى جانب الطاقة الصناعية العقلية والتقنية، وفي الوقت نفسه يخترق الطوق الأطلسي في الجنوب ويصل إلى البحار الجنوبية، وهذا الطريق يؤدي في حال نجاحه إلى قيام عالم قاري مستقر وإلى إفلاس أمريكا في أقرب مدى. أما الثاني، فكان يتمثل في انسحاب الإتحاد السوفيتي وقواته المسلحة من أوروبا الشرقية مقابل خروج الأطلسي من أوروبا الغربية، وإقامة معسكر أوراسي موحد صارم الحياد، بل تمت مناقشة هذا الخيار جديا مع الرئيس الفرنسي شارل ديغول، وكان يمكن تحقيق الأمر نفسه في آسيا، أي القبول بالامتناع عن السيطرة السياسية المباشرة على بعض جمهوريات آسيا الوسطى والاستعاضة عن ذلك بقيام حلف استراتيجي مع أفغانستان وإيران والهند وربما الصين أيضا، ويكون هذا الحلف معاديا لأمريكا وذا توجه قاري داخلي.

وثمة خيار ثالث، هو الجمع بين الطريقتين والتوجه بطريق سلمى في الغرب وعن طريق القوة في الشرق أو العكس، بشرط البدء بالطريقتين في آن واحد. وفي إحدى هذه الحالات فقط كان يمكن عقد الآمال على تبدل التوازن العالمي للتخلص من الهزيمة الواضحة لليابسة في حرب الخنادق المفروضة عليها من قوى البحر وتحقيق النصر عليها. ولكن وبما أن الاتحاد السوفيتي لم يقرر الإقدام على هذه الخطوة الجذرية، فلم يبق للدول الأطلسية إلا أن تقطف جني استراتيجيتها الدقيقة الصارمة الطويلة الأمد، وبسبب التوتر البالغ المتفاقم من كافة الأوجه لم تحتل الدول السوفيتية القائمة على الاكتفاء الذاتي فسقطت. أما الإختراق السوفيتي العسكري لأفغانستان والذي لم يترافق مع خطوة استراتيجية متوازنة في أوروبا الغربية (سلما أو بالقوة) فإنه بدلا من أن ينقذ الموقف زاد من ترديه بصورة نهائية⁴.

2- محورية روسيا والإمبراطورية الجديدة:

وتقوم الإمبراطورية الجديدة التي يحلم بها دوغين على محورية روسيا كقوة قارية وسطية متحالفة مع ثلاث إمبراطوريات: الأولى آسيوية وفق محور موسكو طوكيو، مفضلا التحالف مع اليابان على الصين والهند، والثانية أوروبية وفق محور موسكو برلين، مفضلا ألمانيا على فرنسا ومعتبرا الحرب مع ألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية نتيجة التحريض الإنكليزي، والثالثة إسلامية وفق محور موسكو طهران، معتبرا إيران لا تركيا ولا السعودية أنها الحليف القاري الطبيعي لروسيا الإمبراطورية. وهنا يعتبر دوغين أن الإمبراطورية الإسلامية في الجنوب في المستقبل البعيد (الخلافة الجديدة) يمكن أن تغدو العنصر الأهم في أوراسيا الجديدة إلى جانب الإمبراطورية الأوروبية في الغرب وإمبراطورية المحيط الهادي في الشرق وروسيا في الوسط. لكن ثمة اتجاهات أيديولوجية وسياسية مختلفة في العالم الإسلامي إضافة إلى مشاريع جيوبوليتيكية يناقض بعضها الآخر، وتتمثل في:

أولا، بالأصولية الإيرانية ذات النمط القاري، وهي معادية لأمريكا وللزعرة الأطلسية حسب ما يراه دوغين، كما أنها فعالة من الناحية الجيوبوليتيكية.

ثانيا، النظام العلماني التركي ذو النمط الأطلسي.

ثالثا، الزعة العروبية في سوريا والعراق وليبيا والسودان.

رابعا، النمط السعودي الوهابي المتضامن جيوبوليتيكي مع الأطلسية.

لكن وحسب دوغين، فإن إيران تتمتع بالأولوية في هذه المسألة لأنها تستجيب لجميع المعايير الأوراسية: فهي دولة قارية كبرى ترتبط ارتباطا شديدا بآسيا الصغرى، وهي تقليدية ومعادية جذريا لأمريكا، وتركز على المنحى الاجتماعي في سياساتها، وتحتل ذلك الموقع الذي يجعل محور موسكو طهران الحل الأمثل لعدد ضخم من المشكلات بالنسبة للإمبراطورية الجديدة، إذ بإدخال إيران قطبا جنوبيا يمكن لروسيا أن تصل على الفور إلى المياه الدافئة وهو الهدف الاستراتيجي الذي سعت إليه روسيا بطرق خاطئة لمئات السنين. وبغياب هذا المخرج نحو المياه الدافئة تمتعت الجيوبوليتيكا الأطلسية منذ أيام إنكلترا الاستعمارية بورقة راجحة هي الأهم، حيث هيمنت كليا في القرن التاسع عشر على آسيا وشرق، في حين أنه كان بمستطاع إيران أن تكون يومذاك كما اليوم الحل

الجزري لهذه المعضلة الكبرى. وبواسطة إيران تكون الإمبراطورية الروسية الجديدة في مأمن تام من تنفيذ الخطة الأطلسية التقليدية لخلق الآماد القارية لليابسة عبر احتلال المناطق الشاطئية على امتداد الأوراسيا، وبخاصة إلى الجنوب والغرب. كما أن إقامة محور موسكو طهران سيخرق الطوق الأطلسي دفعة واحدة في أضعف نقاطه، وسينتج لروسيا آفاقا لا حدود لها نحو الحصول على جسور جديدة داخل الأوراسيا وخارجها، وتلك النقطة الأكثر جوهرية⁵.

3- إيران.. كأساس للمشروع الجيوبوليتيكي الأوراسي:

إن إيران من الناحية الجيوبوليتيكية هي آسيا الوسطى حسب تعبير دوغين، مثلما أن ألمانيا بكل دقة هي أوروبا الوسطى. وعلى موسكو كمركز لأوراسيا أن تسلم لإيران في إطار الإمبراطورية الجديدة رسالة إقرار السلام الإيراني (Pax Persica) في هذه المنطقة وإقامة حلف جيوبوليتيكي آسيوي وسطي قادر على مجابهة التأثير الأطلسي في المنطقة بأسرها. وإيران المعادية تقليديا لكل من تركيا والعربية السعودية، ستنهض هذه المهمة بطريقة أفضل بكثير مما يمكن أن ينهض به الروس الذين لن يحلوا مشاكلهم الجيوبوليتيكية في هذا المركز المعقد إلا بالموازرة الإستراتيجية للجانب الإيراني. وليس الحديث هنا عن إمبراطورية إيرانية في آسيا الوسطى، بل عن إمبراطورية آسيا الوسطى التي يمكنها على أسس فيدرالية أن تقيم التكامل بين مختلف الشعوب والثقافات في حلف جيوبوليتيكي جنوبي موحد، وتصوغ بذلك التشكيل الإسلامي المتجانس استراتيجيا والتعددي إثنيا وثقافيا، والمرتبطة أوثق الارتباط بمصالح كامل الإمبراطورية الأوراسية. وفي هذا الإطار لا بد لتركيا من أن تكون كبش الفداء لأنه لن تؤخذ مصالحها بالحسبان في كازاخستان وآسيا الوسطى، فضلا عن توكيد دعم الانفصالية الكردية في تركيا نفسها ومطالبة الأرمن الأتراك بالحكم الذاتي بهدف تخليص الشعوب القريبة من إيران إثنيا من التخلص من الهيمنة الأطلسية العلمانية، وكتعويض لتركيا يعرض عليها التوسع جنوبا في العالم العربي عبر بغداد ودمشق والرياض، وإما تشجيع الأصوليين المؤيدين لإيران في تركيا دائما على الالتزام الجزري بالنهج الجيوبوليتيكي وعلى الدخول في المستقبل الأبعد ضمن المعسكر الآسيوي الوسطي.

أما الخط الثاني للحلف الأوراسي مع الجنوب فهو المشروع العروبي الذي يشمل جزءا من آسيا الأمامية وشمالي أفريقيا. ولهذا الحلف أهميته في مسألة السيطرة على شاطئ أوروبا الجنوبي الغربي، ولهذا بالذات كان الحضور الإنكليزي ومن بعده الأمريكي أحد الثوابت التاريخية الإستراتيجية في هذه المنطقة، فمن خلال السيطرة على الشرق الأوسط وأفريقيا الشمالية كان الأطلسيون يهيمنون تقليديا ولا يزالون على أوروبا القارية بسبب الضغط السياسي والاقتصادي، إلا أن تكامل المشروع العروبي مع الإمبراطورية الأوراسية العامة يحسن أن يعهد به للقوى الأوروبية التي عادت إلى المشاريع الأوروبية الأفريقية التي لا تمثل من وجهة نظر الجيوبوليتيكا سوى قارة واحدة. والإمبراطورية الأوراسية ذات الاهتمام الحيوي بالتغلغل المتعمق الأعظم نحو جنوبي القارة الأفريقية يجب أن تسيطر في المستقبل المنظور وبصفة كلية على أفريقيا حتى الصحراء بالاعتماد على الحلف العروبي ثم تحاول التحذر استراتيجيا في الأرض الأفريقية كلها، ولن يعود البحر المتوسط سوى مجرد بحيرة داخلية⁶.

وبسبب خصوصية الصورة الشيعية الفارسية للإسلام الإيراني، فإن على المشروع العروبي التطلع إلى إقامة حلف مستقل معاد للأطلسية تكون أقطابه الأولى كل من العراق وليبيا وفلسطين الحرة وسوريا أيضا ضمن شروط محددة، أي الدول العربية التي تعي الخطر الأمريكي أكثر من سواها والتي ترفض بصورة أكثر جذرية أنموذج السوق الرأسمالية الذي يفرضه الغرب⁷. أما المصالح الجيوبوليتيكية للعربية السعودية فتتفق كل الاتفاق مع صيغة معينة من العولمة، لأن الرفاه الإقتصادي والعسكري مؤسس على دعم الولايات المتحدة التي تحمي مصالح الأسرة المالكة، وقد وقفت المملكة السعودية في مرات كثيرة عقبة في وجه إقامة المدى العربي الكبير لأن ذلك يناقض مصالح الأسرة الحاكمة ومصالح الأطلسيين. وإيران الثورية هي عموما العدو رقم واحد للسعوديين، وعلى هذا يرى دوغين أن الطريق الإيجابي الوحيد لإقامة المدى الكبير الجديد هو طريق الثورة الإسلامية مع التوجه إلى طهران، ففي هذا السياق يمكن حل التزايدات القومية وإحياء التقليد الديني، وعلى الصعيد الجيوبوليتيكي يعني إقامة حلف قاري جبار قادر كل القدرة على مواجهة المشاريع العولمية في المنطقة⁸.

4-إنهاء العظمة الأمريكية:

بينما يرى بافل باييف أن روسيا الاتحادية في عهد فلاديمير بوتين تحاول التمسك بنظرية القوة العظمى وتتصرف على هذا الأساس رغم افتقارها إلى الموارد الكافية، ثم تدعو في الوقت نفسه إلى عالم جديد متعدد الأقطاب، يؤكد فيكتور برباكي أن وضع أمريكا في تدهور مطرد وتحتاج إلى حرب كبرى لوقف هذا التدهور. ويقول الخبراء الإستراتيجيون الروس في هذا السياق تحديدا: إن الولايات المتحدة تفقد موقعها كقوة متفوقة في العالم، بعدما فشلت في اختبار أن تكون القطب الأوحد، بالتورط في الصراعات الدائمة للشرق الأوسط، واستنزاف قواها فيها حتى لم تعد تملك الموارد الكافية لتبقى في موقع الصدارة. وحسب رأي الخبراء المنضوين في الأكاديمية الروسية للعلوم، فإن العالم اليوم في منتصف المرحلة المضطربة للدورة التطورية العالمية، والتي بدأت في ثمانينيات القرن العشرين وتنتهي في منتصف القرن الواحد والعشرين. وإن المؤشرات الحادة لعدم الاستقرار ستنتهي ما بين عامي 2017 و2019 بأزمة مالية لن تكون بعمق أزمة عامي 2008 و2009. لكنها ستكون بمثابة انتقال الإقتصاد العالمي إلى أسس تكنولوجية جديدة. وإن تجدد قوى الإقتصاد ما بين عامي 2016 و2020 سيفضي إلى تبدلات مهمة في ميزان القوى العالمي ونشوب صراعات عسكرية وسياسية خطيرة تنورط فيها الدول العالمية وكذلك الدول النامية، وسيكون الشرق الأوسط وآسيا الوسطى محور هذه الصراعات. وعلى هذا، فإن قرن الهيمنة الأمريكية العسكرية والسياسية على العالم قارب على الإنتهاء، في حين أن التعددية القطبية ستؤدي إلى تقسيم أكثر عدلا للثروة في أرجاء العالم مع تحول عميق للمؤسسات الدولية مثل الأمم المتحدة وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي. وإن مركز النمو الاقتصادي هو في صدد الانتقال من الغرب والذي حقق أهم إنجازاته من خلال الثورة الصناعية إلى الشرق الآسيوي. وعلى الصين والهند الإستعداد لسباق اقتصادي غير معهود كما يقول برباكي، وذلك لأن هذين البلدين الأكثر كثافة سكانية في العالم سيحددان اتجاهات النمو وسرعته في العالم، على أن المعركة الرئيسية على ريادة العالم ستكون بين أمريكا والصين⁹.

والسؤال هو: كيف ستتصرف أمريكا حتى لا تخسر موقعها الأول؟، وذلك لأن أي حساب استراتيجي راهن في أمريكا يرفض أي افتراض خسارة أمريكا للتفوق العالمي، باعتبار الصلة الوثيقة بين هذا التفوق والرفاهية الأمريكية في القرن الواحد والعشرين، وهذا بمثابة الأمر المسلم به لدى النخب الأمريكية بغض النظر عن الانتماءات السياسية. وكذا فإن الاحتمالات الرياضية للحركة الجيوبوليتيكية العالمية تصل إلى نتيجة محددة وهي أنه ليس أمام أمريكا من خيار للحفاظ على موقعها إلا من خلال الانتصار في حرب واسعة النطاق وبالأسلحة التقليدية. وهنا يرى برباكي أن استخدام الوسائل غير العسكرية لإزاحة المنافسين عن الساحة كما حدث مع الإتحاد السوفيتي السابق ما زالت تعمل حتى اليوم، لاسيما وقد تطورت التكنولوجيات ذات العلاقة. لكن دولا مثل الصين وإيران باتت برأي برباكي عصية على التلاعب الخارجي بها، لذلك إن استمرت الحركة الجيوبوليتيكية الحالية فإن قيادة العالم ستتغير كما هو متوقع عام 2025، والوسيلة الوحيدة لتجنب ذلك هو إشعال حرب كبرى. والبلد الذي يواجه تحدي خسارة القيادة أي أمريكا ليس لديه خيار سوى توجيه الضربة أولا، وهذا ما دأبت واشنطن على فعله طيلة الخمسة عشر عاما السابقة، وإن التكتيك المتبع ليس استهداف القوة المرشحة لتكون البديل الجيوبوليتيكي منها بل استهداف البلدان ذات العلاقة بهذه القوى المرشحة للصعود والتي تبدو ملائمة في تلك اللحظة، أي مثلما جرى في الهجوم على يوغوسلافيا وأفغانستان والعراق، على أن الهدف المباشر آنذاك كان حل مشكلات اقتصادية صرفة أو مشكلات إقليمية صغيرة، لكن اللعبة الأكبر الآن تتطلب هدفا أكبر، حيث يعتقد المحللون العسكريون الروس أن إيران إضافة إلى سوريا والمجموعات الشيعية مثل حزب الله ستكون الهدف الأرجح أمريكيا في سياق إعادة توزيع القوى في العالم¹⁰.

5- المناورة الجغرافية الأمريكية والربيع العربي:

وعلى هذا الأساس المشار إليه آنفا، يقرأ برباكي مجريات الربيع منذ أواخر العام 2010 في تونس، بشكل مغاير، فيقول: إن أمريكا صنعت الظروف الملائمة كي يندمج العالم الإسلامي في خلافة واحدة، وأن المقصود من إنشاء هذا الكيان الجديد مساعدة أمريكا أو القوة المتفوقة الآفلة في الإمساك بمفاتيح الموارد العالمية من الطاقة البترولية، وضمان مصالحها في آسيا وأفريقيا، وكل ذلك استعدادا للقوة المتضخمة للصين، وعلى هذا فإن الخطوة الأمريكية الثانية هي التخلص من سوريا وإيران اللتين تقفان كعقبة في وجه الهيمنة الأمريكية حسب زعم برباكي¹¹. وبما أن محاولات زعزعة النظام الإيراني من خلال الإنتفاضة المدنية قد فشلت، فإن المحللين العسكريين يشكون في أن الولايات المتحدة بصدد صياغة سيناريو تدخل عسكري شبيه بالذي جرى في أفغانستان والعراق، وأن حظوظ هذا السيناريو عالية رغم المشكلات التي عاناها الأمريكيون في أفغانستان والعراق سواء في الاحتلال أو خطط الانسحاب، وأن مفتاح الأمر كله هو تطبيق مشروع الشرق الأوسط الجديد والذي سيتسبب بأضرار بالغة لروسيا والصين، ويفسح المجال أمام خوض الحرب الكبرى. والهدف هو إخراج روسيا والصين من منطقة البحر المتوسط ومن الشرق الأوسط، وفصل جنوبي القوقاز وآسيا الوسطى عن روسيا، وقطع الصين عن أهم موردي مادة النفط إليها. وإن تحقيق هذا المشروع الأمريكي سيدمر تطلعات روسيا لنمو مستقر ومسلم، إذ إن منطقة

جنوبي القوقاز الخاضعة للنفوذ الأمريكي سترسل أمواج الصدمة نحو الشمال القوقازي، وسيكون الإسلاميون هناك فتيل التفجير حسب برباكي، وستنتقل النار إلى المناطق ذات الأغلبية المسلمة في روسيا، أي تكرار سيناريو أفغانستان في ثمانينات القرن العشرين¹².

وبناء على هذا التحليل الجغراسياسي الذي يشبه نظرية الدومينو، فإن سقوط سوريا بعد ليبيا يعني بالنسبة للنظام الروسي الحالي اقتراب الخطر من إيران الدولة الحاجزة ما بين مسلمي آسيا الوسطى ومسلمي العالم العربي، والتي تفصل بين أذربيجان الأمريكية الهوى وبين القوقاز المتهب من خلال تحالفها مع أرمينيا. ولو تزعزع أمن إيران أيضا بانتقال الحراك الثوري إليها فإن الطوق الإسلامي ذي النمط الأطلسي، كما يعتبر الخبراء الروس، سيعود ليرتسم على طول الحزام الشاطئي بما يعزل روسيا داخل السهوب، ويخنق اقتصادها بل يدمر وحدتها الترابية عبر استخدام العامل الإسلامي الفعال كما كان لدى تفكيك الاتحاد السوفيتي. وبهذا تنتهي روسيا الاتحادية وتعود لتكون موسكو الكبرى كناية عن روسيا المصغرة، بعد انفصال المناطق الإسلامية عنها.

6-روسيا ومناورات الحديقة الخلفية:

لكل قطب دولي أو قوة عظمى فناء خلفي، مأساة شعوب هذا الفناء أنهم دوما عرضة لتكسر القوى وتنازع المصالح، وفي كثير من الأحيان تتحول أوطانهم إلى ساحة رماية وميدان قتال، وقد يغرر بهم فيقعوا فريسة وعود متباينة حين تتلاعب بهم القوى المتصارعة.

خلال العقدين الماضيين دفعت شعوب أوكرانيا وجورجيا وقرغيزيا وأوزباكستان ومولدوفا ثمن وقوعها في الحديقة الخلفية لروسيا، فحصلت على وعود متضاربة ودفعت ثمنا فادحا للمراهنة الخاطئة. كان أحداث تلك المراهنة الفاشلة الحرب التي خسرتها جورجيا في أوت 2008 حين تلقت وعدا من الولايات المتحدة والنااتو بالدعم العسكري واللوجستي، فغرر بقيادتها المدعومة من الغرب. انزلقت جورجيا في مغامرة حرب ضد روسيا فخسرت خلال خمسة أيام ما قد لا يمكن تعويضه خلال خمسة عقود!.

هل يكرر التاريخ نفسه؟ ففي عام 1840 تداول الشيشانيون والداغستانيون خطابا يحمل توقيع الخاتم الملكي لمحمد علي باشا، يفوض فيه الإمام محمد علي شامل بقيادة سكان الإقليم لمحاربة روسيا التي كانت تتوغل في القوقاز، كانت الوعود أكيدة بقرب وصول الجيش المصري المتوغل في الأراضي التركية لتقديم العون العسكري في مواجهة الغزو الروسي. فشل مشروع محمد علي في تركيا واكتسح الجيش الروسي جيش الميردين وضم إقليم القوقاز إلى غير رجعة¹³.

أحاطت روسيا نفسها عبر الألف سنة الماضية بأكبر حديقة خلفية عرفتها الإمبراطوريات. تشتمل هذه الحديقة على أقاليم جغرافية متباينة تمتد من ساحل المحيط الهادئ في الشرق إلى وسط أوروبا في الغرب، ومن المحيط القطبي الشمالي (المكسد بثروات النفط والغاز) إلى البحر الأسود وبحر قزوين (حيث حرب أنابيب النفط والغاز). تتألف الحديقة الخلفية من أربعة أقاليم رئيسية:

- دول البلطيق الثلاث (إستونيا، لاتفيا، ليتوانيا).

- دول أوروبا الشرقية (بيلاروسيا، أوكرانيا، مولدوفا).
 - دول القوقاز (أرمينيا، أذربيجان، جورجيا).
 - دول آسيا الوسطى (كازاخستان، أوزبكستان، قرغيزستان، طاجيكستان، تركمنستان).
- وإلى ما سبق يضاف ما يمكن تسميته "أقاليم تكسر القوى" والتي تضم مناطق تتماس مع حديقة روسيا الخلفية وهي:

- منطقة تركستان الشرقية "شينغيانغ".
- أفغانستان وباكستان وكشمير.
- المشرق العربي وإيران.

7-دوائر الأمن القومي وواقع العمق الروسي:

لا تستطيع روسيا اليوم تلبية متطلبات الأمن القومي بمواجهة شاملة لتغلغل الوافدين الساعين إلى طردها من حديقته الخلفية، فالمساحة شاسعة والأعراق والإثنيات والديانات متباينة وأحجام السكان كبيرة، والثروات تثير مطامع قوى الداخل والخارج. فضلا عن أن حيل الاختراق المتبعة أكبر من طاقة روسيا "السوفيتية" وليس روسيا "الفدرالية" الحالية، خاصة إذا ما وضعنا في الاعتبار أن عددا من دول الحديقة الخلفية قد خاض صراعا طويلا من أجل الانفلات من قبضة روسيا وكان يتوق لمن يمد له يد المساعدة في ظل تاريخ روسي حافل بذكريات مؤلمة في العقل الجمعي لهذه الشعوب. وقد تمكنت دول البلطيق الثلاث من المروق من التأثير الروسي بل صارت اليوم أهم مركز عسكري لقوات حلف شمال الأطلسي الذي يتجسس على قدرات روسيا العسكرية من بحر البلطيق وحتى جبال الأورال¹⁴.

وباستثناء أرمينيا، فإن دول القوقاز الجنوبي لديها مواقف عدائية أو متحفظة على الدور الروسي في الإقليم، فجورجيا تعاني من دعم روسيا لانفصال ثلاثة أقاليم ذات أهمية جيوسراتيجية ولم تتمكن سوى من إرجاع إقليم واحد في الجنوب الغربي (إقليم أدغاريا). أما أذربيجان فتتخفظ على الدعم الروسي المفتوح لأرمينيا التي تحتل أراضيها في كارباخ وما حولها. وتفتح جورجيا وأذربيجان أذرعها للتعاون مع قوات الناتو وتسعى للحصول على عضويته.

وفي آسيا الوسطى فإننا إذا ما استثنينا كازاخستان سنجد شعوب تلك المنطقة لا تحتفظ بتاريخ ودي للهيمنة الروسية (القيصرية ثم السوفيتية) ولولا سيطرة نظم سياسية شبه شيوعية على تلك الدول بعيد الخيار الشيوعية لكانت حالة الانفلات من تأثير روسيا والاستجابة للوعود الغربية أكثر مما هي عليه الآن. وقد خضع عدد من هذه الدول بالفعل للإغراء الأمريكي فقبلت إقامة قواعد عسكرية على أراضيها.

وبعد قيام أوزبكستان في 2005 بتفكيك الوجود العسكري الأمريكي على أراضيها (بعيد أحداث أندوغان) نجحت موسكو في إقناع قرغيزيا في مطلع عام 2009 بإغلاق القاعدة العسكرية الأمريكية التي أقيمت على

أراضيها منذ عام 2001، فأعلن الرئيس القرغيزي كرمان بك بكاييف في ختام زيارة له لموسكو قراره إغلاق قاعدة ماناس الجوية التي كان يستخدمها حلف الناتو من أجل إحكام سيطرته على أفغانستان ونقل المُن والمعدات العسكرية من تلك القاعدة التي استخدمها في عام 2008 نحو 120.000 من القوات العسكرية. وتروج الصحف الغربية أن موسكو وعد قرغيزيا بدفع 2 بليون دولار سنويا مقابل اتخاذ ذلك القرار الذي تأمل روسيا في أن يقلل من سيطرة الناتو والولايات المتحدة على آسيا الوسطى وأفغانستان¹⁵. علما أن الولايات المتحدة كانت تدفع سلفا مبلغا مماثلا نظير تأجيرها للقاعدة سنويا لقرغيزيا، الأمر الذي يعني أن دول آسيا الوسطى تستفيد الآن استفادة كبيرة من الاقتراب الأمريكي من المنطقة خلال تقديم ولاء "مدفوع الأجر" لروسيا.

وعلى الأطراف الغربية لهذه الحديقة تحتل منطقة كالينغراد أهمية متزايدة. إذ يقع جيب كالينغراد بين بولندا وليتوانيا ويتبع الإتحاد الفدرالي الروسي ويمثل أهم نقطة مواجهة بين روسيا وحلف الناتو. وكالينغراد في الأصل منطقة ألمانية استولى عليها ستالين في أعقاب الحرب العالمية الثانية واحتفظ بها لروسيا. ويقع الإقليم على بحر البلطيق منفصلا عن الحد الغربي لروسيا بمسافة تبلغ 350 كلم، ويسكن الإقليم نحو مليون نسمة. وقد تطورت أهمية هذا الجيب منذ اعتزام حلف الناتو نشر الدرع الصاروخي في أوروبا الشرقية.

وقد حددت روسيا بين عامي 2007 - 2009 نصب صواريخ إسكندر Iskander وهي صواريخ شبه باليستية قصيرة المدى (480 كلم) يعتزم الكرملين توجيهها إلى بولندا ودول شرق أوروبا التي ستنتشر فيها منظومة الدرع الصاروخي. وفي نفس الوقت نصب أسلحة أخرى أبعد في مداها ستوجه إلى الولايات المتحدة عبر القطب الشمالي. فضلا عن أن روسيا قد أعلنت على لسان رئيسها السابق دميتري ميدفيدف أنها ستتخذ من كالينغراد مركزا للتشويش الإلكتروني على مواقع المنظومة الأمريكية المضادة للصواريخ في أوروبا.

ومن اللافت للإنتباه أنه قبل توتر علاقة روسيا والناتو كانت خطط التنمية في كالينغراد تسعى إلى تحويلها إلى مركز تجاري، فعرفت في منتصف التسعينيات خلال عهد بوريس يلتسين باسم "هونغ كونغ روسيا" حين كان مأمولا أن تصبح منطقة تجارة حرة في شمال أوروبا. كما تم الترويج في بداية عهد فلاديمير بوتين بأن تقام في كالينغراد محطة للطاقة النووية لتصدير الكهرباء إلى شمال أوروبا. وإضافة إلى ما سبق تم التمهيد لأن تصبح كالينغراد محطة للمنتجات السياحية الدولية ومركزا للرهان والمضاربات، وروج بأنها ستصير لاس فيغاس أوروبا. وكان قد رافق ذلك تخفيض عدد القوات المسلحة في الإقليم من 320.000 إلى 20.000 فرد¹⁶.

وعلى هذا فإن تحويل كالينغراد من مركز للتجارة والاقتصاد والسياحة إلى قلعة عسكرية ومخفر أمامي لروسيا لمواجهة الناتو سيأتي على حساب خطط التنمية الداخلية في هذه المنطقة التي تمثل بحق "نافذة روسيا على شمال أوروبا".

وعلى مدار ما يقرب من عقدين (1991 – 2009) اتبعت روسيا وسائل تكتيكية وإستراتيجية في علاقتها بحلف الناتو¹⁷ ولم تكن روسيا تملك أمام اندفاع الناتو ملء الفراغ في حديقته الخلفية سوى أن تبتلع مراحل متتابعة من الخسائر على الأرض في مقدمتها:

- تحويل شرق أوروبا إلى مخافر أمامية لحصار روسيا من الغرب. وبعد أن تفكك حلف وارسو رسميا في 1991 لم تكمل وارسو عامين حتى انضمت في عام 1993 للناتو لتصبح أول عاصمة شيوعية سابقة تنقلب على موسكو. وقد مثل ذلك ضربة موجعة لروسيا التي كانت قد تلقت وعودا من الحلف بعدم ضم أية دولة سابقة في حلف وارسو إلى عضويته. وقد استغل الناتو القدرات العسكرية السوفيتية السابقة في بولندا ووجد فيها صيدا ثميناً لما لديها من مؤهلات عسكرية وبنية أساسية مجهزة، وهو ما جعل الناتو قادرا على استهداف أي جزء في العمق الروسي حتى جبال الأورال.

- ضرب الناتو ليوغسلافيا في 1999 وعجز روسيا عن تقديم الدعم للأشقاء من السلاف الجنوبيين، وهو ما أوقع روسيا في موقف شديد الحساسية حين وقفت عاجزة أمام دعوة الرئيس الصربي سلوبودان ميلوزوفيتش لإنقاذ بلاده من التفتيت ودعوته إقامة الإتحاد السلافي على نحو ما وعدت روسيا.

- تحويل أفغانستان بعد ذريعة أحداث سبتمبر 2001 إلى أكبر ميدان للقواعد العسكرية لحلف الناتو وتكريس السيطرة العسكرية على بلد كان دوما في مجال نفوذ موسكو.

- كانت الصدمة التالية حين شهدت العاصمة التشيكية براغ في نوفمبر 2002 الحدث التاريخي بضم حلف الناتو لأربع دول من شرق أوروبا هي رومانيا وبلغاريا وسلوفاكيا وسلوفينيا إضافة إلى دول البلطيق الثلاث: إستونيا ولاتفيا وليتوانيا. وفي لحظة مربكة اضطرت روسيا في عام 2002 (ربما لأسباب براغماتية) قبول عضوية حلف الناتو بصفة مراقب!.

ولأن روسيا لا تستطيع مواجهة اختراق الناتو في كافة الجبهات السابقة فإنها تناور في المقابل بطريقة عكسية بأن تذهب بنفسها إلى حديقة الولايات المتحدة الخلفية من خلال العودة إلى مياه البحر الكاريبي ودول أمريكا اللاتينية.

وفي هذه المنطقة مارست الولايات المتحدة سياسات بالغة الوحشية (لا تقل عما مارست روسيا في حديقته الخلفية السابق الإشارة إليها) تنوعت بين الاحتلال والغزو وصناعة الأتباع واغتيال المعارضين السياسيين¹⁸. الأمر الذي يمهّد الأرض لروسيا التي تبدو في هذه الحالة مدافعة عن حقوق شعوب أمريكا اللاتينية المهذرة وتقف إلى جانب زعمائها المعارضين لواشنطن.

لكن المفارقة الجغرافية لا تبدو في صالح روسيا، فالتواصل المكاني بين أوروبا الغربية والشرقية وتركيا والقوقاز وآسيا الوسطى قدم للولايات المتحدة جسورا برية حققت لها أهدافها بقدر عال من السهولة. في المقابل يلعب عامل البعد الجغرافي وعدم الاتصال الإستراتيجي (فضلا عن عوائق أخرى في مقدمتها صعوبة انتشار اللغة الروسية

في الفضاء اللاتيني مقارنة بسهولة انتشار اللغة الإنجليزية في الفضاء الروسي) في إعاقه تحقيق روسيا للنجاح الذي حققته الولايات المتحدة في هذا الصدد.

على كل حال، ما زالت روسيا تملك معالم الدولة الكبرى على المستوى الجغرافي السياسي. فهي كبرى دول العالم مساحة وتحتل المرتبة الثامنة في قائمة أكبر دول العالم سكانا. ولديها موارد طبيعية وبيئية شاسعة الانتشار، ويندر أن يغيب اسم روسيا عن قائمة الدول الخمس الكبرى في إنتاج الخدمات المعدنية، وتتصدر دول العالم في إنتاج موارد الطاقة وبصفة خاصة الغاز الطبيعي. كما أن لديها رصيدا متينا من البنية الأساسية للقوة البشرية التي تلقت درجات عالية من التعليم والتقدم العلمي والحضاري. وكل هذه المقومات كفيلة بأن تمثل المواد الخام التي يمكنها تحويل روسيا إلى واحدة من دول العالم الكبرى.

كما تمتلك روسيا المقوم "الروحي" لأية دولة تتطلع إلى السيادة العالمية، ذلك المقوم الذي أطلق عليه عالم الأنتروبولوجيا الروسي "غوملييف" اسم "الباسيونارنست"¹⁹ أو "الولع بالسيطرة على العالم"، إذ يبدو الشعب الروسي على دراية بذاته ويمتلك وعيا تاريخيا بالدور المحوري الذي يمكن أن يلعبه في العالم. في بعض الفترات نشعر أن "الباسيونارنست" يستمد قوته من الدور الوظيفي التاريخي الذي لعبه الروس في حماية المناطق المجاورة (على غرار ما تفتخر روسيا به في جوان من كل عام في ذكرى الانتصار على النازية والتأكيد أنه لولا هذا النصر لسيطر هتلر على العالم). وقد يستمد هذا الولع طاقته من الدور الديني لروسيا في العالم المسيحي، إذ تمثل الكنيسة الروسية أحد أهم المراكز الدينية في العالم حتى أن موسكو تعتبر نفسها "روما الثالثة" (بعد روما والقسطنطينية) ومعقلا للمذهب الأرثوذكسي في كافة أرجاء أوراسيا. كما يستمد هذا الولع مصادره من التباهي بالدور "التنويري" الذي لعبه الروس في آسيا الوسطى حين نقلت دول الإقليم من المرحلة البدوية ودولة القبيلة إلى المرحلة المعاصرة في زمن الشيوعية.

لكن في المقابل، ما تزال بعض الأخطاء التي يستوجب على روسيا التخلص منها للوصول إلى مكانة القطب الدولي بالمعايير الحديثة.

الهوامش:

1- ألكسندر دوغين، مؤسس الفكر الأوراسي الجديد في روسيا، ابن عائلة عسكرية عريقة حيث خدمت أجيال منها في صفوف الجيش الروسي. لم ينشط فكريا في اتجاهه اليميني عقب انهيار الاتحاد السوفيتي، بل كان عضوا في مجموعة سرية تضم مثقفين يمينيين متطرفين قبل سنوات من ذلك الحدث، وقد تعرض بسبب ذلك إلى الاعتقال على يد الاستخبارات السوفيتية (كي جي بي)، حيث اعتبرت الكتابات الفكرية الموجودة في شقته من المواد الخطورة آنذاك. وبسبب علاقته الوثيقة مع قائد أكاديمية قيادة الأركان الروسية الجنرال إيغور روديونوف لقيت أفكاره رواجاً أكبر في الأوساط العسكرية عندما تولى روديونوف وزارة الدفاع بين عامي 1996 و1997 وهو الوقت الذي كتب فيه دوغين كتابه المرجع (أسس الجيوبوليتيكا). أصبح عام 1998 مستشارا جيوبوليتيكا لدى رئيس مجلس الدوما غينادي سيلزنيف الذي كان في تلك الفترة من الشخصيات الأساسية في الحياة السياسية. وبعد

عامين أسس حركة أوراسيا الجديدة حيث أصبح كتابه (أسس الجيوبوليتيكا) مادة تعليمية معتمدة في عدد من المعاهد التعليمية ولاسيما العسكرية منها.

2- ألكسندر دوغين، أسس الجيوبوليتيكا، مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي، ترجمة وتقديم: الدكتور عماد حاتم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004، ص، ص.، 57 - 59

3- نفس المرجع، ص.، 40

4- نفس المرجع، ص، ص.، 150 - 154

5- نفس المرجع، ص، ص.، 287 - 289

6- John B. Dunlop, Aleksandr Dugins Foundations of Geopolitics, p. 290

7-Ibid., p. 293

8- Stephen J. Blank, **Perspectives on Russian Foreign Policy**, Strategic Studies Institute, September, 2012, p. 493

9-Ibid., p. 494

10-Victor Burbaki, **Why The US Need a Major War**, Strategic Culture Foundations, 04. 01. 2012, p. 202

11-Ibid., p. 231

12-Ibid., p. 233

13- عاطف معتمد، الصراع الروسي الشيشاني في ضوء الرؤية الجغرافية لتراعات القوقاز، دار الحريري، القاهرة، 2004، ص.، 89

14- لدراسة مستفيضة عن جذور العداء بين دول البلطيق وروسيا ومسألة الهوية وتحالفات ما بعد الاستقلال راجع الدراسة التالية:

-Koronenfeld. D, **The effect of interethnic contact on ethnic identity, Evidence from Latvia**, Post-Soviet Affairs, 21, 3, 2005, p. 248

15- وكالة أنباء نوفستي (2008) أبرز الأحداث في القوات المسلحة الروسية في عام 2008، بتاريخ 31 ديسمبر.

16- Ellen Barry, **Russian Missile Plan Gives a New European Trade Hub an Old Identity Crisis**, The New York Times, November 27, 2008, p. 08

17- لتتبع علاقة حلف الناتو بروسيا انظر:

-Voronin. A, **Russia-NATO strategic partnership: problems, prospects**, Military Thought, Oct- Dec, 2005, p. 24

18- لتفاصيل الممارسات الإمبريالية التي ارتكبتها الإدارات الأمريكية المتوالية في أمريكا اللاتينية راجع: نعيم تشومسكي، النظام العالمي القديم والجديد، ترجمة: عاطف معتمد، دار نهضة مصر، القاهرة، 2007.

19- غومليف، عود على بدء (دراسة في الأنثروبولوجيا والحضارة)، دار رولف، موسكو، 2001 (باللغة الروسية).

نحو برامج إرشادية مستندة على التعلم الاجتماعي العاطفي

SEL

د. حواس خضرة

جامعة الحاج لخضر-باتنة-

قسم العلوم الاجتماعية

ملخص :

و تهدف هذه المقالة إلى التعريف بالبرامج الإرشادية المستندة على التعلم الاجتماعي العاطفي ، كتوجه جديد في بناء البرامج الإرشادية ، و توضيح أهم الخدمات التي توفرها في الفضاء المدرسي، و شموليتها في تعديل جميع جوانب الشخصية، و مساهمتها في رفع المخرجات المعرفية و الوجدانية و السلوكية للمدرسة ، إذ تثبت الدراسات العلمية(العربية و الأجنبية) التجريبية منها خاصة ،الأثر الايجابي لهذه البرامج على المستوى المعرفي و الوجداني و السلوكي، كما تتميز بشموليتها للاستراتيجيات الثلاث للإرشاد النفسي (الإنمائية و الوقائية و العلاجية).ما يجعلها خيارا لا بد منه لخدمات الإرشاد النفسي المدرسي .

الكلمات المفتاحية : البرامج الإرشادية ،التعلم الاجتماعي العاطفي ،استراتيجيات الإرشاد ، الإستراتيجية الإنمائية ، الإستراتيجية الوقائية ، الإستراتيجية العلاجية.

Résumé:

Titre: Vers des programmes d'orientation fondés sur l'apprentissage socio- émotionnelle

. Cet article vise à apporter une contribution en termes d'information à propos d'une nouvelle tendance de conception de programmes d'orientation fondés sur l'apprentissage socioémotionnel. Il a aussi pour objectif de jeter des éclairages sur les principaux services qu'ils proposent au sein de l'espace scolaire et sur leur caractéristique mutidimensionnelle de transformation de tous les aspects de la personnalité. Il met aussi en évidence leur apport dans l'accroissement du niveau de l'output de l'école sur le plan cognitif, émotionnel et comportemental. Plusieurs études scientifiques et notamment expérimentales (arabes et étrangères) ont montré l'effet positif de ces programmes au niveau cognitif, émotionnel et comportemental. Ils englobent de surcroît les trois stratégies de l'orientation psychologique: développementale, préventive et thérapeutique. C'est pourquoi ces programmes deviennent un choix incontournable en vue de services psychologiques scolaires

Mots clé :

programmes d'orientation psychologique, apprentissage socio-émotionnel, stratégies d'orientation. stratégies: développementale stratégies preventive – strategie thérapeutique-

مقدمة و إشكالية :

نظرا لاستغراق الأنظمة التربوية المعاصرة في التركيز على متطلبات السوق ،والحاجات البراغماتية لمجتمعات المعرفة ، إنعكس هذا آليا على تغييب الجانب الاجتماعي و الوجداني في مضامينها، ما أفرز تزايدا و ارتفاعا صارخا في منحى المشكلات السلوكية ،(كالعدوان وحوادث الانتحار و حتى القتل... إلخ) الشائعة في الوسط المدرسي، التي تعيق الأنظمة التربوية و تحول دون تحقيق أهدافها، و تمثل تلاميذها لمضامينها كمخرجات لها.

وقد تزامن إزدياد و إرتفاع نسب المشكلات السلوكية، في المؤسسات التربوية بروز نتائج أبحاث علم النفس المعرفي في آليات التعلم ، و كانت نظرية الذكاءات المتعددة لجاردنر أبرزها على الإطلاق و التي جعلت تأثير النظرة الكلية للذكاء تتراجع لتحل هي محلها . كما أثبتت هذه النظرية أن التعلم الاجتماعي العاطفي يعد أكبر معزز للتعلم المعرفي . ما أدى إلى ظهور دعوات من المتخصصين إلى ضرورة إدراجه في مضامين المناهج التعليمية . لكن التطبيق الإمبريقي لهذه الآلية جعل الحاجة ملحة لتكوين مكثف للمعلمين، -ما أثقل كاهل المربين إضافة إلى المهام العلمية - كما ظهرت الحاجة إلى وقت أكثر لتطبيقه ضمن المناهج الدراسية - فتم نقله إلى خدمات الإرشاد النفسي داخل المؤسسات التربوية، بل و ذهب الباحثون في مجال التعلم الاجتماعي العاطفي إلى أبعد من ذلك ، في إنشاء منظمات إرشادية عالمية ، أخذت على عاتقها إعداد برامج إرشادية مستندة على التعلم الاجتماعي العاطفي كمؤسسة كاسل casel و مؤسسة six seconds .

وقد أثبتت التجربة العالمية لآلية التعلم الاجتماعي العاطفي، إسهامه المتميز في التقليل من المشكلات السلوكية و التربوية، هذه الأخيرة التي أثقلت كاهل الأنظمة التربوية وأسهمت في إرتفاع نسب الإهدار التربوي بها . لقد أثبتت الدراسات فعالية و كفاءة البرامج الإرشادية المستندة على SEL، في توفير المرونة للأهداف التربوية نحو التحقق و الإجرائية كمخرجات توفر لها الجودة و التميز .

و تهدف هذه المقالة إلى التعريف بالبرامج الإرشادية المستندة على التعلم الاجتماعي العاطفي ، كتوجه جديد في بناء البرامج الإرشادية و توضيح أهم الخدمات التي توفرها في الفضاء المدرسي و شموليتها في تعديل الشخصية و مساهمتها في رفع المخرجات المعرفية و الوجدانية و السلوكية للمدرسة من خلال الإجابة على الأسئلة التالية :

1- ما هي طبيعة البرامج الإرشادية المستندة على التعلم الاجتماعي العاطفي ؟ و ما هي أهدافها و أهميتها التي جعلت منها حاجة ملحة لكل الأنظمة التربوية ناهيك عن الأنظمة الاجتماعية ؟

2- ما مدى شمولية هذه البرامج الإرشادية لإستراتيجيات الإرشاد النفسي الثلاث ؟ و بالتالي مدى شموليتها لكل الفئات و احتوائها ؟

3- ما هي معايير التعلم الاجتماعي العاطفي التي تستند عليه هذه البرامج ؟

4- ما هي أهم إستراتيجيات الإرشاد النفسي التي يتم الاعتماد عليها في بناء هذا النوع من البرامج الإرشادية؟

أولاً: مفهوم البرامج الإرشادية المستندة على التعلم الاجتماعي العاطفي مع بيان أهميتها و الحاجة إليها
هناك حاجة أكيدة إلى البرامج الإرشادية المستندة على التعلم الاجتماعي العاطفي ، فهي ليست ترفاً للحياة بل ضرورة من ضروراتها ، إذ تعتبر احد مترتبات الحياة الإنسانية العصرية ، و لعل تسمية هذا العصر بعصر الضغوط و القلق يعد مدخلا يبرر الحاجة الملحة لبرامج الإرشاد النفسي ، على اعتبار أن الهدف الأسمى لها هو تحقيق التوافق النفسي للأفراد . و يمكننا تحديد ابرز الأسباب التي جعلت الحاجة إلى البرامج الإرشادية تبرز أكثر ما يلي :

1- التغيرات المستمرة لنمو الفرد : خاصة الفترات الانتقالية الحرجة منها ، بحيث يتعرض الأفراد إلى تغيرات جسمية و نفسية و اجتماعية وحتى أكاديمية . و غالباً ما يصحبها مشكلات التأقلم و الاتساق مع الوضع الجديد ، و بالتالي البحث عن بدائل و مساعدة خارجية للتغلب عليها .

2-التجديدات والتغيرات التربوية : الحاجة إلى البرامج الإرشادية تزداد أكثر في الأوساط التربوية بسبب الازدياد الفائق في عدد الطلبة،و في كل المستويات التعليمية و تنوع التخصصات الدراسية ،و إبتعاد مضامين المناهج الدراسية عن الجانب الإنساني و الروحي، و إرتباطها بالجوانب المادية التجريبية البحتة ما أسهم في تفاقم المشكلات السلوكية ،و الانفعالية داخل المدارس ،ما أثر على نوعية المخرجات التربوية و عدم مطابقتها للأهداف المخطط لها،ما جعل الأنظمة التربوية خاصة في الدول النامية تتخبط في مشكلات متباعدة على المستوى السلوكي و العاطفي و المعرفي لمخرجاتها نظرا لإرتفاع نسب الإهدار التربوي.

3-التغيرات الأسرية : طرأت على مؤسسة الأسرة تغيرات عديدة ، و قد طال هذا التغير بناءها ووظائف أفرادها ،و صلاتهم ببعضهم وأبعد هذا التغير الأب أو الأم عن أطفالهم لفترات طويلة، ما أدى إلى التفكير في بدائل لرعاية الأطفال كالمربيات و دور الحضانه...مما أدى في أحيان كثيرة إلى عدم تحقيق المطالب النفسية و الاجتماعية للأطفال،الأمر الذي تسبب في بروز مشكلات سلوكية، و إنفعالية لديهم جعلت الحاجة ملحة لبرامج إرشادية مساعدة .

4- التغيرات الاجتماعية :طرأت على المجتمعات بإختلاف المرجعيات الخاصة بها تغيرات سريعة ،هذه الأخيرة شملت بعض العادات و التقاليد و المعايير الاجتماعية للسلوك، ووسائل الضبط الاجتماعي وكذا التغيرات في بعض القيم، ما أنتج صراع قيمي أثر على العلاقات الاجتماعية، و أسلوب الحياة الذي ألفه الفرد المعاصر .فالتسارع في المعرفة الإنسانية وسهولة الوسائل في توصيلها خاصة تكنولوجيا الإعلام و الاتصال، أدى إلى السرعة في تداولها بما تحمله من أنماط ثقافية و مرجعيات فلسفية، و اتجاهات فكرية ،...تصل إلى حد التناقض. مما أدى إلى ضرورة توفير خدمات الإرشاد لتشكيل جهاز مناعي اجتماعي لأفراد المجتمع، للحفاظ على الهوية القومية و الأخذ بما يجد في العلم، دون التأثير في الخصوصية الاجتماعية التي تبرز و تعزز التمايز .

4- التغيرات التكنولوجية السريعة : أدى التقدم العلمي و التقني الكبير، و ما صاحبه من منجزات علمية و مخترعات دخلت إلى المنزل ،المدرسة و المؤسساتمما اثر على الأفكار ،السلوكات ، العلاقات ،المفاهيم...ما انتج انتشار المشكلات نفسية و أمراض اجتماعية تؤثر في التماسك و المشاركة الاجتماعية ،الأمر الذي أدى إلى ظهور حاجة ملحة لخدمات إرشادية لمواجهة النواتج السلبية لهذا العصر.

فما هي البرامج الإرشادية المستندة على التعلم الاجتماعي العاطفي ؟و من أين تستمد خططها؟و ما مدى شموليتها لاحتواء كل هذه المشكلات و إشباع هذه الحاجات ؟

و للإجابة على هذه التساؤلات استوجب علينا تفحص بعض التعاريف الخاصة بالبرامج الإرشادية، و الوقوف على الاتجاهات الحديثة فيها و التوصل بعدها للإجابة على مدى شموليتها.

إن المتتبع و المتفحص لكل تعاريف البرامج الإرشادية يتأكد لديه أنها ظهرت في الأدب السيكولوجي بعد انتقال الإرشاد النفسي من مرحلة التشخيص إلى مرحلة التدخل، و تأكيد إستمراريتها لدورة الحياة الإنسانية بعد أن كان ينظر إليها كخدمة إنسانية، يلجأ إليها في أوقات الأزمات فقط.كما يتأكد الباحث أن أهدافها لا تختلف عن أهداف الإرشاد النفسي ، و لا نكاد نجد تعريفين يختلفان عن هذا ،فكل تعاريف البرامج الإرشادية باختلاف

توجهاتها الفكرية و منطلقاتها الفلسفية، بما فيها تعريف الرابطة الأمريكية للإرشاد النفسي، تؤكد أنها تهدف إلى تحقيق التوافق النفسي للفئات المختلفة، و بالتالي إشباع الحاجات الفردية و الاجتماعية للتوازن النفسي، و الاستقرار الداخلي ما ينعكس على التكيف الاجتماعي . و لنسرد أمثلة على هذه التعاريف :

تعريف الرابطة الأمريكية للإرشاد النفسي : طبقا لما ذكرته الرابطة الأمريكية للإرشاد النفسي المدرسي بخصوص البرامج الإرشادية، فإنها تضم مجموعة من المعتقدات و الفلسفات التي توجهها بحيث تركز على متطلبات ثلاث - المطالب الأكاديمية

- المطالب الشخصية

- النمو المهني و الوظيفي¹

فالبرامج الإرشادية خدمة نفسية لإشباع مطالب ، هدفها تحقيق التوافق النفسي للفرد، في جميع المجالات النفسية و التربوية و الشخصية و حتى المهنية .

لكن عند تفحصنا للبرامج الإرشادية سواء تعلق الأمر بالدراسات التجريبية، أو الدراسات المنشورة في المجلات أو الرسائل الجامعية، أو حتى تلك التي نجدها خاصة بمؤسسات تربوية عالمية قيد التنفيذ . نجد أنها متخصصة في أحد إستراتيجيات الإرشاد النفسي، إما إستراتيجية وقائية، أو إنمائية أو علاجية. بمعنى أن كل برنامج له إستراتيجية محددة، بالإضافة إلى هذا نجد أنها متخصصة في التركيز على متغير أو حاجة معينة، مما أفقده صفة الشمولية لاحتواء المشكلات المتنوعة، و إشباع الحاجات و المطالب المراد تحقيقها .

و تكاد تكون هذه القاعدة شاملة لكل البرامج الإرشادية، إلا نوع واحد فقط من البرامج الإرشادية الحديثة هي تلك المستندة على التعلم الاجتماعي العاطفي .

وقد إنبثقت هذه البرامج من الدراسات الحديثة حول الذكاءات المتعددة لجاردنر Gardner، و كذا دراسات ماير و سالوفي J.mayer&salovey و بارون Bar-On و كذا دانيال جولمان D.Golman حول الذكاء العاطفي، بإعتباره قدرة يمكن تنميتها في أي مرحلة عمرية حتى في مرحلة الرشد . وقد أكدوا أن اكتساب مهاراته عن طريق التربية أو التدريب عليها بواسطة البرامج الإرشادية SEL، تمكن الفرد من النجاح في جوانب الحياة المختلفة .

ففي البداية كان الهدف من البرامج الإرشادية المستندة على SEL إكساب المشاركين في البرنامج و العملاء (أطفال أو راشدين) المعارف و الاتجاهات و المهارات، التي يحتاجونها لإدراك و إدارة عواطفهم، و كذا إكسابهم مهارات التعاطف مع الآخرين، و إقامة علاقات إجتماعية صحية و إتخاذ قرارات مسؤولة و التعامل مع المواقف الصعبة، و ضغوط الحياة بصورة بناءة و إيجابية .وهي كما أكد إلياس و زملائه Ellias &Al 1997 برامج إرشادية تعمل على تطوير علاقات بناءة إيجابية و تجنب السلوكات السلبية.

لكن التطبيق الميداني للبرامج الإرشادية المستندة على التعلم الاجتماعي العاطفي SEL، أدى إلى التطوير في جوانب نفسية و اجتماعية أخرى ، ضمنت تحقيق التوافق النفسي بمفهومه الشمولي للجوانب الشخصية و الاجتماعية. فقد أكد الباحثون خاصة التربويين منهم أن هذا النوع من البرامج الإرشادية تؤدي إلى خفض المشكلات السلوكية و العاطفية التي تعرقل سير العملية التعليمية، و تحول دون علاقات فعالة في الفضاء المدرسي .و بدون التدخل

الإرشادي لتقديم هذه البرامج وجد الباحثون أن الأطفال الذين يواجهون صعوبات في تنظيم و ضبط خيراقتهم العاطفية في مرحلة مبكرة ،من تعليمهم يستمرون في مواجهة صعوبات أكاديمية -حتى و إن كانت قدراتهم العقلية فائقة -و عاطفية و سلوكية في مرحلة لاحقة في حياتهم، و على وجه الخصوص وجد الباحثون أن المشكلات العاطفية و السلوكية -و التي يمكن القضاء عليها بتطبيق برامج SEL- المبكرة تؤدي إلى الإخفاق الدراسي، و التسرب و الاكتئاب و الجنوح وبالإضافة إلى المشكلات الانفعالية

هي إذن كلها شواهد على شمولية هذه البرامج الإرشادية، و يرجع هذا إلى تركيزها على الجوانب الثلاث للشخصية متمثلة في الجانب المعرفي و الانفعالي ،و السلوكي كما يحددها علم النفس المعرفي الحديث. فالتركيز على مساعدة العملاء على فهم أنفسهم و التعاطف مع الآخرين، و إقامة علاقات اجتماعية صحية كأهداف لهذه البرامج، أدت إلى توليد نتائج أخرى و تخطت بهذا هذه البرامج التعديل العاطفي ،و نشر الثقافة العاطفية، إلى التأثير الإيجابي في الجوانب السلوكية، و حتى المعرفية .و قد أكدت العديد من الدراسات الأكاديمية النظرية منها و حتى التجريبية صدقيه هذه النتيجة.

تأثير برامج SEL على الجانب المعرفي: يؤكد سيلوستر Sylwester 1995 عند إشارته إلى الطرق التي يؤدي بها SEL إلى تنمية الأداء في المدارس: "إن الوجدان هام جدا للعملية التربوية لأنها تدفع التعلم و الذاكرة ² " كما أكدت الصرايرة 2003من خلال دراستها على فعالية التعلم المستند على التعلم الاجتماعي العاطفي وفق نظرية دانيال جولمان D.Golman ،في رفع مستوى التفكير الابتكاري لدى طلبة الصف السادس من التعليم الابتدائي، حيث وجدت فروقا دالة بين المجموعتين التجريبية و الضابطة على إختبار التفكير الابتكاري بعد تطبيق SEL ، وتبين الأثر الإيجابي لبرنامجSELعلى الجانب المعرفي في الشخصية³ . كما أكد بدر 2002 من خلال دراسته حول فعالية برنامج إرشادي يستند على SEL في تحسين التحصيل الدراسي لدى الطلاب الموهوبين منخفضي التحصيل ،و قد أكدت الدراسة أن النتائج الدراسية لأفراد العينة -وهم طلبة الجامعة -في نهاية الفصل الدراسي تحسنت، و اظهر الطلبة نجاحا في مواد الرسوب كم ساعدهم البرنامج الإرشادي في تغيير اتجاهاتهم نحو الدراسة ،و اظهروا استعدادا لمواصلة الدراسة لتحقيق النجاح مستقبلا⁴. كما أكدت دراسة الخوالدة 2003 الأثر الإيجابي لبرنامج يستند على SEL في رفع مستوى التحصيل الدراسي لطلبة الصف السادس ،حيث رصد فروقا دالة إحصائيا بين المجموعة التجريبية و المجموعة الضابطة ،بعد تكافهما قبل تطبيق البرنامج على الإختبار التحصيلي لصالح المجموعة التجريبية⁵.

تأثير برامج SEL على الجانب السلوكي :أظهرت نتائج العديد من الدراسات الإسهامات الإيجابية لبرامج SEL على الجوانب السلوكية، و دورها في التعديل السلوكي و تغييره إلى الأفضل ،فقد قام جور Gore,2000 بدراسة حول فعالية برنامج إرشادي يستند على SEL على مجموعة من التلاميذ الذين يعانون من مشكلات في علاقاتهم، لافتقارهم لمهارات التعامل مع الآخرين ،و تميز سلوكياتهم باللاتناسقية و غير مقبولة ،و بعد ستة عشر أسبوعا من تطبيق برنامج إرشادي يستند على SEL ،وجد جور أن التلاميذ اظهروا تحسنا عاما ملموسا في المهارات الاجتماعية، كما إنهم أحسنوا التصرف و كان سلوكهم الاجتماعي مقبولا و متوافقا⁶

فتركيز البرامج الإرشادية المستندة على التعلم الاجتماعي العاطفي على نشر الثقافة العاطفية، و التدريب عليها تظهر إيماءا لسلوكيات إيجابية، و علاجا كذلك للمشكلات و الانحرافات السلوكية، و يؤكد بيترايدز و آخرون Petrides et al 2004 من خلال دراسة على 650 طالبا، متوسط أعمارهم 16.5 من يدرسون في التعليم الثانوي بريطانيا، أن تدني المهارات العاطفية و الاجتماعية لدى هؤلاء التلاميذ، هي السبب في انتشار السلوكيات المنحرفة لديهم، كما أكد براكت و آخرون Brackett et al 2004 في دراسة حول العلاقة بين المهارات الاجتماعية العاطفية بالسلوك اليومي، على عينة من طلبة جامعة ييل بالو.م.أ مؤلفة من 330 طالبا تراوحت أعمارهم بين 17-20 سنة، أن العلاقة الارتباطية دالة بين انخفاض مستوى المهارات العاطفية الاجتماعية، و بين مؤشرات سوء التكيف كنعاطي الكحول و المخدرات و السلوكات المنحرفة، و ضعف العلاقات مع الأصدقاء. وقد ذهب الباحثون إلى ابعده من ذلك في اعتبار المهارات الاجتماعية و العاطفية متنبأ جيد للتوافق أكثر من قدرة مقياس سمات الشخصية⁷. و الأمر الذي سبق و أن ما دعى إليه جولمان بالتأكيد على إمكانية تحسين هذه المهارات بوجود برامج إرشادية و تعليمية، وجهود منظمة لهذا الغرض في المجالين الشخصي و الاجتماعي. و انشأ بعدها المنظمة التعاونية للتعلم الاجتماعي الانفعالي CASEL. كما أكدت كذلك الدراسات العربية دور البرامج الإرشادية المستندة على SEL في بناء السلوك التوافقي، و تأثير البرامج الإرشادية المستندة على التعلم الاجتماعي العاطفي في خفض السلوكيات اللاتوافقية في المجتمعات العربية، كدراسة جروان و كمور 2008 حول فعالية برنامج يستند على SEL في خفض السلوكيات العدوانية و الاتجاهات السلبية نحو المدرسة، لدى طلبة المرحلة الأساسية في الأردن، حيث توصل الباحثين إلى وجود فروق بين المجموعة التجريبية، و الضابطة على مقياسي السلوك العدواني و الاتجاهات السلبية نحو الدراسة، لصالح المجموعة التجريبية تعزى إلى البرنامج الإرشادي SEL. إن تأثير البرامج الإرشادية المستندة على SEL يمس الجوانب الثلاث للشخصية، و بالتالي فإن أثره يتميز بالشمولية على الشخصية الإنسانية، فهو أشبه بآلية الزوبعة التي تعمل على تصحيح التفكير، فهي تنطلق من مقارنة التعديل العاطفي يؤدي الى التعديل السلوكي و المعرفي.

تظهر الأمثلة السابقة -و غيرها كثير - أهمية البرامج الإرشادية المستندة على التعلم الاجتماعي العاطفي في كل الفضاءات الاجتماعية، خاصة منها الفضاء المدرسي، فكأنها الحلقة المفقودة في الأنظمة التربوية التي تبحث عن بدائل لتجويد مخرجاتها، بعد أن جردت مضامينها -إما بشكل كلي أو جزئي- من الجوانب العاطفية التي كانت تستمد قوتها من التربية الروحية و الأخلاقية، بدعوى الثقة اللامتناهية في التجريب و التطبيق والملموس و الابتعاد على أنماط التفكير الغائية التي تجرد الفكر البشري من منطقته، و عدم فعالية الجانب الوجداني في التعليم، و الإستماتة للحاق بإقتصاد السوق و المنافسة الاقتصادية الشرسة التي لا مكان للعواطف فيها. الأمر الذي أنتج نموذج المدرسة الأمية عاطفيا مثلما يسميها جولمان، الأمر الذي تسبب في انتشار ملفت و خطير للانحرافات السلوكية داخل الفضاءات المدرسية، كحوادث القتل و الانتحار و الاغتصاب و شتى أنواع السلوك المضاد للمجتمع، في بيئة كان يفترض أن ترتقي بالسلوكيات الاجتماعية لا أن تبحث عن بدائل لأنماط سلوكية و انحرافات تختص بها مؤسسات إعادة التأهيل و إعادة التربية. و لم يقتصر تأثير هذه الانحرافات و المشكلات

السلوكية على الجانب النفسي و الاجتماعي للمدرسة، و إنما أصبح عائقا مستعصيا يحول دون تحقيق الغايات و المرامي المعرفية الراقية للمدرسة .

فالأدوار البارزة للبرامج الإرشادية المستندة على التعلم الاجتماعي العاطفي، تجعل منه مطلباً ضروريا لإعادة التوازن للمؤسسات التربوية على المستوى المعرفي و العاطفي، و كذا السلوكي و إسهامها في تحقيق النجاح في الحياة بشكل عام، خاصة بعد أن أثبتت الدراسات و على المستوى العالمي و عبر الثقافات كذلك أن الذكاء العقلي ليس مؤشرا كافيا لتحقيق التميز، فالقدرات العقلية لا تحوز إلا على 20% تاركة حوالي 80% للمهارات العاطفية و الاجتماعية لتحقيقها. و كأنه نوع من الإدراك الواعي للآثار العميقة التي يبرزها التألق العاطفي و الاجتماعي لاستثمار الإمكانات المعرفية، و ابعد من ذلك إبرازها للوجود بالإبداع مثلا كقدرة عقلية تستند لإبرازها على التعلم الاجتماعي العاطفي و أصبحت الفكرة الفلسفية لبرغسن حينما قال الإبداع هو انفعال أسمى من العقل حقيقة وواقعا أثبتته برامج SEL، في تأكيدها لدور العواطف في تنشيط التفكير و تعديل السلوك .

و نتيجة لأهمية البرامج الإرشادية المستندة على SEL و الأدوار التي تقوم بها، وانتشار الوعي بأهميتها خاصة لدى التربويين، عملت بعض النخب المهتمة ببرامج SEL على تأسيس مؤسسات علمية أخذت على عاتقها التخطيط و التطوير و الإشراف على تطبيق برامج SEL، لمساعدة المدارس على نشر الثقافة العاطفية، لتضطلع المدرسة بأدوارها الوجدانية إضافة إلى الأدوار المعرفية الموكلة إليها .ومن بين هذه المؤسسات نجد مؤسسة كاسل CASEL و مؤسسة ست ثوان K SIX SECONDS و نظرا للنتائج الرائدة لهذه المؤسسات زاد الطلب العالمي عليها، فأنشأت فروعها لها في 10 دول و تملك رسالة من 70 دولة و لها العشرات من الكتب و الأدوات التي يتم الاعتماد عليها في برامج SEL.

و يمكن تحديد المحاور العامة للجلسات الإرشادية المستندة على SEL و بشكل عام في نوعين من الجلسات يختلف مضمونها حسب الفئة العمرية المستهدفة :

النوع الأول :جلسات الكفاءة الشخصية *personnel competence* : و تتضمن جلسات لتدريب المشاركين في البرنامج الإرشادي، على الوعي بأنفسهم و تنظيم انفعالاتهم و حفر الدافعية .

أ-الوعي بالذات: يعمل فيه المرشد على مساعدة المسترشدين على معرفة إنفعالات الذات، ويتضمن معرفة الفرد لحالته المزاجية، بحيث يكون لديه ثراء في حالته الإنفعالية ورؤية واضحة لإنفعالاته وقد شبه جولمان هذه الخاصية (الوعي بالذات) بما وصفه فرويد Freud بالانتباه الموزع الذي أوصى به المحللون النفسيون، حيث أن هذا "الانتباه يستوعب ما يمر على الوعي بتراهة وتجرد، بوصفه شاهدا مهما لكنه غير فاعل، ويسمى بعض السيكولوجيين هذه العملية بالذات المراقبة، أي قدرة الوعي الذاتي الذي تتيح للعالم النفسي أن يرصد ردود أفعاله، هو على أقوال المريض والكيفية التي تتولد بها التداعيات الحرة لدى المريض النفسي⁸ .

و يساعد المرشد من خلال هذا البرنامج المشاركين على إدراك حالتهم النفسية، و تفكيرهم بالنسبة لهذه الحالة المزاجية نفسها، مستشهدا بالمقولة الأرسطية الشهيرة "أعرف نفسيك " كعنوان مميز في كتابه الذكاء العاطفي في

القسم الثاني منه . من منطلق أنه قد يبدو للإنسان، أنه واع بمشاعره وقت حدوثها لكن عندما يعيد التفكير فيها، يدرك أنه في الحقيقة كان غافلا عما كانت عليه مشاعره .

إن مراقبة الذات التي يكتسبها العميل في برامج SEL تمكنه من تحقيق إدراك رصين لمشاعره المتقدمة والمضطربة. وتزوده بما يحدث في الموقف، وبالتالي فإن الوعي بالذات يؤدي "وظيفة رقابية على انفعالات الفرد، فهو يصدر أحكاما على هذه الانفعالات بأنها جيدة أو سيئة أو مرفوضة، كأن يقول الفرد يجب أن أشعر بهذا الشعور أو علي أن أفكر في أمور سارة، لأتخلص من الحزن، وأحيانا يصدر الوعي بالذات تعليمات صارمة مثل ألا أفكر في هذا⁹.

ب-تنظيم الذات Self régulation : لقد ظهر هذا المفهوم في كتاب دانيال جولمان العمل مع الذكاء العاطفي، و أيضا عبر عنه معالجة الجوانب العاطفية ،لكن كان قبل هذا قد عبر عنه بإدارة الذات self management والمعنى الذي ينطويان عليه حسب جولمان هو نفسه، ويعمل المرشد خلال هذه الجلسات على مساعدة المسترشد على التخلص من المشاعر السلبية ، أيضا إدارة الدوافع و العواطف و المشاعر السلبية، و تحويلها إلى إنفعالات إيجابية، و ذلك بأن يغرس الإنسان في نفسه " المراقبة الذاتية Self Control ، والوفاء الشديد و الجدارة بالثقة و الصدق و النزاهة Trust Worthiness ،والإخلاص في المسؤوليات و الواجبات Conscientiousness،التوافق و المرونة في التعامل مع التغيرات و التبدلات Adaptability and flexibility ، و الابتكارية في الأفكار و

المعلومات Inovation(New information and approach)¹⁰

بمعنى أن يكون الفرد في نهاية هذا النوع من الجلسات قادرا على ضبط إنفعالاته المزعجة بصورة مستمرة، بما يمكنه من التحكم في إنفعالاته و رغباته، و بالتالي يكون قادرا على تحقيق أكبر قدر من التوافق. و يشير جولمان في هذا السياق إلى أن أفضل إستراتيجيات التعامل مع الأفراد الذين تتناهم نوبات الغضب، إستراتيجية التألق الانفعالي Emotional Brilliance،حيث أنها تسعى لجذب الغاضب لمصدر إهتمام بديل عن موضوع غضبه¹¹، و هذا أشبه ما يكون بطريقة ألبرت أليس في العلاج المعرفي الانفعالي الذي يؤكد على (ضرورة استخدام المعالج النمذجة، و التشجيع و المنطق لمساعدة العميل على إستبدال الأفكار الانهزامية بأفكار أكثر واقعية و نفعا)^{1 2} - أو تمكنه من رؤية أفكاره المثيرة للتهيج بصورة أكثر إيجابية، وهذا بما يسمح بتخليصه من غضبه .لأن موضوع الغضب قد لا يكون في حقيقته أمرا مثيرا له، وإنما طريقة إدراك الفرد لهذا الموضوع ،هو الذي قد يثير غضبه ويؤكد آرون بيك مؤسس نظرية العلاج المعرفي أن المريض يفسر الأحداث في العالم بشكل غير مبرر وانهزامي،ويرى العالم كواضع لعقبات لا تقهر.¹³

وفي هذا السياق يؤكد جولمان بقوله "لا شك أن مفتاح سعادتنا العاطفية ،يكن في ضبط إنفعالاتنا المزعجة بصورة دائمة، هذا لان التطرف المتزايد والمكثف في العواطف لفترة طويلة، يؤدي إلى تقويض إستقرارنا .ومن الطبيعي ألا نشعر طوال الوقت بنوع واحد من الانفعال... إلى أن يقول والواقع أن هناك الكثير مما يقال عما تسهم به المعاناة البناءة في الحياة الإبداعية والروحانية لأن المعاناة تذيب الروح "¹⁴

ج-حفز الذات أو الدافعية Motivating one self:و تتضمن هذه الجلسات حفز دافعية الفرد للتحصيل و الانجاز و المثابرة و تحمل الضغوط، الإحباط في سبيل إنجاز الأعمال و التحدي و المخاطرة المحسوبة و العمل المتواصل دون

ملل ،و التركيز على العمل حتى في الظروف الضاغطة¹⁵. " و تتضمن الدافعية تنظيم المشاعر- و التي تم الحدث عنها سابقا - التي تقود إلى تحقيق الهدف، و يحتاج الفرد الذي يمتلكها إلى مجموعة من القدرات، تشمل إستدعاء التحكم العاطفي ،و تأجيل الكفاءة و خلق الدوافع التي تساعد على النجاح و التميز، و الوصول إلى الأداء المميز. و الأفراد الذين يمتلكون مستوى أعلى من الدافعية يميلون لأن يكونوا منتجين و مؤثرين¹⁶ و تشير الدافعية إلى القدرة على تنظيم الإنفعالات و توجيهها لصنع و إتخاذ أحسن القرارات.

كما يؤكد دانيال جولمان على أهمية التفاؤل في هذه الجلسات باعتباره أعظم حافز، و التفاؤل هو أن يتوقع المرء توقعاً قوياً أن الأمور ستتحوّل في الحياة دائماً إلى ما هو سليم، على الرغم من الإحتباطات و النكسات ،و التفاؤل بمفهوم الذكاء العاطفي موقف يحمي الناس من الوقوع في اللامبالاة ،و فقدان الأمل و الإصابة بالإكتئاب في مواجهة مجريات الحياة¹⁷.

إن قدرة الفرد على الإحتفاظ بمعلومات تتطلبها المهمة التي يقوم بها الإنسان، و التي تعرف بمصطلح الذاكرة العاملة Working memory ،قد تضعف حينما يكون تفكير الإنسان موجهاً للحالة الإنفعالية التي يعيشها، فقدرة الإنسان على التحكم في الإنفعالات و تأجيل الإشباع تمكنه من تحمل الضغوط ،و أشار جولمان دانيال إلى أنه من خلال الأمل يسعى الفرد لتحقيق دوافعه. " فالأمرجة التي تظل في حالة جيدة، تعزز القدرة على التفكير السلس و تسهل الوصول إلى حلول للمشاكل سواء فكرية او مشاكل بين الأشخاص و يطلق تداعي المعاني، و تساعد على ملاحظة إرتباطات الأفكار¹⁸ .

النوع الثاني :جلسات الكفاءة الإجتماعية Social compétence: و تتضمن هذه الجلسات تدريب المشاركين على ثلاث محاور اساسية هي:

أ- التعاطف Empathy: تعمل برامج SEL في هذه الجلسات على تدريب المشاركين على التفهم او التقمص العاطفي ،و يشير التعاطف حسب دانيال جولمان إلى قدرة الفرد على قراءة مشاعر الآخرين، مثل ما هو قادر على تقبل مشاعره و إدراكها .و تترجم لغة التعاطف هذه في صورة إيماءات ،معنى تمكنه قراءة مشاعر الآخرين من خلال الصوت، و الوجه و نادراً ما تتجسد هذه اللغة بالكلمات .

إن التعاطف Empathy كما يؤكد جولمان يكبح قسوة الإنسان، و هو يحافظ على تحضر الإنسان و يسرد لنا جولمان حالة قاتل إرتكب سبع جرائم ،و قد صرح هذا الرجل في إحدى المقابلات الإكلينيكية عندما سئل إذا ما كان يشعر بالشفقة تجاه الضحايا، فأجاب : لا أبداً و لو كنت شعرت بالشفقة لما إستطعت فعل ما فعلت، و يستطرد جولمان بقوله رغم أن ذكائه العقلي، كان 160 و بالتالي فإن الذكاء العاطفي لا يرتبط بنسبة الذكاء . إن النقص في مشاعر التعاطف إذن يؤدي إلى الإضطرابات السيكوباتية الإجرامية وحوادث الاغتصاب و سلوك الأطفال المشاغبين.

و يؤكد دانيال جولمان Daniel Golman إستناداً على دراسات أجريت أن الإنسان القادر على قراءة المشاعر و التعبيرات غير المنطوقة ،يكون في حالة أفضل من حيث التكيف العاطفي و محبوباً أكثر من غيره، صريحاً و أكثر

حساسية. كما بينت هذه الدراسات أن النساء أفضل من الرجال في هذا النوع من التعاطف . كما أنه يمكن تعلمه ليكون عنصرا مساعدا في الحياة من خلال برامج SEL .

و تؤكد العديد من الدراسات على أهمية التعاطف و دوره في تحقيق التوافق النفسي و الاجتماعي للفرد، وهذا جولمان يبين من خلال عرضه لمجموعة من الدراسات، منها تلك الدراسة التي أجريت على أطفال المدارس، و التي أكدت أن الأطفال الأكثر ذكاء في قراءة المشاعر غير المنطوقة ،كانوا من الأطفال المحبوبين في المدرسة، و أكثرهم استقرارا عاطفيا . كما أظهرت هذه الدراسة أن أداء هؤلاء الأطفال كان أفضل أداء، على الرغم من أن مستوى معامل ذكائهم متوسط ،بلا أي تميز عن معامل ذكاء الأطفال الأقل منهم مهارة في قراءة الرسائل العاطفية غير المنطوقة ،و تدل هذه النتائج على أن التفوق في مقدرة التعاطف مع الآخرين يسهل وسائل التأثير و الفعالية في الفصول الدراسية،¹⁹.

إن التعاطف يعطي أو يمنح للإنسان مجال أوسع للاندماج في العلاقات الإجتماعية ،وهامش كبير جدا للنجاح في الحياة العملية والدراسية و الاجتماعية، وبالتالي تحقيق أكبر قدر من التوافق، ويرتبط التعاطف ارتباطا وثيقا بالوعي الذاتي، أو معرفة الذات لأن الإنسان بقدر ما يكون قادرا على تقبل وفهم وإدراك عواطفه، يكون قادرا على قراءة وإدراك مشاعر الآخرين .فالأشخاص العاجزون عن التعبير عن مشاعرهم أو إدراكها وفهمها، فهم عاجزون أيضا عن معرفة مشاعر غيرهم، حتى ممن يعيشون من حولهم .

كما أكدت دراسة نوسكي Noesky وهو سيكولوجي أمريكي أن الأطفال الذين لا يستطيعون قراءة العواطف، أو التعبير عنها يشعرون بالإحباط الدائم، لأنهم لا يفهمون ما الذي يحدث حولهم²⁰.

أما عن نمو التعاطف فيؤكد دانيال جولمان Daniel Golman أنه يمكن غرسه في الإنسان منذ الطفولة، فالرضيع يشعر بالتوتر لمجرد سماعه لطفل أو رضيع آخر يبكي ،وهو ما يعتبر تمهيدا مبكرا في حياة الإنسان للتعاطف . كما أن الوضع العاطفي في الأسرة له دوره أيضا في نمو التعاطف لدى الفرد ،فالآباء الذين يفشلون في إظهار تعاطفهم مع الطفل ،مثل الفرح والبكاء أو الاحتياج إلى الحزن الدافئ يتسبب في خسائر عاطفية كبيرة ،ومن ثم يبدأ الطفل في تجنب التعبير عن نفسه، وربما عن مشاعره أيضا.

ب- المهارات الاجتماعية Social Skill (معالجة العلاقات) :و تعمل برامج SEL على تدريب المشاركين على مهارة تكوين علاقات إجتماعية ناجحة مع الآخرين ،والتعاون معهم والتأثير فيهم والفعالية في حل المشكلات التي تكون بينهم، وقدرته على أداء الأدوار القيادية بفعالية وإدارة المناقشات الإجتماعية .

وقد حدد كل من توماس هاتشن thomas hatches وهوارد جاردنر H.Gardner أربع قدرات ووصفوها بأنها مكونات ذكاء التفاعل بين الأفراد، وتشمل هذه القدرات²¹ وهي محاور يمكن إستغلالها في جلسات SEL.

أ/تدريب المشاركين على إكتساب مهارة تنظيم المجموعات Groups organizim :وهي قدرة تمكن الفرد من تنسيق جهود مجموعة،الأفراد وممارسة الأدوار القيادية بشكل كفؤ وفعال، وتوجيه عمل هؤلاء الأفراد بشكل يخدم الأهداف المعالجة للجماعة .

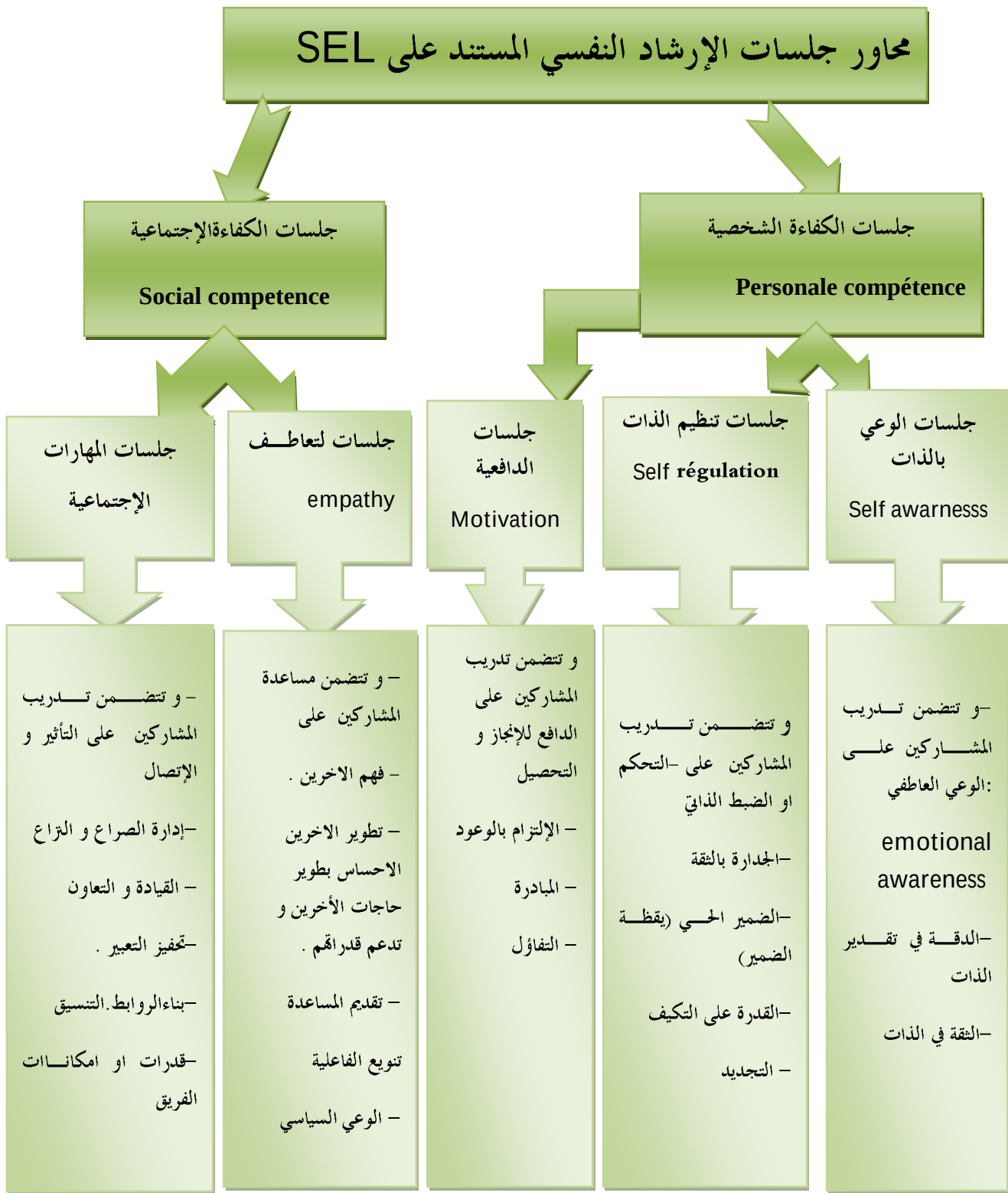
ب/تدريب المشاركين على إكتساب مهارة الحلول التفاوضية Negotiating Solution: و تتمثل في قدرة الفرد على لعب دور الوسيط الفعال، الذي يمنع حدوث النزاعات و أيضا يشير إلى قدرة الفرد على إيجاد الحلول للنزاعات، وكل الأشخاص الذين يمتلكون القدرة يتفوقون في أعمالهم .

ج/تدريب المشاركين على إقامة العلاقات الشخصية peromel Connection:
إن موهبة التواصل من بين المواهب التي تسهل القدرة على المواجهة، فالتعرف بشكل مناسب على عواطف الآخرين يعتبر فن العلاقات بين البشر، وهذا ما يسمح لهم بإقامة علاقات شخصية عالية، كما أن الأفراد الذين يمتلكون هذه القدرة نجدهم أفرادا لا معين في جميع المواقف الحياتية، بما يجعلهم أكثر توافقا وتميزا .

د/ تدريب المشاركين على التحليل الاجتماعي Social analysis:
القدرة على إكتشاف مشاعر الآخرين بكفاءة وبصيرة نافذة، ومعرفة إتجاهاتهم ودوافعهم لمعرفة الناس، وكيف يشعرون بهم، وهذه القدرة تؤدي إلى سهولة إقامة علاقات صحية والإحساس بالوئام والقدرة على التحليل الاجتماعي أفضل تحليل .

"إن الأشخاص الذين يمتلكون هذه القدرة و يكتسبونها من خلال برامج SEL ، يسهل عليهم الإرتباط بالناس من خلال قراءة إنفعال الآخرين ومشاعرهم، ومن السهل أن يكونوا قادة وواضعي نظم ، ويستطيع هؤلاء أيضا معالجة المنازعات قبل نشوبها في أي نشاط إنساني، هم باختصار القادة الطبيعيون الذين يمكنهم التعبير عن أحاسيس الجماعة الصامتة، بقيادة مجموعة من الأفراد نحو أهدافها . هؤلاء هم نوع من الناس يستريح الآخرون لوجودهم معهم، لأنهم يغذونهم عاطفيا ويتركونهم في حالة نفسية طيبة، ويعبرون عن ذلك بمثل هذا التعليق، "كم نشعر بالسرور حين نكون قريين من مثل هذا الشخص " ²².

إن برامج SEL تمكن المشاركين من أن يكونوا أشخاصا، أكثر حسما في التعبير عن مشاعرهم، ويمكنهم التوفيق بين التهذيب الاجتماعي والذكاء والمشاعر الحقيقية، وهو ترسيخ للقول المشهور "أن تكون أنت نفسك" . وهي قدرة للفرد بان يفعل ما يتفق مع مشاعره الدفينة وقيمه، بغض النظر عن النتائج الإجتماعية وهذا يؤدي إلى التخلص من الإزدواجية والتمثيل الإجتماعي ²³.



مخطط يوضح

محاور جلسات الارشاد النفسي المستند على SEL

ثانيا :شمولية البرامج الإرشادية المستندة على التعلم الاجتماعي العاطفي لاستراتيجيات الإرشاد النفسي :إستمراية الحاجة إلى الخدمات الإرشادية جعل منها خدمه تعتمد على ثلاث مناهج أو إستراتيجيات. وهي الإستراتيجية الإنمائية

و الوقائية و العلاجية ،فتركزت كل برامج الإرشاد النفسي على إحدى هذه الاستراتيجيات تبعا لطبيعة حالة المشاركين.

فالإستراتيجية الانمائية : يتم من خلالها تطبيق البرامج الإرشادية على العينات التي لا تعاني من مشكلات، و التي يكون الهدف من البرنامج تنمية خصائص إيجابية لتحقيق الفعالية، و الجودة في الأداء أو الجودة في الحياة عموما. الإستراتيجية الوقائية :يتم من خلالها تطبيق البرامج الإرشادية على العينات التي يكون الهدف من الخدمات الإرشادية، وقاية المشاركين من خطر نفسي أو إجتماعي و هو ما يسمى بالعينات المعرضة للخطر . الإستراتيجية العلاجية :فيتم من خلاله تطبيق البرامج الإرشادية على العينات التي تعاني من مشكلات سلوكية أو إنفعالية، تعوق فعاليتهم و توافقهم النفسي و الاجتماعي.

و نظرا لتمايز العينات فإن النتيجة من خلال كل إستراتيجية حتما ستختلف نظرا لتمايز مستوى التوافق النفسي، وفقا لكل إستراتيجية قبل الخدمة و بعدها.و بهذا يختلف مضمون هذه البرامج وفقا للإستراتيجية و طبيعة العينة. لكن بظهور البرامج الإرشادية المستندة على التعلم الاجتماعي العاطفي و النتائج التي أحرزتها على مستوى الاستراتيجيات الثلاث ،جعل الاعتماد عليها يحقق نتائج جيدة سواء مع العينات العادية في الإستراتيجية الانمائية، أو العينات المعرضة للخطر في الإستراتيجية الوقائية، أو العينات التي تعاني من مشكلات في الإستراتيجية العلاجية.

فعلى مستوى الإستراتيجية الانمائية :فقد أكدت العديد من الدراسات التحريبية العربية منها و الأجنبية فعالية البرامج الإرشادية التي تعتمد على SEL ،في تنمية مختلف الخصائص الإيجابية عند العينات بمختلف خصائصها العمرية و الاجتماعية و الاقتصادية و النفسية ...كدراسة العبد اللات 2008 التي أكدت أن برنامج إرشادي يستند على SEL، ساعد على تنمية التوافق الأكاديمي و الاجتماعي و الاتجاهات الإيجابية نحو الدراسة لدى 60 طالبا و طالبة من التعليم الثانوي . كما أكدت دراسة جبر 2006 أن البرنامج الإرشادي الذي طبقته و الذي اعتمد على SEL يعمل على تنمية مفهوم الذات و الدافعية للتعلم لدى طلبة المرحلة الأساسية العليا . كذلك دراسة الخوالدة 2003 التي أكد الباحث من خلالها أن البرنامج المستند على SEL تؤثر إيجابيا على مستوى التحصيل الدراسي، لتلاميذ الصف السادس .معنى أن التأثير الذي تحدثه برامج SEL يتخطى التأثير الانفعالي، و يتعداه إلى التأثير المعرفي و السلوكي²⁴ . كما أكد الصرايرة 2003 أن برامج SEL من خلال دراسة تجريبية قام بها ،ينمي التفكير الإبداعي و مفهوم الذات الإيجابي لدي تلاميذ الصف السادس.

وكان دانيال جولمان قد أكد أن برامج التعلم العاطفي الاجتماعي تسهم في التنبؤ بالتميز، و التفوق في العمل لذا يجب التدريب عليه لإمكانية تعليمه في أي مرحلة عمرية .

على مستوى الإستراتيجية الوقائية :لقد أكدت العديد من الدراسات العربية والأجنبية، تمكن برامج الإرشادية التي تستند على SEL في وقاية مختلف الفئات الاجتماعية، و عبر الثقافات من المشكلات النفسية التي تفيد معلومات إمبريقية أو نتائج أبحاث إستشرافية إمكانية تعرضهم لخطر نفسي أو اجتماعي معين .ومن بين هذه الدراسات نجد دراسة الهام عبد الرحمان و أمنية الشناوي 2003 التي أكدت أن قياس مهارات تستند على أبعاد SEL يمكن أن تتنبأ بأساليب المواجهة التكيفية لدى طلبة الجامعة ،و برنامج يستند على SEL يمكن أن يساهم في الوقاية من

الأعراض الجسدية و النفسية للضغوط²⁵. كما أكد ماير و سالوفي Mayer&Salovey أن النمو العاطفي و الاجتماعي الذي يحدثه البرامج التي تعتمد على SEL يقي من اضطراب الاكتئاب و يساهم في الرضا الشخصي²⁶. على مستوى الاستراتيجيات العلاجية : لقد أثبتت البحوث التجريبية الدور العلاجي للبرامج الإرشادية المستندة على SEL، لمختلف الفئات العمرية و مختلف الفضاءات الثقافية و الاجتماعية، فقد أكدت دراسة لبيترايدز و آخرين Petrides et Al2004 أن المهارات التي يتم اكتسابها من خلال التدريب على البرامج الإرشادية التي تستند على SEL تعمل على التقليل من السلوك المنحرف في المدرسة، في مرحلة التعليم الثانوي. أما دراسة ماكارتي و توماسيون 1999 فقد أشارا إلى فعالية SEL في الشفاء التلقائي من الضغوط النفسية لدى الطلبة، على عينة مكونة من 32 طالبا من الصف السابع تراوحت أعمارهم بين 12-13 سنة²⁷.

ترتكز البرامج الإرشادية المستندة على SEL على قاعدة نفسية هي الأثر الأوتوماتيكي الذي يحدثه التغيير في الجانب الانفعالي، على الجانبين المعرفي و السلوكي للشخصية، باعتبارها جوانب متكاملة و متفاعلة و يؤكد دانيال جولمان في هذا السياق بقوله "إن الأمزجة السيئة تؤدي إلى تفكير سيء" و كما تصف أدبيات علم النفس الكلاسيكية العلاقة بين القلق و الأداء بما فيها الأداء الذهني... وقد أثبتت إحدى الدراسات ان الناس الذين انهموا مشاهدة شرائط فيديو مواضيعها مضحكة، كانوا أفضل من غيرهم في حل لغز أستخدمه علماء النفس لفترة طويلة في اختبارات التفكير الإبداعي²⁸.

فالعاطفة وفق SEL تشكل مساحة واسعة في بناء الشخصية فهي توجه طاقات الفرد إلى العلاقات الاجتماعية، بما يحقق له التوازن أو يشعره باللاتوافق حسب إيجابيتها أو سلبيتها. كما تمكن الانفعالات الفرد من التعرف و التعلم الذاتي من الخبرات الانفعالية التي يمر بها و بالتالي يصبح الفرد قادرا على ضبط نفسه و فهم مشاعره ما ينعكس على فهم مشاعر الآخرين و التعاطف معهم.

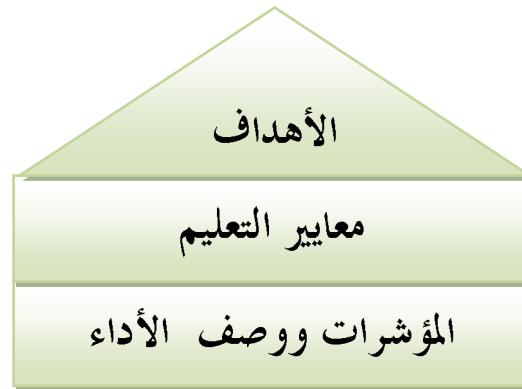
إن برامج الإرشاد النفسي التي تعتمد على SEL تعمل من خلال التدريب على بناء عواطف إيجابية لاستثمارها في التفكير، و إنتاج نماذج سلوكية إيجابية تحاكي إيجابية العاطفة و المعرفة. و قد بينت العديد من الدراسات الدور الفعال للعواطف في النجاح في الحياة من بينها دراسة هوارد جاردنر Howard Gardner, ChMurary 1994، و غيرها حيث أكدت أن حوالي 20% فقط من التباين في اختبار النجاح المهني، يعزى إلى القدرات العقلية و الجزء الأكبر يعزى إلى قدرات أوسع من ذلك وهي ضبط الانفعالات و إدارتها، الدافعية الذاتية و هي أهم المحاور التي تركز عليها برامج SEL كما أن سلامة العاطفة تنشط الإبداع و حل المشكلات و تنظم المعلومات²⁹، فهي ليست منفصلة عن عمليات التفكير و لا ردود الأفعال السلوكية، بل مكونات متفاعلة. فالعاطفة الصحية و الايجابية تيسر التفكير و تبرز أثره، كما أنها ترشد السلوك و تجعله أكثر فاعلية و أكثر توازنا

إن برامج SEL تساعد الفرد على إدراك ضعفه لتقويمه، وكذلك قوته لتعزيزها الأمر الذي يساعده على فهم مشاعر الآخرين و التعاطف معهم. كما أنها تحرك الانتباه الذي يعد مدخلا أساسيا لعملية التعلم، كما تنشط الذاكرة في إختزان و إسترجاع المعلومات المرتبطة بخبرات عاطفية قوية.

و قد استخدمت في البرامج الإرشادية في مدارس عديدة بالوم.أ ،من اجل تطوير الكفاءات العاطفية و الاجتماعية للتلاميذ طوال سنوات الدراسة ،و أيضا لعلاج الكثير من السلوكيات السلبية كالسلوك العدواني و الخوف و القلق ،و النشاط الزائد و إيذاء الذات .و أيضا لعلاج العواطف الأخلاقية السلبية كالحجل .و لم ينحصر تأثير برامج SEL على الجوانب التربوية بل تخطى أسوار المدرسة، ليشمل فئات خارجها ،ففي المجال المهني مثلا أشارت العديد من الدراسات إلى أن برامج SEL توفر الجودة و التميز في الأداء المهني ،و لعل أكثر ما يدل على هذا نجاحات حققها متوسطو الذكاء العقلي في العمل، وكانت أكثر بكثير من تلك التي حققها مرتفعو الذكاء العقلي ،و أرجعت الأسباب إلى أن الفئة الأولى تمتلك خصائص وجدانية -وهي التي يتم التدريب عليها من خلال برامج SEL - أهلتهم للتميز عن الفئة الثانية، و هذا ما أشار إليه جاردنر 1995 عندما أكد على أهمية الذكاء العاطفي تكمن في إسهاماته في التنبؤ بالنجاح المهني، التي تعد أعلى من إسهامات الذكاء الأكاديمي). كما أشار سالوبيك 1998 Salopeck إلى أن الذكاء العاطفي - كمهارات يكتسبها الأفراد في برامج SEL - له وزن كبير في النجاح المهني إذا ما قورن بالذكاء العقلي ،معنى تحقيق مستوى عال من الأداء في مختلف المهن، يتطلب توفر مجموعة من القدرات و المهارات العاطفية الاجتماعية لدى العاملين مما يستوجب تنميتها ³⁰.

ثالثا : معايير التعلم الاجتماعي العاطفي:

و يعد هذا عرضا لنموذج متطور من الأهداف العامة للتعلم الاجتماعي والعاطفي، والمعايير العامة ، -أما بالنسبة للمؤشرات أو النتائج التفصيلية لهذا التعلم فيمكن قياسها مقارنة بالمعايير - ، وقد تم تطويره نسبة التسلسل الهرمي الظاهر في الشكل أدناه



تمثل الاهداف عبارات عامة تنظم الجانب المعرفي والجانب المهاري، اللذين يشكلان محتوى الاجتماعي العاطفي ، وقد تم تطويرها من قبل خبراء ومربين وأولياء أمور، ومختصين في تصميم المناهج والتعليم ونمو الأطفال وتعلمهم وبالإضافة إلى أخصائيين اجتماعيين في ولاية إلينوي بوسط غرب الولايات المتحدة الأمريكية ، وتنظم ثلاثة أهداف عامة لجميع المراحل الدراسية وهي :

1. تطوير مهارات الوعي الذاتي لتحقيق النجاح في المدرسة والحياة .
2. يستخدم مهارات الوعي الاجتماعي، و البينشخصي لإقامة علاقات اجتماعية والحفاظة عليها.
3. يظهر مهارات في اتخاذ القرار و سلوكيات مسؤولة في أوضاع شخصية ومدرسية واجتماعية .

اما بالنسبة للمعايير : بناء على الأهداف الرئيسة الثلاث، تم اشتقاق عشرة معايير للتعليم الاجتماعي العاطفي في كل مرحلة دراسية هي:

1. يحدد انفعالاته و سلوكياته و يديرها.
2. يتعرف الخصائص الشخصية والدعم الخارجي.
3. يظهر بوضوح المهارات المرتبطة بتحقيق الأهداف الشخصية و الأكاديمية .
4. يدرك مشاعر الآخرين ووجهات نظرهم.
5. يدرك أوجه الشبه والاختلاف بين الأفراد والمجموعات .
6. يستخدم مهارات اتصال ومهارات اجتماعية في التواصل بفاعلية مع الآخرين .
7. يظهر قدرة في منع و إدارة وحل الصراعات البينشخصية بطرق بناءة.
8. يعتبر العوامل الأخلاقية والاجتماعية وعوامل الأمن في اتخاذ القرارات.
9. يطبق مهارات اتخاذ القرار للفعال بمسؤولية مع الأوضاع اليومية الأكاديمية و الاجتماعية .
10. يسهم فيما هو خير لصالح مدرسته ومجتمعه.

كما تم تحديد مجموعة من المؤشرات التي تصف الاداءات ،التي يفترض أنها تحقق المعيار في كل مرحلة دراسية حتى مرحلة التعليم الجامعي ، (نظرا لمحدودية الصفحات الخاصة بالمقال سنقدم نموذجا لمؤشرات الأداء للهدفين الأول و الثاني في مرحلة السنة الأولى و الثانية ابتدائي و لتفاصيل أكثر يمكن الاطلاع عليها في موقع الالكتروني للمدرسة)

المرحلة الأولى للصفين الأول والثاني الابتدائي (كمثال)

الهدف الأول : تطوير مهارات الوعي الذاتي و إدارة الذات لتحقيق النجاح في المدرسة والحياة المعايير ومؤشرات الأداء

1. يحدد انفعالاته و سلوكياته و يديرها .
2. يتعرف الانفعالات (مثل السعادة والدهشة والحزن والغضب ، والخوف) التي تعبر عنها وجوه معبرة أو صور.
3. يسمي الانفعالات التي يشعر بها الأشخاص في القصص.
4. يحدد الطرق التي يهدئ بها نفسه.
5. يصف موقفا شعر فيه كما شعر احد شخصيات قصة .
6. يناقش قواعد و أنظمة الصف والمدرسة.
7. يشارك الآخرين الانفعالات عن طريق الكلام او الكتابة والرسم في مواقف متعددة .

1. يتعرف الخصائص الشخصية والدعم الخارجي

1. يحدد الأشياء التي يجب ان يفعلها .
2. يحدد القيم التي تساعد في عمل خيارات جيدة.

3. يحدد الأشخاص الذين يمكن أن يقدموا المساعدة التي يحتاجها.
4. يصف الأشياء التي يعملها بشكل جيد .
5. يحدد المواقف التي يشعر فيها بالثقة.
7. . يوضح أو يشرح المهارة أو الموهبة الخاصة التي يمتلكها .
3. يظهر بوضوح المهارات المرتبطة بتحقيق الأهداف الشخصية و الأكاديمية
1. يميز العلاقة بين ما يريد تحقيقه ووضع الأهداف.
2. يشرح المظاهر المتنوعة للنجاح في المدرسة .
3. يصف سلوكا يود أن يغيره.
- 4 . يعطي مثالا على هدف أكاديمي يمكن أن يضعه لنفسه.
- 5 . يعطي مثالا على هدف شخصي يمكن أن يضعه لنفسه.
6. يجزئ هدفا وضعه لنفسه إلى خطوات سهلة التنفيذ.
- الهدف الثاني : يستخدم مهارات الوعي الاجتماعي و البينشخصي لإقامة علاقات اجتماعية والمحافضة عليها.
1. يدرك مشاعر الآخرين و وجهات نظرهم
1. يقدر أن الآخرين قد يفسرون نفس الموقف بطريقة مختلفة عنه .
2. يقدر أن الآخرين قد يشعرون تجاه نفس الموقف بمشاعر مختلفة عنه.
3. يصف كيف يشعر الآخرون بناء على تعبيرات وجوههم وحركاتهم.
4. يشرح ما يمكن أن يشعر به الآخرون عند مقاطعتهم.
5. يشرح ما يمكن أن يشعر به الآخرون لدى مشاطرتهم ودعمهم.
6. يقدر كيف أن يتغير سلوكك يمكن أن يؤثر على مشاعر الآخرين واستجاباتهم.
2. يدرك أوجه الشبه والاختلاف بين الأفراد والمجموعات
1. يحدد أمثلة على سلوكات صفية تنطوي على حساسية بالنسبة لحاجات الآخرين (مثل انتظار الدور ، الاستمتاع للآخرين ، والدعم المتبادل للأفكار) .
2. يميز أن جميع الناس متشابهون في الحاجات المشتركة .
3. يشارك في تطوير قواعد العمل في الصف .
4. يصف القواعد التي تساعد الطلبة على معاملة بعضهم البعض بلباقة .
5. يوضح كيف يساعد الطلبة بعضهم البعض (المشاطرة وعدم المقاطعة) .
6. يظهر الصدق واللباقة خلال لعبة أو عمله مع الآخرين .
3. يستخدم مهارات اتصال ومهارات اجتماعية في التواصل بفاعلية مع الآخرين
1. يصف الطرق الملائمة للانضمام للمجموعة .
2. يستخدم "ارجو" أو "أشكرك" بطريقة ملائمة .

3. يرفع يده لجلب الانتباه.

4. ينتبه عندما يتحدث شخص آخر.

5. يتبع التعليمات التي تعطى في المدرسة .

6. ينتظر دوره ويشارك الآخرين الألعاب ، وغيرها في الصف .

7. يمارس التعليمات المشجعة ويشاطر الآخرين .

8. يمارس قول "لا" لحماية نفسه في المواقف غير الآمنة.

4. يظهر قدرة في منع وإدارة وحل الصراعات البينشخصية بطرق بناءة.

1. يصف الأوضاع المدرسية التي يمكن أن يختلف فيها رفاق الصف ويتخاصمون (مثل رفض مشاركة الآخرين الأدوات التعليمية ، عدم الاعتذار عند إيذاء مشاعر الآخرين ، الإتهامات الباطلة للآخرين ، استثناء شخص من المشاركة في النشاط.

2. يصف الأوضاع المتزلية التي يمكن أن يختلف فيها الأطفال والإباء ، ويتخاصمون (مثل مقاومة تطبيق القواعد المتزلية أو إكمال الأعمال الروتينية المتزلية)

3. يصف وضعاً يختلف فيه مع شخص آخر ، ما الذي حدث ؟ كيف كان يمكن التعامل مع الموقف بطريقة مختلفة ؟

4. يميز الطرائق البناءة والهدامة في حل الموضوعات.

5. يستخدم تقنيات تهدئة الذات لإدارة الغضب كطريقة لعدم تصعيد أوضاع الصراعات .

رابعاً: إستراتيجيات الإرشاد النفسي التي تعتمد عليها برامج SEL: يقصد بالاستراتيجيات في الإرشاد النفسي مجموع الأساليب أو الفنيات أو التقنيات العملية التي تقترحها كل نظرية، من نظريات الإرشاد لتطبيقها وتحقيق الهدف الأساسي من العملية وهو تحقيق التوافق النفسي. ذلك أن الوظيفة الأساسية للنظريات في الإرشاد ؛ كما أكد جونز 2000 Jones هي تزويد المرشدين بالأساليب الإرشادية المناسبة لتطبيقها ، بحيث تتسق هذه الإستراتيجيات فيما بينها وأيضاً تتسق مع منهج الإرشاد والفئة المستهدفة. وقد أثبتت الدراسات التجريبية أن أفضل إستراتيجيات الإرشاد النفسي المستخدمة في برامج التعلم الاجتماعي العاطفي ، هي الاستراتيجيات المقترحة من نظريات الإرشاد المعرفي كنظرية ارون بيك و ألبرت إليس وغيرها ومن بين الاستراتيجيات التي تستخدم في SEL نذكر على سبيل المثال لا الحصر.

1 / التخيل العاطفي العقلاني: ويعتبر هذا الأسلوب الإرشادي عملية عقلية ، تساعد المسترشد على تأسيس أنماط من المشاعر، من خلال مساعدة المسترشد على تخيل التفكير المنطقي، والسلوك والمشاعر، ثم محاولة تطبيق ذلك واقعياً، ويستخدم هذا الأسلوب للحصول على فرص آمنة، في أثناء محاولة القيام بطرق جديدة للتفكير³¹. كأن يتخيل المسترشد أسوأ ما سوف يحدث له، وكيف يسلك أو يتصرف حيال هذا الحدث، وبماذا سيُشعر إن حصل ذلك، وفي أثناء ذلك يطلب المرشد من المسترشد التفكير في اللحظة الحالية، ويطلب منه تغيير خوفه إلى خوف بسيط وغضبه إلى غضب بسيط ،، وإكتابه إلى حزن وهكذا وعندما يصل إلى هذه المرحلة، فإنه يعطي إشارة إلى

المرشد الذي يطلب منه أن يعرف نفسه، بما قاله أو فكر فيه حتى أستطاع الوصول إلى هذه الانفعالات المختلفة عن السابق، ويؤكد بعد ذلك المرشد للمسترشد أن هذه الجمل والأفكار، التي هو بحاجة إليها لاستخدامها في مواقف الحياة اليومية.

ويؤكد البرت اليس A.Ellis (1988) أنه كلما مارس الإنسان التخيل العاطفي العقلاني، عدة مرات في الأسبوع سوف يصل إلى حالة من التوافق النفسي، والاجتماعي تجعله يتجاوز الأحداث والمواقف غير السارة التي يمكن أن تواجهه.

2/ لعب الدور "Role playing": تستخدم هذه الإستراتيجية في العديد من النظريات، ولا تقتصر على الإرشاد العقلاني العاطفي السلوكي REBT، لألبرت اليس Albert Ellis، لكن لعب الدور في هذا الأسلوب الإرشادي، يركز بالدرجة الأولى على مساعدة العملاء في تغيير الأفكار الخاطئة غير العقلانية، والمسببة لمشكلاتهم بأفكار أكثر منطقية وأكثر عقلانية، "كما تبين هذه الإستراتيجية كيف تؤثر الأفكار غير المنطقية، والمعتقدات الخاطئة في علاقات المسترشد مع الآخرين"³². مثال: المرأة التي ترغب في مواصلة تعليمها بعد أن تخطت الأربعين، وأنجبت الأطفال وتحشى من الفشل وعدم القبول بالجامعة يمكن أن تستخدم لعب الدور، بإجراء مقابلة شخصية مع نفسها متخيلة وجود اللجنة أمامها، ومن خلال ذلك يمكن أن تقف على مشاعر القلق، والأفكار غير العقلانية المرتبطة بهذا الوقت ثم محاولة تغييرها.

3/ استخدام القوة والحزم: إن الهدف الأساسي من استخدام القوة والحزم والسلطة مع المسترشد، حسب REBT أثناء الإرشاد؛ هو مساعدتهم على تكوين الاستبصار العقلي والوجداني، وكذا مساعدتهم على إنشاء حوار مع الذات، من شأنه المساهمة في اكتشاف الأفكار الخاطئة وتغييرها.

4/ الحوار الذاتي: وهي إستراتيجية إرشادية قدمها اليس A.Ellis، مع فيلتين (1992) Velten حيث يقوم المسترشد خلالها بتسجيل معتقداته وأفكاره اللاعقلانية حول مشاعره، وتقييمه لذاته على شريط، ويحاول وهو يستمع إليها أن يقوم بدحضها وتقييدها، بعد تدريبه على ذلك ثم يقوم بالاستماع إلى الدحض والتفنيد الذي قدمه لهذه الأفكار والمعتقدات، ويجعل الآخرين يستمعون إليها، معه ليرى سويًا ما إذا كانت قوية أم ضعيفة³³.

5/ قائمة الإيجابيات والسلبيات: حيث يطلب من المسترشد أن يكتب قائمة بالإيجابيات والسلبيات عن نفسه، واختبار مدى قدرته على ذلك. و مدى تمكنه من الموازنة بينهما.

خاتمة :

إن حاجة النظام التربوي لبرامج SEL تزداد نظرا للنتائج التي حققها على المستوى الانفعالي و المعرفي و السلوكي للتلاميذ -ناهيك عن المجال المهني - للوصول بالغايات و المرامي التربوية إلى أسمى مستوياتها فالواقع يرصد لنا العديد من النماذج السلوكية السلبية الشائعة و التي إستدخلت في الوعي الاجتماعي على أنها داء مستعصي لا علاج له ، كتنقل التلاميذ في الذهاب إلى المدرسة ، التهليل غير الطبيعي بقدوم العطل ، افتقار تفاعل التلاميذ مع كل المواد الدراسية و مع المعلمين ، إنتشار مظاهر العنف و الانحرافات السلوكية و الأخلاقية في الأوساط الدراسية التي أوكلت لها الأنظمة الاجتماعية مهمة التربية قبل التعليم ، ولم تبقى هذه المظاهر منعزلة بل

أثرت على المردود التربوي للمدرسة التي أصبحت تعاني من ارتفاع نسب الإهدار التربوي الذي حال دون تحقيق مراميها.

فبرامج SEL وإستنادا إلى الدراسات التجريبية أثبتت فعاليتها، في القضاء على هذه المظاهر التي تعرقل الأنظمة التربوية في تحقيق أهدافها، بل جعلتها تحقق التميز والجودة في مخرجاتها المعرفية و الوجدانية و السلوكية .مما جعلها بديلا يفرض نفسه و خيار لا بد منه.

الهوامش :

- 1- الفحل،نبيل محمد،(2009)،. بحوث في الدراسات النفسية (ط2).مصر، القاهرة: دار العلوم للطباعة والنشر والتوزيع.ص:261
- 2- أحمد،مدثر سليم (2003).الوضع الراهن في بحوث الذكاء.مصر،القاهرة:المكتب الجامعي الحديث.ص:232.
- 3- الصرايرة،أسماء (2003).اثر برنامج تدريب يستند لنظرية جولمان للذكاء العاطفي في مستوى التفكير الإبداعي ومفهوم الذات لدى طلبة الصف السادس ابتدائي.أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة عمان العربية للدراسات العليا،عمان ،الأردن .
- 4-الصرايرة ،أسماء المرجع السابق .
- 5- الخوالدة،محمود،(2004)،ط:1.الذكاء العاطفي،الذكاء الانفعالي(ط1). الأردن،عمان: دار الشروق للنشر و الطباعة و التوزيع ص 41.
- 6- جروان،فتححي عبد الرحمن (2012).الذكاء العاطفي و التعلم الاجتماعي العاطفي.الأردن،عمان: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع.ص 246-248.
- 7- Brackett.MP.Mayer.J.D.Warner.R.M(2004) emotional Intelligence and its relation to every day Behavior . personality and individual difference ,(36) 1387-1402.
- 8- جولمان،دانيال.(2000).الذكاء العاطفي.(ترجمة:الجبالي،ليلى ومراجعة:يونس محمد) .الكويت : المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب.(سنة النشر الأصلية1996) .ص:73
- 9-جولمان ،دانيال ،المرجع السابق .ص:79
- 10- Golman , Daniel (1998) Working withemotionnal Intelligence. new York Bantam.p: 6
- 11- -- العبيدان،منى مشاري عبد العزيز،(2008) .فعالية برنامج تدريبي لبعض مهارات الذكاء الوجداني في تعزيز أسلوب المواجهة الايجابية و التفكير الناقد لدى الفائقين من طلبة و طالبات المرحلة الثانوية بدولة الكويت . أطروحة دكتوراه غير منشورة،جامعة القاهرة ، مصر.ص:24.
- 12- --فايد ،حسين (2008).العلاج النفسي أصوله و تطبيقاته. مؤسسة طيبة للنشر و التوزيع.ص:93.
- 13- فايد ،حسين ، المرجع السابق،ص:88.
- 14- جولمان ،دنيال ، مرجع سابق ،ص:87.
- 15- الدردير،عبد المنعم،(2004).دراسات معاصرة في علم النفس المعرفي الجزء الأول (ط1). مصر، القاهرة : دار عالم الكتب للطباعة والنشر و التوزيع.ص:31.
- 16- عثمان،فاروق السيد،(2001).القلق وإدارة الضغوط.مصر، القاهرة: دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع.ص:178.

- 17- جولمان ،دانيال ،مرجع سبق ذكره ،ص:150.
 - 18- جولمان دانيال ، مرجع سبق ذكره ،ص:126.
 - 19 جولمان دانيال ،مرجع سبق ذكره ، ص :144.
 - 20-الحوالدة ،محمود ،مرجع سبق ذكره ،ص: 41.
 - 21- الحوالدة محمود ،مرجع سبق ذكره ،ص ص:40-41.
 - 22- جولمان ،دانيال ،مرجع سسبق ذكره ،ص ص 173-174.
 - 23- Golman , Daniel p 98
 - 24- الحوالدة نمحمود ،مرجع سبق ذكره ،ص:54.
 - 25- - خليل،الهام عبد الرحمن و الشناوي،أمنية إبراهيم (2005).الإسهام النسبي لمكونات قائمة بارون لنسبة الذكاء الوجداني في التنبؤ بأساليب المجاهدة لدى طلبة الجامعة.مجلة دراسات نفسية. (15)(01)، 99_121.القاهرة ، مصر.
 - 26- Salovey,P.Sroud.R.Woolerty.Aand E pel (2002) perceived emotional intelligence-stress reactivity and symptom reports further explanations usag the trait meta-Mood scale psychology and health ,17(5),611-627.
 - 27- Mc carty.R,Atkinson,M,and Tomasion,D(1999)the impact of an emotional self management skills cours of psychological fuctionning and autonomic recovery to stress in middle schoole children. integrative physiological and Behavioral science ,34(4), 246
 - 28- جولمان ،دانيال ،مرجع سبق ذكره ،ص ص:123-124.
 - 29- الخضر ،عثمان .(2002).الذكاء الوجداني هل هو مفهوم جديد في علم النفس؟ مجلة دراسات نفسية ، (12) (1) ،5-41.
 - 30- السمدادوني،السيد إبراهيم(2007).الذكاء الوجداني،أسسه،تطبيقاته وتنميته (ط1)،الأردن،عمان: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع،ص221.
 - 31- الخطيب،صالح أحمد (2007).الإرشاد النفسي في المدرسة،أسسه،نظرياته و تطبيقاته(ط2). الإمارات العربية المتحدة:دار الكتاب الجامعي للطباعة و النشر و التوزيع.ص:395.
 - 33- عبدالله،هشام إبراهيم (2009). العلاج العقلاني الانفعالي السلوكي . الأسس وتطبيقات ،الجزائر:دار الكتاب الحديث للطباعة والنشر.
 - 34- محمد،عادل عبد الله(2000).العلاج المعرفي السلوكي،أسس وتطبيقات(ط1).مصر،القاهرة: دار الرشد للطباعة والنشر والتوزيع.ص ص:115-116.
- قائمة المراجع :
- أ- المراجع العربية
- 1-أحمد،مدثر سليم (2003).الوضع الراهن في بحوث الذكاء.مصر،القاهرة:المكتب الجامعي الحديث.
 - 2-جروان،فتحى عبد الرحمن (2012).الذكاء العاطفي و التعلم الاجتماعي العاطفي.الأردن،عمان: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع.
 - 3- جولمان،دانيال.(2000).الذكاء العاطفي.(ترجمة:الجبالي،ليلى ومراجعة:يونس محمد) . الكويت : المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب.(سنة النشر الأصلية1996).

- 4- الخضر، عثمان. (2002). الذكاء الوجداني هل هو مفهوم جديد في علم النفس؟ مجلة دراسات نفسية ، (12) (1)، 5-41
- 5- الخوالدة، محمود، (2004)، ط:1. الذكاء العاطفي، الذكاء الانفعالي (ط1). الأردن، عمان: دار الشروق للنشر و الطباعة و التوزيع.
- 6- الخطيب، صالح أحمد (2007). الإرشاد النفسي في المدرسة، أسسه، نظرياته و تطبيقاته (ط2). الإمارات العربية المتحدة: دار الكتاب الجامعي للطباعة و النشر و التوزيع.
- 7- خليل، الهام عبد الرحمن و الشناوي، أمنية إبراهيم (2005). الإسهام النسبي لمكونات قائمة بارون لنسبة الذكاء الوجداني في التنبؤ بأساليب المجاهدة لدى طلبة الجامعة. مجلة دراسات نفسية. (15) (01)، 99_121. القاهرة ، مصر.
- 8- الدردير، عبد المنعم، (2004). دراسات معاصرة في علم النفس المعرفي الجزء الأول (ط1). مصر، القاهرة : دار عالم الكتب للطباعة والنشر و التوزيع.
- 9- السمادوني، السيد إبراهيم (2007). الذكاء الوجداني، أسسه، تطبيقاته و تنميته (ط1)، الأردن، عمان: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع.
- 10- الصرايرة، أسماء (2003). اثر برنامج تدريب يستند لنظرية جولمان للذكاء العاطفي في مستوى التفكير الإبداعي ومفهوم الذات لدى طلبة الصف السادس ابتدائي. أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة عمان العربية للدراسات العليا، عمان ،الأردن .
- 11- عبدالله، هشام إبراهيم (2009). العلاج العقلاني الانفعالي السلوكي . الأسس وتطبيقات ،الجزائر: دار الكتاب الحديث للطباعة والنشر.
- 12- العبيدان، منى مشاري عبد العزيز، (2008). فعالية برنامج تدريبي لبعض مهارات الذكاء الوجداني في تعزيز أسلوب المواجهة الايجابية و التفكير الناقد لدى الفائقين من طلبة و طالبات المرحلة الثانوية بدولة الكويت . أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة ، مصر.
- 13- عثمان، فاروق السيد، (2001). القلق وإدارة الضغوط. مصر، القاهرة: دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع.
- 14- فايد ،حسين (2008). العلاج النفسي أصوله و تطبيقاته. مؤسسة طيبة للنشر و التوزيع
- 15- الفحل، نبيل محمد، (2009)،. بحث في الدراسات النفسية (ط2). مصر، القاهرة: دار العلوم للطباعة والنشر والتوزيع.
- 16- محمد، عادل عبد الله (2000). العلاج المعرفي السلوكي، أسس وتطبيقات (ط1). مصر، القاهرة: دار الرشد للطباعة والنشر والتوزيع.

ب-المراجع الاجنبية :

- 17- Brackett.MP.Mayer.J.D.Warner.R.M(2004) emotional Intelligence and its relation to every day Behavior . personality and individual difference ,(36) 1387-1402.
- 18- Golman , Daniel (1998) Working withemotional Intelligence. new York Bantam.
- 19- Salovey,P.Sroud.R.Woolerty.Aand E pel (2002) perceived emotional intelligence-stress reactivity and symptom reports further explanations usag the trait meta-Mood scale psychology and health ,17(5),611-627.
- 20- Mc carty.R,Atkinson,M,and Tomasion,D(1999)the impact of an emotional self management skills cours of psychological fuctionning and autonomic recovery to stress in middle schoole children. integrative physiological and Behavioral science ,34(4), 246.

النسوية و خطاب الجنسانية

(رواية " اكتشاف الشهوة " لفضيلة الفاروق - أنموذجا -)

د/ بن عطية كمال

قسم اللغة العربية (جامعة الجلفة)

ملخص المقال بالعربية :

تعود فكرة هذا المقال إلى لقاء علمي جمعي بالروائي الجزائري واسيني الأعرج حينما عقت على توظيفه لمشاهد جنسية و استعماله للغة حوار تتضمن استعمال الفاحش والبذء من الكلام داخل رواياته لاسيما في روايته "سيدة المقام" مع توفر إمكانية تجاوز هذا المستوى من الكلام والاكتفاء بالإيحاءات والتلميحات التي تحقق الشق التواصل والجمالي ، فالرواية - في رأي- ديوان ونص حامل لموم وتطلعات يجدر بالروائي أن يخاطب المتلقي وفقها بمستويات متعالية. حينها أعطى واسيني الحق لنفسه انطلاقا من أن خطاب الجنسانية موجود في واقعنا وشوارعنا وتجمعاتنا بل هو الغالب والفاصل في احتكاكاتنا اليومية مع مشاغلنا ومآزقنا وعند قطاع واسع من المجتمع ، والروائي يرى ويسمع كل هذا وبالتالي فتدوين هذا النوع من الخطابات ضروري بحكم تعدد الأصوات داخل الرواية . ويشاطره أيضا في هذا الرأي المغربي "محمد شكري" في روايته السير ذاتية " الخبز الحافي " حيث يبرز خطاب الجنسانية بقوة داخلها .

يستمر هذا النوع من الخطابات في التواتر و الاتساع مع العديد من التجارب الروائية إلى أن أضحت ظاهرة تتطلب الدرس والمتابعة النقدية. وهذا ما سيكون ضمن هذه المساحة البحثية حيث أحاول أن أفكك معمارية خطاب الجنسانية من خلال نموذج أنثوي يتمثل في الروائية " فضيلة الفاروق " من خلال روايتها " اكتشاف الشهوة " .

توفر هاته الرواية لبحثنا شقين ؛ شق أول متعلق بالبحث في واقع الكتابة النسوية في العالم العربي عموما وموقعها الثقافي أمام الكتابة الأصل (الذكورية) وتحول المرأة وفق هذا الاتجاه التسلطي إلى كائن ثقافي ذي دلالة محددة ونمطية وليست جوهر أو ذاتا ، و شق ثان متعلق بالبحث في خطاب المرأة الإبداعي - في شقه السردى الجنساني تحديدا- ومن هنا تبرز الإشكالية التالية : هل يمكننا أن نصف هذا النوع من الخطابات داخل الرواية العربية في شكلها العام مغامرة إبداعية وتحقيقا لذات مضطهدة وصدى لما تعانيه المرأة (المؤلفة/المؤلفة الضمنية) داخل مجتمعات يطغى عليها النسق الذكوري ، إذ أن هذه المغامرة في سرد الأنثى لذاها وبوحها عن نفسها تنويرا وتحريرا لقضايا موجودة ومتكررة في ممارساتنا اليومية ، أو أن هذا النوع من الكتابة - في رؤية مغايرة - يعتبر وسيلة من وسائل التغريب وتشجيع على العلاقات غير شرعية والتبرم من قيود الأسرة ورقابة المجتمع .

ملخص المقال بالإنجليزية :

In this article to analyze architectural speech sex in the novel by novelist " FADILA ALFAROUK" and her novel " IKTICHAH ALCHAHWA" Availability of these circumstances the novel for our search two parts; the first related part looks at the reality of women's writing in general the Arab world's cultural and its location in front of the writing origin (masculine) and

turned women according to this authoritarian direction to a specific stereotype indication of a cultural object and not a substance or Mata, and a second part related research in creative women's speech - in an apartment narrative gender geographically central Hence the following problem: Can we half this kind of rhetoric within the novel Arabic in the public form an adventure creative and investigation for the same oppressed and echo what ails women (author / implied author) within the communities dominated by Layout masculine, as this adventure in the female account of the mselves and a itself enlightened and liberation issues exist and frequent in our practices daily, or that this kind of writing - in a different vision - it is considered a means of alienation and encourage illegitimate relations and to get rid of the family and community control restriction.

الكلمات المفتاحية بالعربية :

الرواية ، الخطاب ، التفكيك ، الجنسانية ، فضيلة الفاروق ، المرأة ، اكتشاف الشهوة ، السلطة ، الذكورة ، قسنطينة ، باريس ، الألم ، العنوان ، مركزية اللوغو الذكري ، الأدب النسوي ، الأدب النسوي الجزائري ، التقطيع الروائي ، الشخصية الروائية ، الشخصية الواقعية .

الكلمات المفتاحية بالانجليزية :

The novel, speech, dismantling, gender. FADILA ALFAROUK, women, IKTICHAF ALCHAHWA, power, masculinity, Constantine, Paris, pain, Title, Logo central male, feminist literature, Algerian feminist literature, chipping novelist, personal fiction, personal realism.

توطئة :

تعود فكرة هذا المقال إلى لقاء علمي جمعي بالروائي الجزائري واسيني الأعرج حينما عقت على توظيفه لمشاهد جنسية و استعماله للغة حوار تتضمن استعمال الفاحش والبذيء من الكلام داخل رواياته لا سيما في روايته "سيدة المقام" مع توفر إمكانية تجاوز هذا المستوى من الكلام والاكتفاء بالإيحاءات والتلميحات التي تحقق الشق التواصل والجمالي ، فالرواية - في رأيي - ديوان ونص حامل لمهوم وتطلعات يجدر بالروائي أن يخاطب المتلقي وفقها بمستويات متعالية، هذا المتلقي الذي تحول مع فتوحات نظريات القراءة إلى مؤلف ضمني وشريك في صناعة النص «وصححت به حركة الفكر النقدي لتعود به إلى قيمة النص وأهمية المتلقي ومن ثمّ البحث عن التفاعل بين المتلقي والنص»⁽¹⁾، حينها أعطى واسيني الحق لنفسه انطلاقاً من أن خطاب الجنسانية موجود في واقعنا وشوارعنا وتجمعاتنا بل هو الغالب والفاصل في احتكاكاتنا اليومية مع مشاغلنا ومآزقنا وعند قطاع واسع من المجتمع ، والروائي يرى ويسمع كل هذا وبالتالي فتدوين هذا النوع من الخطابات ضروري بحكم تعدد الأصوات داخل الرواية . ويشاطره أيضاً في هذا الرأي المغربي "محمد شكري" في روايته السير ذاتية " الخبز الحافي " حيث يبرز خطاب الجنسانية بقوة داخلها .

يستمر هذا النوع من الخطابات في التواتر و الاتساع مع العديد من التجارب الروائية إلى أن أضحت ظاهرة تتطلب الدرس والمتابعة النقدية. وهذا ما سيكون ضمن هذه المساحة البحثية حيث أحاول أن أفكك معمارية خطاب الجنسانية من خلال نموذج أثنوي يتمثل في الروائية " فضيلة الفاروق" من خلال روايتها " اكتشاف الشهوة " .

توفر هاته الرواية لبحثنا شقين؛ شق أول متعلق بالبحث في واقع الكتابة النسوية في العالم العربي عموماً وموقعها الثقافي أمام الكتابة الأصل (الذكورية) وتحول المرأة وفق هذا الاتجاه التسلسلي إلى كائن ثقافي ذي دلالة محددة ونمطية وليست جوهراً أو ذاتاً «ف هناك تاريخ قائم كتبه الرجل بأدواته الذكورية، جعل من المرأة كيانه ناقصاً ورمزاً للخطايا، ونُظر إليها دائماً كرمز للشهوة والجسد» (2). و شق ثان متعلق بالبحث في خطاب المرأة الإبداعي - في شقه السردي الجنساني تحديداً- ومن هنا تبرز الإشكالية التالية : هل يمكننا أن نصف هذا النوع من الخطابات داخل الرواية العربية في شكلها العام مغامرة إبداعية وتحقيقاً لذات مضطهدة وصدى لما تعانيه المرأة (المؤلفة/المؤلفة الضمنية) داخل مجتمعات يطغى عليها النسق الذكوري ، إذ أن هذه المغامرة في سرد الأنثى لذاتها وبوحها عن نفسها تنويراً وتحريراً لقضايا موجودة ومتكررة في ممارساتنا اليومية ، أو أن هذا النوع من الكتابة - في رؤية مغايرة - يعتبر وسيلة من وسائل التغريب وتشجيع على العلاقات غير شرعية والتبرم من قيود الأسرة ورقابة المجتمع و«ضرب من الشذوذ السافر جاء على تلك الشاكلة تحت مسمى الأدب والإبداع» (3).

1/ في النسوية :

ترجع أصول النسوية إلى حركات سياسية تهدف إلى غايات اجتماعية ، تتمثل في حقوق المرأة وإثبات ذاتها ودورها ، والفكر النسوي بشكل عام أنساق نظرية من المفاهيم والقضايا والتحليلات تصف وتفسر أوضاع النساء وخبراتهم وسبل تحسينها وتفعيلها وكيفية الاستفادة المثلى منها . فالنسوية إذن ممارسات تطبيقية واقعية بين الفكر والواقع ، الحركة أو الممارسات ، هكذا بدأ أن النسوية مع القرن التاسع عشر حركة اجتماعية توالد عنها فكر نسوي ، وفي مرحلة لاحقة نشأت عنها فلسفة نسوية ظلت بدورها أكثر من أي فلسفة أخرى ارتباطاً بالواقع ، في هذا الإطار تضم النسوية كل جهد عملي أو نظري لاستجواب أو تحدي أو مراجعة أو نقد أو تعديل النظام الأبوي السائد طوال التاريخ ، حيث يقوم هذا النظام على بنية تكون المرأة فيها ذات وضعية أدنى خاضعة لمصلحة الرجل ، ويتبوأ الرجال السيادة والمثلية الأعلى (4). وهذا ما يسميه "جيل ليويفيتسكي" بعصر المرأة الثالثة وقصد به التحول الذي حصل في وضع المرأة بعد تصنيفها على أنها مؤبسة ودونية إلى النقلة الكبرى في وضع المرأة من حيث استرجاعها لحريتها وتحكمها بذاتها وتحقيقها لشخصيتها دون تدخل الرجل في قراراتها الشخصية فانتقلت هذه المرأة من الوضع الدوني إلى الوضع الراقي وتعاملت مع الرجل بنديّة (5).

1. أ / مركزية " اللوغو الذكري " :

المقصود باللوغو الذكري « الخطاب بمركزية الرجل /الذكر، فالمرأة حين تتساوى فإنها تتساوى بالرجل وحين يسمح لها بالمشاركة فإنما تشرك الرجل وفي كل الأحوال يصبح الرجل مركز الحركة وبؤرة التفاعل ويبدو الأمر وكأنه قدر ميتافيزيقي لا فكاك منه ، وكأن كل فاعلية للمرأة في الحياة لا تكتسب دلالتها إلا من خلال فاعلية الرجل» (6). فقد خُصّ الذكر باللفظ مما مكنه من الاستحواذ على الكتابة ومن ثم السيطرة على الفكر اللغوي والثقافي والحياتي على مدار التاريخ ، حيث تعرضت المرأة لمسار تاريخي استبدادي عبر كل الحضارات المتعاقبة على مستوى الثقافة الرسمية وحتى الشعبية ابتداء باستثناء المرأة من الإحصاء السكاني واعتبارها كائناً ثانوياً إبان الحضارة اليونانية (7)، إلى سيد الفلسفة الإغريقية وأحد أضلع مثلثها الفلسفي "أفلاطون" وما أبداه من أسف لكونه

ابن امرأة حيث ظل يزدرى أمه لأنها أنثى وغيّبها بشكل كامل عن محاوراته، إلى "حاموراي" الذي جعل المرأة حقا مملوكا للرجل وله حق بيعها وامتلاكها، لتأتي المنحوتات القديمة في بلاد الرافدين مصورة المرأة على أنها جسد جنسي فقط تبرز فيه الأعضاء الجنسية، إلى الصينيين الذين تعودوا على تقييد أرجل بناتهم في صغرهن لكي تنثني أقدامهن فإذا كبرن تقيدت حركتهن وقلت سرعتهن فلا يكون في مقدورهن الفرار من وجه الرجل، إلى أن سماها فرويد بالرجل الناقص إلى فنون القرن العشرين التي تعاملت مع المرأة كوسيلة إغرائية ، إلى الثقافة العربية (الجاحظ، القزويني ، المعري ، العقاد ، حمزة شحاتة...إلخ) (8).

لكن ومع النقلة النوعية والتطور الحاصل في الممارسة الثقافية والحياتية اليوم، ظهر نزوع أنثوي في الكتابة والإفصاح عن هذه الأنوثة ، حيث خرجت المرأة من مرحلة الاستغلال إلى مرحلة الكتابة، وذلك لما توفره الكتابة من حرية وإثبات للذات، ولكن الطريق إلى الكتابة لن يكون إلا عبر المحاولة الواعية نحو تأسيس قيمة إبداعية للأنوثة تضارع الفحولة وتنافسها، تكون عبر كتابة تحمل سمات الأنوثة وتقدمها في النص اللغوي لا على أنها استرجال وإنما بوصفها قيمة إبداعية تجعل الأنوثة مصطلحا إبداعيا مثلما هو مصطلح الفحولة (9). هذه النقلة التي نجعل من خلالها الأنوثة في مقابل الفحولة تتطلب نوعا من الممارسة الدقيقة، فقد تتداخل الرغبة في تأسيس للأنوثة إلى مناقضة الأنوثة في ذاتها، وهذا ما صرح به جاك دريدا حينما أكد على أن «التفكيكية هي تفكير معين في النساء لا تمجيدا للنسوية. إنني أعتقد أن النسوية ضرورية. لقد كانت ومازالت ضرورية في مواقف معينة. ولكن في لحظة إذا أغلقت نفسك في النسوية فستنتج نفس الشيء الذي تصارع ضده» (10)، وهذا ما جعل الناقد السعودي عبد الله محمد الغدامي يثور على التغيير الشكلي فقط الذي لا يستند إلى أسس ترسخ وتجدد مفهوما للأنوثة على مستوى الواقع، فلا استرجال المرأة وكتابتها حسب شروط الرجل بلهجته ولسانه ولا تأنيثها للضمير ضمن فعل الكتابة ولا انسياقها وراء مقولات إنساني وإنسانية التي يتساوى فيها المؤنث والمذكر، قادرة على خلق نسق ثقافي أنثوي حقيقي في مقابل نسق الذكورة المتجسد في ثقافتنا العربية، فمقولة المساواة بين الجنسين مثلا «دعوى لتكون ضد المرأة لأن التساوي هنا هو في اقتسام ذكورية المجتمع مما هو إمعان في إلغاء الأنوثة وإمعان في إجبار المرأة على الاسترجال» (11).

1. ب/ تفكيك الثنائية (الذكر/ الأنثى):

تتضمن التفكيكية التي ارسى قواعدها الفرنسي جاك دريدا ممارسة نقدية استنطاقية مهمتها؛ أن تصبح كتابة أي نص آخر، نصا نقديا يكمل ويدمج نصا أو نصوصا تكون موضع تساؤل. وتعني التفكيكية بالنصوص وعلاقاتها المتبادلة المضمرة فيها وتقتضي التفكيكية اختبار النص من جهة اختلافاته عن النصوص الأخرى ومن جهة إرجاءاته في نصوص أخرى (12)، وتُشغل نفسها بثلاثة مواضيع أساسية:

- الحدود التاريخية للميتافيزيقا .
- نتائج التفكير الميتافيزيقي وتأثيراته ومن ثم تفكيكه ونقضه .
- ضرورة وحدود علم الكتابة (الغراماتولوجيا) (13).

انطلاقاً من هاته الإستراتيجية يفكك جاك دريدا الثنائية " الذكر / الأنثى " المتمركزة حول اللوغوس ويدرجها ضمن سائر الثنائيات الهرمية القابلة للتفكيك ، انطلاقاً من مشروعه المتضمن نقد وتقويض البعد الميتافيزيقي الذي رأى بأنه مازال يهيمن على الفلسفة ومن ثم على العلوم المتأثرة بها، وليس مما يدهش حسب رؤية دريدا إلى أن عرض الإنجيل لنشأة الإنسان يظهر خلق المرأة من ضلع الرجل فالمرأة ثانوية وخاضعة وملحقة وحتى الصياغات الفرويدية و اللاكانية تصور النفس الأنثوية في إطار التمرکز حول الذكر الذي يرى فيه امتداداً مشتركاً مع تاريخ الميتافيزيقيا الغربية(14)، ووفق استراتيجيته التفكيك يعلن دريدا أن ما يبقى غير محدد [مالا يمكن حسمه (indecidable)]، لا يتعلق فحسب، بل أيضاً بخط الانقسام بين الجنسين(15)، ومالا يمكن حسمه ليس عنصراً من التقابلات التالية: (محسوس/معقول) (الكلام / الكتابة)، (السلبية / الفعلية)، (الدال / المدلول)، (الداخل / الخارج) (الحضور / الغياب) ... إلخ، رغم أنه يسم التقابلات ويصل أحدها بالآخر يتجنب في نفس الوقت أن لا يكون حداً ثالثاً، ومن قائمة أمثلة (ما لا يمكن حسمه): العلامة، البنية، الكتابة، التواصل، النوع الأدبي، الاختلاف ... إلخ (16). بذلك يريد دريدا أن يتعد عن منظومة الفكر الغربي القائم على الثنائيات التفاضلية التي أنتجت خطاباً يقوم على المركزية عبر تفضيل الذات على الآخر ويتخلص من آثار الثنائيات المدمرة والعنصرية للفكر الغربي في تعامله مع الأطراف بوصفه المركز الذي لا توجد الأطراف إلا بوجوده. إن هذه المفهومات غير المحسومة دلاليًا تمنح فلسفة دريدا حيوية كبيرة على قلب كل المعادلات والهروب من النظرة السوداء للميتافيزيقيا التي لا تفتأ تمنح الأفضلية لحد على حد آخر(17).

نشط البحث ضمن المسعى النسوي لا سيما في مرحلة ما بعد البنيوية ، إلى كسر السيطرة الذكورية معيدا النظر في المقولات التعميمية الأساسية ، أي القائلة بعمومية الأبوية وأساسياتها في المجتمعات الإنسانية وتبلورت في السياق نفسه أسئلة حول ما إذا كانت الأبوية هي الشكل السلطوي الوحيد الذي تعاني منه الأنثى(18)، وبدءاً من السبعينيات أطلق النسويون الفرنسيون و الأنجلو-أمريكيون وغيرهم انتقادات عديدة ضد التصورات الذهنية الأبوية المتمركزة حول اللوغو الذكري، وأنتج القلب والإبدال التفكيكي لثنائية (الذكر/الأنثى) التعارضية مفهوماً غير محدد عن الأنثوية المعقدة، من هنا بدأت المسوغات والحجج تبرز وهامي الباحثة " لسبيكاك " ترى في استراتيجية التفكيك جدوى فيما يخص نقد التمرکز الذكري ومن ثم قلب تلك الثنائية وإنشاء خطاب متمركز حول الرحم يواجه الخطاب المتمركز حول الذكر، وذلك بدعوة النساء إلى القيام بحركة متناسقة لإعادة توزيع القوى الإنتاج وإعادة الإنتاج، وإعادة تاريخ وأدب المرأة وإنشاء خطاب طليعي للنساء وإعادة قراءة النصوص الكلاسيكية باعتبارها مذبذبة بالتمرکز حول الذكر(19). ويطلق على هذا الاتجاه بالتحليل التفكيكي المتمركز حول الأنثى حيث يعتبر هذا الاتجاه أن المجتمعات الذكورية المتمركزة حول الذكر أن الرجل هو الأصل الثابت والمرأة هي العكس، لكن المرأة في واقع الأمر هي الأصل الآخر المسكوت عنه(20) .

1. ج/ أدب المرأة (التمرکز حول الأنثى) :

كانت اللغة من أبرز المجالات التي شهدت مداً نسوياً لافتاً ، ينطلق من مسلمة معاصرة تقول إن اللغة ليست مجرد وسيط شفاف يحمل المعنى، بل هي ككل مؤسسة اجتماعية محملة بأهداف ومعايير وقيم المجتمع وبالتالي قامت اللغة

بدورها في تجسيد الذكورية المهيمنة، ومن هنا بدأت الدراسات تبحث في الفوارق بين التعبيرات الذكورية والأنثوية، ومغزاها ودلالاتها، فلا شك في أن المجاز واللغة يشكلان تفكيرنا ويؤثران في الخطاب ويمثلان أهم معالم الشخصية، وبديهي أن التعبير عن النسوية جاء في الأشكال الأدبية أكثر وأبلغ مما جاء في أي شكل آخر، وبرزت عشرات الأسماء للأدبيات، فثمة الآن نظرية نسوية في الأدب وفي النقد تلقى اهتماما كبيرا من الأوساط المعنية، وبطبيعة الحال كان لابد أن يكتسح هذا المد النسوي مجال الفنون الذي ارتبط أكثر من سواه بالمرأة وعالمها على طوال التاريخ (21).

من هنا ظهر الأدب النسوي واندلعت معه التساؤلات، وكانت المفاهيم المختلفة لهذا المصطلح، فمنهم من يعتبره الأدب الخاص بالمرأة، ومنهم من يعتبره حالة من حالات التجنيس لانفصالها عن أدب الرجال، ومنهم من ادّعى أن في إطلاق هذا المصطلح نوعاً من أنواع التصنيف في الأدب، على اعتبار المرأة أضعف منه قدرة على الإنجاز، وآخرون أكدوا ضرورة إطلاقه كحق لهذه المرأة، وحتى المرأة ذاتها اختلفت في مفهوم هذا المصطلح، فمنهن يعتبرن أن في هذه الهوية إثبات لوجودهن كنساء. ومنهن من يرين أنه ليس أكثر من حالة تصنيف لأدب أكثر تعبيراً عن صورة المرأة عندما تكون هي المنتجة له (22).

وفق هذا الالتباس الحاصل في المصطلح وما يحمله من تصورات، حلّ عبد الله محمد الغدامي واقع الكتابة النسوية وموقعها الثقافي أمام الكتابة الأصل (الذكورية) برؤية تهدف إلى إيجاد تغيير حقيقي للوضعية الأنثوية، بتحقيق قيمة إبداعية وفكرية للأنوثة في مجموعة من النقاط أهمها: تملك اللغة. وذلك في أربعة مؤلفات كاملة (المرأة واللغة، تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، ثقافة الوهم) مقاربات حول المرأة والجسد واللغة)، الجهنية في لغة النساء وحكايتهن)، متكأ على النقلة النوعية والتطور الحاصل في الممارسة الثقافية والحياتية اليوم والذي ساعد على بروز نزوع أنثوي في الكتابة والإفصاح عن هذه الأنوثة، بعدما كان الرجل هو المفصح عنها والمستعير للسانها والمُظهر إياها في الهامش الثقافي والاجتماعي فماذا لو تيسر للمرأة أن تكتب تاريخ الزمان والأحداث وتولت بنفسها صياغة التاريخ ولم يكن ذلك حكراً على الرجل وحده «فستكون الأنوثة قيمة إيجابية مثل الفحولة تماماً» (23)، لكن هذا التحول في الموقع يصاحبه سؤال جوهري متعلق بآليات هذه النقلة، فهل تتخلى المرأة عن أنوثتها وتسترجل لكي تمارس ما يمارسه الرجل، أم أن في اللغة مجالا للأنوثة بإزاء الفحولة؟.

في خضم الإجابة عن هذا التساؤل يُقر الغدامي بأن متابعته لخطاب المرأة الإبداعي - في شقه السردى تحديداً- يركز على البحث والسؤال عن المنعطقات و التمفصلات الجوهرية في علاقة المرأة مع اللغة وتحولها من موضوع لغوي إلى ذات فاعلة، تعرف كيف ومتى تفصح عن نفسها وكيف تُدير سياق اللغة من فحولة متحركة إلى خطاب بياني يجد فيه الضمير المؤنث فضاءاً للتحرك مع التعبير ووجوه الإفصاح فيصرح بأنه «اعتمد على الخطاب السردى واستبعد الشعر عن الدراسة، ووجد أن الخطاب السردى أقدر على كشف الأصوات المتعددة ومن ثم أقرب إلى الإفصاح عن معالم الاختلاف وضمائر التبدل والتنوع» (24).

انطلاقاً من هذا الواقع السلي خرجت المرأة من مرحلة الاستغلال إلى مرحلة الكتابة، وذلك لما توفره الكتابة من حرية وإثبات للذات، ولكن الطريق إلى الكتابة لن يكون إلا عبر المحاولة الواعية نحو تأسيس قيمة إبداعية للأنوثة

تضارع الفحولة وتنافسها، تكون عبر كتابة تحمل سمات الأنوثة وتقدمها في النص اللغوي لا على أنها استرجال وإنما بوصفها قيمة إبداعية تجعل الأنوثة مصطلحا إبداعيا مثلما هو مصطلح الفحولة (25). هذه النقلة التي نجعل من خلالها الأنوثة في مقابل الفحولة تتطلب نوعا من الممارسة الدقيقة، فقد تتداخل الرغبة في تأسيس للأنوثة إلى مناقضة الأنوثة في ذاتها، وهذا ما جعل الغدامي يثور على التغيير الشكلي فقط الذي لا يستند إلى أسس ترسخ وتجسد مفهومها للأنوثة على مستوى الواقع، فلا استرجال المرأة وكتابتها حسب شروط الرجل بلهجته ولسانه ولا تأنيثها للضمير ضمن فعل الكتابة ولا انسياقها وراء مقولات إنساني وإنسانية التي يتساوى فيها المؤنث والمذكر، قدرة على خلق نسق ثقافي أثثوي حقيقي في مقابل نسق الذكورة المتجسد في ثقافتنا العربية، فمقولة المساواة بين الجنسين مثلا «دعوى لتكون ضد المرأة لأن التساوي هنا هو في اقتسام ذكورية المجتمع مما هو إمعان في إلغاء الأنوثة وإمعان في إجبار المرأة على الاسترجال» (26).

يشيد الغدامي في خضم استعارته للسان المرأة بتجربة "نازك الملائكة" التي حطمت أهم رموز الفحولة وأبرز علامات الذكورة (عمود الشعر)، وأصبحت معها قصيدة التفعيلة علامة على الأنوثة الشعرية وكسرت بهذا النمطية المتداولة عند العرب لما وصفوا الشعر بأنه شيطان ذكر وليس للمرأة من الشعر أي نصيب ماعدا الاستثناء الحدود الذي مثلته الخنساء الذي لم يتكرر على مدار الخمسة عشر قرنا حيث يسجل « لحركة الشعر الحر أنها السبابة إلى فعل تفكيك الموروث، ونقد البنية الصلبة لثقافتنا وهي القصيدة العمودية وحدث ذلك من شاعرة فتاة له مدلوله الخاص في مواجهة عمود الفحولة والنسق الذكوري» (27)، وقد تعرضت الشاعرة نازك الملائكة إلى ردود فعل مضادة تحت تأثيرات النسق الفحولي المضمير في ثقافتنا، وتم مصادرة موقعها الريادي في تكسير عمود الشعر ومن ثم نسب ريادة الشعر الحر للشاعر بدر شاكر السياب، انتصارا وترسيخا للفحل الثقافي تارة ووصف قصيدتها "الكوليرا" بأنها ليست سوى تغيير عروضي تارة أخرى «إنها محاولة مداراة المعنى العميق لحادثة كسر عمود الفحولة على يد أنثى» (28)، وقد كسرت نازك الملائكة عمود الشعر والنسق الذهني المذكر الذي يقوم عليه الشعر، مستعينة بالنصف المؤنث من بحور العروض «الرجز والكامل والرمل والمتقارب والمتدارك والهزج والسريع والوافر» (29).

1. د/ الاحتفاء بالجسد كأداة للتمركز حول الأنثى :

من الواضح أن الثقافة التي أقصت المرأة جعلتها ترى نفسها على أنها جسد مثير وصارت تسعى إلى إبراز هذا المعنى فأضحى الاحتفاء الصريح بتكوين الجسد الأنثوي وجمالياته الخارجية ضرورة سردية لتقويض التمركز حول الذكر، وضمن هذا السياق تؤكد الناقدة "هيلين سيكسوس" على ضرورة أن تنصرف الكتابة النسائية إلى الجسد بل والاقتصار عليه ، وتدعو النساء على وضع أجسادهن في كتابتهن ، وينبغي التأكيد على أن استئثار الجسد بأهمية بالغة في الرواية النسائية ، يتم بتوجيه من أسباب متصلة بنظرة المجتمع إلى الجسد عموما، ما ولده ذلك من إحساس عند المرأة من أنها تتميز بخصوصية مطلقة ومتفرد. على أن ربط الأدب النسائي بالجسد أمر ينبغي تدقيقه ، وفي ضوء غياب الحفر التاريخي والنقدي الذي برهن على تلك الرابطة وحجمها ، فالقول باقتران الأدب النسائي بالجسد الأنثوي يحتاج إلى تدقيق (30) ، حتى لا ندخل في عملية عكسية مضادة ويحدث تقويض آخر للأنثى

وتختزل في الجسد سردا وتحليلا ، وتتحول معها قيمة الأنوثة إلى لذة وبالتالي تتحول قضيتها إلى عرض وطلب ووفرة وندرة ، وبهذا تفقد المرأة بعدها التواصل العميق والإنساني ، و به استبدلت نوعا من الشغف الاستعراضي المثير، وهذا ما جعل المفكك جاك دريدا يحذر الغلو في تمجيد النسوية وسرد جسدها و خصوصياتها .

2/ خطاب الجنسية في رواية اكتشاف الشهوة :

تعتبر فضيلة الفاروق من أهم الأصوات النسائية في المشهد الروائي الجزائري. حاولت تدوين الرغبة وفق رؤية تفكيكية لواقع المرأة داخل مجتمع محافظ لم يستطع أن يخفي ميولاته الجنسية اتجاه المرأة. وتندرج فضيلة الفاروق ضمن المحاولات التي تعتبر الكتابة النسائية مغامرة حقيقية لإثبات الذات ومواجهة العالم من خلال التبرم من القيود التي تعطل حرية التفكير ومن ثم استغلال مقومات المرأة الذاتية والمكتسبة في بناء عالمها الخاص، يظهر هذا المتزعج التحرري بشكل أعمق في ثلاثيتها الروائية (تاء الخجل ، مزاج مراهقة ، اكتشاف الشهوة) .

تبني فضيلة الفاروق نزعتها التحررية على الخطاب الجنسي بدرجة أولى ثم التبرم والتمرد على الالتزامات الدينية والتقاليد والسلطة الأسرية في درجة ثانية ، أو نقول أنها تستعمل الجنس وتوظفه كأداة لتقويض الخطابات السائدة في بيئتها، كرفضها مثلا للحجاب الذي يعيق إبراز مفاتها ويمنع عنها حريتها في الاستمتاع برغباتها ونزواتها كما أنه يميز بينها وبين الرجال «انطلقت من قطعة القماش تلك التي لم تعد تعني لي فقط التنكر الذي يوهم أي سائح سحني معي إلى الجامعة ، بل صارت تعني لي إثبات مزيد من الفروق بيني وبين الآخر، إدخال قلبي في دائرة الرؤية الضبابية»(31). وفيما يلي سنكتشف تفصلات هذا النمط من الخطاب في اكتشاف الشهوة .

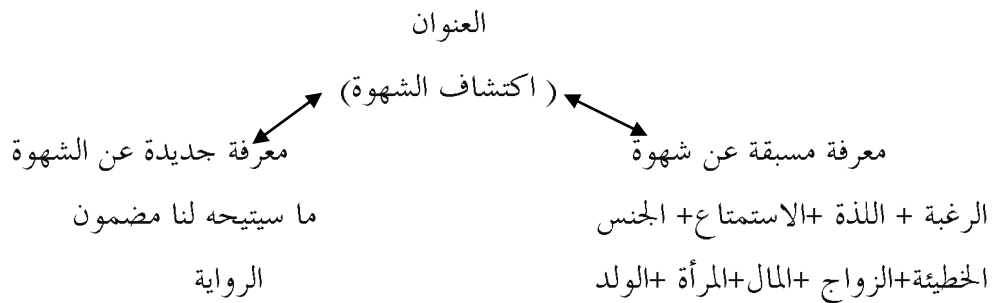
2.أ / جنسانية العنوان :

تصرح الروائية المتميزة أحلام مستغانمي بأن العنوان هو «أصعب امتحان»(32)، وأنها كلما بدأت في كتابة نص ما إلا وراودها أكثر من عنوان وكلما تقدمت في اختياره كان العنوان يتغير باستمرار وتجدد الإشارة هنا إلى أن الصعوبة والحيرة في اختيار هذا النص المضغوط (العنوان) ، ترجع بالأساس إلى حكم طبيعته وموقعه ومهامه حيث يوضع في الغالب وباتفاق الكثير من الكتاب والمبدعين بعد الانتهاء من كتابة النص موكلين إليه مهمة اختصاره واختزاله والدلالة عليه، إضافة إلى اجتماع وظائف معقدة في بنيتها (إعلانية، إغرائية، تعيينية)، وهذا ما جعل الناقد الفرنسي جيرار جنيت (Gerard Genette) يُقر من خلال دراسته للعبثيات في كتابه (seuils) بصعوبة صناعة العنوان إذ أنه «مجموعة معقدة ذو تشكيلة مركبة»(33).

لا يمكن على مستوى التحليل دراسة العنوان بالتعاضد عن النص الذي يعنونه، لأن العنوان يدخل في علاقة حميمة، فالأول يعلن والثاني يشرح، واعتمادا على هذا التحديد تنهض علاقة العنوان بالنص على أساس التضمن المتبادل وفي مدار هذه العلاقة يتبدى النص جوابا على الأسئلة التي يثيرها فهو بمثابة السؤال الإشكالي والنص إجابة أو رد على هذا السؤال(34). من هذه الأهمية يمكننا القول أن عنوان فضيلة "اكتشاف الشهوة" يشكل نقطة البداية في عملية القراءة لاسيما إذا ربطناه بعناوين روائية أخرى للكاتبة (مزاج مراهقة، تاء الخجل) ، وبالتالي فهو يمثل النواة الاستهلالية التي تمثل «دليلا إخباريا»(35)، فهو يخبر عن بعض أثار المعنى الأولية حول خطاب الرواية.

في خطوة أولى لا غمك أن نتعامل مع هذا العنوان إلا باعتباره بنية لها اشتغالها الدلالي الخاص نستنتجها وفق هذا المستوى المعجمي وما يتيح لنا « من تمثيلات ذهنية ناتجة عن الدلائل اللغوية التي تسهم في تكوين المادة الدالة للعنوان» (36) .

تحيلنا لنا لفظة "اكتشاف" على تحقيق المعرفة وفهم قضايا ضبابية وإزالة اللبس والاضطراب، وتشكل كلمة (الشهوة) دالا مركزيا في هذا العنوان إذ تحيلنا على تلك القوة و الرغبة النفسية الشديدة و الكامنة التي تدفع بالحواس إلى تلبية وإشباع الغرائز، ويفر لنا هذا العنوان مجتمعا مناخا سيميائيا قبليا وبعديا ، القبلي هو ما اجتمع في ذاكرتنا الجمعية ومخيلتنا حول الشهوة و هنا تبرز الآية الكريمة المؤسسة لهذا المخيال المتجذر في مخيلنا الجمعي حيث يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب و الفضة والخيول المسومة والأنعام ﴾ (37) ، ومما يمكن تفكيكه من خلال لقائنا الأولي مع هذا العنوان ، الإحالة على المخطط التالي :



2. ب / معمارية الجنسانية في النص :

يملك العنوان سلطة إغرائية توجيهية إلى عالم النص داعية إلى الفضول لمعرفته واكتشاف مضامينه الفكرية والجمالية، كما أن الفقر الدلالي واللغوي والإضمار التركيبي للعنوان يجعله ممتعا عن الفهم الكلي غامضا ضبابيا ، وبهذا يصبح العنوان عامل استثارة لذهن المتلقي فيهيح فيه مجموعة إشكالات لا نجد لها إجابات إلا بعد الاحتكام والرجوع إلى النص ، حيث يظل المعنى رهين الوحدات النصية (38). فهل الدلالات المتعلقة بالشهوة والتي إستخلصناها من العنوان (اكتشاف الشهوة) كبنية مستقلة ، متحققة بشكل كلي أو جزئي داخل خطاب الرواية ؟ وماذا أرادت فضيلة الفاروق من خلال هذا العنوان ؟

أثناء استكشافنا للعلاقة القائمة بين هذا العنوان والنص ، والإجابة على تلك التساؤلات السابقة سنعتمد على مبدأ التقطيع (le decoupage) حيث يعد خطوة أساسية في إطار التفكيك، وقد اهتمت به الكثير من الدراسات التحليلية والنظرية وخصوصا في مجال تحليل الحكاية الشعبية عند " فلاديمير بروب " وفي مجال سميوطيقا السرد عند " كريستيان " ، ويحدد التقطيع هدفا جوهريا يتمثل في تقطيع النص أو الخطاب المحلل إلى مجموعة مقاطع سردية وفق معايير محددة بحيث يمتلك كل مقطع سردي القدرة على أن يكون لوحده حكاية مستقلة ، ومن بين المحددات الأساسية في عملية التقطيع نذكر منها : العناصر الظاهرية التي يقدمها الخطاب ، الروابط اللغوية التي تستعمل في إبراز علاقة الاتصال بين مقطعين ، هيمنة مكون من مكونات الخطاب (مكان / شخصية / زمان) على مقطع

دون سواه ، القيمة الدلالية لمقطع دون آخر(39). ووفق هاته الشروط فإننا سنعتمد من معايير التقطيع معيار هيمنة مكون من مكونات الخطاب و هو "المكان" حيث تنقسم أحداث الرواية بين مدينتي قسنطينة وباريس .
المقطع الأول (قسنطينة):

يتميز هذا المقطع من حيث المحدد المكاني (قسنطينة) بالهيمنة الأبوية المحتكمة إلى الأعراف والتقاليد وأحاديث الشارع ، تتوزع هذه الهيمنة داخل الرواية على الشخصيات التالية : الأب والابن إلياس والزوج مود "مود الغريب ووالدي وإلباس وقبضة الحديد التي يخنقي بها النظام الأبوي الذي تعيش فيه تحت رحمته"(40)، والرواية لا تقدم هاته الصورة دفعة واحدة ولكنها تبدأ في النشوء منذ بداية الرواية وتزداد وضوحا كلما مضينا في القراءة ولا تكتمل إلا مع الترسبات والانكسارات التي تتكلم عنها الشخصية الرئيسية "باني" داخل الرواية.

والمقصود بمصطلح الأبوية؛ السيطرة الذكورية بوصف تلك السيطرة مصدرا للكبت المفروض على الأنثى ونظام الأبوية لا يسمح للمرأة أن تتجاوز موقعها الثانوي أو الدوني، وقد كان السؤال دائما عن مصدر هاته الأبوية، هل تعود إلى مجرد الفروق (البيولوجية /العضوية) التي تميز الذكر عن الأنثى، أم أنه يعود إلى مصدر (نفساني/سيكولوجي) ينطلق من الفروق البيولوجية وما تتضمنه العلاقات الجنسية الاجتماعية ، ليؤسس عليها مواقع دونية تنظم العلاقات بين الذكور والإناث جاعلة الأنثى في خدمة الذكر(41)، وهنا نجيب فضيلة الفاروق من خلال شخصيتها الرئيسية وذلك بتعاقد العامل البيولوجي والنفسي « للأسف كنت أنتمي لمجتمع ينهي حياة المرأة في الثلاثين(...) كنا نعيش في قفص(...) نخلق في فضاء من القوانين المبهمة والتقاليد التي لا معنى لها ونظن أننا أحرار، من جهة كنت أخاف من والدي ومن جهة أخرى من أخي إلياس(...) بالنسبة إلي إلياس تتين خرافي بعشرة رؤوس قد يطالني حتى وإن عدت إلى بطن أمي»(42)، ومما يدعم تلك الأبوية ويقويها و يؤطرها ذلك التواطؤ الحاصل بين العنصر الذكوري داخل العائلة، هنا تصف الرواية "باني" ردة فعل شقيقها جراء لعبها مع أولاد الحومة بتعبيرها « عاد إلياس هائجا كثور مجنون، وأضرم النار في سريري ..وقد وقف والدي أمام فعلته مديد القامة فخورا بما حدث وقال أمام الجميع: في المرة القادمة عليك أن تحرق السرير حين تكون نائمة عليه»(43).

المقطع الثاني (باريس) :

يكتمل الفصل الثاني من معاناة الشخصية الرئيسية داخل الرواية "باني" داخل هذا المقطع السردى وذلك في نقاط ثلاثة تتحول إلى معادل موضوعي للألم والضياح وهي كالتالي :

1/ العلاقة المتأزمة بين الشخصية الرئيسية "باني" وزوجها " مود " الذي مثل استمرارية القهر وأصبح معادلا للسخافة والانهزامية والتلاشي " حين وصلنا إلى باريس ، لا أحد احتفى بقدمونا(...) أما غرفة النوم التي كان يجب أن تكون غرفة عريس فلم تكن كذلك(...) شيء في داخلي كان يرفض ذكورته وأغلقت على نفسي الباب "(44).

2/ الأنوثة المضطربة .

3/ البيئة الباريسية الفارغة والموحشة" بعد شهر تماما ، صرت نقطة بلا معنى في شارع باريسي ضائع في الكون لم أعد أفهم له معنى "(45) .

من خلال إعادة تركيب للمقطع الأول والثاني مع الدلالات الأولية التي زدنا بها العنوان باعتباره مدخلا يختزل بعضا من آثار المعنى، يمكننا أن نستخلص معطيات تتداخل فيها القضايا الثقافية والاجتماعية والبيولوجية التي جعلت من لجوء الروائية فضيلة الفاروق تختار الجنسية كموضوع للكتابة ، تتمحور في الفكرة التالية: (الجنسانية لتهديش أنظمة المركز) حيث سعت فضيلة الفاروق من خلال خطاب الجنسية داخل روايتها لخدمة فكرتها الأساسية وشكلتها وفق معمارية تتوزع على ثلاثة محاور رئيسية هي :

1/ تقويض التمرکز حول الذكورة : تحاول الروائية من خلال تنامي السرد وتعدد الأحداث ، تفكيك الخطاب الذي يجعل من الذكورة مركز الحياة والاستقرار داخل العائلة ثم الشارع ثم المجتمع ، وتحاول من خلال شخصية "باني" تحطيم كل تلك القداسة تجاه الرجل من خلال الحوارات الداخلية النابعة من قناعات "باني" بأن عالم الذكورة الذي تحيا فيه عالم مليء بالانهزامية والانكسار ، مما ولد لديها شعور بالانتقام من هذا العالم الذي يصنع من المرأة قطعا هشة سهلة العطب عديمة الرأي ، وانطلاقا من رغباتها الجنسية تحاول "باني" أن تخلق عالما وتعنونه باللذة وتستعملها أيضا كأداة لإثبات ذاتها وتعزيز علاقتها بأحلامها وأفكارها ، ومن هنا يصبح عالما الجنسي ملاذا ومساحة لتحقيق وإعادة التوازن المفقود بين المرأة والرجل وعلى كل الأصعدة ، فتتعدد بلهجة مليئة بالشبق والرغبة والانتقام أيضا "ربما أحببت ، ربما اشتبهتهم ، ومارست العادة السرية وأنا استحضر صورهم(....) ربما فعلت ذلك انتقاما من والدي وأخي إلياس ، هما اللذان لا يزالان قابعين في داخلي ولم يختفيا أبدا من مبنى الخوف الذي شيداه في قلبي"(46).

2/ تقويض مؤسسة الزواج التقليدي : تلجأ الكاتبة إلى تيمة الجنس لحل مشكل الالتباس الثقافي الحاصل على مستوى فكرة الزواج في مجتمعاتنا المحافظة حينما تفرض على المرأة كل حيثيات القران انطلاقا من اختيار الأهل للرجل إلى التفاصيل البسيطة ، ومن هنا يتحول الزواج بهذه الطريقة إلى حصن من حصون الألم والقهر والتخلف والمعاناة ، وتتحول الحياة إلى تسوية وضعية اجتماعية لا خلق وتمتع ومودة ، ويتحول هذا السياق الحتمي إلى اغتصاب فكري وجنسي "حقارتي تبدأ من هنا من هذا الزواج الذي لا معنى له ، من هذه المغامرة التي لم تثمر غير كثير من الذل في حياتي(....)أتوقف عند لحظة اتخاذ قرار الزواج (....)في الحقيقة الفشل في الزواج يبدأ من هنا ، حين نرى الأشياء بمنظورين ليس فقط مختلفين بل متناقضين(....) لماذا تم الزواج بيننا ؟ أطرح السؤال على نفسي ، ولا أحد جوابا يقنعني سوى أننا في الخامسة والثلاثين في مجتمعنا المغلق نتوهم كثيرا حين تتعلق المسألة بالزواج(....)وجدتني سلعة قديمة دهمتها موجات الموضة وأحالتها إلى الرفوف المنسية "(47).

3/ تقويض الأنوثة (الأنوثة في مواجهة ذاتها) :

تحاول فضيلة الفاروق في روايتها هاته ومن خلال تداخل شخصياتها أن تصف الحالة الشعورية التي تعاني منها الأنثى داخل مجتمع محافظ من خلال رفضها لأنوثتها ومحاولتها الشديدة والفاشلة دوما في الانتقال إلى عالم الرجال لكي تثبت ذاتها وتحقق نفوذها إلى العالم الخارجي ، من هذا الوضع تدخل الشخصية الرئيسية في الرواية "باني" في هالة من التيهان ورغبة في الانتقام من نفسها أولا ومن أسرتها وقيودها ثانيا، وتحاول أن تنطوي على نفسها تارة وتارة تحاول أن تتشبه بالرجال وتستعير كلامهم وسلوكياتهم ليتاح لها عالم الرجال الطليق وتنتقل من عالم نساء

الشقوق، وقد قصدت بالشقوق تلك المنافذ التي تترك لتسرب الهواء أو للاختلالات الموجودة بالجدران نتيجة تشقق البنيات، والتي تستغلها النساء في رؤية الشوارع والعالم الخارجي أو عالم لرجال كما تسميه الكاتبة فتردد على لسان "باني" " كانت رغبتى الأولى أن أصبح صبياً ، وقد ألّمني إقناع الله برغبتى تلك ، ولهذا تحولت إلى كائن لا أنثى ولا ذكر (...). أصبحت امرأة معطلة الحواس ، تتضايق من أنوثتها المنتهكة من منظرها في المرأة من الخواتم والأساور والأقراط "(48)، وهذا النوع من الشعور هو في حقيقته محاولة لاكتشاف الذات وتحريرها من الداخل عن طريق الانفصال عنها ثم استرجاعها تدريجياً وعن قناعة بأن الانتقال إلى عالم الرجال لا يمكن أن يكسب للأنوثة أية قيمة ، ومن هنا تصبح معاداة الذات إعادة ترتيبها من جديد من حيث تقديم الأولويات والإصرار على تحقيق مكاسب جديدة تضمن لها تحقيق جميع طموحاتها .

إعادة تركيب :

من خلال الغوص في عالم فضيلة الفاروق الروائي ورواية "اكتشاف الشهوة" تحديداً ، يتوهج السؤال الذي انطلقنا منه كبداية بشكل أكبر ويلج في طلب الجواب ، فهل هذا النوع من الكتابة التي يشتغل على الجنسية والتبرم من قيود الأسرة والمجتمع نوع من الكتابة التوافق إلى الحرية وإثبات للأنوثة ، أم أنه نوع من الانحلال وتشجيع على هدم لأسرة ومكانة المرأة فيها، وهنا أجيب -حسب رأي- أن الكتابة في مستوى أول يوحى تهدف إلى إفراغ الشحنات الشعورية التي تختلج في داخل الإنسان، والكتابة في مستوى ثان هي مجال للحرية تتيح للإنسان فضاءات للتعبير والنقد وتمكنه من آليات لا يمكن أن تتوفر في الواقع، والكتابة في مستوى ثالث التزم تفرض على الكاتب أن يراعي ذلك العقد الاجتماعي الضمني والظاهر الذي يربطه بمجتمعه وبدينه وتقاليده "وأساس الالتزام إقرار حرية الكاتب ومسؤولية في وقت معا. فبدون الحرية يفقد الكاتب أصالته ، فيسخر أدبه للدعاية أو يلي في نداء خارجاً عن نطاق ضميره ووعيه الإنساني، فيصير هو أداة يحاول استعباد قرائه وتسخيرهم، وهذا ما يتردى به الأدب في هوة "الاستلاب" حيث يصير الأدب غريباً عن نفسه، وبدون المسؤولية تفقد الحرية وجهها الآخر الاجتماعي، وهو الذي يمثل الضمير الحر للمجتمع منتج "(49).

يجمع هذه المتداخلات التي خاضها قبلنا دعاة الأدب الخالص (الفن للفن) ثم دعاة الفن للمجتمع ، يمكننا أن نصف هذا النوع من الكتابة بشكل عام على أنه يندرج ضمن الكتابات التي تهم بجوانب معتمدة في حياتنا، يحاول تصوير رغباتنا القابعة داخلنا ويمس طابو من طابوهات حياتنا ، وعليه فالكتابة من هذا المنظور كتابة تشريحية لواقع نعيشه وطرق لأبواب المسكوت عنه في ثقافتنا، ولا يمكننا أن نصنفها على أنها معول من معاول الهدم أو هي محاولة تهدف إلى زرع الرذيلة والتبرم من الأخلاق داخل المجتمع ، على أن يراعي الكاتب نقطتين أساسيتين في هكذا نوع من الكتابة على اعتبار أن النص الروائي نص مفتوح وبالضرورة تستقطب جغرافية قرائية أكبر من الأجناس التعبيرية الأخرى المكتوبة:

أولاً: أن لا يجعل من موضوع الجنسية موضوعاً سردياً كلياً، بل يحاول أن يجد توازناً بين موضوع الجنسية وطموحات الإنسان وهمومه الأخرى.

ثانياً: أن يتجاوز مشاهد الوصف وينتقل إلى تقديم حلول وإن كانت غير نهاية بحكم أن التجارب الإنسانية متعددة ومتنوعة ومتداخلة ، بمعنى أنه على الكاتب أن يتبنى رؤية فلسفية تجريدية بلغة فنية راقية تراعي ضرورات الصناعة الأدبية عند معالجته لمثل هذه المواضيع التي تكتسب حساسية داخل مجتمعاتنا حيث يملكها نسق محافظ يتميز فيه التاريخي والثقافي والديني والحضاري .

قائمة المراجع المعتمدة :

- 1- محمود عباس عبد الواحد، قراءة النص وجماليات التلقي، دار الفكر العربي، ط01، القاهرة، 1996، ص14.
- 2- عبد الله الغدامي، المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي ، ط03، بيروت/الدار البيضاء، 2006، ص09.
- 3- عبد العاطي كيوان، أدب الجسد بين الفن والإسفاف، مركز الحضارة العربية/ ط01، القاهرة 2003، ص09
- 4- يحيى طريف الخولي، النسوية وفلسفة العلم، مجلة عالم الفكر، مج 34، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 2005، ص12/11
- 5- جيل ليوفيتسكي، المرأة الثالثة (دمومة الأنثوي وثورته)، تر: دينا مندور، المشروع القومي للترجمة، ط01 ، القاهرة، 2012، ص08
- 6 نصر حامد أبو زيد، دوائر الخوف (قراءة في خطاب المرأة)، المركز الثقافي العربي ، ط03، 2004، بيروت ،الدار البيضاء ، ص29
- 7- فؤاد المرعي، المدخل إلى الآداب الأوربية ، منشورات جامعة حلب ، ط02، سوريا ، 1980، ص18.
- 8 - عبد الله محمد الغدامي، المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، ط 03، بيروت /الدار البيضاء، 2006، ص44/23.
- 9- نفسه، ص55.
- 10- فنست ليتش، النقد الأدبي الأمريكي (من الثلاثينيات إلى الثمانينيات)، تر: محمد يحيى، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2000، ص307.
- 11- عبد الله محمد الغدامي، المرأة واللغة، مرجع سابق، ص50.
- 12- هيو ج سلقرمان، نصيات (بين الهرمنيوطيقا والتفكيكية)، تر: حسن ناظم وعلي حاكم الصكر، المركز الثقافي العربي، ط01، بيروت/الدار البيضاء، 2002، ص78.
- 13- نفسه، ص101.
- 14- فنست ليتش، النقد الأدبي الأمريكي (من الثلاثينيات إلى الثمانينيات)، مرجع سابق، ص306/307
- 15- نفسه، ص306
- 16- هيو ج سلقرمان، نصيات (بين الهرمنيوطيقا والتفكيكية)، مرجع سابق، ص108.
- 17- غسان السيد، التفكيكية والنقد العربي الحديث، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، (ع2006/426)، ص10.
- 18- سعد البازعي وميجان الرويلي ، دليل الناقد الأدبي ، ط03، بيروت/الدار البيضاء، 2002، ص63.
- 19- غسان السيد، التفكيكية والنقد العربي الحديث ، مرجع سابق، ص310/311
- 20- عبد الوهاب الميسري، قضية المرأة ، نخضة مصر للطباعة ، ط02، مصر ، 2010، ص23
- 21- يحيى طريف الخولي، النسوية وفلسفة العلم، مجلة عالم الفكر، ع02، مج2005، ص34، ص32.

- 22- هجيرة مصري إيدلي، تساؤلات حول أدب المرأة ، مجلة الموقف الأدبي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ع 389، دمشق 2003، ص58.
- 23 الغدامي، المرأة واللغة، مرجع سابق، ص11.
- 24- نفسه، ص13.
- 25- نفسه، ص55.
- 26- نفسه، ص50.
- 27- عبد الله محمد الغدامي، تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، ط 02، بيروت/الدار البيضاء، 1995. ص38.
- 28- نفسه، ص14.
- 29- نفسه، ص17.
- 30- عبد الله إبراهيم، الرواية النسائية العربية، مجلة علامات، ع17، المغرب ، ص19/18.
- 31- فضيلة الفاروق، مزاج مراهقة ، دار الفرابي، ط01، بيروت، 1999، ص16.
- 32- زهرة بيك، أحلام مستغامي هكذا تكلمت.. هكذا كتبت، سلسلة أدباء جزائريون ، منشورات دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر 2013، ص28.
- Gerard Genette، Seuil. ed de seuils. p 62/63-33
- 34- جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر ، الصدر عن المجلس الوطني للفنون والآداب ، م25 ، ع 03 ، الكويت ، مارس ، 1997. ص97.
- 35- عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي ، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط01 ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2002 ص122.
- 36- نفسه ، ص 110.
- 37- سورة آل عمران، الآية ص14.
- 38- ناصر يعقوبي، اللغة الشعرية وتحليلاتها في الرواية العربية (1970/ 2000)، المؤسسة العربية للنشر ، ط01 ، بيروت ، لبنان ، 2004. ص144.
- 39- انظر : عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، مرجع سابق، ص16/13.
- 40 - فضيلة الفاروق، اكتشاف الشهوة، ص23.
- 41- سعد البازعي وميجان الرويني، دليل الناقد الأدبي، مرجع سابق، ص63.
- 42- الرواية، ص14/13.
- 43- الرواية، ص14.
- 44- الرواية، ص14.
- 44- الرواية، ص13.
- 45- الرواية، ص10.
- 46- الرواية ص07.
- 47 - الرواية ، ص 09 / 13.
- 48- الرواية، ص12/08.
- 49- محمد عنيمي هلال، قضايا معاصرة في الأدب والنقد، دار نهضة للطبع والنشر، دت ، القاهرة، ص147.

الإدارة الإلكترونية وتأثيرها في عملية اتخاذ القرار

أ. لطرش فيروز

التخصص التنموية البشرية والسكان

جامعة باجي مختار عناية

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على تأثير الإدارة الإلكترونية في عملية اتخاذ القرار، والتطرق إلى الدور الفعال الذي تلعبه الإدارة الإلكترونية في تحسين أداء المؤسسات وتحسين علاقاتها مع زبائنهم ومختلف شركائهم؛ وكذا معرفة مراحل اتخاذ القرار، ومختلف التحديات التي ترافقه في ظل التغيرات المصاحبة له؛ والتعرف على أثر استخدام نظم دعم القرار على كفاءة اتخاذ القرار.

وبينت نتائج الدراسة ضرورة انتقال المؤسسات إلى الأعمال الإلكترونية، وربط فروعها بشبكة اتصالية تضمن الانسياب السريع للمعلومات فيما بينها، كما لابد من تأهيل العنصر البشري لكي يتمكن من اعتماد مختلف تقنيات المعلومات في سير مختلف العمليات الإدارية، كما توصلت هذه الدراسة إلى أن نظم دعم القرار تعتمد على أدوات الذكاء الاصطناعي في تحديد المشاكل وتشخيصها والوصول إلى المعلومة التي تستخدم في إيجاد حلول لها من خلال ما هو متاح في قواعد المعرفة، وأن الإدارة الإلكترونية تقوم على مزيج متكامل من الكفاءات البشرية واعتماد المعلومة في الوقت والمكان المناسب مع وجود بنية تحتية متنوعة مناسبة ومرنة، تحمل في طياتها توجهها نحو العالم الرقمي والعمليات الساعية إلى تسهيل انجاز الأعمال إلكترونياً .

❖ الكلمات المفتاحية: الإدارة الإلكترونية، اتخاذ القرار، نظم دعم اتخاذ القرار، الذكاء الاصطناعي.

Résumé:

Cette étude vise à identifier l'influence de gestion électronique dans le processus de décision, et d'aborder le rôle efficace que le jeu e-gouvernance dans l'amélioration de la performance des institutions et d'améliorer ses relations avec ses clients et ses différents partenaires, ainsi que la connaissance des étapes de la prise de décision, et les différents défis qui l'accompagnaient à la lumière des changements d'accompagnement à elle, et à identifier sur l'impact de l'utilisation d'aide à la décision sur l'efficacité des systèmes de prise de décision.

Les résultats de l'étude doivent faire la transition vers des institutions e-business, et le réseau de communication reliant les branches pour assurer la circulation rapide de l'information entre eux, comme il se doit la réhabilitation de l'élément humain pour être en mesure à divers adoption de la technologie de l'information dans le cadre des divers processus administratifs; comme Cette étude a également révélé que les systèmes d'aide à la décision basées sur l'intelligence artificielle dans l'identification des problèmes, de diagnostic et de l'accès à l'information utilisée pour trouver des solutions à eux à travers ce qui est disponible dans les bases de connaissances, et que l'e-gouvernance est basée sur une combinaison intégrée des ressources humaines et de l'adoption de l'information à un des outils de temps bon endroit et avec une variété d'infrastructures appropriées et flexible, porte en elle la tendance vers le monde et les processus qui visent à faciliter l'achèvement des affaires par voie électronique numérique.

❖ Mots clés: gestion électronique, prise de décision, les systèmes d'aide à la décision, l'intelligence artificielle.

مقدمة :

مع التطورات الحديثة شهدت الإدارة تطورا ملحوظا من خلال تقنية المعلومات، وفي ظل وجود شبكة الانترنت وشيوعها وازدياد مستخدميها، وفي إطار التطور الهائل في تقنيات الحاسوب والاتصال التي حققت تبادلا سريعا وشاملا للمعلومات ضمن سياسة وخطط الانسياب السريع للبيانات من جهة وبسرعة تقادم المعلومات وضرورة التعامل معها بدناميكية مع المعلومات والتقارير من جهة أخرى، جعلت من المديرين مطالبين بسرعة التصرف واتخاذ القرارات ، فكانت الإدارة الإلكترونية التي أصبحت تعد مرحلة متقدمة في تطور الفكر الإداري وتقنياته التطبيقية ومهاراته الفنية والمهنية، وكذلك الحفز الأساسي للاستفادة من تكنولوجيا المعلومات التي أصبحت من أهم وأقوى العناصر في الوقت الحالي، والتي أدت إلى زيادة كفاءة وفعالية العمل واتخاذ القرار بالمؤسسات مما يحقق لها مركز تنافسي هام.

إشكالية الدراسة:

تعلق المؤسسات المختلفة أهمية كبيرة على عمليات اتخاذ القرارات بسبب الحقيقة التي تقول أن القرار الخاطئ له تكلفة، وتكتسب هذه العملية أهمية متزايدة بسبب التطورات التي أدخلت على طرق تجميع المعلومات، وتحليلها وتصنيفها وتخزينها حيث أصبحت حديث الساعة، وترتبط عملية اتخاذ القرارات ارتباطا مباشرا بوظائف الإدارة كالخطيط، التنظيم، التوجيه والرقابة فهي عملية تتم في كل مستوى من المستويات التنظيمية، كما تتم في كل نشاط من أنشطة المؤسسات ومع التطورات الحديثة شهدت الإدارة تطورا ملحوظا من خلال تقنية المعلومات، إذ أن التحولات السريعة التي شهدتها القرن الحالي، استوجبت عناصر السرعة والدقة والإتقان في الأداء وفي اتخاذ القرار الأمثل، وبالتالي أصبحت الحاجة ملحة إلى ظهور الإدارة الإلكترونية لاتخاذ القرارات المصيرية والإستراتيجية المهمة، مما يستوجب أن تكون تقنياتها تختلف عن تقنيات النظم التقليدية، وخاصة إذا ما تم اعتبارنا أن الذكاء الاصطناعي إنما هو عمل العقل الحاسوبي فقد أصبح أساسا فيها، نظرا لدمج النظم الخبيرة وتكاملها مع هذه النظم خلال هذا القرن الجديد، بما يضمن للمؤسسات تحسين الإنتاجية وزيادة كفاءة وفعالية الأداء.

بناء على ما سبق، يمكن طرح إشكالية الدراسة التالية:

كيف أصبح اتخاذ القرار في ظل الإدارة الإلكترونية ؟

أهمية البحث:

يستمد البحث أهميته من:

➤ كون الإدارة الإلكترونية هي ضرورة وحتمية نتيجة لكبر حجم المؤسسات وزيادة الحاجة إلى تخصصات مختلفة؛

◀ تزايد الإدراك في اغلب البلدان بالأهمية الكبيرة التي تلعبها الإدارة الإلكترونية في تطوير المؤسسات وتسهيلها لعملية اتخاذ القرار؛

◀ ملاحظة مختلف المؤسسات للأحداث التكنولوجية الجارية بالعالم والرغبة في الحصول على نصيب مناسب من السوق العالمي عن طريق تحقيق مركز تنافسي متقدم يضمن البقاء.

◀ أهداف البحث : يمكن ذكر الأهداف الأساسية للبحث والمتمثلة في:

◀ التعرف على الإدارة الإلكترونية، ومختلف أنماطها؛

◀ معرفة مراحل اتخاذ القرار ومختلف التحديات التي ترافقه في ظل التغيرات المصاحبة له؛

◀ التعرف على أثر استخدام نظم دعم القرار على كفاءة اتخاذ القرار.

◀ هيكل الدراسة: سوف نعالج هذا الموضوع من خلال التطرق إلى العناصر التالية:

◀ الإدارة الإلكترونية ؛

◀ اتخاذ القرار؛

◀ نظم المعلومات وشبكات الإدارة الإلكترونية؛

◀ نظم دعم اتخاذ القرارات الإدارية .

I. الإدارة الإلكترونية جوانب مفاهيمية

ازدادت أهمية الإدارة في العقود الأخيرة، ومع انتشار المؤسسات وكبر حجمها وزيادة معاملاتها، والتوسع بأعمالها وارتقاء المنافسة فيما بينها من جهة، واستخدام الوسائل والتقنيات الإلكترونية بكل ما تقتضيه الممارسة من جهة أخرى، الأمر الذي أدى إلى بروز الحاجة المتزايدة والملحة أمام هذه الإدارات للبحث عن طريقة لمواكبة هذه التطورات، هذه الطريقة تمكنها من تقديم نتائج أفضل ووضع خطط مستقبلية ونوع من السيطرة على كافة الأنشطة فكانت الإدارة الإلكترونية محاولة للوفاء بالأهداف المسطرة وتحقيقاً لأهداف المؤسسة.

أولاً: مفهوم الإدارة الإلكترونية

يعتبر مصطلح الإدارة الإلكترونية من المصطلحات العلمية المستحدثة، لذلك وحتى الآن لم يتم التوصل إلى تعريف دقيق لها، وعليه سيتم ذكر بعض هذه التعاريف:

◀ الإدارة الإلكترونية هي منظومة إلكترونية متكاملة تهدف إلى تحويل العمل الإداري العادي أي من إدارة يدوية إلى آلية باستخدام الحاسب، وذلك بالاعتماد على نظم معلوماتية قوية تساعد في اتخاذ القرار الإداري بشكل سريع وبأقل التكاليف، كذلك الاستعانة بشبكات الحاسوب أو الانترنت.¹

◀ الإدارة الإلكترونية هي مجموع التكنولوجيات والممارسات المتعلقة بإمكانية التعلم والتوجه إليه من أجل تحقيق المهام الإدارية المختلفة عبر خدمات الإنترنت ومراكز الاتصال.²

◀ الإدارة الإلكترونية هي العملية القائمة على الإمكانات المتميزة للانترنت وشبكات الأعمال في تخطيط وتنظيم وتوجيه والرقابة على موارد والقدرات الجوهرية للشركة والآخرين بدون حدود من أجل تحقيق أهداف الشركة.³

وكنتيجة إن الإدارة الإلكترونية هي عملية ميكنة جميع مهام ووظائف الإدارة وذلك بالاعتماد على جميع تقنيات المعلومات الضرورية للوصول إلى الأهداف الجديدة المتمثلة في تقليل استخدام الورق وزيادة كفاءة وفعالية الأداء بها.

ثانيا: أسس الإدارة الإلكترونية

استطاعت الإدارة الإلكترونية في تطبيقاتها المختلفة أن تحقق نماذج متقدمة في تطوير أداء المؤسسات والمنظمات من خلال ما توفره من إمكانيات في تحسين الأداء البشري من خلال الاعتماد على مختلف التكنولوجيات، وهذا ما يدفع إلى طرح السؤال التالي ما هي خصائص وأهداف الإدارة الإلكترونية.

1. خصائص الإدارة الإلكترونية

- ◀ استعمال تكنولوجيا المعلومات وشبكات الاتصال في أداء الأعمال والخدمات؛
- ◀ تأكيد رفع الكفاءة في الأداء وتحقيق الفاعلية في التعامل؛
- ◀ تبسيط إجراءات العمل ووضوحها وتقليل الاستعمال الورقي؛
- ◀ القضاء على الهرمية والبيروقراطية بالتنظيم؛
- ◀ استجابة سريعة لمتطلبات الزبائن المختلفة من خلال التفاعل فيما بينهم وانخفاض أوقات انجاز الأعمال؛
- ◀ تتجاوز الحدود الزمنية والمكانية التي تقيد حركة التعاملات؛⁴
- ◀ القوة الإنتاجية المضافة التي تحدثها الوسائل الإلكترونية والرقمية في المجالات الخدمية والإنتاجية المختلفة؛
- ◀ وجود نظام لوجستي يسمح للأفراد بطلب الخدمات والسلع مباشرة وبسرعة وسهولة من أي مكان في العالم دون قيود تذكر؛
- ◀ بناء قاعدة متقدمة للمعلومات.⁵

2. أهداف الإدارة الإلكترونية

- إذا كان تحقيق عوامل النجاح لأي مؤسسة يتم في بداية المشروع فإن الأهداف هي الثمرة التي يجنيها المسؤولين في المؤسسة مع نهاية المشروع. ولذلك يمكن تلخيص أهم الأهداف فيما يلي:
- ◀ تقديم الخدمات لدى المستفيدين بصورة مرضية وفي خلال 24 ساعة في اليوم وطيلة أيام الأسبوع، بما في ذلك الإجازة الأسبوعية؛
 - ◀ تقليل كلفة الإجراءات الإدارية وما يتعلق بها من عمليات؛
 - ◀ إلغاء عامل العلاقة المباشرة بين الطرفين في المعاملة للحد من تأثيرات العلاقة الشخصية؛
 - ◀ إلغاء نظام الأرشيف الوطني الورقي واستبداله بنظام أرشيف إلكتروني مع القدرة على تصحيح الأخطاء الحاصلة بسرعة ونشر الوثائق للأكثر من جهة في أقل وقت ممكن والاستفادة منها في أي وقت كان؛
 - ◀ التأكيد على مبدأ الجودة الشاملة. بمفهومها وهو من أجل التأكد على أهمية تلبية احتياجات العمل في الوقت والزمان الذي يكون فيه العميل محتاجا إلى الخدمة في أسرع وقت ممكن؛

◀ محاولة إعادة هيكلة المؤسسات التقليدية الحالية لتحسين الأداء الإداري التقليدي المتمثلة في كسب الوقت وتقليل التكلفة لإنجاز المعاملات؛

◀ إعادة النظر في الموارد البشرية المتاحة والعمل على رفع كفاءتها ومهارتها التكنولوجية لربط الأهداف المنشودة للإدارة الإلكترونية بالأداء والتطبيق؛

◀ تقييم البنية التحتية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتحريرها لكي تستجيب ومتطلبات الخدمات اللازمة بالحجم والنوعية لتحقيق الخدمات للإدارة الإلكترونية.⁶

ثالثاً: التحديات التي تواجه الإدارة الإلكترونية

مع تطور تكنولوجيا المعلومات وتعاقد العصر الشبكي ثمة عالم يتنامى ولا يزال يتوسع باستمرار هو العالم الافتراضي فالأعمال اليوم تنافس في عالم مادي ملموس وآخر افتراضي فكانت الإدارة الإلكترونية سبباً في تطوير المجتمع والمؤسسات والأفراد من خلال تأسيس ثقافة جديدة تمكن المؤسسات من تحقيق ميزة تنافسية في أدائها وبالرغم من هذه المزايا فالإدارة الإلكترونية تواجه جملة من التحديات التي تواجه تطبيقها.

1. خطوات تبني الإدارة الإلكترونية:

إن مشروع الإدارة الإلكترونية شأنه شأن أي مشروع أو برنامج آخر يحتاج إلى هئية البيئة المناسبة والمواتية لعمله كي يتمكن من تنفيذ ما هو مطلوب منه وبالتالي يحقق النجاح والتفوق.

1-1- مراحل التحول إلى الإدارة الإلكترونية⁷

التحول إلى الإدارة الإلكترونية يحتاج إلى عدة مراحل كي تتم العملية بشكل يحقق الأهداف المرجوة ومن تلك المراحل ما يلي:

✓ قناعة ودعم الإدارة العليا بالمؤسسة: ينبغي على المسؤولين بالمؤسسة أن تكون لديهم القناعة التامة والرؤية الواضحة لتحويل جميع المعاملات الورقية إلى إلكترونية كي يقدموا الدعم الكامل والإمكانات اللازمة للتحول إلى إدارة إلكترونية.

✓ تدريب وتأهيل الموظفين: الموظف هو العنصر الأساسي للتحول إلى الإدارة الإلكترونية لذا لا بد من تدريب وتأهيل الموظفين كي ينجزوا الأعمال عبر الوسائل الإلكترونية المتوفرة، وهذا يتطلب عقد دوريات تدريبية للموظفين أو تأهيلهم على رأس العمل.

✓ توثيق وتطوير إجراءات العمل: من المعروف أن لكل مؤسسة مجموعة من العمليات الإدارية أو ما يسمى بإجراءات العمل، فبعض تلك الإجراءات غير مدونة على ورق أو أن بعضها مدون منذ سنين طويلة ولم يطرأ عليها أي تطوير، لذا لا بد من توثيق جميع الإجراءات ويتم ذلك من خلال تحديد الهدف لكل عملية إدارية تؤثر في سير العمل وتنفيذها بالطرق النظامية مع اعتبار قلة التكلفة والجودة والإنتاجية.

✓ توفير البنية التحتية للإدارة الإلكترونية: يقصد بها الجانب الحسوس في الإدارة الإلكترونية من تأمين أجهزة الحاسب الآلي وربط الشبكات الحاسوبية السريعة والأجهزة المرفقة معها وتأمين وسائل الاتصال الحديثة.

✓ البدء بتوثيق المعاملات الورقية القديمة إلكترونياً :وهي المعاملات الورقية القديمة والمحفوظة في الملفات الورقية ينبغي حفظها إلكترونياً بواسطة "scanners"، وتصنيفها بهدف الرجوع إليها.

✓ البدء ببرمجة المعاملات الأكثر انتشاراً:البدء بالمعاملات الورقية الأكثر انتشاراً في جميع الأقسام وبرمجتها إلى معاملات إلكترونية لتقليل استخدام الورق.

1-2-أسباب التحول إلى الإدارة الإلكترونية⁸

إن التحول إلى الإدارة الإلكترونية لا يتعدى كونه طموحاً وتحدياً جدياً لكافة الدول لأنه يحتاج إلى عوامل كثيرة وخطط طويلة وعملية تدريجية وفقاً لمتغيرات كثيرة، ومن أهم العوامل والأسباب التي دعت إلى التحول نحو الإدارة الإلكترونية:

- ◀ ازدياد التقدم التكنولوجي والثورة المعرفية المرتبطة به؛
- ◀ توجهات العولمة وترابط المجتمعات الإنسانية؛
- ◀ التحولات الديمقراطية وما صاحبها من متغيرات وتوقعات شعبية؛
- ◀ ضرورة توحيد البيانات على مستوى المؤسسة؛
- ◀ ضرورة توفير البيانات المتداولة للعاملين بالمؤسسة؛
- ◀ ازدياد المنافسة بين المؤسسات وضرورة وجود آليات التميز داخل كل مؤسسة تسعى للتميز.

1-3-خطوات سير العمل بالإدارة الإلكترونية⁹

إن خطوات سير العمل في الإدارة الإلكترونية، فالمعاملة تبقى في مكان إلكتروني واحد وكل ما في الأمر أن الموظف والمديرين والمسؤولين يقومون بالكتابة على المعاملة إلكترونياً، وإرسالها إلكترونياً عبر الشبكة ولا يستطيع أي واحد منهم أن يخفي المعاملة، كما أن توقيت الإجراء مدون على المعاملة لا باليوم فقط بل، بالساعة والدقيقة التي تم فيها الإجراء.

أي أن الإدارة الإلكترونية وجدت أو اعتبرت كحل لسليبيات الإدارة التقليدية والمتمثلة في:

- ◀ تلف بعض المعاملات الورقية بسبب التقادم؛
- ◀ صعوبة الحصول على بعض المعلومات من هذه المعاملات؛
- ◀ التكاليف الباهظة لصيانة المعاملات الورقية وإصلاح التألف منها؛
- ◀ إمكانية ضياع بعض المعاملات سهواً أو تعمداً؛
- ◀ توفير غرف كبيرة لحفظ المعاملات الورقية.

رابعا: نتائج الإدارة الإلكترونية¹⁰: للإدارة الإلكترونية العديد من النتائج على العميل والموردين، وكذلك بالنسبة لنظم تكنولوجيا المعلومات.

1. بالنسبة للعميل الإلكتروني

- ◀ تخفيض تكاليف الإنتاج والتشغيل؛
- ◀ تخفيض تكلفة التسويق والبيع؛

◀ تحسين رضا وانتماء العميل مع اكتساب الولاء الإلكتروني؛

◀ سرعة تلبية رغبات العميل فلا يبقى في الانتظار كثيرا.

2. بالنسبة للموردين

◀ ربط جميع حلقات التوريد إلكترونيا؛

◀ تخفيض دورة الوقت؛

◀ تخفيض نفقات التخزين والتطبيق؛

◀ توفير قاعدة بيانات للتنبؤ السليم بالطلب؛

◀ استخدام الأسواق الافتراضية عن طريق ربط البائعين والموردين بشبكة الانترنت؛

◀ المشاركة في المعارض الدولية والمزادات عبر شبكة الانترنت؛

◀ الربط بين الانترنت والاكسترنات والانترانت وتحويل الملفات إلكترونيا مع سهولة التخزين

واسترجاع الملفات والبيانات حسب الطلب.

3. بالنسبة لنظم تكنولوجيا المعلومات

◀ الربط بين الحاسبات الخادمة والحاسبات الشخصية؛

◀ الربط بين نظم التشغيل وإدارة قواعد البيانات؛

◀ الربط بين البرمجيات الجاهزة.

من خلال ما سبق يتبين لنا أن الإدارة الإلكترونية بالرغم من الصعوبات والتحديات التي تواجهها يتم الاهتمام بها على مستوى المؤسسات الاقتصادية أو غير الاقتصادية بمختلف أساليبها وأنماطها يرجع إلى دورها الفعال في التأكيد من أن كافة أعمالها وسجلاتها محفوظة بصورة دقيقة، فهي تعتبر في هذا الاقتصاد الجديد الدعامة الأساسية لكونها تسهل عملية تبادل البيانات وبلورة الحلول واتخاذ القرارات المختلفة.

II. اتخاذ القرار

تعتبر عملية اتخاذ القرارات إحدى الركائز الأساسية في العمليات والبحوث الإدارية المعاصرة، و تزداد أهمية عملية اتخاذ القرارات مع زيادة تعقد أعمال المؤسسات وتوسعها وتنوعها، وتزايد التحديات التي تواجهها من التغيرات المتسارعة والمنافسة حادة، ولذلك فإن أساس الحكم على الإداري بالنجاح هو كفاءته و مقدرته في اتخاذ القرارات الصائبة والسليمة، والإخفاق في ذلك معناه شلل النشاط وتوقفه، و هكذا ترتبط كفاءة المؤسسة وفعاليتها بكفاءة وسلامة القرارات التي تتخذ في مستوياتها المختلفة.

اولا: مفهوم اتخاذ القرار

اتخاذ القرار يلعب دورا هاما في ممارسة العمليات الإدارية المختلفة، هذا إلى جانب كونه عملية إدارية هامة في حد ذاته ، إذ أن نجاح أو فشل إداري ينسب إل مدى كفاءة القرار المتخذ.

1. تعريف اتخاذ القرار

◀ اختلفت وتعددت تعريفات القرار حيث عرف على أنه "تصرف طوعي من خلاله يتم النظر في قضايا مشكوك فيها، من أجل حلها واختيار البديل الأمثل لها، وعليها يتم توجيه المؤسسة بصفة دائمة بتنفيذ الخيارات".¹¹

◀ كما يعرفه آخرون على أنه "عملية تقييم البدائل المتعلقة بالهدف والتي عندها يكون توقع متخذ القرار بالنسبة لعمل معين بالذات يجعله يعتمد اختيارا يوجه إليه قدراته وطاقاته لتحقيق غاياته".¹²

◀ أما اتخاذ القرار فتم تعريفه على أنه "الاختيار القائم على أساس بعض المعايير بين خيارات مختلفة وفقا لمجموعة خطوات شاملة ومتسلسلة من أجل حل مشكلة وذلك لتحقيق الأهداف المرسومة".¹³

ومنه يتم استنتاج أن عملية اتخاذ القرار تقوم على عملية المفاضلة، وذلك بشكل واعي ومدرك بين مجموعة من البدائل، وذلك وفقا لمجموعة معايير لاختيار بديل واحد منها، باعتباره أنسب وسيلة لتحقيق الأهداف التي يبتغيها متخذ القرار.

2. أنواع القرارات

يختلف القرار الذي يتخذه متخذ القرار باختلاف المركز الإداري الذي يشغله ومدى الصلاحيات التي يتمتع بها والبيئة التي يعمل ضمنها، وتعدد المعايير التي يمكن اتخاذها أساسا للتصنيف، من أهم هذه المعايير:

2-1- القرارات وفقا لطبيعة القرار. يتم تقسيم القرارات إلى ثلاث أنواع تتمثل في:¹⁴

◀ القرارات المنمطة: هي القرارات التي يتم تنفيذها بمجموعة من الإجراءات المحددة المعروفة ولا تتطلب تدخل المدير في مرحلة تنفيذها، وتلعب نظم المعلومات التقليدية دورا كبيرا فيها.

◀ القرارات الغير منمطة: هي القرارات التي لا تتكرر كثيرا ولا توجد إجراءات مقننة لتنفيذها، من طبيعة هذه القرارات هي الاعتماد على القرارات السابقة والحاسة السادسة للمدير فنظم المعلومات التقليدية محدودة الفائدة، في هذه الحالة أنظمة الذكاء الاصطناعي يمكن الاستفادة منها.

◀ القرارات شبه المنمطة: هي القرارات تقع بين الفئتين السابقتين لتنفيذها توجد إجراءات محددة ومعروفة ولكنها ليست كاملة، الجانب النمطي من هذه القرارات يمكن أن يستفيد من تكنولوجيا المعلومات ومن أدوات ونماذج التحليل المعاصرة.

2-2- القرارات وفقا لأهميتها. يتم تقسيم القرارات إلى الأنواع التالية:¹⁵

◀ القرارات الإستراتيجية: هي قرارات تخص المؤسسة بمحيطها وطبيعة المؤسسة بحد ذاتها وبوجودها، أي أنها تعنى بتحديد برنامج عمل مستقبلي تؤخذ من عند قمة الهيكل التنظيمي، عادة تعطى مدة زمنية أطول.

◀ القرارات التكتيكية: هي القرارات الحالية التي تهدف إلى حل المشاكل التي تنشأ على أساس يومي دون تغيير المبادئ التوجيهية العامة للمؤسسة.

3. خصائص عملية اتخاذ القرار¹⁶

- ◀ أنها عملية قابلة للترشيد؛ لأنها تقوم على افتراض مؤداه أنه ليس بالإمكان الوصول إلى ترشيد كامل للقرارات، وإنما يمكن الوصول إلى حد معقول من الرشد؛
- ◀ أنها تتأثر بعوامل ذات صبغة إنسانية واجتماعية، هذه الصفة تابعة لكون هذه الأخيرة تتأثر بشخصية متخذ القرار والمرؤوسين الذين يساهمون فيه ويتأثرون به؛
- ◀ أنها عملية تقوم على الجهود الجماعية المشتركة؛ فينظر لها على أنها نتاج جهد مشترك يبرز من خلال مراحلها المتعددة وما تتطلبه هذه المراحل من إعداد وتحضير وتحليل.

ثانيا: مراحل عملية اتخاذ القرار

سبق وأن تم تعريف عملية اتخاذ القرارات بكونها تلك العملية التي تقوم على المفاضلة بين بديلين أو أكثر، والقرار المتوصل إليه لا يمكن أن يصدر بصورة عفوية وإنما هناك مجموعة من الخطوات المتمثلة في:

1. أولا. تحديد المشكلة : إن تحديد المشكلة هو الخطوة الأولى في اتخاذ القرارات ووجود مشكلة ما يعني وجود اختلاف بين ما هو قائم وبين ما يجب أن يكون، بمعنى وجود فجوة بين النتائج والأهداف، وعند كتابة مشكلة ما يجب تعريفها بدقة، وبطريقة واضحة ومحددة، وليست بعمامة وأن تحتوي على التشخيص النهائي لها، وعند تحديدها يأتي تكوين نموذج يمثل المشكلة مع تحديد المتغيرات التي تؤثر في تحقيقها، ويساعد بناء النموذج على تحديد هيكل المشكلة بحيث يمكن تحديد الأدوات والأساليب المناسبة لحل المشكلة.¹⁷
2. ثانيا. الحلول والبدائل: الحلول أو الوسائل البديلة هي طرق حل المفتوحة أمام جهاز الإدارة لتحقيق الهدف الذي يسعى إليه المشروع، وسعيا وراء ذلك وبعد تحليل العوامل التي تؤثر في تحقيق الهدف، تتضح عدة بدائل يمكن الأخذ بأي منها على ضوء المزايا والعيوب لكل حل والبديل يجب أن يفي بمجموعة من الشروط والمتطلبات وبذلك يتم استبعاد بعض البدائل التي لا تتوفر فيها هذه المتطلبات وبهذا يمكن حصر البدائل في مجموعة محددة.
3. ثالثا. تقييم البدائل: تتم المفاضلة بين البدائل على أساس الموضوعية لمعرفة مزايا وعيوب كل بديل ويمكن استخدام مجموعة من المعايير الاقتصادية، المالية، الفنية والاجتماعية.
4. رابعا. اختيار الحل: هناك اعتبار أساسي عند اختيار البديل المناسب وهو وجود حالة "عدم التأكد" إذ لا يمكن القطع بأن النتائج مؤكدة 100%، لأن ما يحدث في المستقبل لا بد وأن تكون له قيمة احتمالية، غير أنه يمكن اتخاذ القرار في مثل هذه الحالات فكلما كانت الاحتمالات أكثر دقة، وبذلك يتخذ القرار في ظل ما يسمى بالمخاطرة المحسوبة، بشرط توافر بيانات صحيحة وكاملة عن الحالة موضوع الدراسة. ولتنفيذ الحل المطلوب فإنه يجب وضع خطة وبرنامج عمل، تحدد الأدوات الممكن استخدامها والتوقيت المناسب للتنفيذ والنتائج المتوقعة خلال كل فترة.
5. خامسا. المتابعة والرقابة على تطبيق القرار¹⁸

لا تنتهي عملية اتخاذ القرار بنقلها إلى الجهات المسؤولة عن تنفيذها، بل لابد من التأكد من فاعليتها عن طريق المتابعة المستمرة لتنفيذها والرقابة عليها حتى تتأكد الإدارة كذلك من سلامة القرارات وقدرتها على تحقيق أهدافها، كما أن أنظمة المتابعة والرقابة المتعددة هي في الأساس من أجل التأكد من أن نتائج القرار تنسجم مع وتحقق الأهداف الموضوعة مسبقاً.

III. نظام المعلومات وشبكات الإدارة الإلكترونية

لقد أصبح للاتصالات وشبكات المعلومات أهمية جد واسعة في المجتمعات الحديثة وهذا من خلال الشكل الجديد للارتباط بين مختلف الأطراف العالمية بسبب الثورة التكنولوجية التي ساهمت في تغيير العديد من الأنشطة والوظائف الاقتصادية، والتي سمحت لأي مؤسسة اقتصادية بالدخول في الدورة الاقتصادية الجديدة التي أعطت لهذه المؤسسات إمكانية هامة في تحقيق التراكم الرأسمالي ليس من خلال المنافسة في العالم المادي فقط وإنما في العالم الافتراضي.

أولاً: نظم المعلومات رأينا فيما سبق أن الإدارة الإلكترونية تعمل في بيئة جديدة أهم ما يميزها هو التحدي المعلوماتي وكيف أن تكنولوجيا المعلومات غيرت في العديد من المفاهيم وعليه سيتم ذكر عنصر مكمل هو نظام المعلومات.

1. مفهوم نظام المعلومات

1-1- تعريف نظام المعلومات: اختلفت التعاريف التي قدمها مختلف الباحثين، ولذلك يمكن عرض أهم التعاريف والمتمثلة في:

◀ نظام المعلومات هو عبارة عن شبكة معقدة من العلاقات التنظيمية والمعنية بتداخل أنشطة الأفراد، المعدات ومختلف الإجراءات التي تهدف إلى تحقيق التدفق المنتظم للمعلومات سواء من داخل أو خارج المؤسسة لتكون بمثابة أساس لاتخاذ القرارات.¹⁹

◀ نظام المعلومات هو عبارة عن مجموعة من العناصر المترابطة، التي تقوم بتجميع المعلومات، ومعالجتها وتخزينها بالإضافة إلى نشرها وذلك للمساعدة في عملية صنع القرار والتنسيق بين مختلف الوظائف وتيسير المراقبة داخل المؤسسة.²⁰

ومنه يتم استنتاج أن نظام المعلومات هو عبارة عن توليفة منظمة من العناصر تقوم بجمع وتخزين ونشر المعلومات وذلك بهدف التيسير الفعال لمختلف المعلومات من أجل اتخاذ القرار المناسب.

1-2- خصائص نظام المعلومات²¹

كقاعدة أكدت البحوث أنه يجب على مصممي نظم المعلومات أن يقوموا بتصميم النظم التي تتوافر فيها الخصائص التالية:

◀ المرونة، حيث يجب توفير عدة خيارات لمعالجة البيانات وتقييم المعلومات، وتحقيق الموائمة مع التغيرات في المؤسسة والأفراد نتيجة للتعليم والنمو؛

- ◀ القدرة، لدعم الأنواع المتعددة من الأنماط والمهارات والمعارف واتخاذ القرارات على مستوى الفرد والمؤسسة؛
- ◀ القوة، من حيث اشتغال النظم على نماذج التحليلية ذات الأبعاد المتعددة لتقييم وتحليل البيانات ولتتبع البدائل والنتائج المختلفة؛
- ◀ القدرة، على التعبير عن القيود الخاصة بالتغيير التنظيمي في السياسات والإجراءات مع الوعي بما يمكن القيام به أو لا يمكن القيام به.

1-3- شروط ضمان نجاح نظام المعلومات²²

- ◀ الفهم السليم لطبيعة ورسالة نظام المعلومات من جانب المدير متخذ القرار، والدور الذي يلعبه في علاقته مع نظام المعلومات؛
- ◀ تحديد نوعية احتياجاته من المعلومات؛
- ◀ تحديد كمية احتياجات المدير من المعلومات؛
- ◀ وجود مقياس لمدى قدرة المدير متخذ القرار على استخدام المعلومات؛
- ◀ تفهم المدير متخذ القرار لعمل نظام المعلومات.

2. ثانياً. إيجابيات وسلبيات نظام المعلومات²³

أولاً: إيجابيات نظام المعلومات

- ◀ تمكن من إنجاز المسائل الحسابية وعمليات المعالجة للأعمال الورقية بشكل أسرع مما يقوم بها الأفراد؛
- ◀ معاونة المؤسسات من التعرف الأوسع والأشمل عن نماذج مبيعات خاصة بالزبائن؛
- ◀ تزويد نظم المعلومات بإمكانات وكفاءات جديدة من خلال الخدمات مثل الصراف الآلي؛
- ◀ توزيع نظم المعلومات بشكل فوري المعلومات إلى ملايين من الأفراد في مختلف المناطق.

ثانياً: سلبيات نظام المعلومات

- ◀ حقيقة أن حوسبة النشاطات التي كان يؤديها الأفراد ستتوقف وتنتهي بعض الوظائف؛
- ◀ تتجاوز خصوصية والحرية الفردية للعملاء؛
- ◀ تسبب تعطيل وشلل الأعمال والخدمات في حالات العطلات وبالتالي شلل المجتمعات؛
- ◀ قد تستخدم في توزيع نسخ غير قانونية وبطريقة غير مشروعة من البرمجيات والممتلكات الفكرية.

3. دور نظم المعلومات في اتخاذ القرار²⁴

تسمى عملية البحث عن المعلومة المناسبة لصنع القرار الإداري بعملية ترشيد صنع القرار، حيث يعتمد بدرجة كبيرة على مدى موثوقية مصدر المعلومة التي تعطي الصورة الواضحة والصحيحة لمتخذ القرار عن العمل الذي سيقوم به، كما أشارت عدة دراسات إلى أهمية المعلومات لعملية صنع القرار، حيث غياب المعلومة تؤدي إلى فشل القرارات. فنظم المعلومات تزود المؤسسات بالاتصالات وأدوات التحليل التي تمكنها من أداء دورها فقد أدت إلى زيادة المعرفة وتعدد البدائل أمام متخذ القرار وتقليل حالة عدم التأكد التي تحيط في بيئة المؤسسة، كما

أن أهم ما يميز هذه المعلومات هو أنها كمية وقابلة للتحقق من صحتها وبالتالي تزداد درجة فاعليتها في صنع القرار الصحيح بالوقت المناسب.

ثانياً: الشبكات

يشهد العالم وبشكل كبير تطوراً هائلاً ومتسارعاً في تكنولوجيا المعلومات وعالم الاتصالات حتى أصبحت الشبكات على رأسها الانترنت وسيلة لا يمكن الاستغناء عنها من خلال الاتصال ونقل المعلومات.

1. تعريف الانترنت²⁵

هي أكبر شبكة في العالم تستخدم أكثر من غيرها من الشبكات، وهي أهم الشبكات الاتصال صممت من أجل تبادل المعلومات والبيانات عن عمليات وأنشطة المؤسسة التي يتم تنفيذها بمقر المؤسسة، أو من خلال العمليات التجارية الأخرى مع المؤسسات الأخرى بأحاء العالم.

2. وظائف الانترنت²⁶

◀ التواصل والتعاون ويتم ذلك عن طريق إرسال واستلام الرسائل الإلكترونية والبيانات الأخرى والمعاملات وكذلك المشاركة في المؤتمرات الإلكترونية؛

◀ الوصول إلى المعلومات مثل البحث عن الوثائق وقواعد البيانات وقراءة المطويات الإلكترونية؛

◀ المشاركة بالمنافسات وتتمثل بالمشاركة في مجاميع النقاش المتفاعلة والمتبادلة وتأمين التعاملات الصوتية؛

◀ تجهيز المعلومات عن طريق نقل الملفات الحاسوبية من النصوص والبرمجيات والرسومات؛

◀ التبادل بالتعاملات التجارية والإعلانات والمبيعات وشراء المنتجات وتأمين الخدمات على الخط المباشر.

1. تعريف الانترنت²⁷: هي الشبكة الداخلية للمؤسسة تعطي للموظفين المرخص لهم بالوصول إلى بيانات معينة، وهي من أكبر الشبكات أماناً، وتتطلب عند الدخول إليها استخدام كلمات المرور، ويمنع الزوار الغير مصرح لهم من الوصول إلى شبكة الانترنت أي أنها خاصة بالمؤسسة وما يرتبط بالعمل داخلها.

2. اعتبارات تطبيق الانترنت²⁸

◀ التجارة الإلكترونية: المبيعات والمشتريات يمكن أن تتم مباشرة؛

◀ خدمة العملاء والحفاظ على المعلومات المتعلقة بهم؛

◀ تحسين اتخاذ القرار عن طريق توفير برامج الجماعة وتدقيق العمل؛

◀ رفع مستوى المعرفة للأفراد عن طريق إتاحة المعلومات لأي شخص يحتاجها؛

◀ توزيع البرامج: توزيع وصيانة البرامج عن طريق الانترنت.

1. تعريف شبكة الاكسترانت²⁹: في المقام الأول هي شبكة الاتصال متاحة من خلال موقع الانترنت،

ويمكن الوصول لمستخدمي هذه الشبكة من خلال مفتاح الوصول أو كلمة المرور، وهي تقدم مجموعة

متنوعة من الخدمات، ابتداء من المعلومات وعن القوانين وتطبيقاتها ولكن ضمن نطاق محدود بنوع العلاقة

التي تريدها المؤسسة.

2. تأثيراتها على المؤسسات³⁰

- ◀ تريد من فعالية الأعمال من خلال تحسين جودة الأنشطة وتوفير تلقائية ومرونة للاتصال الفوري؛
- ◀ تساهم في تحقيق ميزة تنافسية من خلال دورها المباشر في انجاز أنشطة القيمة للمؤسسة؛
- ◀ هي مجموع شبكات الانترنت التي ترتبط ببعضها عن طريق الانترنت وتحافظ على خصوصية كل شبكة انترنت مع منح أحقية المؤسسة على بعض الخدمات والملفات؛
- ◀ هي شبكة مشتركة بين الشركاء.

ثالثا: أمن المعلومات

بظهور شبكات المعلومات زادت المخاطر الأمنية التي تتعرض لها المعلومات، كما أن هناك خصوصية للأمن في عالم الشبكات جعلت من الضروري أن تنظر مختلف المؤسسات إلى امن المعلومات بجدية أكثر.

1. تعريف أمن المعلومات³¹

هي مجموعة الإجراءات والتدابير الوقائية التي تستخدمها المؤسسة للمحافظة على المعلومات وسريتها سواء من الأخطار الداخلية أو الخارجية كالحفاظ عليها من السرقة والاختراق أو الإتلاف الغير مشروع.

2. أنواع المخاطر التي تتعرض لها المعلومات

من أهم المخاطر التي تتعرض لها المعلومات سواء من خلال الشبكات أو من خلال نظام المعلومات:

- ✓ تقنية تفجير الموقع المستهدف: يستند هذا الأسلوب إلى إرسال حزم بسرعة كبيرة من المعلومات إلى الشخص المستهدف، بهدف التأثير على السعة التخزينية بحيث يؤدي ضغطا عليها بتفجير الموقع وتشتت المعلومات والبيانات المخزنة.
- ✓ فيض الرسائل: حيث يرسل أصحاب الأسواق كميات غير مطلوبة من البريد الإلكتروني إلى جمهور المستلمين والذين هم أساسا لم يقوموا بطلب مثل هذه المعلومة.³²
- ✓ القرصنة: حيث يستغل القرصنة نقاط ضعف في الجوانب الأمنية لموقع الشبكة العنكبوتي أي الويب فيحصلوا على فرص للدخول إلى بيانات الخاصة بهم مثل المعلومات الخاصة عن الزبائن وكلمات المرور .
- ✓ الشغب: يستخدم المشاغبون برمجيات روتينية لكي يربطوا مواقع الويب للحاسوب المضيف بغرض أن لا يسمحوا للزائرين الشرعيين بالوصول إلى ذلك الموقع والتواصل معه.³³
- ✓ الشفرات الخبيثة: هي برامج كاملة أو قسم من شفرة يمكن أن تكتسح وتغزو النظام وتعد وظائف ليست مقصودة من مالكي النظام وتستثمر للقيام بمهام غير مشروعة كإنجاز احتيال أو غش بالنظام.³⁴

3. بعض أساليب الحماية المعتمدة³⁵

من أهم البرامج المعتمدة في حماية المعلومات من المخاطر التي سبق ذكرها الطرق التالية:

- ✓ التشفير: هي طريقة هامة وأساسية في حماية البيانات وموارد الشبكات الحاسوبية وخاصة الانترنت والانترنت والاكسترنات فكلمات المرور والرسائل والملفات يمكن أن ترسل بشكل مجمع بواسطة نظم الحاسوب

للمستخدمين المحولين والتشفير فقط يشمل على استخدام حسابات أو مفاتيح لتحويل البيانات إلى رموز مجمعة أو ممزوجة قبل إرسالها ثم القيام بفك الرموز ببيانات عند استعمالها.

✓ رفض أو إعاقه الخدمة: لقد أصبح الانترنت والشبكات الأخرى الداخلية والخارجية المرتبطة به عرضة للهجمات والاختراقات بواسطة العديد من القراصنة والدخلاء خصوصا ما له علاقة لما يطلق عليه هجمات الفيروس.

✓ جدار النار: طريقة للسيطرة على امن المعلومات وهو استخدام جدار النار في المكونات المادية والبرمجية في نظام الحاسوب وأن يكون حارس البوابة التي يقوم بحماية كل الشبكات من التطفل والتدخل عن طريق تجهيز المصفاة أو نقطة آمنة في الوصول من وإلى الشبكات، فهو يفحص كل البيانات العابرة من خلال كلمة مرور.

IV. نظم دعم اتخاذ القرارات الإدارية

إن المعطيات التكنولوجية والتطورات الكمية والنوعية التي شهدتها العالم مؤخرا في مجال الاتصالات الإلكترونية والخدمات الإلكترونية المختلفة، أدى إلى إقبال المؤسسات المختلفة على الاستثمارات الإلكترونية وتوسيع قاعدة العمل بها من خلال مختلف وظائف الإدارة الإلكترونية ولدعم عملياتها وذلك من خلال أدوات تكنولوجيا المعلومات التي تتكامل مع البنية الشبكية لهذه الإدارة الإلكترونية التي تعمل على مستوى دعم الإدارة والمديرين لتنفيذ وظائفهم.

أولا: نظام دعم القرار

إن اتخاذ القرار الإداري في بيئات تنافسية وديناميكية ليست بالتبسيط الذي كان سائدا بالماضي، فالإدارة الإلكترونية تحتاج إلى دعم مستمر من نظم مساندة القرارات التي لها خلفية لتحليل البيانات، ووضع البدائل والخيارات لاتخاذ القرار المناسب.

1. مفهوم نظم دعم القرار

1-1- تعريف نظم دعم القرار³⁶: هي نظم تقوم بتجهيز المديرين بأدوات تساعد على حل المشكلات شبه وغير الهيكلية، ولكن بطريقة هؤلاء المديرين وأسلوبهم الشخصي في حل المشكلات الإدارية، وتقدم نظم مساندة القرارات الدعم المباشر للمديرين في الإدارة العليا للمديرين في الإدارة الوسطى. هذا يعني أن نظم دعم القرارات لا تحل محل المدير ولا تأخذ مكانه أو دوره وإنما تساعد على الحكم والنظر إلى الحلول الممكنة والعملية من خلال الاستفادة القصوى من قدرات تكنولوجيا المعلومات.

1-2- خصائص نظام دعم القرار³⁷

- ◀ التركيز على القرارات واستخدام الحاسب لدعم الآراء الشخصية؛
- ◀ دعم القرارات وحل المشكلات التي ليس لها حلول محددة مقدما؛
- ◀ نظام يسمح لمستخدميه بالمبادرة والرقابة على المدخلات والمخرجات؛

◀ إمكانية التطبيق في كل المستويات الإدارية من أجل المشكلات نصف الروتينية أو المشكلات التي تكون نصف المعلومة المطلوبة لحلها يعتمد على الحاسب والنصف الآخر يعتمد على حكم المدير وتقديره من أجل اتخاذ الحل المناسب؛

◀ نظام موجه بالفرد وسهل الاستعمال حيث من خلاله يمكن للمدير أن يدرس الموقف أو المشكلة مستخدماً توليفة من النماذج التحليلية للحاسب بجانب أحكامه وتقديراته؛

◀ يستخدم النظام أساليب ونماذج تحليلية معقدة وأدوات رياضية مختلفة.

1-3- المتطلبات اللازمة لزيادة فاعلية نظام دعم القرارات

- ◀ أن يتمكن من إدارة كميات كبيرة من البيانات الغير متماثلة؛
- ◀ أن يتسم بالمقدرة المتنوعة لبناء النماذج واستخدام الأساليب التحليلية؛
- ◀ التنظيم المرن في عرض البدائل وإصدار النتائج؛
- ◀ يدعم المهارات أو المعرفة الإدارية حيث أنه يفرض نموذج أو بديل معين؛
- ◀ سهولة التحول من نموذج لآخر وأن يكون موجهها لبناء النماذج لحل المشكلات.

2. نظام دعم القرارات الجماعية

1-1- تعريف نظام دعم القرارات الجماعية³⁸

هي نظم تفاعلية محسوبة تساعد على تقديم الحلول للمشكلات غير الهيكلية من خلال دعم فريق صنع القرار، ولذلك ينظر لها على أنها أدوات فاعلية بيد المديرين لخلق بيئة إلكترونية ملائمة لصنع القرارات الجماعية والقرارات الإستراتيجية ذات الصلة بالتوجه المستقبلي للمؤسسة.

1-2- أشكال نظم دعم القرارات الجماعية³⁹

◀ حجرة القرار: هي حجرة مجهزة بالتسهيلات الفنية والحاسوبية يجتمع فيها مجموعة صغيرة من المشاركين معا في قاعة واحدة وجها لوجه..، ويكون لكل مشترك جهاز خاص لعرض الأفكار وتلخيص نتائج البيانات وعرضها.

◀ شبكة قرار المناطق المحلية : عندما يكون من الصعوبة على المشاركين الاجتماع وجها لوجه، لذا يكون المشاركون موزعون في أماكن مختلفة فيجتمعوا باستخدام "LAN" ^{*}، إذ يبقى المشاركون بأماكنهم ويتفاعلوا من خلال محطة عمل ** « Works stations » .

❖ المؤتمرات عن طريق الحاسب⁴⁰: عندما تكون المجموعات كبيرة على مناطق كبيرة وموزعة على مناطق جغرافية متباعدة فإن المكتب الافتراضي يعطي رخصة مرور اتصالات بين تلك المجموعات وتتضمن هذه الأخيرة:

◀ مؤتمرات سمعية: القدرة على المحادثة والتشاور بين مجموعة من الأفراد بالتزامن بالرغم من تواجدهم في أماكن متباعدة باستخدام الهاتف أو برمجيات مع عدم إمكانية رؤية المشاركين؛

﴿ مؤتمرات صوتية: مؤتمرات تعتمد على تجهيز التلفزيوني خاص بالصوت، إذ تتيح للمشاركين في أماكن متباعدة إرسال الصوت واستقباله مع ملاحظة عدم إمكانية رؤية المشاركين لبعضهم البعض.

﴿ مؤتمرات المرئية: تتشابه مع الاجتماعات عن بعد من حيث الشروط وإمكانية التلاقي وعقد المؤتمرات وكل شخص في مكانه، ولكنها تمتاز عنها بإمكانية رؤية المشاركين لبعضهم البعض على الشاشات المتلفزة عن طريق استخدام الشبكة الواسعة، تستخدم في الإدارات المنتشرة الفروع.

﴿ الاجتماع المشترك: عندما يكون المجتمعون بأعداد كبيرة ولا يستطيعون استخدام حجرة القرار والاجتماع المشترك هو الذي يحقق الغرض، إذ يستفيد المجموعات الكبيرة من تقنيات الاتصالات والفيديو في تنفيذ الاجتماع تستخدم فيه الشبكة المحلية والشبكة الواسعة.

3. المجالات التي يمكن أن تطبق فيها نظام دعم القرار⁴¹

تؤكد الدراسات على أهمية المجالات التي يمكن استخدام نظم دعم القرار داخل المؤسسات في الآتي:

1-1- درجة هيكلية المشكلة: في الغالب تستخدم نظم دعم القرارات للتعامل مع المشاكل شبه هيكلية، وهي المشاكل التي تعرض لها المدير من قبل لاتخاذ القرارات بشأنها، ولكنها قد يوجد العديد من المتغيرات الجديدة التي يمكن أن تؤثر في اتخاذ المدير للحلول بشأنها، وهي التي يصعب فيها افتراض حلول مسبقة للتعامل معها.

1-2- مستوى اتخاذ القرار: كان يتم استخدامها في المستويات الإدارية العليا أو الإدارة الوسطى، التي كانت تتسم قراراتها باحتياجات كبيرة من المعلومات سواء كانت داخلية أو خارجية للوصول إلى أفضل النتائج. واتجهت الدراسات الحديثة إلى مستوى الإدارة التشغيلية عند تعرض المديرين لمشاكل جديدة يتعرضون لها أول مرة.

1-3- مرحلة اتخاذ القرار: يمكن استخدام نظم دعم في توليد المعلومات المرتبطة ببعض الجوانب الأساسية بمشكلة معينة، كما يمكن أن تستخدم في تنمية وتوصيل الحلول لحل المشكلة، كما تساهم في توقع تكلفة وفوائد كل بديل ممكن.

كما يمكن إيجاد بعض الأنظمة إلى جانب نظم دعم اتخاذ القرار:

﴿ نظم المعلومات التنفيذية⁴²: نظم المعلومات التنفيذية هي نظم المعلومات الإستراتيجية أو نظم دعم الإدارة العليا، وهي نظام مصمم لتسهيل اتخاذ القرارات الإستراتيجية في أعلى المستويات الإدارية وذلك بتزويد المسؤولين بسهولة الدخول إلى المعلومات ذات الصلة في الوقت المناسب.

﴿ أنظمة أتمتة المكاتب⁴³: هي نظم معلومات تستند على الاتصالات الإلكترونية والتي تقوم بجمع ومعالجة و تخزين وتوزيع المعلومات والرسائل الإلكترونية أو الوثائق وأشكال من الاتصالات بين الأفراد وفرق العمل والمؤسسات.

ثانيا: الذكاء الاصطناعي

من أجل حفظ الخبرات والمعارف التي يمكن أن تفقد أو تسرب، ظهر الذكاء الاصطناعي كحل لها من خلال تمثيل المعرفة وتخزينها وتطبيق منطق التفكير الاستنتاجي، فضلا عن استثمار قدراته للتعليم والتدريب.

1. مفهوم الذكاء الاصطناعي

1-1- تعريف الذكاء الاصطناعي⁴⁴

هو تخصص علمي هدفه الأساسي هو تطوير برامج الكمبيوتر التي تسمح للآلات و مختلف الإجراءات بأداء مهام المناطة عادة إلى الذكاء البشري، والمتمثلة في المنطق عند حل المشكلات والفهم والتعلم من التجربة، واستكشاف أشكال في الحالات المختلفة كذلك التفاعل بنجاح مع مختلف الحالات الجديدة، وأخيرا معالجة المعلومات الغامضة والناقصة.

1-2- اهتمامات بالذكاء الاصطناعي⁴⁵

لقد توجهت اهتمامات الإدارات إلى الذكاء الاصطناعي من أجل:

- « ضرورة تخزين المعلومات بشكل نشط وفعال باعتبارها ذاكرة المؤسسة وذلك بغرض تأمين أسس وقواعد معرفية مناسبة بالمؤسسة، وذلك باتجاه تمكين العديد من العاملين إلى تفحص وحفظ الخبرات التي يمكن لها أن تفقد أو تسرب عندما يغادر الخبراء وينفصلون عن المؤسسة؛
- « تأمين آلية للموضوعات التي لا تكون مرتبطة بالمشاعر الإنسانية والقلق وهذه الآلية ربما تكون مفيدة بشكل خاص عندما تكون الوظائف البشرية معرضة لأخطار رئيسية؛
- « لتحسين الأسس المعرفية للمؤسسة، والتي تساعد وتستند إلى توليد الحلول المطلوبة للمشكلات المحددة التي تكون كبيرة ومعقدة التحليل بواسطة الإنسان لانجازها في وقت قصير.

1-1- تطورات الذكاء الاصطناعي⁴⁶

- « التطبيقات القائمة على العلوم المعرفية: النظم الخبيرة والنظم القائمة على المعرفة والتعلم والتي تميل إلى محاكاة عملية تفكير الإنسان؛
- « تطبيقات الكمبيوتر: من خلال تطوير أجهزة الكمبيوتر والبرمجيات الأنسب لمبادئ الذكاء الاصطناعي كالشبكات العصبية؛
- « الروبوتات: القدرة على إتباع سلوك معين والتكيف مع قدرات الإدراك، تستخدم هذه الأخيرة كثيرا في الصناعات الخطيرة والمتكررة والشاقة
- « الواجهات الطبيعية: هي موجهة لتحسين الاتصال بين الإنسان والآلة واستخدام اللغة الطبيعية للسيطرة على جهاز الكمبيوتر.

2. تطبيقات الذكاء الاصطناعي

تعددت تطبيقات الذكاء الاصطناعي، إلا أنه ومن أهم التطبيقات التي تعتمد عليها المؤسسات:

1-1- الأنظمة الخبيرة: هي برامج تتسم بالذكاء تعتمد على معارف مستمدة من الخبرة البشرية، وتستخدم قواعد الاستدلال المنطقي في الوصول إلى النتائج وأسباب الوصول إليها.⁴⁷

تعتمد النظم الخبيرة في تحديد المشاكل وتشخيصها والوصول إلى المعلومات التي تستخدم في حلها من خلال المتاح في قاعدة البيانات المعرفية، كما أن لديها المقدرة على تحديد بدائل حل المشكلة وتقييمها واقتراح الحل المناسب، ورغم أن تقييم الحل يعتبر من مسؤولية مستخدم النظام الخبير، فالنظام يوفر له المنطق الذي يساعده في القيام بهذه العملية فهي تلعب دور الناصح وتقديم المشورة بدلا من صنع القرار.⁴⁸

1-2- الشبكات العصبية: تكتسب خصائص الخلايا العصبية للدماغ الإنساني من حيث الارتباط والمشاركة في المعالجة الموزعة للمعالجة الموزعة للمعلومات، وتتكون من وحدات حاسوبية مترابطة تقوم كل واحدة بتنفيذ عمليات معالجة.

وتقوم بتوصيل النتائج إلى الوحدات المجاورة تظهر قدرتها في الوصول إلى حلول مثلى ودقيقة.⁴⁹ تتميز الشبكات العصبية عن غيرها من النظم بخصائص نذكر منها، القدرة للوصول إلى حلول مثلى استنادا إلى التعلم وليس المعروف فقط، وذلك لاستخدامها لمنهج الاستكشاف، وبحثها عن حلول لذلك فهي تستخدم للتحليل المالي وغيرها لدعم قرارات الإدارة الإلكترونية.

1-3- الخوارزميات الجينية: يقصد منها تحسين أداء نظم الحاسوب في البحث عن الحلول المثلى، المرافقة للأنشطة البشرية أي هي تحاول محاكاة آلية لتطور البيولوجي من خلال العمل على إنتاج حلول جديدة لمشكلات معقدة. الفكرة الرئيسية لهذه التقنية هي إنشاء مجتمع الحلول للمشكلة ثم العمل على إنتاج أجيال جديدة من الحلول الأفضل من الحلول السابقة ومن خلال إعادة الإنتاج، تستخدم هذه التقنية لتصميم واقتراح الحلول للمشكلات الإدارية التي تتأثر بتعدد كبير بالمتغيرات، ولذلك تستخدم هذه النظم في شتى أنواع التطبيقات في مجال صناعة المالية المصرفية والأعمال الإلكترونية.⁵⁰

1-4- المنطق الضبابي⁵¹: هو نظام تتعامل مع البيانات الغامضة، غير المحددة والاحتمالية عن طريق تبرير الذي يشبه التبرير البشري، الذي يسمح بالقيم التقريبية والبيانات غير الكاملة والاستدلال على أساسها. أي أن له القدرة على التعديل الذكي ويشترط عند العمل به أن تكون المخاطرة مقبولة، لأنها تقوم بتحليل المتغيرات واحتساب النتائج من دون نموذج إحصائي.

1-5- الوكيل الذكي⁵²: هو حزمة برمجية تستخدم لتنفيذ مهام محددة أو واجبات ذو طبيعة متكررة، أو تنبؤية للمستفيد ولدعم نشاط أعمال أو تطبيقات أخرى. بإمكان المؤسسة برمجة الوكيل الذكي لصنع القرارات بالاستناد على أولويات شخصية متخذ القرار مثل نظم البريد الإلكتروني وجدولة المواعيد، ويستخدم لضمان استجابة السريعة لطلبات العملاء واستقبال رسائلهم الإلكترونية وغيرها.

ثالثا: نظم دعم العمليات الإدارية

من أجل تعظيم الكفاءة والفعالية والوصول إلى مستوى الأمثل تلجأ مختلف المؤسسات إلى استخدام تكنولوجيا المعلومات من أجل الكفاءة للعمليات الموجهة لتخطيط وتنفيذ تدفق المعلومات والقرارات وعملياتها من أجل ضمان تحقيق ميزة تنافسية.

1. قواعد البيانات: هي أداة من الأدوات المستخدمة منذ العديد من السنوات، وهي مصممة لإدارة واستغلال مجموع من المعلومات الهامة والتي كانت في الأصل معقدة.⁵³ حيث تكون البيانات فيها متكاملة ومتراطة معا بعلاقة معينة يصبح معها من السهولة إيجاد المعلومات لتحقيق الأهداف المطلوبة وتكون البيانات فيها مرتبة ومخزنة بطريقة نموذجية، يتم فيها تحاشي تكرار البيانات ومن أمثلة قواعد البيانات الأكثر شيوعاً دليل الهاتف.⁵⁴

2. نظم المعالجة التحليلية الفورية: هي حزم وتقنيات متكاملة ومصممة بطريقة ملائمة لتحليل البيانات المعقدة للمساعدة في أنشطة دعم قرارات الإدارة الإلكترونية، وتستخدم هذه الحزم من تقنيات التحليل البيانات الموجودة في قواعد البيانات.

إن ميزة هذه النظم في قدرتها على تحقيق مهام التسجيل الإلكتروني في الوقت الحقيقي لبيانات المعاملات والأحداث، وتخزينها واسترجاعها عند الضرورة وحسب الطلب ونمذجة الظواهر وتلخيص النتائج بتقارير معلوماتية مدعمة بالأشكال البيانية والرسوم والجداول مما يساعد محلل البيانات على اكتشاف علاقات وارتباطات مفيدة بين عناصر الظاهرة المختلفة موضوع الدراسة.

3. نظم مستودعات البيانات: هي نظم محوسبة لتحقيق التكامل بين البيانات الموجودة بقواعد البيانات موزعة ومتعددة بالإضافة إلى البيانات المتاحة من مصادر مختلفة داخلية وخارجية فهي كينونات ديناميكية حية في نمو متواصل باستمرار.

تتيح نظم مستودعات البيانات للإدارة الإلكترونية أنماطاً متعددة لاسترجاع المعلومات والاستعلام الذكي عن البيانات واستثمار القدرات التحليلية.⁵⁵

4. نظم التنقيب عن البيانات⁵⁶: تتولى نظم التنقيب عن البيانات عملية البحث عن علاقات وأنماط عامة موجودة في قواعد البيانات الكبيرة ولكنها مخفية في حزم متراكمة وواسعة من البيانات. تصمم برامج نظم التنقيب عن البيانات بتقنية تستطيع من خلالها اقتحام تجمعات البيانات الكبيرة وذلك باستخدام أساليب رياضية وإحصائية وطرق ذكية أخرى لتحديد العلاقات الخفية.

تستخدم عند التنبؤ باحتمالية وفاء العملاء بالتزاماتهم المالية والبحث عن أرقام وقيم معاملات تجارية لزبائن مهمين من خلال تتبع لمشترياتهم وإيجاد أنماط تنتج عنها معلومات تسويقية مهمة فالغاية منها بناء ارتباطات وعلاقات جديدة تستفيد منها لإدارة لأغراض عديدة من بينها صنع القرارات الإدارية شبه الهيكلية وغير الهيكلية.

5. نظم دعم قرارات الزبائن المستندة إلى شبكة الويب⁵⁷: تهتم الإدارة الإلكترونية ببناء وتطوير نشاطها وعملياتها حسب احتياجات الزبائن وليس حسب متطلبات نظام العمل القائم في نظم المؤسسة، ولذلك تهتم الإدارة الإلكترونية بتطوير نظم مساندة قرارات الزبائن مستفيدة من الفرص الثمينة والقدرات الهائلة التي تتيحها شبكة

الانترنت للمؤسسة. على هذا الأساس ظهرت نظم دعم قرارات الزبائن لدعم عمليات اتخاذ القرارات للزبائن ومن خلال استخدام التسهيلات التقنية التي توفرها شبكة الانترنت مما يساعد على صنع قرارات صحيحة وبأكبر عائد ممكن.

ويبدو أن الدافع المهم وراء تطوير نظم دعم قرارات الزبائن هو التعقيد المتزايد لقرارات شراء المنتجات والخدمات الحديثة لاسيما منتجات وخدمات المعرفة التي تتطلب قرار الشراء أو قرار الاستثمار، فيها قاعدة كثيفة من المعلومات ومن مصادر متنوعة ومتعددة.

خلاصة:

لعبت تكنولوجيا المعلومات دورا هاما في عملية التغيير التي طرأت على الإدارة من خلال توفير أدوات قوية للمديرين، والتي تسمح لهم بالقيام بأدوارهم التقليدية والحديثة، فأصبح اتخاذ القرار في ظل الإدارة الإلكترونية عملية تمتاز بالسرعة والسهولة العالية من جهة، وتعزيز الثقة وتقليل من عدم التأكد عند صنع القرارات من جهة أخرى.

من خلال ما سبق ذكره، أظهرت مجريات العرض والتحليل مجموعة من النتائج كالتالي :

✓ لا تختلف الإدارة الإلكترونية عن الإدارة التقليدية في كونها نشاط يقوم على انجاز الأعمال والمعاملات لتحقيق الأهداف المرجوة، ولكنهما يختلفان في طريقة أو وسيلة انجاز تلك الأعمال والمعاملات والوصول إلى تلك الأهداف.

✓ نظرا لأن عملية اتخاذ القرارات أصبحت معقدة، تحتاج إلى دراسة علمية من خلال الاستخدام المناسب لتكنولوجيا المعلومات والاتصال، إلا أنها بحاجة إلى أن يكون متخذ القرار من أصحاب العقول الخصبية ويعتمد على الخيال والإبداع في اتخاذ القرار .

✓ إن التوجه نحو توظيف استخدام التطور التكنولوجي والاعتماد على المعلومات في اتخاذ القرار ليس السبب الوحيد الذي يدفع المؤسسة إلى تبني الإدارة الإلكترونية، وإنما يمتد ذلك إلى وجود الانفصال بين فروع المؤسسة ومالكيها، والذي يظهر أهمية الرقابة والتنظيم كذلك رغبة المؤسسات الاندماج في الاقتصاد الرقمي .

✓ أصبحت الأعمال تقريبا تتنافس في عالمين العالم المادي الملموس والذي يراه ويلمسه المديرون والعالم الرقمي المصنوع من المعلومات والذي يقوم على الانترنت، ومع تطور وتصادد العصر الشبكي كان من الضروري التنسيق بين الوظائف الإلكترونية عن طريق الإدارة الإلكترونية.

✓ بما أن دعامة القرار هي المعلومة، وبما أن المنطلق الأول لنظم دعم القرار هو إنتاج المعلومات من بيانات المشكلة التي يتم اعتمادها لتطوير الحلول البديلة وتقييم نتائجها والمفاضلة بينها، لاختيار حل مناسب مع التبرير وتوصية باعتماده.

✓ إن عملية ميكنة جميع مهام وأنشطة الوكالة بالاعتماد على تقنيات المعلومات وشبكات الاتصال فيما بينها أوصلها إلى أهداف الإدارة الإلكترونية، وذلك من خلال تقليل استخدام الورق وتبسيط الإجراءات والقضاء على الروتين والانجاز السريع والدقيق للمهام والمعاملات لتكون جاهزة لربطها مع مشروع الادارة الإلكترونية .

¹ جمال يوسف بدير، اتجاهات حديثة في إدارة المعرفة والمعلومات، عمان، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2010، ص:209.

²Ratiba AROUB, (2010), L'administration électronique" Axe De Le Concept De L'administration électronique Et Ses Exigences Dans Le Nouveau Système Economique", ALGER, Edition Ecole Supérieure De Commerce, P :4.

³ عادل حرحوش المفرجي وأحمد علي صالح وبيداء ستار البياتي، الإدارة الإلكترونية "مرتكزات فكرية ومتطلبات تأسيس عملية"، الأردن، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2007، ص:13.

⁴ الجبوري ميسر، مداخله بعنوان: اشتقاق الأبعاد الحاكمة في جودة الإدارة الإلكترونية مؤشر مقترح، ملتقى العلمي الدولي حول: المعرفة في ظل الاقتصاد الرقمي ومساهمتها في تكوين المزايا التنافسية للبلدان العربية، جامعة الشلف، 27-28 نوفمبر 2007، ص:9.

⁵ خالد ممدوح إبراهيم، خالد ممدوح إبراهيم، الإدارة الإلكترونية، الإسكندرية، الدار الجامعية، الطبعة الأولى، 2010، ص:51.

⁶ محمد سمير أحمد، الإدارة الإلكترونية، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2009، ص:71-72.

⁷ خالد ممدوح إبراهيم، مرجع سابق، 2010، ص:49-50.

⁸ محمد سمير أحمد، مرجع سابق، 2009، ص:68-69.

⁹ محمد سمير أحمد، مرجع سابق، 2009، ص:71-72.

¹⁰ فريد راغب النجار، الحكومة الإلكترونية بين النظرية والتطبيق، الإسكندرية، الدار الجامعية، 2008، ص:62-63.

¹¹ Jean Pierre HELFER et Michel KALIKA et Jacques ORSONI, (2000), Management" Stratégie et Organisation ", 3^{ème} édition, PARIS, Libraire Vuibert, P:342.

¹² نواف كنعان، اتخاذ القرارات الإدارية "بين النظرية والتطبيق"، عمان، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2003، ص:85.

¹³Stephen ROBBINS et David DECENZO, (2006), Management" L'essentiel des Cencepts et Pratiques", Traduction Philippe GABILLIET, 4^{ème} édition, PARIS, Nouveaux Horizons, P : 126.

¹⁴ علي فهمي، نظم دعم اتخاذ القرار والأنظمة الذكية، عمان، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، 2004، ص:23-24.

¹⁵Jean Pierre HELFER et Michel KALIKA et Jacques ORSONI, (2000), OP-CIT, p :343.

¹⁶ نواف كنعان، مرجع سابق، عمان، 2003، ص:87.

¹⁷ رضا إسماعيل البسيوني، إدارة الأعمال، القاهرة، مؤسسة طبية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2009، ص:76.

¹⁸ خليل محمد الغزاوي، إدارة اتخاذ القرار الإداري، عمان، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2006، ص ص: 53-54.

¹⁹ Hugues ANGOT, (2002), Système D'information De L'entreprise"Analyse Théorique Des Flux D'information Et Cas Pratique", 4^{ème} édition, Belgique, De Boeck, P :20.

²⁰ Kenneth LAUDON et Jane LAUDON et Eric FIMBEL, (2006), Management Des Systèmes D'information, 9^{ème} édition, Paris, Pearson Education, P :13.

²¹ ثابت عبد الرحمان إدريس، نظم المعلومات الإدارية في منظمات الأعمال المعاصرة، الإسكندرية، الدار الجامعية، 2005، ص ص: 306-307.

²² خليل محمد الغزاوي، إدارة اتخاذ القرار الإداري، عمان، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2006، ص: 124.

²³ فواد الشراي، نظم المعلومات الإدارية، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2008، ص ص: 78-79.

²⁴ عبد الناصر أحمد جرادات وزيد محمد المشاقبة ومحمود محمد العجلوني، مرجع سابق، عمان، 2009، ص ص: 23-26.

²⁵ Kenneth LAUDON et Jane LAUDON et Eric FIMBEL, (2006), OP-CIT, P :20.

²⁶ عامر إبراهيم قندلجي وعلاء الدين عبد القادر الجنابي، نظم المعلومات الإدارية، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الأولى، 2005، ص ص: 215-216.

²⁷ Kenneth LAUDON et Jane LAUDON et Eric FIMBEL, (2006), OP-CIT, P : 274

²⁸ خالد ممدوح إبراهيم، مرجع سابق، 2010، ص: 94.

²⁹ Jean- Yves BUCK, (2003), Le Management Des Connaissances Et Des Compétences En Pratique, 2^{ème} édition, Paris, Edition D'organisation, P :216

³⁰ محمد سمير أحمد، مرجع سابق، 2009، ص ص: 238-240.

³¹ فايز جمعة صالح النجار، نظم المعلومات الإدارية، عمان، دار حامد للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 2006، ص: 235.

³² Driss KORICHI, (2004), Le Sécurité Sur L'Internet, Semeco, Alger, P :5.

³³ عامر إبراهيم قندلجي وعلاء الدين عبد القادر الجنابي، مرجع سابق، 2005، ص ص: 215-216.

³⁴ فايز جمعة صالح النجار، مرجع سابق، 2006، ص: 242.

³⁵ عامر إبراهيم قندلجي وعلاء الدين عبد القادر الجنابي، مرجع سابق، 2005، ص ص: 223-225.

³⁶ محمد سمير أحمد، مرجع سابق، 2009، ص: 142.

³⁷ ثابت عبد الرحمان إدريس، مرجع سابق، 2005، ص ص: 244-248.

³⁸ محمد سمير أحمد، مرجع سابق، 2009، ص: 146.

³⁹ فايز جمعة صالح النجار، مرجع سابق، 2009، ص: 146.

⁴⁰ – LAN : Local Area Network.

**** Works stations**: هي محطة للعمل مع وجود حاسب مركزي تتوافر فيه قواعد البيانات والنماذج والبرمجيات إذ يمكن لأي مشترك أن يرى بقية الأعضاء عن طريق الشاشة.

⁴¹ محمد أحمد حسان، نظم المعلومات الإدارية، الإسكندرية، الدار الجامعية، 2008، ص ص: 201-202.

⁴² كامل محمد المغربي، الإدارة "أصالة، المبادئ، ووظائف المنشأة مع حداثة وتحديات القرن الحادي والعشرين"، عمان، دار الفكر للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2007، ص: 520.

⁴³ سعد غالب ياسين، مرجع سابق، 2006، ص: 135.

⁴⁴ Robert REIX, (1995), Système D'information Et Management Des Organisation, Paris, Vuibert, P :180.

⁴⁵ عامر إبراهيم القندلجي وعلاء الدين عبد القادر الجنابي، مرجع سابق، 2005، ص: 466.

⁴⁶ Robert REIX, (1995), OP-CIT, P:180.

⁴⁷ Jean Marie CHOFFRAY, (1992), Systèmes Intelligents De Management"Diagnostic, Analyse Et Assistance à La Décision", Paris, Nathan, P:18.

⁴⁸ محمد أحمد حسان، مرجع سابق، 2008، ص: 252.

⁴⁹ Jean Marie CHOFFRAY, (1992), OP-CIT, P: 75.

⁵⁰ محمد سمير أحمد، مرجع سابق، 2009، ص ص: 151-155.

⁵¹ نجم عبود نجم، إدارة المعرفة "التحديات، التقنيات، الحلول"، الأردن، الوراق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2005، ص: 367.

⁵² سعد غالب ياسين، مرجع سابق، 2006، ص: 222.

⁵³ Jean Yves BUCK, (2003), OP-CIT, P:213.

⁵⁴ فايز جمعة صالح النجار، مرجع سابق، 2006، ص: 150.

⁵⁵ محمد سمير أحمد، مرجع سابق، 2009، ص: 186.

⁵⁶ سعد غالب ياسين، مرجع سابق، 2006، ص ص: 132-135.

⁵⁷ محمد سمير أحمد، مرجع سابق، 2009، ص ص: 192-193.

العزوف عن الزواج والاعتداء الجنسي على الاطفال

دراسة ميدانية بالجزائر

الباحثة : أوكيل عتيقة

دكتوراه علم اجتماع جريمة

جامعة باجي مختار عنابة-الجزائر-

ملخص:

عزوف الشباب عن الزواج رغم توفر السن القانوني، له عواقب وخيمة على الفرد و على المجتمع و اخطر عواقبه الانحرافات و الجرائم الجنسية حيث تعد البطالة اهم مسببات هذا العزوف من خلال ما تفرزه من وقت فراغ كبير و عوز مادي يدفع بالبطال الى اشباع غريزته الجنسية بطرق غير شرعية و يكون الطفل من ضحاياها حيث يمارس في حقه ابشع الانتهاكات كالاغتداءات الجنسية و التي تترك اثار مدمرة على الطفل من جميع النواحي النفسية،العلائقية إلى غير ذلك، كذلك اثارها على المجتمع من خلال انتشار الرذيلة ، والذي نود دراسته من خلال هذا المقال ،هو الدور الذي تلعبه البطالة كعقبة تحول بين الشباب و الزواج الشرعي بحيث يتبنى البطل سلوكيات منحرفة لا شباع نزوته الجنسية و التي من بينها الاشباع الجنسي عن طريق الطفل.

الكلمات المفتاحية: العزوف عن الزواج-البطالة-الاعتداء الجنسي على الطفل.

Résumé en français:

Titre de l'article : Réticence au mariage et à l'abus sexuel des enfants

Une étude de terrain en Algérie

La réticence des jeunes à se marier malgré l'âge légal, avoir de graves conséquences sur l'individu et sur la société et les conséquences les plus graves c'est les déviations et les infractions sexuelles, À travers l'épreuve du temps vide et de déficience économique qui poussent les chômeurs à satisfaire leur instinct sexuel illégalement et les enfants de leurs victimes où les violations les plus flagrantes telles que les abus sexuels , qui laisse des effets dévastateurs sur l'enfant sur tous les aspects psychologiques et relationnelles, aussi son impact sur la société par le biais de la propagation du Immoralité, et nous tenons à étudier à travers cet article le rôle que joue le chômage comme un obstacle entre la jeunesse et le mariage légal qui leurs poussent à adopter des comportements déviantes pour satisfaire leurs désirs sexuelle et notamment par le biais de l'enfant.

Mots clés : Réticence au mariage-chômage-abus sexuels

لقد منحت المجتمعات الإنسانية الزواج صفة القدسية بواسطة عقد يخضع لمراسيم دينية و اجتماعية و كذلك شروط قانونية، حيث أن بعض مراسيم الزواج تمارس في كثير من الأحيان حسب تعاليم الدين او عادات الجماعات داخل المعابد المقدسة كالزواج عند النصارى او في بعض المناطق الهندية لتأخذ صفة الإشهار و الإعلان امام رجل الدين كذلك لأحد المباركة ،حيث أنه في الإسلام أحد أسس الزواج هو الإشهار حتى يعطى له بعد اجتماعي و إنساني فهدفه ليس القضاء على الشهوة فحسب بل المقصود الأصلي منه هو الحفاظ و البقاء على النوع الإنساني ، فمن بين الحاجات التي يسعى الانسان الى تحقيقها هي الحاجة الى تكوين اسرة في اطار الزواج الشرعي الذي يمثل ارقى الية تتماشى مع معايير تضمن استمرار مجتمع منظم في تأثيره على الغريزة الجنسية عند البشر إذ ان عدم تحجيمها و تنظيمها تصبح حياتهم اشبه بالحيوانية و تصير تجمعاته اقرب للفوضوية (معني خليل،1994) فالزواج اعتبره الإسلام آية في قوله تعالى : "و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها و جعل بينكم مودة و رحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون" (سورة الروم الآية:21) لكنه طرأت على نظام الزواج تغيرات هامة أدت هذه التغيرات الى ظهور وانتشار مشكلات اجتماعية من بينها ظاهرة تأخر سن الزواج و عزوف الشباب عنه ، تغيرات في الجوائر خاصة بعد الاستقلال في عدة جوانب ، شملت الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية وكان لها الأثر الكبير في تغير مسار الزواج، مثل متوسط سن الزواج و الزواج الداخلي وارتفاع نسبة العزوبية، حيث شهد متوسط سن زواج الأول ارتفاعا ملحوظا ومستمر، ففي سنة 1966 كان في حدود 18 سنة أما في سنة 2002 فوصل الى حدود 30 سنة، هذا الارتفاع أدى إلى زيادة نسبة العزوبية داخل المجتمع بحيث نجد معدل العزوبية في الفئة العمرية (20-24) سنة قد ارتفع بشكل كبير، حيث كانت نسبة العزوبية سنة 1960 تقدر بـ 11 بالمئة وارتفعت إلى 83 بالمئة سنة 2002، هذا التغير لم يقتصر على مناطق محدودة مثل الريف والحضر أو مناطق جنوبية أو شمالية رغم أن المناطق الريفية و الجنوبية أكثر حفاظا على العادات و القيم الاجتماعية في الجزائر، (الزهران مقدم،2013) و حسب المسح الوطني حول استخدام الوقت (ENET ، 2012) و هو مسح على مستوى الأسر شمل عينة من 9015 أسرة موزعة على كامل التراب الوطني بهدف معرفة توزيع و استخدام الجزائريين لأوقاتهم قدرت نسبة العزوبة عند الرجال بـ 42.5% للبالغين في حين بلغت عند النساء 35.2% بالمئة

تأخر سن الزواج بسبب عدم او قلة الدخل الناتج عن البطالة او عدم الاستقرار في العمل يعتبر عامل مؤثر في ظهور الجريمة و الانحرافات الجنسية ،حيث ان الحرمان الاقتصادي كما ذكر (خالد الزواوي،2004: 110) لا يتيح للشباب فرصا عادلة و متساوية لتحقيق احتياجاتهم و متطلباتهم في إطار اجتماعي مشروع بل يدعم شعورهم بالإحباط و الغضب و يولد لديهم الدوافع العدوانية،فالبطالة وراء عزوف الشباب و تأخره عن الزواج كما توصلت لها دراسة آمال بن عيسى (2008) المعنونة بـ "ظاهرة العنوسة في الجزائر" التي كانت تهدف إلى التعرف على اسباب انتشار العنوسة في المجتمع الجزائري و ذلك من خلال الظروف المعيشية التي يعيشها الشباب الجزائري و نوعية التنشئة الاجتماعية التي تتلقاها الفتاة بالإضافة إلى إمكانية إقامة العلاقات الجنسية خارج مؤسسة

الزواج في ظل التغير الاجتماعي و غياب الوازع الديني ، حيث توصلت إلى أن الظروف التي يعيشها الشباب دخل في انتشار الظاهرة، فبطالة الشباب و صعوبة الحصول على السكن و ارتفاع تكاليف الزواج في ظل غلاء المعيشة شكلت أهم العوامل التي تقف أمام إقباله على الزواج ، يليها تأثير المستوى العلمي للمرأة في نظرتها للزواج و التي لاقت تشجيعا من طرف الام ثم غياب الوازع الديني.

كذلك دراسة جلال السناد(2007) المعنونة ب" بتأخر سن الزواج لدى الشباب الجامعي " بهدف الكشف عن اسباب تأخر سن الزواج كما تراها عينة من الطلبة الجامعيين في دمشق احتوت على 400 طالب و طالبة مستخدما المنهج الوصفي التحليلي حيث توصل الى النتائج التالية:

افراد العينة يعطون اهمية كبرى لمشكلة السكن و غلاء الايجار ، ارتفاع تكاليف المعيشة و الحياة، و مسؤولية الطالبة في اعالة الاسرة في غياب احد الوالدين ،غلاء المهور و مطالبة الزوجة بالسكن الفردي، يظهر من الدراستين اهمية العمل و الدخل لمقدرة الشباب على الزواج و تكوين اسرة ، هذا ما اشار له سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في الباءة و هي المقدرة على تكاليف فتح بيت في قوله صلى الله عليه وسلم : "يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر واحصن للفرج ، و إن لم يستطع فعليه بالصوم انه له وجاء. " رواه البخاري(4779) و مسلم (1400).

فالبطالة حسب التقرير السنوي لمنظمة العمل الدولية بلغت 9.7% في الجزائر سنة 2014 و تتوقع ان تصل إلى 9.2% عام 2018 و التي ترى انها لم تتراجع خلال 18 عاما الا 1% و يعوز ذلك إلى فشل الاصلاحات الاقتصادية و عجزها عن خلق مناصب عمل ، غير ان الخبير الاقتصادي و الوزير السابق بشير مصطفى يرى ان البطالة عرفت تراجع بفضل استراتيجية الدولة فبعد ما كانت 29.8% سنة 2000 تراجعت الى 9.8% في 2014 كما لم ينفي معاناة الاقتصاد الجزائري من خلل بين القطاعات ، فالزراعة مازالت تشكل 4% فقط من الناتج المحلي ، حيث ان مساحة الاراضي التي تصل الى 96% هي الحل الناجع لامتناس البطالة الى جانب المؤسسات الصغيرة و المتوسطة(أميمة احمد،2014)

على اعتبار ان عزوف الشباب عن الزواج سيرفع من قابلية الفرد أن يكون مجرما و أن يتعرض لفعل إجرامي معين لأن غياب الأسرة و الأطفال يساعدان على التحرر من الالتزام و الاستعداد بالتالي يدفع للسلوك المنحرف ، فالبطالة تدفع بالبطال للإحباط و التوتر حيث يصاب بالاغتراب و يتخلى بذلك عن التزامه بالمعايير و القيم الاجتماعية فيتبنى معايير تبرز السلوك المنحرف ،الذي عبر عنه إميل دوركا يم بالآنوميا " حين يجد الفرد نفسه فقيرا عن العمل رغم قدرته و رغبته في العمل و لكن المجتمع لا يمنحه هذه الفرصة "(سليمان عبد المنعم سليمان) هذا يبين اهمية العمل كعامل ضبط اساسي كما نادى به نظرية الترابط الاجتماعي و التي تركز على عنصرين أساسيين يبرز من خلالهما العمل كعامل ضبط أساسي و هما الالتزام أي التزام الفرد بمبادئ الحياة العامة للمجتمع و أهدافها و المشاركة من خلال استثمار الفرد لوقته و جهده في المشاركة الفعالة في الأعمال و المهن اليومية بما يتفق و الأعراف و القواعد السلوكية التي يتفق عليها المجتمع ، فالنظرية تنظر للعمل باعتباره أحد أبرز دوافع المشاركة و الالتزام في نطاق المجتمع مما يعزز الترابط داخله و يقلص من هامش الانحراف و التمرد و السلوكيات

الإجرامية و كل اختلال في وظيفة الالتزام و المشاركة من شأنه أن يفسح المجال لظهور السلوكيات المرفوضة اجتماعيا و المعاقب عليها قانونا ،

تطرقت دراسات اخرى لعامل مهم من افرازات البطالة و هو وقت الفراغ التي تفرزه ، لتبيان مخاطر البطالة و مدي ارتباطها بالجرائم و الجريمة الجنسية بالأخص من خلال الفراغ الذي تفرزه كدراسة السدحان لاستقصاء علاقة وقت الفراغ بانحراف الأحداث التي أجريت سنة 1413هـ بالمملكة العربية السعودية بمدينة الرياض على مائة حدث من المنحرفين ومثلهم من الأسوياء، وضح منها أن هناك علاقة طردية ذات دلالة إحصائية عالية بين وقت الفراغ والانحراف، الفراغ الذي غالباً ما يكون ناتج عن البطالة ، يؤيد هذا ما ذكره السيف من ان الدراسات في علم اجتماع الجريمة، التي أجريت في المجتمع السعودي، قد أثبتت أن ظاهرة الجنوح والجريمة ترتبط بحجم وقت الفراغ، وأشار إلى أنه قد تبين من دراسة قام بها الفالح أن معظم متعاطي المخدرات المحكومين بإصلاحية الحائر بالرياض كان لديهم وقت فراغ يتعدى الخمس ساعات في اليوم الواحد، وأن الكثير من المحكومين قد ذكروا صراحة أن وقت الفراغ عامل رئيسي في تعاطيهم المخدرات، كما ذكر أنه في دراسته للعوامل الاجتماعية المرتبطة بنمط الجريمة الجنسية وضح أن هناك علاقة طردية بين وقت الفراغ وهذه الجريمة، فقد وجد أن 40.1% من المحكوم عليهم في جرائم جنسية لديهم أوقات فراغ تمتد في اليوم الواحد من 7-12 ساعة، وأن 35% لديهم 12 ساعة وأكثر وقت فراغ (احمد حوييتي، 1428) ارتباط البطالة بالجريمة الجنسية توصلت لها كذلك الدراسة التي أجراها مركز بحوث الشرطة بأكاديمية الشرطة بالقاهرة للوقوف على العلاقة بين البطالة والجريمة بمصر في الفترة من 1983م إلى 1990م، حيث اسفرت النتائج عن وجود ارتباط طردي قوي بين كل معدلات ارتكاب الجرائم بصفة عامة ومعدلات البطالة، كما اتضح وجود ارتباط طردي أيضاً بين معدلات البطالة وجرائم السرقة بمختلف أنواعها وجرائم الاغتصاب وهتك العرض وبين دافع الحصول على المال وإشباع الحاجات الأساسية وكذلك الحاجات الجنسية،

ودراسة مركز بحوث الشرطة في مصر في الدراسة المعنونة بـ(البطالة والأمن) وهي دراسة اعتمدت في الأصل على الإحصاءات التي حُصل عليها من وزارتي القوى العاملة والتخطيط بمصر عن السكان والقوة العاملة والقوة العاطلة عن العمل خلال عشر سنوات امتدت من عام 1986 – 1995م وقد تلخصت أهم نتائجها في الآتي:

أ) وجود ارتباط متوسط بين جنائية هتك العرض والاغتصاب والبطالة، حيث وصلت قيمة معامل الارتباط بين المتهمين المرتكبين لتلك الجريمة وعدد العاطلين عن العمل إلى 0.67 خلال الفترة الزمنية المذكورة، بمعنى أن أية زيادة في أعداد العاطلين تؤدي إلى حدوث زيادة في أعداد المتهمين المرتكبين لتلك الجريمة والعكس صحيح.

ب) وجود ارتباط قوي بين جرائم البغاء وتشرد الأحداث بعوامل التفكك الاجتماعي والأسري وضعف رقابة الوالدين وهذا غالباً ما يكون راجع إلى الهجرة من ناحية، أو عدم التمكن من تلبية الحاجات، ومن ثم التمرد على سلطة الأب، الذي قد يفقد كيانه لعدم استطاعته، أي لبطالته من ناحية أخرى،

انعكاسات الوضع الاقتصادي و الاجتماعي للفرد كانت لها اثار سلبية في تفشي العلاقات الجنسية خارج مؤسسة الزواج الشرعي كما يزيد من تأزم الوضع وقت الفراغ ، فالمتعطل يواجه وقت فراغ كبير لا يعرف

كيف يستثمره مما يكون عرضة للمخالطة برفقاء يبررون السلوك المنحرف و اوفر قابلية للإثارة و الاستثارة خاصة من خلال ما توفره المجالات الإباحية و التكنولوجيا المعلوماتية التي تستبيح اشباع التزوات المرضية ، فالجرائم الجنسية تعتبر من اخطار مشاكل البطالة لأنها تأخذ مسار غير مقبول اجتماعيا في الاشباع خاصة اذا كان الاشباع عن طريق الاطفال و التي اصبحت ظاهرة في المجتمع الجزائري تؤرق المجتمع من خلال تنامي هذه التجاوزات خاصة في السنوات الاخيرة و التي تزامنت مع الربيع العربي و التي تبدا عادة باختطاف الطفل لتنتهي بقتله بعد اغتصابه لطمس آثار الجريمة ، هذه الاعتداءات التي اسالت حبر الصحف وتصدرت الصفحات الاولى حيث احصتها ممثلة قيادة الدرك الوطني الجزائري كما افادت في مداخلة حول دور الدرك الوطني في حماية الاحداث خلال الملتقى الدولي الذي تناول موضوع المعلومة الاجتماعية و تطبيق الشبكة بان وحدات الدرك الوطني سجلت مند بداية سنة 2013 الى غاية شهر اكتوبر 2013 م 1514 قاصر ضحية عنف اغلبهم من الذكور مقابل 430 انثى ، حيث تأتي جرائم الافعال المخلة بالحياء ب526 حالة و جرائم الاغتصاب ب89 حالة بعد الضرب و الجرح العمدي و تليها جرائم القتل العمدي ب23 ، تتوافق هذه النتائج كذلك مع معطيات شرطة الاحداث في الجزائر عبر كامل التراب الوطني .

الطفلين ابراهيم و هارون من مدينة قسنطينة كانا مثال على الفاجعة التي عاشها الشعب الجزائري و التي كانت من بين العديد من الاعتداءات انتهت بقتل الطفلين مما اثار استياء شعبي مطالبين بحكم الاعدام لمغتصبي و قتلة الطفلين ،فمخاطر الاعتداءات الجنسية تعرضت له طيبة مختصة في الطب الشرعي بمدينة عنابة (بالجلدجة نسرين،2014) في مداخلة بعنوان (cas de maltraitance mortelle) تجسد حالة طفلة عمرها 10 سنوات تعرضت لاعتداء جنسي متكرر من طرف زوج الام متبوع بالحرق بالسيجارة و الضرب المفضي للوفاة حالات مثل هذه لم تكن الوحيدة فمن خلال احصائيات مصلحة الطب الشرعي خلال الفترة الممتدة من جانفي 2014 وماي 2014 أي 5 اشهر وصلت عدد حالات العنف ضد الاطفال :316 حالة ،70% ضرب و جرح عمدي 17% عنف جنسي 13% ضرب و جرح غير عمدي، ارقام لا تعكس الارقام ما يعيشه الطفل في ارض الواقع و الاذي يطرح اشكالية الرقم الاسود هذا التوجه الجنسي نحو الطفل و هذه الوحشية لم يعهده المجتمع الجزائري و الذي يجعلنا نطرح التساؤلات التالية :

السؤال الرئيسي التالي :هل عزوف الشباب عن الزواج يؤثر في اعتدائه جنسيا على الاطفال؟ و الذي تفرع منه اسئلة فرعية كالتالي :

- 1- هل البطالة من اهم العوامل المؤثرة على عزوف الشباب عن الزواج من خلال العوز المادي؟
 - 2- هل وقت الفراغ الذي تفرزه البطالة سبب في اعتداء الشباب العازف عن الزواج جنسيا على الاطفال؟
- اهداف الدراسة : تكمن اهداف الدراسة في الكشف عن :

- 1- علاقة عزوف الشباب عن الزواج بالاعتداءات الجنسية على الاطفال
- 2-علاقة البطالة بعزوف الشباب على الزواج من خلال

اولا : العوز المادي الذي يقف وراء اقدام الشباب على الزواج

ثانيا :وقت الفراغ الذي تفرزه البطالة كيف يقضيه المتعطل و كيف يدفع به للاعتداء الجنسي على الاطفال.

كل هذه التساؤلات ارتأيت ان اطرحها على شكل فرضيات للإجابة عليها ميدانيا كالتالي:

اولا: الفرضية الرئيسية: توجد علاقة دالة بين عزوف الشباب عن الزواج و الاعتداء جنسيا على الاطفال.

ثانيا: الفرضية الجزئية الاولى: توجد علاقة داله بين العوز المادي الذي تفرزه بطالة الشباب و عزوفه عن الزواج .

ثالثا: الفرضية الجزئية الثانية: توجد علاقة دالة بين وقت الفراغ الذي تفرزه البطالة و الاعتداء الجنسي على الاطفال .

اهمية الدراسة و محدداها : تكمن اهمية الدراسة في انها:

1- هي الحاجة الى ان نولي موضوع الجنس اكثر اهمية من ان نعتبره من الطابوهات بالتطرق الى ظاهرة عزوف الشباب عن الزواج كمشكلة لا تؤثر في الشاب فقط بل يمتد خطرها إلى المجتمع من خلال شيوع السلبية و تفشي العلاقات الجنسية الغير شرعية ، و أخطارها اذا كان موضوع الاشباع هو الطفل ، بهذا نكون قد تطرقنا الى اهم ظاهرتين يعاني منهما المجتمع الجزائري في الفترة الاخيرة مع تعالي الاصوات المنددة بالاعتداءات الجنسية على الاطفال، الذي يزرع مخاوف الاقتداء بالغرب في التوجه الجنسي الشاذ و الذي لا ننكر تواجهه الا ان الخوف من شيوعه و تلقيه الترحيب و المطالبة به علنا .

2- ربما هو التنبؤ لما سيؤول له وضع الطفل في المستقبل من جراء المشاكل الاقتصادية التي تعيشها الاسر الجزائرية رغم الاصلاحات التي تقوم بها الجزائر لاحتواء البطال و المعوز من خلال العديد من المؤسسات و البرامج ، الا ان غلاء المعيشة و انخفاض القدرة الشرائية تدفع بالأولياء الى التقاعس عن مهامها التربوية للبحث عن مصدر الرزق ،هذا يؤثر و لا شك في توجه الطفل الى عالم الشغل المبكر مما يكون فريسة سهلة لدوي النفوس الضعيفة

3- معالجة الموضوع بنظرة سييسولوجيا على اعتبار الاعتداءات تحدث في النسق الاجتماعي و الذي لا يختلف فيه اثنان لا ضحية بدون مجرم و دواف وراء اجرامه .

4- تزويد البحث العلمي ببعض المعلومات و النتائج و توصيات حتى تكون هنالك استمرارية و شاملة لعدة نواحي.

منهجية الدراسة :

إن طبيعة الموضوع تتطلب قراءة تحليل و استقرائية لعناصره و هو ما يجعل الباحث يختار المنهج الملائم للدراسة ، و قد اخترت المنهج الوصفي التحليلي القائم على : " كشف الظاهرة و تحليل نتائجها و تفسيرها لاستخلاص دلالتها للتعرف على جوهر موضوعها للوصول إلى نتيجة واضحة" (محمد شفيق،1978: 94)،لدا حاولت تتبع ذلك من خلال إحصاء جرائم الاعتداء الجنسي على الأطفال من واقع الإحصاءات والبيانات الرسمية لمديرية الأمن لولاية عنابة خلال الفترة الممتدة من 2010 إلى 2013 كما اعتمدت دليل دراسة حالة كأدات في الدراسة لتقديم صورة مجمعة لشخصية المعتدي

مجالات الدراسة

أولاً: المجال الزمني: تحددت الدراسة زمنياً بالفترة الممتدة من سبتمبر 2012 إلى جويلية 2014

ثانياً: المجال المكاني: تحددت الدراسة مكانياً بمدينة عنابة و التي تعتبر مدينة ساحلية و صناعية و من اكبر اربع مدن في الجزائر، مقسمة بين مديرية الأمن لولاية عنابة و لان الموضوع يشكل مشكلة لنا كباحثين لصعوبة إيجاد العينة الممثلة اضطررنا الى اللجوء الى عدة مصادر أخرى للحصول على المعلومة او محاضر استماع كالمحاكم و مكاتب المحامين من العديد من مناطق الوطن حتى نكون ملمين اكثر بالموضوع .

ثالثاً: المجال البشري: من المعروف علمياً أنه يصعب على أي باحث إجراء دراسة شاملة لكل مفردات المجتمع الخاص بالدراسة و لهذا فمعظم البحوث العلمية تكتفي بعينة من المجتمع المدروس لأن البحث تحكمه عوامل مادية و بشرية خاصة الموضوع المتناول يعتبر من الطابوهات و يثير حساسيات فالعينة كما تشير كتب المنهجية "العينة جزء من المجتمع يتم اختيارها لتمثيل المجتمع بأكمله" (أبو السعير عبد الرزاق أمين، 1994) فالعينة قصدية وعددها 31 و لان الموضوع يشكل مشكلة لنا كباحثين لصعوبة إيجاد العينة الممثلة اضطررنا الى اللجوء الى عدة مصادر للحصول على محاضر أستماع، كالمحاكم و مكاتب المحامين و الشرطة القضائية لولاية عنابة.

الأدوات الإحصائية: ثم تحليل النتائج باستخدام البرنامج الإحصائي SPSS 15.0 و ذلك بحساب التكرارات و النسب المئوية لكل افراد العينة، باعتبار السن، الجنس، الوضعية الاجتماعية و الاقتصادية ، و لاختبار العلاقة بين متغيرات الدراسة استعملنا معامل ارتباط بيرسون باستخدام المعالج الإحصائي نفسه للإجابة على فرضيات الدراسة.

مفاهيم الدراسة

أولاً : مفهوم العزوف عن الزواج:

1- العزوف لغة: يقال عزف عن الشيء :انصرف عنه و زهد فيه ، مبتعد و ممتنع عنه .

2- الزواج لغة :الضم و التداخل

الزواج اصطلاحاً: "علاقة انسانية و اجتماعية معقدة و متشابكة تستمد خصائصها من العادات و تقاليد المجتمعات و من ثم كان هناك تنوع كبير في أشكال و أنماط الزواج و مؤثراته." (مصطفى الخشاب، 1985:1) كما يعرفه القيسي مروان ابراهيم " الزواج هو الإشباع الجنسي المباح و الوسيلة الصحيحة لممارسة الجنسية ليس فقط في الاسلام بل ايضا في نظر علماء الجنس و الاجتماع." "

و حسب المادة الرابعة من قانون الاسرة الجزائري " عقد يثم بين الرجل و المرأة على الوجه الشرعي و من أهدافه تكوين أسرة أساسها المودة و الرحمة و التعاون و إحصان الزوجين و المحافظة على الأنساب ." (وزارة العدل، 2002: 5)

التعريف الاجرائي للعزوف عن الزواج: يراد به الامتناع عن الاقتران الشرعي و القانوني بين الرجل و المرأة لتكوين اسرة .

ثانيا: مفهوم الاعتداء الجنسي على الاطفال

1- مفهوم الطفل في اللغة: الطفل بكسر الطاء مع تشديدها يعني الصغير من كل شيء، عينا كان أو حدثا، فصغير الدواب طفل، و الصغير من السحاب طفل، و الليل في أوله طفل، و أصل لفظه الطفل، من الطفالة و النعومة، و الطفل إنسان في سن الطفولة، المولود ما دام ناعما رخصا، و الولد حتى يبلغ.(لسان العرب ، ص 56)

مفهوم الطفل في علم الاجتماع :مفهوم الطفل محل خلاف بينهم، حيث يرى البعض أن مرحلة الطفولة تبدأ من لحظة الميلاد حتى الرشد، و هي تختلف من ثقافة إلى ثقافة أخرى، و من دولة إلى دولة أخرى فقد تنتهي بالبلوغ أو الزواج، أو عن طريق تحديد الدولة لسن محددة تنتهي فيها مرحلة الطفولة بينما يرى البعض الآخر أن مرحلة الطفولة تبدأ بالميلاد حتى بلوغ الطفل 12 عاما و يرى البعض الثالث أن مرحلة الطفولة تبدأ بالميلاد و تنتهي عند سن البلوغ. (منتصر سعيد حمودة، 2007: 10)

من الناحية القانونية فقد أصدرت الأمم المتحدة اتفاقية حقوق الطفل و صادقت عليها دولها عام 1990 و التي صادقت عليها الجزائر في 1992 حيث حددت هذه الوثيقة الطفل " كل إنسان لم يتجاوز سنه الثامنة عشر ما لم تحدد القوانين الوطنية سنا أصغر للرشد." و بهذا المفهوم يجعل كل من هو دون 18 سنة من عمره طفلا تلزمه رعاية الأبوين و الأسرة و المجتمع و الهيئات التربوية و التعليمية"،(Enfant. Petit Robert, 1978, p.641)

القانون الجزائري: المشرع الجزائري لم يحدد بنص صريح معنى الطفل، إلا أن مفهومه ينبثق من عدة نصوص قانونية حيث تنص المادة 442 قا إج " يكون بلوغ سن الرشد الجزائري في تمام الثامنة عشرة." فحسب قانون العقوبات فإن سن الرشد هو 18 سنة.(الأمر رقم 66-156، المؤرخ في 8 جوان 1966، لقانون العقوبات المعدل والمتمم)

إلا أن المادة 40 تنص على أن: " سن الرشد هو تسعة عشرة سنة كاملة."، و هو ما أكدت عليه المادة 4 من قانون الجنسية: " يقصد بسن الرشد في هذا المفهوم سن الرشد المدني كما نصت المادة 7 قانون الأسرة" تكتمل أهلية الرجل و المرأة في الزواج بتمام 19 سنة"، هذا يعني أن طفل هو من لم يكتمل 19 سنة.(الأمر رقم 66-156، المؤرخ في 8 جوان 1966، لقانون العقوبات المعدل والمتمم)

التعريف الاجرائي للطفل: هو الصغير السن دون الـ 18 الذي تلزمه الحماية و الرعاية .

ثالثا: مفهوم الاعتداء الجنسي على الاطفال : "هو استخدام الطفل لإشباع الرغبات الجنسية لبالغ او مراهق ، و هو يشمل تعريض الطفل لأي نشاط أو سلوك جنسي و يتضمن غالبا التحرش الجنسي بالطفل من قبيل ملامسته او حمله على ملامسة المتحرش جنسيا" (فريق من الباحثين، 1993:ص162)

و يضيف كل من رجي مكّي و سامي عجم على التعريف السابق ان الاتصال الجنسي بالطفل من قبل البالغ يكون فيه استخدام للقوة و السيطرة و يعرف: "هو دخول بالغين بأولاد غير ناضجين و غير واعين لطبيعة العلاقة الخاصة جدا و ماهيتها ، كما أنهم لا يستطيعون إعطاء موافقتهم لتلك العلاقة"(رجاء مكّي و سامي عجم، 2008:123) بينما يرى (وليس، 2000) ان "الاعتداء الجنسي يتراوح بين التصرفات غير اللائقة و

الممارسات الكلية للجنس، و لا يعني عدم وجود دلائل في جسد الطفل أن الاعتداء لم يحدث و أنه غير ذي معنى عند الطفل ."

التعريف الإجرائي للاعتداء الجنسي على الاطفال: هو الاشباع الجنسي عن طريق الطفل الذي ينطوي على أي سلوك جنسي ان كان من اجل الاشباع او المتاجرة بعرضه من طرف فرد او جماعة فتكون عادة بإقحام حميمة الطفل.

رابعاً: مفهوم البطالة

1- البطالة لغة: يقال بطل العامل :تعطل(معجم المعاني الجامع،معجم عربي عربي)

يقال البطال: الذي لا يجد عملاً(المعجم الرائد)

مفهوم البطالة اصطلاحاً: إن أي شخص يتعرض لهذا المصطلح يقر بإمكانية تعريف البطالة على أنها " عدم امتهان أي مهنة". و في حقيقة الأمر أن هذا التعريف غير واضح و غير كامل، إذ لا بد من إعطاء هذه الظاهرة حجمها الاقتصادي بعيداً عن التأويلات (David Begg et autres,1999:213-214)

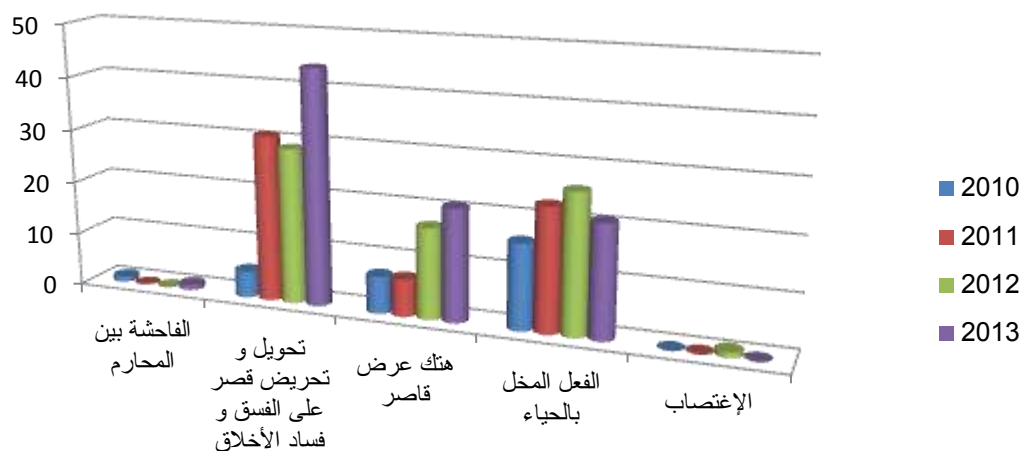
بينما يعرفها (شبل بدران، 2002) " تنصب البطالة على الشخص الذي في سن العمل و راغباً فيه و قادراً عليه و يسعى إليه و لا يجده و ذلك عند مستوى الأجر السائد في سوق العمل "

كما يمكن تعريف البطالة وفقاً للتعريف الواسع الذي أوصت به منظمة العمل الدولية، والذي ينص على أن " العاطل عن العمل هو ذلك الفرد الذي يكون فوق سن معينة بلا عمل و هو قادر على العمل و راغب فيه و يبحث عنه عند مستوى أجر سائد لكنه لا يجده " (يسري،1996: 286) .

التعريف الإجرائي للبطالة : الفرد البطال هو الذي لا يشغل وظيفة تدر عليه أجر ثابت رغم قدرته و ارادته على العمل و لديه وقت فراغ كبير في اليوم .

عرض و تحليل و تفسير نتائج الدراسة الميدانية

اولاً : احصائيات الاعتداءات الجنسية لولاية عنابة :



تعليق على المنحنى: الدراسة من خلال السلاسل الزمنية تمكننا من التنبؤ بارتفاع أو انخفاض نسبة الاعتداءات الجنسية على الأطفال، حيث نلاحظ من خلال الرسم البياني أعلاه الذي يشمل الإحصاءات الرسمية لمديرية الشرطة لولاية عنابة لأربع سنوات (2010-2011-2012-2013) ارتفاع ملحوظ في وثيرة الاعتداءات الجنسية على الأطفال و الذي يشير إلى استفحال الظاهرة و يترجم الواقع المرير الذي يعيشه المجتمع الجزائري عامة و مدينة عنابة محل الدراسة بصفة خاصة و الذي يهدد أمن و سلامة رجل الغد (الطفل)، عندما نتحدث عن الإحصائيات يجب ان نشير الى الرقم الاسود لأنه اغلب الاعتداءات لا يتم الابلاغ عنها لعدة اسباب خاصة عندما يكون المعتدي من المحارم او من مسؤول على اعالة العائلة خوفا من اثاره المشاكل داخل البيت او التهديد بعدم الاعالة ناهيك عن التهديد بالضرب او القتل .

ثانيا : خصائص عينة الدراسة :

جدول رقم 1: توزيع عينة الدراسة حسب متغير السن

الفئة العمرية	التكرارات	النسب المئوية
[16-21]	15	44%
[22-27]	9	26%
[28-33]	8	24%
[34..]	2	6%

تعليق على الجدول: توزيع عينة الدراسة حسب متغير السن إلى أربع فئات حيث قدرت اكبر نسبة لفئة (16-21) بنسبة 44% تليها فئة (22-27) ثم (28-33) بنسب متقاربة بين 26% و 24% ، ثم تنخفض الى نسبة جد ضئيلة بالنسبة للفئة العمرية اكثر من 34 سنة ، تناولنا سن 16 عشر على اعتبار استطاعة الطفل العمل لكن في اعمال تتماشى مع قوته البدنية ، كذلك على اعتبار ان اجبارية التعليم الى سن ال16 في الجزائر في عدم استطاعته مواصلة التعليم يمكن احواله الى الحياه المهنية .

جدول رقم 2: توزيع عينة الدراسة حسب متغير الزواج

الحالة الاجتماعية	التكرارات	النسب المئوية
متزوج	03	10%
اعزب	22	71%
ليس في سن الزواج	06	19%

تعليق على الجدول: توزعت عينة الدراسة حسب متغير الزواج بين متزوج بنسبة 10% لترتفع نسبة العزاب في سن الزواج بنسبة 75% و 15% ليسوا في سن الزواج .

جدول رقم 3: توزيع عينة الدراسة حسب متغير البطالة

الحالة الاقتصادية	التكرارات	النسبة المئوية
عامل	03	10%
متمدرس	06	19%
بطل	22	71%

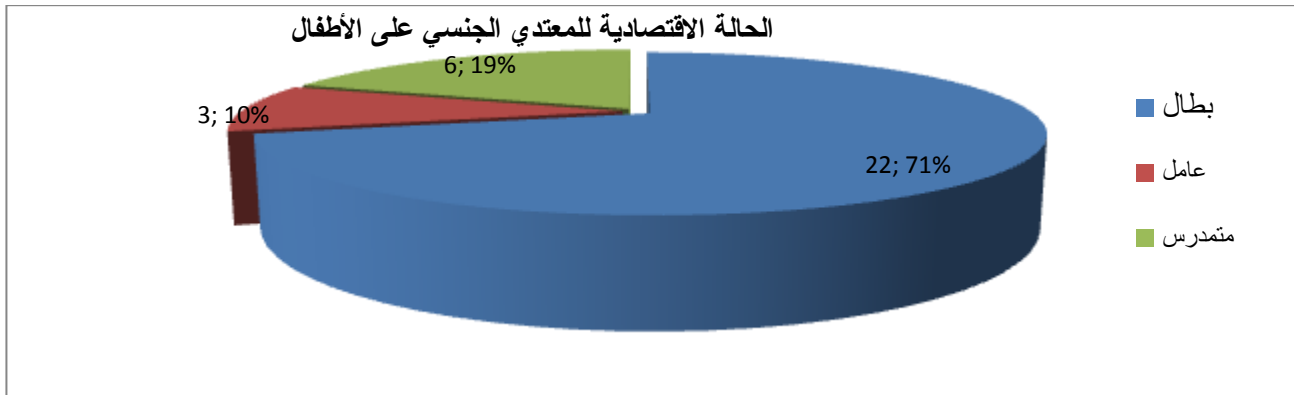
تعليق على الجدول: توزعت عينة الدراسة حسب متغير البطالة بين معتدين جنسيا يشتغلون بـ 10% و متمدرسين بـ 19% ليرتفع بنسبة 71% لفئة المعتدين البطالين.

جدول رقم 4: توزيع عينة الدراسة حسب متغير الجنس

جنس المعتدي	التكرارات	النسبة المئوية
ذكر	29	94%
انثى	02	6%

تعليق على الجدول: توزعت عينة الدراسة حسب متغير جنس المعتدي الجنسي بين جنس ذكري بـ 94% وبنسبة ضئيلة جدا قدرت بـ 6% بالنسبة للجنس الانثوي ، هذا يشير إلى تورط العنصر الانثوي في مثل هذه الانتهاكات ثالثا : تحليل و تفسير نتائج الدراسة الميدانية في ظل الدراسات السابقة:

1- الفرضية الجزئية الاولى : توجد علاقة دالة احصائيا بين البطالة و عزوف الشباب عن الزواج



تعليق على المخطط البياني: المخطط البياني أعلاه يظهر ارتفاع نسبة البطالة في صفوف المعتدين جنسيا على الأطفال و التي قدرت بـ 71%. بينما قدرت نسبة المعتدين المتمدرسين بـ 19% ، و تعد أدنى نسبة في صفوف المعتدين العاملين بـ 10%.

أثبتت الدراسة وجود علاقة ارتباطية دالة بين الحالة الاقتصادية للشباب و عزوف الشباب عن الزواج والتي قدرت نسبة البطالة في صفوف المعتدين جنسيا بـ 71%. ما يبرز الدور الذي تلعبه البطالة بأنواعها الظاهرة و المقتعة ، حيث أن غياب العمل للشباب يؤخر بصفة طبيعية اندماجهم الاجتماعي و هذا يتفق مع نظرية الترابط الاجتماعي التي تنظر للعمل كعامل ضبط أساسي للفرد من خلال التزامه و مشاركته الاجتماعية يتفق مع ما

توصلت له دراسة امال بن عيسى في دراستها "ظاهرة العنوسة في الجزائر" أن البطالة تعد أهم عامل يؤثر سلبا في اقدام الشباب على الزواج

2- الفرضية الجزئية الثانية: توجد علاقة ارتباطية دالة بين وقت الفراغ الذي تفرزه البطالة و الاعتداءات الجنسية على الأطفال .

الدراسة المتصفح للنتائج الرسمية التي شملت المعتدين جنسيا على الأطفال تفيد بأن أوقات فراغ المعتدين تصل من 8 إلى 12 ساعة في اليوم ، و منهم من أستبدل ليله بنهاره حيث هذا الفراغ كانت تمارس فيه سلوكيات منحرفة كالتالي:

- التردد على أوكار الرذيلة أين يسهل تعاطي المخدرات والخمور التي ارتبطت بقضايا الاعتداءات الجنسية على الأطفال مع رفقاء يعززون و يررون السلوك الإجرامي كما أشار له سندرلاند في نظرية الاختلاط الفارقي مما يدفع إلى اغتصاب البنات وهتك عرض الذكور والمتاجرة الجنسية بهم حيث تعد المتاجرة كما هو موضح في الرسم البياني اخطر هذه الانتهاكات و التي تدخل في اطار تحويل و تحريض قصر على الفسق و فساد الاخلاق و الذي يعاقب عليها قانون العقوبات الجزائري بالمادة 342(القانون رقم 06-23 المؤرخ في 20 ديسمبر 2006) لأنه لا يرجى من الاعتداء الجنسي اشباع غريزة جنسية للمعتدي فقط بل استغلال جنسي من اجل الربح المادي اين يتكرر الاعتداء و يتوسع نشاط المعتدي مثل ما هو الحال في بعض الدول التي تستغل الاطفال في السياحة الجنسية و الترويج للبرونوغرافيا الطفلية .

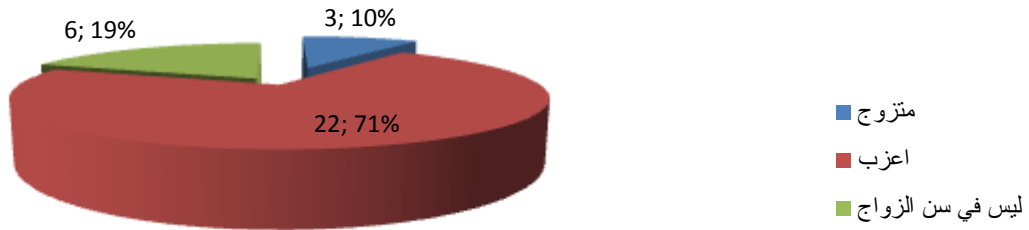
- المكوث الطويل في البيت و الإقبال على مشاهدة التلفاز و تصفح الأنترنت مما يدفع إلى زنا المحارم كما هو موضح في الرسم البياني رغم النسبة الضئيلة إلا أنه أمر وارد و الذي يطرح اشكالية الرقم الاسود خاصة في مثل هذه الانتهاكات اين يكون المعتدي من ذوي القرابة حيث يجسد قانون الصمت لعدة اعتبارات و هذا يتفق مع ما توصل له الدكتور أحمد المجذوب (2003) و الذي أشار له في كتابه " زنا المحارم الشيطان في بيتنا " "حين يرى الجناة الإناث بانتظام وهن يتصرفن على سجيتهن، ويرتدين ثيابا قليلة، ويتحركن هنا وهناك بلا تكلف أو حذر" ، إلا أنه التوجه الجنسي لم يقتصر على الجنس الانثوي فقط بل تعداه الى الذكور من الاطفال .

- استثمار وقت الفراغ في استعمال الهاتف النقال فبالكمالات الهاتفية يكون استدراج القصر بنات أو ذكور بفعل نقص الوعي عندهم و القابلية للإيحاء فريسة سهلة للاعتداء الجنسي و الذي يساهم في ذلك و يعزز هذا السلوك المكالمات المجانية بالساعات خاصة الليلية حيث يشجع استعمال الكلام البذيء و الموحي بالجنس مما يثير الغريزة الجنسية و يصبح البحث عن الإشباع أمر حتمي كما هو الحال في العديد من القضايا المتناولة في الدراسة و الذي يبرز الدور الذي تلعبه التكنولوجيا المعلوماتية السلاح ذو الوجهين في ظل غياب الرقابة الوالدية او التساهل الجنسي الذي اصبح يميز العديد من الاسر التي اصبحت تتماهى بالثقافة الغربية و تسعى جاهدة للتقليد الاعمى ، نتائج هذه الدراسة تتقف مع نتائج عجوة من الباحثين في دراسة علاقة وقت الفراغ الذي تفرزه البطالة بالجريمة بصفة عامة و الجريمة الجنسية بصفة خاصة كدراسة السدحان و مركز بحوث الشرطة في الدراسة العنونة بالبطالة و الامن.مصر و التي تظهر ارتباط متوسط بين جنائية هتك العرض و الاغتصاب و البطالة بنسبة 0.67 و الدراسة التي

قام بها السدحان لاستقصاء علاقة وقت الفراغ بانحراف الأحداث حيث أستنتج أن 40.1% من المحكوم عليهم في الجرائم الجنسية لديهم أوقات فراغ تمتد في اليوم الواحد من 7 إلى 12 ساعة و 35 % لديهم وقت فراغ 12 ساعة و أكثر.

الفرضية الرئيسية: توجد علاقة دالة بين عزوف الشباب عن الزواج و الاعتداءات الجنسية على الاطفال.

الحالة الاجتماعية للمعتدي الجنسي على الاطفال



الغريزة الجنسية كما هو الحال في الغرائز الأخرى تبحث دائما عن الإشباع و الطريقة المثلى و المقبولة اجتماعيا كمجتمع مسلم يقدر الزواج و الحياة الاجتماعية المبنية على المشاركة هي الزواج الشرعي حيث يعتبر العمل الذي يعود بالربح المادي أمر ضروري لتحقيق هذه الشرعية و غيابه يرفع من قابلية الفرد أن يكون منحرفا جنسيا كما يمدد من الحياة المتوافقة مع مرحلة المراهقة لأن غياب الأسرة و الأولاد يساعدان على التحرر من الالتزام ، حيث قدرت نسبة المعتدين جنسيا على الأطفال الغير متزوجين رغم توفر سن الزواج ب 71% ،الذي يثبت وجود علاقة دالة احصائيا بين البطالة وعزوف الشباب عن الزواج ، تتفق هذه النتائج و لا شك مع دراسة جلال السناد و آمال بن عيسى على أهمية الزواج و ان الدخل المادي مهم لتحقيق هذه الشرعية ،فغياب او قلة الدخل تقف عائقا امام طالبي الزواج.

الخاتمة

يستخلص من هذه النتائج مجتمعة وجود علاقة ارتباطية فعلية وقوية بين عزوف الشباب عن الزواج واقتراف الجرائم الجنسية ضد الأطفال حسب نتائج الدراسة كالتالي:

1- وجود علاقة ارتباطية دالة بين عزوف الشباب عن الزواج و الاعتداءات الجنسية على الاطفال

2- وجود علاقة ارتباطية بين بطالة الشباب و عزوفه عن الزواج من خلال:

اولا: انعدام دخل ثابت و بالتالي عدم امكانيته من الاقدام على الزواج.

ثانيا: وقت الفراغ الذي تفرزه البطالة يؤثر بشكل سلبي على توجه الشباب العازف عن الزواج الى الجريمة بصفة عامة و الجريمة الجنسية بصفة خاصة إما من اجل الاشباع الغريزي او من اجل المتاجرة بعرض الطفل.

ومنه نستنتج ان عدم تقنين الغريزة الجنسية لما يرتضيه الشرع و المجتمع يؤثر سلبا في تفشي الاعتداءات الجنسية على الاطفال و منه يعتبر عزوف الشباب عن الزواج خطر على الفرد و الامة جمعاء و تعد البطالة او عدم ايجاد

دخل ثابت من اهم العوامل التي تساهم بالشكل الكبير في عزوفه و تغير نضرتة للزواج او تأجيله .، وأنه كلما زادت نسبة العزوف عن الزواج زاد بالفعل عدد المرتكبين للجرائم والجنح والسلوكيات المنحرفة عامة من خلال تخلي العازب عن التزامه باحترامه قيم الجماعة و الذي يساهم ولا شك في ذلك البطالة وما تفرزه من احباط و ضغوط تدفع بالبطال الى اللوج الى عالم الانحراف و الجريمة ، هذا يثبت أهمية العمل كعامل ضبط أساسي مثلما نادى به نظرية الترابط الاجتماعي من خلال التزام الشباب و مشاركتهم الاجتماعية ، كما يطرح ضرورة أن تحدث تغيرات هيكلية اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية خاصة في كيفية استثمار الشاب لوقت فراغه بطريقة ايجابية حتى لا يكون فريسة سهلة لأهوائه و لرفقاء السوء.

المراجع:

- 1- ابراهيم فريد الدر ، الأسس البيولوجيا لسلوك الانسان، دار الآفاق الجديدة ،بيروت،لبنان، ط3 سنة 1983، ص78.
- 2- احمد المجدوب ،زنا المحارم الشيطان في بيتنا ،دار الطباعة مكتبة مدبولي ،سنة النشر 2003
- 3- امال بن عيسى " ظاهرة العنوسة في الجزائر" رسالة ماجستير، 2008 جامعة البليدة الجزائر
- 4- أحمد محمد موسى ،الشباب بين التهميش و التشخيص ،المكتبة العصرية - المنصورة- مصر
- 5- احمد حويطي- د. عبد المنعم بدر- دميا تيرنو ديالو -لبطالة ودورها في نشر الجريمة والانحراف /اكاديمية نايف العربية للعلوم الامنية - الرياض -شبكة النبأ المعلوماتية- الاثنين 16 تموز- 2007 - 1 رجب، 1428.
- 6- أبو السعير عبد الرزاق أمين ،العينات و تطبيقاتها في البحوث الاجتماعية ،الإدارة و البحوث، 1994
- 7- الديوان الوطني للإحصائيات ،المسح الوطني لاستخدام الوقت، الجزائر، 2012، ص10 E.N.E.T
- 8- بلخديجة نسرين، 2014، مداخلة بعنوان " cas de maltraitance mortelle " ندوة علمية حول " ظاهرة العنف ضد الاطفال"، من تنظيم مخبر التربية و الانحراف و الجريمة بالملتقى -جامعة باجي مختار عنابة -الجزائر بعناية يومي 14-15 ماي 2014 .
- 9- جلال السناد ،" تأخر سن الزواج لدى الشباب الجامعي"، مجلة دمشق، كلية التربية، المجلد 23، العدد 1، 2007.
- 10- جنان أ، أسطا و آخرون ،الإساءة الجنسية للطفل الوضع في لبنان ،ترجمة غادة حيدر روحانا ،طباعة أورانوس غرافيكس، ط1 ، 2008.
- 11- حب الله ،عدنان ،الصدمة النفسية، ترجمة على محمود مقلد، الفارابي ،لبنان ، ط1، 2006
- 12- خالد الزواوي، البطالة في الوطن العربي المشكلة و الحل، سنة النشر 2004، دار النشر مجموعة النيل العربية الط1

- 13- رجاء مكى و سامى عجم، إشكالية العنف ، العنف المشرع و العنف المدان، ط1 بيروت ،المؤسسة الجامعية للدراسات 2008، ص123.
- 14- زهراء مقدم ، مذكرة ما ستير اكاڤمى، تغير نموذج الزواج في ورقلة-دراسة ميدانية لعينة من المتزوجين- نوقشت بتاريخ: جوان 2013، جامعة قاصدي مرباح ورقلة ،الجزائر.
- 15- سليمان عبد المنعم سليمان ،أصول علم الإجرام القانوني ،دار الجامعة الجديدة للنشر ،الإسكندرية
- 16- سعد محمد الجليدي ،احكام الاسرة و الزواج و الطلاق و أنارهما ،الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلان، مصر، 1986، ص27
- 17- شبل بدران -التعليم و البطالة-دار المعرفة الجامعية-2002
- 18- عبد الرحمن يسري ،و د.عبد القادر محمد عبد القادر، و د.أحمد رمضان " النظرية الاقتصادية الكلية " الناشر كلية التجارة ،جامعة الإسكندرية ،مصر، 1996.
- 19- عبد العزيز بن محمد أحمد بن حسين ،البطالة و دورها في إحداث الجريمة ،جامعة الملك سعود.
- 20- فريق من الباحثين :علم النفس و ميادينه ممارسة علم النفس و نقده ،ترجمه و جيه أسعد ،ط2 دمشق-الدار المتحدة للطباعة و النشر، 1993، ص162
- 21- معني خليل :علم اجتماع الاسرة ،دار الشروق ،عمان ، 1994
- 22- منتصر سعيد حمودة: حماية الطفل في القانون الدولي العام والاسلامي، دار الجامعة الجديدة، 2007، ص 10 .
- 23- مصطفى الخشاب ،دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر،بيروت، 1985، ص1
- 24- محمد شفيق ،الجريمة و المجتمع ،المكتب الجامعي الحديث ،الإسكندرية ،مصر 1978 ص94
- 25- وليس ،جيمس ،جون ماركس ،الطب النفسي المبسط ،ترجمة طارق الحبيب ،جامعة مالك سعود ،المملكة العربية السعودية ،2000، ص216 .
- 26- وزارة العدل، قانون الأسرة ،المادة الرابعة ،الديوان الوطني للأشغال التربوية،الجزائر-ط2002، ص5.

1-David Begg et autres ،Macroéconomie ،Dunod،2e édition ،Paris،1999 ،pp:213-214.

2-Enfant ,petit robert،1978،p.641

اميمة احمد ،استمرار البطالة و أزمة سوق العمل بالجزائر <http://www.aljazeera.net> consulter leM12-11-2014 :20 :22

صراع القديم والجديد في رواية "الخنديق الغميق" لسهيل إدريس

دراسة في الإشكال والبنى السردية

د/ محمد قرأش

قسم اللغة العربية جامعة زيان عاشور بالحلفة

1/ الكلمات المفتاحية :

الخنديق الغميق ، البنى السردية ، الصراع الحضاري ، رواية - سيرة ، التناس ، عتبات النص ، السياق

2/ ملخص الدراسة:

تقدم هذه الدراسة عبر مباحثها الثلاثة (خارج النص ، البنى السردية ، النص والسياق) مقارنة تحليلية لرواية الخنديق الغميق لسهيل إدريس ، انطلاقاً من فرضية استكشافية هي : أن الرواية رواية صراع حضاري تقع ضمن نوع رواية السيرة ، التي يخوض بطولتها شخص من النخبة ، حيث تتجلى في عتبات النص : (غياب الاهداء ، العنوان ، وكلمة الغلاف) تجربة الرواية في دلالتها على الصراع ، ويبرز في بناها السردية ذلك الطابع الذاتي الذي يحكم بنية المكان و بنية الزمن والحدث ، ثم يأتي تناس الرواية مع سيرة الأيام لطله حسين المؤكد باعتراف المؤلف نفسه(سهيل إدريس)، ليجسد حقيقة جنسها الأدبي، وعلاقتها بطموحه ككاتب ومثقف، يسعى بتوتر للتحرر من قيود مجتمعه وسلطته الأبوية .

1/ Keys words :

The Deep Trench(alkhandek algamig) , narrative structures, cultural conflict, a novel - biography, intertextuality, thresholds text, context.

2/ Summary of the Study:

This study provides across his three Chapters (outside the text, narrative structures , text and context) analytical approach to the novel "The Deep Trench" of "Suhail Idris", Based on exploratory hypothesis : this novel is cultural conflict novel Located within biography novel type, which locked his heroism a person from the elite, where reflected in thresholds text : (absence of gifting, title, and the word cover) novel experience in significance to the conflict, and highlights in the structures narrative that self-nature, which governs the structure of the space, time and event , the intertextuality novel with the biography of " days" of Taha Hussein certainly recognized by the author himself (= Suhail Idris), comes to reflect the fact of her literary genre , and their relationship to the ambition of the author as a writer and cultured , seeks to break free of his community and his parental authority restrictions.

مقدمة :

تقارب هذه الدراسة رواية " الخندق العميق " لسهيل إدريس من منطلقين اثنين : الأول أهمية الرواية ذاتها كنص يتصل بمحور الإشكال الحضاري في تاريخ الرواية العربية الحديثة والمعاصرة ، الثاني : إمكانية تجريب صيغة منهاجية مركبة تقترح شبكة قراءة تستند الى :

- النص ذاته كبطورة للقراءة وفقا لمنظور التحليل الداخلي للعمل السردي¹
- الخارج النصي المتعين في العلاقات التناسية² : النص وعباته ، النص والنص الآخر
- النص والسياق : الموقف السوسيولوجي في النص حيث لا يمكن تفسير العمل الأدبي وفهمه الا في ضوء كليته الاجتماعية³ ، معتمدين في انجاز الدراسة على نسخة الرواية في طبعها الخامسة ،

منشورات دار الآداب ، بيروت 1986

أولا : الخارج النصي : إيجاء العتبات

أ- قراءة العنوان : الدلالة الرمزية

الخندق العميق⁴ - هذه العبارة - وبالنظر إلى ألقا عنوان لنص روائي - يفترض في أفق توقعه أنه يتعلق بجانب من الحياة الإنسانية في المستوى الاجتماعي - تشكل تعبيرا استعاريا رمزيا على طبيعة التجربة التي ستجسدها هذه الرواية . وقبل أي مباشرة للمتن الروائي والاتصال بعالمه ، يمكننا أن نلتدي وبإيجاء العنوان وحده إلى بعض ملامح ذلك العالم ولعلها الأساسية منه: إن الرواية تنظم تجربة من الصراع العنيف الدامي رمزيا أو ماديا ، أو ليس الخندق مجال حرب وضيق وعناء ؟

بعض الروايات تتخذ عنوانها من المكان الذي يؤثر أحداثها ، هكذا هي أعمال نجيب محفوظ : زقاق المدق ، قصر الشوق ، القاهرة الجديدة ... لكن المنحى يختلف هنا بعض الشيء ، إذ لا يبدو العنوان - حتى وإن كان اسما لمكان - بريئا من اللمسة الذاتية ، التي تقبع خلف هذا التعبير المتحذر في الدلالة الرمزية . ولن نشط في القراءة إذا أكدنا أن الذات المبدعة ، ذات الكاتب تطل برأسها من وراء هذه الصدفة - العنوان ، تكاد أن تسبق عالم النص و عالم القراءة

ب - الإهداء : دلالة الغياب

إن فكرة الصراع التي تهيمن على أفق القراءة بإيجاء العنوان ذاته تتأكد مرة أخرى من منظور جدلية الحضور و الغياب : غياب الإهداء ، فمن تقاليد الكتابة الراسخة أن يفتح العمل بإهداء يرفعه الكاتب غالبا إلى الخاصة من ذويه : الأب ، الأم ، الأبناء .. فلماذا اختفى الإهداء ؟ أيقون الصراع الذي أوحى به العنوان متعلقا بهذه الطبقة من القرابة ؟ هذا هو الاحتمال الراجح ، فالذات تقف في المواجهة مع الآخر - الأقرب الذي لن يكون بحال مجرد شخص ، إنه واقع خندق عميق

لقد فضلت الذات أن تحتفظ بعقدة الصراع و أن تنازل الواقع في عالم الخيال الأدبي دون أن تمنح الآخر الأقرب أي اعتراف ، ودون أن تنافق الهيئة الاجتماعية التي ستشهد ومن خلال القراءة تلك المنازلة التاريخية . لقد تم وبصورة استباقية حسم الصراع بإدانة الطرف الآخر الذي يشكل العقدة أو العائق بقصدية العنوان وغياب الإهداء

ج - كلمة الغلاف : الاحتفاء وتشخيص الإشكال

كلمة الغلاف يتصدرها عنوان ملفت : (قالوا في الرواية).. فكانت عبارة عن شهادتين في تأكيد القيمة الأدبية للرواية أحدهما لرثيف خوري ، والثانية لميخائيل نعيمة : تتفق الشهادتان في المنطلق وتختلفان في اتجاه التقويم :

1/ التعرف على إشكال الرواية : فسهيل إدريس ليس - حسب رثيف خوري - (بأول من حاول في الأدب العربي الحديث مثل هذه المحاولة التي يصور فيها انتقالا اجتماعيا من خلال تجربته الخاصة، تجربة أسرة اتخذها له نموذجا ...)⁵ أما بالنسبة إلى ميخائيل نعيمة فإن موضوع الرواية يتعلق بـ (كل الصراع المستمر بين جيلين : جيل يشق طريقه وجيل يسد له الطريق ، ولقد اندحر الجيل القديم من وجه الجيل الجديد أبشع اندحار)⁶

2/ الاتجاه الى المقارنة : تمضي شهادة رثيف خوري في اتجاه المقارنة بين الخندق العميق وبين محاولة طه حسين في كتابه الأيام (فالدكتور طه حسين حاول شيئا من ذلك في كتابه الأيام ، لكنه لم يوفق إلى مثل ما وفق إليه الدكتور إدريس في تصوير هذا الانتقال تصويرا قصديا حافلا بالحركة والحياة واللمسات الإنسانية)⁷ وفي تلك المقارنة حكمان على قدر واف من الأهمية :

أولا : إن " الخندق العميق " رواية تنحو منحى السيرة الذاتية على غرار محاولة طه حسين في الأيام، وهذا من شأنه أن يرسم خطة واضحة بالنسبة إلى الإستراتيجية المناسبة في القراءة الخارجية

ثانيا : إن الاحتمال أصبح قائما بشأن، تحقق درجة ما من درجات التناص بين الخندق العميق وسيرة الأيام خاصة إذا أخذنا في الحسبان ريادة طه حسين وأستاذيته للجيل الذي تلاه والذي منه كاتب الرواية سهيل إدريس .

غير أن المقارنة تنتهي بإصدار حكم قاطع بشأن محاولة طه حسين في سيرة الأيام يؤكد قصورها إزاء ما وفق إليه سهيل إدريس . ولكن الأبرز في هذا الحكم أن رثيف خوري ينتهي إلى نوع من مصادرة بتأكيد على تحقق إعجاب القارئ بها (وسيعجبك من رواية المؤلف أنه بعيد فيها عن التطفل على أي أثر أدبي من الآثار الأدبية، التي أتيج لك أن تعرفها، شرقية كانت أم غربية ، وهو أبعد ما يكون فيها عن التطفل على الحياة وهذا أهم)⁸

إن ما تكشفه القراءة - الآن - هو هذا التوافق - أو التواطؤ - الذي يكون قد تم بالمصادفة وربما بوحدة الهاجس لدى الكاتب وصاحب الشهادة بين تأكيد الكاتب على هوية الرواية بذكر جنس النص - الرواية - أسفل العنوان ليثبت صلتها بعالم التخيل الإبداعي، ويستبعد صلتها بعالم الواقع والحياة ، وبين تأكيد الأديب رثيف خوري في شهادته على استقلال هذه الرواية لا عن الأعمال الأدبية الأخرى فحسب ، ولكن عن الحياة نفسها، ولأمر ما اعتبر علاقة العمل الأدبي بالحياة تطفلا ؟

بالنسبة إلى ميخائيل نعيمة فإن شهادته تتجه إلى رمزية التعريف بموضوع الرواية (والخندق العميق الذي عاش أجيالا خلف سجف كثيفة من العادات والتقاليد المتحجرة ينفث بغتة على العالم الأوسع ليدرك أنه ما من مقدسات في الأرض غير أشواق الإنسان إلى المعرفة ... إلى الانطلاق إلى الحرية ..)⁹

في هذا المقطع من الشهادة حقيقتان تضافان إلى الرصيد المعرفي والفني الذي تستوهمه القراءة في اقتراها الحثيث من النص :

أولاً : إن الخندق العميق الذي حللناه باعتباره عنواناً استعارياً يكشف تجربة الرواية ، هو أيضاً في الواقع مكان تمثل تجربة الراوي محموله الثقافي الاجتماعي والمعرفي

ثانياً : إن الرواية في إشكالها المحوري : صراع القدم مع الجديد ، القدم المتدثر بالمقدس والجديد الذي أخذ يتأسس على قاعدة الحرية والمعرفة باعتبارهما قيمتين إنسانيتين .

ثانياً : داخل النص :

1/ الملفوظ : دلالة البدء والختام

أ- الجملة البدئية : (كان واقفا خلف الباب المشقوق يسترق النظر إلى القاعة التي مد فيها البساط ، واكمل حوله عقد الجماعة متربعين على الأرض)¹⁰

ب- الجملة الختامية : (حين ظهر سامي مرة أخرى على شرفة الباخرة ، مددت ذراعي إلى أعلى أهرز كفي المقبوضة ، أود لو أطلق منها حظاً طيباً يرافق السنونو الراحلة التي لا بد أن تعود مع الربيع)¹¹

تجسد الجملة البدئية والختامية ، الموقف- النواة لحدث الرواية و حركيتها ، حيث يقع التقابل تاماً بين مقامين متميزين :

موقف البطل - الطفل خلف الباب المشقوق يسترق النظر

≠

موقف الجماعة التي اكتمل عقدها وتهيأت على بساط القاعة

ودون أن تنتهي إلى مسار العلاقة بين الطفل سامي وهذه الجماعة يمكننا أن نفترض أمرين أساسيين :

أولاً : إن طرفي الصراع هما الفرد سامي / والجماعة .

ثانياً : إن لفظ الجماعة يومئ إلى أكثر من مجرد الجمع ، فالجماعة المتربعين على البساط يؤشرون على الجماعة بوصفها نظاماً اجتماعياً ثقافياً

أما حين ننظر إلى العلاقة بين الجملة البدئية والختامية ، فإن التقابل المهم يتعلق بوضع البطل سامي كيف كان في بداية الحركة وإلى أين انتهى ؟

2/ الشخصية : الذات محور النص

سامي : يفتح السرد القصة بإضاءة الزاوية التي يقف فيها البطل سامي طفلاً (خلف الباب المشقوق يسترق النظر إلى القاعة) دون أن يعين اسمه . ثم تتوالى أحداث القصة متصلة جميعها بحياته التي تتجه نحو المستقبل حتى يمكن التأكيد دون أي احتراز أن القصة هي على التحديد قصة سامي التي تبدأ من لحظة متأخرة من أحداثه

- التطلع للاكتشاف ، الاستعداد للتحدي والاختيار : يظهر سامي منذ البداية طلعة متحفزاً للاكتشاف والمشاركة ، يملك استعداداً للتحدي والاختيار. فاته مرة أن ينال حظاً من طعام الجماعة التي يدعوها والده كل شهر ، فتجراً في المرة المقبلة أن يندس بين رجلين من الجماعة ويشاركها طعامها

- عقدة الخوف : غير أن سامي لم يبرأ من عقدة خوف غامضة إزاء ذلك الشيخ الذي يتصدر الجماعة في بيت والده فقد كان (أبداً يخاف ذلك الشيخ ويفر منه كلما رآه)¹² وسيكون لهذا الخوف أثر بالغ التعقيد في موقف لاحق على مسار شخصيته وحياته .

- غياب الصورة الفيزيائية : تتجه القصة إلى إضاعة الحياة النفسية للبطل سامي ونمو هذه الحياة باتجاه تحقيق رغباتها وتطلعاتها ، ولذلك أغفلت بصورة مطلقة إبراز الشكل الفيزيائي لشخصيته فيما عدا الكشف عن موهبته الصوتية التي أثارت استحسان والده حين سمعه يترنم بكلمات من (دلائل الخيرات) والإشارة إلى قصر قامته في معرض الحدث المتصل بارتداء الزي الديني .

- النمو و التعارض و الانقلاب : نمت شخصية سامي نمواً معقداً مبنياً على تعارض قاد شخصيته إلى تحول أولي اتسم بالغموض ، السرعة و السطحية ثم إلى انقلاب جذري انتهى بها في اتجاه معاكس تماماً ، ورسم الخط النهائي لمسار هذه الشخصية:

أ/ التحول الأول : ينطوي على ثنائية : الطفل / الشيخ : حيث اتجهت الشخصية إلى تقمص مصدر الخوف و الإعجاب : نموذج الشيخ / الأب . هذا التقمص بدأ بالانخراط في طريق الجماعة التي يضمها مجلس والده كل جمعة من كل شهر للذكر وقراءة القرآن والتبتل ، ثم انتهى إلى التوحد مع رغبة الأب ذاته . ووصل إلى أقصى حدوده النفسية عند لحظة خوف و تعارض قاسية واجهت سامي حين أقدم على سرقة إحدى اللعب من دكان العم " أبو محمود " ، وتعرض نتيجة ذلك إلى مطاردة حارس الدكان ، الشيخ ذي اللحية البيضاء وأرغمه الرعب وهو يلوي هارباً إلى إلقاء اللعبة من يده قبل أن يصل إلى بيته منهكاً مفزوعاً ويسقط بعد مريضاً ، وهنا تدخل الحلم الكابوس ، الشيخ نفسه يطارده في نومه ليضاعف مخاوفه كل ليلة .

كان الحل لهذا التعارض منطقياً من الوجهة النفسية على الأقل ، حيث اختار لسامي البطل - الطفل وغير آليّة التناقض الوجداني¹³ - التوحد بموضوع خوفه وإعجابه : الشيخ - الأب : إذ فاجأ والده وأمه بهذا الاختيار : (ألي... أرجوك .. أريد أن أكون شيخاً)¹⁴ وكان هذا كافياً ليلحقه والده بالمعهد الديني .

ب/ الانقلاب : الذي حقق ثنائية الطفل - الشيخ / الفتى المودرن : أخذت علامات التعارض بين البطل سامي وبين وضعه شيخاً بالمعهد الديني تظهر تباعاً راسمة مسارا انقلابياً ينبعث من نفسه وتؤكد الأحداث التي يواجهها : تعرضه للسخرية والإحساس بالعزلة والغربة إذ وضع الزي الديني حاجزاً كثيفاً بينه وبين أبناء حيه، بل بينه وبين أسرته عدا والده ، التعرض للعقاب بالضرب من طرف رئيس المعهد بسبب رفضه - مع بقية زملائه - حلق رأسه والإقدام على ارتياد السينما ومواجهة تقريع والده ، استئصال لبس الجبة والعمة¹⁵ ، الوقوع في حب سمي¹⁶ ومواجهة إنكار والده عليه ، اكتشافه عورة النموذج الذي انخرط فيه إذ شاهد بعينه ممارسة الشذوذ الجنسي بين اثنين من طلبة المعهد¹⁷ .

وبتوالي هذه الأحداث أخذت شخصية البطل سامي تقطع الطريق بخطى حاسمة في تحولها المعاكس نحو انقلاب تام لقد بدأت المنازلة مع النموذج الاجتماعي بجذره الديني الذي تجسده سلطتان : سلطة الأب وسلطة رئيس المعهد

وكان خط التعارض بين سامي ونموذجه القديم يقطع نهائيا مع اختياره الجديد : عالم الأدب والكتابة بما يحققان من طموح وتحرر.

وعبر مراحل المواجهة مع سلطة الأب ومدير المعهد ، انتهت شخصية سامي إلى لحظة الخلاص النهائي باختيار التقدم إلى شهادة التعليم الثانوي المدنية ، وحين نجح أحجز على الرمز الذي يقيده بعالم المشيخة العمة والجبلة فترعهما ، فأنحلت بذلك عقدة التعارض في شخصية البطل بين وضعه شيخا وبين نزوعه إلى التحرر، ليس بترع الجبة والعمة فحسب ، ولكن بتجاوز سلطة الأب حين ذهب الفتى سامي يمزق أمام عيني والده الثائر الساخط بيديه وأسنانه العمة، التي كانت في منظور الأب وعلى المستوي الرمزي تاج العرب .

انتهى الطفل الشيخ بعد تكامل انقلابه فتى آخر يستمد نموذجه الجديد من ثقافة جديدة وافدة، أخذت تتمدد في وجه الثقافة الموروثة عبر مؤسسات التعليم المدني و الثقافة الأدبية الحديثة بجنسها المهيمن - الرواية - فضلا عن أشكال التحرر الفردي والاجتماعي: حرية المرأة ، السينما كمؤسسة فنية ثقافية تؤدي دورا حاسما بالنسبة إلى بيئة محافظة يحتضنها ذلك الحي العتيق: الخندق الغميق .

- الالتزام: تعميم النموذج الجديد :

غير أن الانقلاب الذي حققه البطل سامي على النموذج الاجتماعي لم يكن مجرد خيار فردي وإنما شكل منذ لحظة انجازه التزاما نحو الآخرين ، إزاء :

- صديقه رفيق : حيث ساعده على التحرر من الزي الديني والحصول على عمل بعد أن نفر من عمله كإمام مسجد .

- أمه : إذ وقف إلى جانبها عند زواج والده عليها ، وقد تمكن هو وأخوه فوزي من إرغام والده على تطبيق زوجته الثانية .

- أخته هدى : إذ سهل لها لقاء من تحب (صديقه رفيق) وأعانها في دروسها وشجعها على نزع الحجاب ، ودفعها إلى تحدي سلطة والده .

- قهر الأب / الكبت وعقدة الشبق : لقد بدت مواجهة سامي لوالده عنيفة غير مترددة وفي هذه المواجهة كان الأب يقف كسلطة كبت صارمة بينما يقف الابن في مواجهته متحفزا للتحدي والتمرد ، تحركه نوازع لا تخلو من غموض ولكن نواة هذه النوازع ترتد في النهاية إلى عاطفته الجنسية التي تكشف عنها بوضوح تلك الموضوعات التي تعلق بها :

السينما كمشاهدة تمثل إشباعا أوليا ، النفور من الزي الديني حيث يشكل قيда ورقابة صارمة في سبيل تحقيق تلك العاطفة ، التعلق بسميا وهو الموضوع الأصلي للعاطفة الجنسية ، وأخيرا ارتياد بيت الدعارة في لحظة إثارة وضعف حادة ، القصة التي كتبها و أذاعها قصة غرامية والقصة التي ترجمها (تلن الكبير) قصة حب أيضا .

وهكذا فإن شخصية البطل سامي وبعد قراءة هذه المؤشرات الحاسمة لا تخلو من عقدة كبت وشبق ولذلك اتجهت إلى الحل الذي يحقق ذلك الميل الشبقي المكبوت . وفي طريق الوصول إلى ذلك الوضع الذي يحرر العاطفة من حالة الكبت ، كان على الشخصية أن تزيل من سبيلها سلطة الكبت الأولى : الأب وكل ما يتصل بها من رموز التحريم

آلت الأحداث إلى هذه النتيجة حيث تم قهر الأب إذ قضى على اثر الصدمة النفسية التي كان الفتى سامي يصنع أسبابها كل مرة : حين نزع العمة كانت أولى ، وحين أرغم والده على تطليق زوجته كانت الثانية ، وحين ذهبت ابنته إلى السينما وقابلت من تحب في بيته كانت الثالثة ، أما الرابعة والتي كانت قاتلة فحين عزمت ابنته على نزع الحجاب ، ومن غير أي عنصر إضافي تتجسد أركان العقدة الأوديبية كاملة في بنية الشخصية البطلة وبنية الحدث الروائي¹⁸ ، على أن تقرير وجود هذه العقدة لن يقلل من مستويات الصراع الاجتماعي والثقافي الذي تشكل شخصية سامي في الرواية محمولها الفني والأدبي.

تظهر الشخصيات الأخرى في الرواية من خلال علاقتها بالبطل سامي ولا تحقق وجودها إلا في اللحظة التي تقترن فيها بشخصية البطل مهما كان نوع ذلك الاقتران توافقا أو تعارضا . فبالنسبة إلى أسرة سامي التي كانت صغيرة في عددها نسبيا متوسطة في أوضاعها المادية تقليدية محافظة في غطها الاجتماعي ، كان الأب السيد المهيب المطاع – كما يظهر في أول الأحداث – شيخا لأحد المساجد، يقيم السهرات الدينية في بيته كل جمعة ، ويدعو الجماعة إلى الفطور كل شهر، فضلا عن وظيفته التي كانت أكثر من وظيفة بل التزاما يمارسه في حياته وأسرته ، كان يشتغل بالتجارة التي وفرت لأسرته قدرا من الترف وانبساطا في العيش ، إذ كان ينفق على تعليم أبنيه سامي و هدى ، وكان عيشه غنيا لينا ولذلك حينما التحق سامي بالمعهد الديني لاحظ الفرق بين طعامه وطعام بيتهم: (أين هذا من طعام بيتهم الغني اللذيذ)¹⁹

كانت شخصية الأب موافقة – في بنيتها – لنموذج شخصية الأب في النظام الاجتماعي الأبوي ، الأب القوي المسيطر المحافظ المطاع ، غير أن مسار هذه الشخصية أخذ في التراجع والانكفاء منذ اللحظة التي دب فيها الخلاف والصراع عميقا بينه وبين ابنه سامي .

لم تكن هيمنة الأب واستبداده الديني يسمحان بأي حوار أو اختلاف ذلك أن الطبيعة التكوينية لهذه الأسرة كانت تدفع إلى المواجهة أمام كل اختلاف أو اختيار يتخذه أحد أفرادها : إنها أسرة محافظة قائمة على السلطة المركزية للأب، تمثل بنية محصلة للنظام الاجتماعي الأبوي، تقوم العلاقة بينها وبين أفراد الأسرة على ثنائية حادة : السيطرة – الخضوع / المواجهة وانطلاقا من هذه الثنائية جرت العلاقة بين الأب/ وأسرته خاصة بينه وبين أبنيه : هدى – سامي .

شخصية التناقض : الظاهر / الباطن : فضلا عن استبداد الأب الذي كان عاملا مثيرا للتناقض والصراع داخل الأسرة فقد انطوت شخصيته على صفة أخرى عجلت باختيارها : تناقضها بين ظاهر منسجم ملتزم وقور وباطن مستسلم للشهوات والتزوات يقطع المسافات لقضاها ، اكتشفت أسرته هذه الحقيقة ذات ليلة حين أفاقت على صراخ الأم وقد عرفت زواجه من ثانية وراحت – تحت أثر الصدمة – ترسم باقي التفاصيل في شخصية الباطن : (كنت دائما أشك فيه، في أمانته لزوجته وارتاب في أن يستطيع الدين أن يردعه، إن نفسه خبيثة وشهواته غالبية)²⁰

سلطة الأب – سلطة الدين : يستمد الأب سلطته لا من قوة إقناعه بل من قوته المادية أولا ومن سلطة الدين ثانيا ، ولذلك فإن المواجهة التي جرت بينه وبين أبنائه – وبحكم طبيعة القضايا التي أثارها – جرت دائما بإرادة الأب

نفسه على أرض النص الديني ، فحين تدخل سامي بشأن مسألة الزواج والده قال له الأب : اسمع أنت ، لعلك لم تنس ما تعلمته من المشيخة ...وانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع²¹ أجاب الابن : ولكنك بترت الآية : وان خفتم ألا تعدلوا فواحدة²²

غير أن سلطة الأب لا تنتهي عند حد النص الديني بل تتجاوزه دائما إلى منطق العنف الذي يبدو وكأنه وسيلة مشروعة لكل من يمتلكها ولذلك لم يتردد الأبناء في مدافعة والدهم حين ضرب أمهم حتى أسقطوه أرضا وقال له فوزي بعد أن أمسك بيده وقد أراد الأب أن يصفعه : لقد اشتد ساعدي أنا أيضا²³

موت الأب : رمز التناقض الوجداني : عرضت الرواية حدث وفاة الأب مقتضبا يتناسب تماما مع مترلة القهر التي انتهت إليها قبل أن يموت بعد أن تجاوزه أبنائه وسقط مشلولاً يصارع الموت، ولكن التعليق على وفاته من طرف الراوي - هدى - جاء ملخصا لما يمثلته من تناقض وجداني لدى أبنائه ، إنه الأب - العقدة على الصعيدين الاجتماعي والنفسي : (لقد تزعزع بيتنا في حي الخندق العميق لموت إنسان كنا نحبه ونكرهه في وقت واحد ، ولقد كان كل منا يحب هذه الأسرة لأنها كانت تجمع نوازع مختلفة ورغبات متناقضة وتوق إلى النور وتشبث بالظلام)²⁴

3/ فضاء الرواية : فضاء الذات

وردت الإشارة إلى المكان العام لأحداث الرواية متفرقة قليلة ولكنها حاسمة في تحديد البلد ثم المدينة اللتين دارت فيهما الأحداث، فالبلد هو لبنان والمدينة هي بيروت . غير أن اسميهما لم يرد مطلقا في الرواية . جاءت الإشارة إلى المكان واضحة في سياق الحدث المتصل بخروج أسرة سامي لقضاء عطلة الصيف في الجبل بقرية المريجيات المشرفة على سهل البقاع ، الذي اختص بهذا الوصف حيث أثار إعجاب الفتى سامي : (فإذا سهل البقاع ينتشر أمام ناظريه بساطا في مئة لون ولون تشربه العين فلا ترتوي، واستنشق نسمة رطبة بعثت في نفسه حيناً إلى الانطلاق)²⁵

أما المدينة بيروت فقد ذكر أسم حيها - الخندق العميق - الذي احتضن نشأة الفتى سامي والذي اختير بسبب رمزيته عنواناً للرواية . وفي سياق وصف الحي جاءت الإشارة إلى ما في المدينة من عالمين متجاورين لكنهما مختلفين فقد كان الصبية يسلكون في لعبهم شارع الخندق العميق (حتى يشرفوا على شارع رئيسي في المدينة كانوا يعتبرونه نهاية حيهم وطليلة حي جديد ، لم يجرؤوا يوماً على اقتحام أسواره فقد كانت تقوم فيه المدينة الكبيرة التي كانت محرمة عليهم)²⁶ .

ومرة ثانية ذكرت هوية المدينة باعتبارها عاصمة في سياق الحدث المتصل بغيبة الأب وعودته حين كانت الأسرة تقضي الصيف بالقرية (ابلغه والده حين عاد ذلك المساء من العاصمة أن ناظر المعهد قد اتصل ...)²⁷ وهكذا فإن الرواية وفي مستوى تحديد الفضاء العام لأحداثها اعتمدت الوصف أو الملازمة دون التصريح رغم أن أماكن أخرى ثانوية تعلق بها الأحداث ذكرت بأسمائها صراحة مثل : دمشق في سياق الحديث عن خياط الجلب ، حلب في سياق الحديث عن تجارة الأب وزواجه للمرة الثانية ، القاهرة في سياق الحديث عن سفر سمي . وإذا فإن لاسم الفضاء الرئيسي للأحداث دلالة ما تتعلق بمقصدية فنية غايتها صيانة عالم التخيل في الرواية ، خاصة

وأن طبيعتها كرواية- سيرة لبطلها تغري كثيرا بالبحث عن حقيقتها في الواقع التاريخي الذي تشير في ثناياها إلى بعض معالمه .

وإذا كان الفضاء الخارجي قد تعرض إلى قدر من التغييب، فإن الفضاء الداخلي الذي تعلق به أحداث الرواية مباشرة تم تشخيصه بالاسم ابتداء من الحي القديم الذي اتخذته الرواية عنوانا لها (الخندق العميق) وانتهاء إلى الأماكن الأخرى : البيت ، المعهد الديني، قرية المريجيات ، السينما ، الإذاعة الكلية ، الجامعة ، المنارة .. غير أن المكان عموما لا يحتل موقعا بارزا على مستوى القصة . إذ تجري كل أحداثها في مستوى المحور النفسي الاجتماعي المتنامي لحياة البطل ، وبسبب ذلك المنحى فإن العلاقة الاجتماعية العاطفية بحديثها : التوافق / الصراع بين سامي والآخر (الأب، الأخت ، الأخ ، الأم ، سميا ، المدرسين ، الزملاء) هي ما يهيمن على الرواية ويصنع تفرداها .

ولذلك فإن بنية الأماكن ووظيفتها تتحددان دائما من منظور البطل سامي ومن هنا تعارضت بنيتا الأمكنة أحيانا و تشاكلت أحيانا أخرى . بل إن المكان الواحد اتخذ صورتين متعارضتين تطورا مع منظور البطل ذاته ، ومن ثم يمكننا تحليل بنية الفضاء ووظيفته في مستوى علاقة الأمكنة ببعضها ، كما في علاقتها بشخصية البطل في الرواية :
أ/ الخندق العميق / المدينة : عالم قديم / عالم جديد : كان اسم الخندق العميق يثير بعض الغموض لدى البطل ورفاقه الصبية برمزية واقعه ، الذي تصوره الرواية عالما اجتماعيا تاريخيا وثقافيا موروثة يرتكز على سلطة الدين والنظام الأبوي ، وقد أحاط به عالم جديد تمثله المدينة الكبيرة اخذ يدفعه إلى الصراع الداخلي رغم العزلة والانطواء اللذين يحاول أن يتمسك بهما .

هكذا تنشأ الثنائية على مستوى الفضاء في الرواية بين الخندق العميق و المدينة الكبيرة : الخندق العميق كحي شعبي قديم ينطوي على نظامه الاجتماعي والثقافي الموروث ، المدينة الكبيرة كعالم جديد يجاور العالم الخندق العميق في المكان ويباعده في الزمان كبعد ما بين الماضي والحاضر وبغايره في النظام الاجتماعي والثقافي حتى ليشكل خطرا على وجوده ، ولذلك كان عالم المدينة محرما على أبناء الخندق العميق أن يقتربوا منه ، فضلا عن أن يدخلوه فقد كان صبية الحي ينهون لعبهم يوم الجمعة من كل أسبوع (بسلوك شارع الخندق العميق الذي لم يكونوا يفهمون لماذا سمي بهذا الاسم ، وإن كانوا قد لاحظوا أنه طريق طويل هابط لعله شق يوما من الأيام خندقا من خنادق الحرب ... حتى يشرفوا على شارع رئيسي في المدينة كانوا يعتبرونه نهاية حيهم ، وطليلة حي جديد لم يجرؤوا يوما على اقتحام أسواره ، فقد كانت فيه المدينة الكبيرة التي كانت محرمة عليهم)²⁸

غير أن هذه الثنائية التي توطر خلفية الفضاء في الرواية بين عالمين : قديم وجديد لا تمتد في عالم الطبقات والفئات الاجتماعية ، وإنما تتخذ محورا خاصا هو شخصية البطل سامي وحياته حيث يتعارض في نفسه عالمان : قديم يختاره مبهورا مستسلما وسرعان ما ينقلب عليه ، وجديد يختاره واعيا متحديا يخوض في سبيله المعركة التاريخية التي أطاح فيها بكل رموز القديم .

ب/ المكان و تشاكل الإعجاب والرغبة الغامضة : ففي المرحلة الأولى من حياة البطل وفترة الطفولة حتى دخوله المعهد الديني كانت الأماكن التي تشكل عالما متجانسا يستجيب لرغبته واختياره وإعجابه هي : البيت ، الخندق

الغميق ، بيت القريب ، ثم المعهد الديني . و كان المكان المهين هو البيت إذ هو النافذة التي يطل منها البطل على العالم ، عالم الجماعة التي تلتقي بدعوة والده في منزلهم كل جمعة وكل شهر وتصنع بمائدة طعامها الغنية وأورادها الدينية وسحر صوت مقرئها المثل الذي يتعلق به سامي ويتجه إلى التماهي معه بكل ما يملك من عواطف الإعجاب والرغبة والإجلال .

ثم إن البيت وبما يتردد فيه من أجواء دينية ساحرة هو ما دفع سامي إلى الالتحاق بالمكان النظير : المعهد الديني ، حيث اختار الفتى أن يكون شيخا وهو بعد لا يزال طفلا رغم ما ناله من ضيق في الليلة التي قضاها بالمعهد بسبب مفارقة أهله لأول مرة ، إلا أنه كان سعيدا بتحقيق رغبته ، هكذا عبر لوالده حين زاره بعد ثلاث أيام (ولكني مسرور هنا يا أبي ، إني مسرور)²⁹ . على أن هذا الفضاء الممتد من البيت إلى المعهد الديني لا يحتفظ بصورته الأولى في وعي البطل ، إذ سرعان ما أعيدت صياغته في تشاكل نقيض :

ج/ المكان : تشاكل الخيبة والاعتراب : لم تنقلب صورة المكان فجأة في وجدان البطل وإنما حدث ذلك على التدرج حين أخذ يتعرض للسخرية والاعتراب بسبب زيه الديني من طرف جميع من يراه: زملائه في المعهد ، أصدقائه ونساء الحي ، بل وأسرته كذلك عدا والده. فحين عاد إلى البيت بزيه الديني (كانت أمه التي فتحت الباب فرأها تباغت وتراجع وهي تتقيه بيدها)³⁰ ، وحين كان المدرس يضع العمة على رأسه و انفرطت مرتين في يده ، خصه بهذه السخرية (أنت منحوس ستكون شيخا منحوسا)³¹ وحين سار مرة وهو بالعمة والجبّة تجمع خلفه الأطفال وهم يصيحون به (شيخ صغير ، شيخ صغير)³²

شكلت هذه الحالة زاوية النظر التي جعلت البطل يرى المكان الأثير لديه من منظور مناقض تماما (فقد بدأ يحس بالغربة حين يدنو من الخندق الغميق ، ، بل إنه ... قد أصبح يخشى هذا الحي الذي عاشه سنوات)³³ ولم تلبث هذه الغربة التي استشعرها سامي في الخندق الغميق أن شملت المعهد الديني والبيت معا (انقضت بضعة أسابيع لازم فيها المعهد والبيت كليهما ، وشعر أن دائرة محيطه تضيق حتى لا تتعدى أربعة جدران غرفته ، وأن مرمى بصره يتقلص حتى يتجمع في صفحة كتابه)³⁴

وباستثناء غرفته ومكتبة المعهد التي كان يقضي فيها معظم ساعاته فراغه، والتي كانت تردها عشرات الكتب من كل صوب عربية وأجنبية ، فإن فضاء البيت والمعهد بات في نهاية المطاف مكانا للوحشة والغربة والكراهية لدى سامي خاصة بعد حبه لسميا حيث أصبح ذلك الفضاء رمزا للتعارض المطلق مع ذلك الحب الوليد .

ولتكتمل صورة هذا الفضاء كما تشكلت أخيرا في وعي الفتى سامي يمكن التركيز على انه تحول مصدرا للخيبة منذ أن كشف للبطل تناقضه وعقمه . ذلك أن البيت والمعهد الديني قد ظهرا مجالين للكبت والتسلط والإخضاع والتناقض الأخلاقي ، حيث اهتز المعهد على وقع فضيحة شذوذ جنسي بينما اهتز البيت على حقيقة الأب المستسلم لشهواته ، والذي يقدم على زواجه سرا ، وحقيقة الأخ الأكبر الذي تقتاده الشرطة بسبب الشجار على امرأة داعرة بإحدى الملاهي .

د/ المكان : تشاكل التحرر واللذة والطموح : إن المكان القديم بعناصره : البيت ، المعهد الحي ، قد انتهى في وعي البطل تشاكلا للخيبة والكبت والاعتراب. إنه يمثل طرفا في ثنائية طرفها الآخر فضاء الرغبة والتحرر الذي

يتصل بأماكن مختلفة في الرواية أهمها : السينما ، غابة المصيف ، بيت سميا ، الإذاعة ، مقهى الأتوماتيك، ففي السينما يتجاوز البطل أول المحرمات حين سحب بعض رفاقه إلى السينما ولم يمنعه تلك الليلة إذ عاد إلى البيت غضب والده و إحساسه بوخز الضمير من أن يستسلم إلى الأحلام اللذيذة وقد تجمع على نفسه في سريره وراح يتذكر(عيني تلك المثلة الزرقاوين وشفتيها الريانتين وهديتها المسكرين)³⁵

وفي الغابة بالمصيف كاد المكان أن يكون رغبة خالصة ومتعة صافية لولا أن عكرته مراقبة الأسرة ، فقد اقترن المكان بسحره وجمال طبيعته بفتنة الحب التي هزت قلب سامي نحو ابنة الجيران سميا، واختار مرة(شجرة ظليلة تجري على مقربة من ساقية صغيرة وجلس تحتها يستريح... وكان يفكر بسميا حين رآها واقفة أمامه)³⁶ وفي لحظة أخرى من المكان / الحلم (كان يرهف أذنه لزقزقة العصافير حين أطلت سميا ... وحيته بابتسامة)³⁷ وفي ومضة ثالثة حيث يمتزج جمال المكان بجمال الحب وإثارته (سحبت سميا يدها وانطلقت تعدو وسمع صوتها مناديا عبر الغابة .. ومرة أخرى ضحكته تمتزج بزقزقة العصافير قبل أن تغيب)³⁸. وحين التقى سميا للمرة الثانية والأخيرة في مقهى الأتوماتيك كان المكان يستجمع الأحلام الكامنة طوال سنوات ثلاث قضاها البطل في الانتظار، ولذلك شعر (بأن مذخور حبه الذي طوى عليه جناحيه .. يتدفق من قلبه فجأة في من الحنين والشوق واللهفة)³⁹

و/ المكان : تشاكل المعرفة، الأدب والكتابة : إن فضاء الرواية تؤطره تشاكلات متعارضة من منظور شخصية البطل والتحويلات التي مر بها ، فهناك وعلى مدار الرواية فضاء متنامي شكل محاور الثبات بالنسبة إلى شخصية البطل ذلك هو المحور الذي تتوالى فيه وعبر تطور السرد الأماكن المتصلة بعالم المعرفة والأدب والكتابة ، وردت على الترتيب : الحجرة ، التي تضم جماعة والده ، الكتاب ، مكتبة المعهد، حجرته الخاصة ، الإذاعة ، وأخيرا الجامعة .

ففي حجرة البيت حيث تلتقي الجماعة للقراءة انجذب إلى صوت المقرئ ووجد نفسه يحاكيه تلقائيا . كما انجذب إلى سحر الكتاب الذي قرأ فيه مع الجماعة، والمصحف الذي أخذه جائزة من والده على حفظ آيات من القرآن ، ثم كان سروره بالقلم الذي ناله جائزة من قريبه على حفظه الأربعين النووية .

أما في المكتبة فكانت عالمه الأثير في المعهد (فقد كان على ثقة من أن هذه المكتبة ستثقفه أكثر مما سيثقفه المعلمون.. وأخذ تعلقه بالكتاب الذي يختاره هو نفسه يشتد ويعمق)⁴⁰

وكانت حجرته الخاصة على ضيقها المكان الذي اكتشف فيه حقيقة عالمه الذي خلق له ، فقد أحس بأنه (يميل ميلا خاصا إلى المجالات الأدبية ويجد لذة في مطالعتها وذات ساعة راودته فكرة في أن يكتب ، وكانت فكرته أقصوصة وهمية تجول في ذهنه)⁴¹ ، لقد كان وعيه مبكرا بأن (الكتابة والقلم سيكونان وحدهما في عالمه المغلق النافذتين المفتوحتين على الدنيا)⁴²

في الإذاعة الحكومية حيث كان يقرأ قصته العاطفية كانت فرحته مضاعفة : فرحة بالشهرة لدى آلاف المستمعين ، وفرحة بأمل أن تكون سميا في استماعه (و حين وقف خلف المذياع كانت رغبته تسري في وصاله إذ يتمثل ألوف المستمعين يصغون إليه)⁴³ ، أما الكلية فقد كان شوقه يبلغ حد اللهفة (في أن يتابع على مقاعدها آخر مراحل

الدراسة الثانوية ، وكان يعني نفسه في أن يجد في تلك الدراسة متعة كان محروما منها في الدراسة الدينية الثقيلة ⁴⁴ وعلى الباخرة حيث كان يودع أهله راحلا إلى فرنسا للدراسة ، فإن المكان كان يؤشر على تجربة أخرى في عالم المعرفة والاكتشاف .

4/ الزمن : زمن الذات : من الضروري التأكيد اننا قد اخترنا صيغة تصنيف محددة بالنسبة الى دراسة الزمن الذي تعددت تقسيماته لدى الباحثين بين ما هو ثنائي وما هو ثلاثي ⁴⁵ ، مراعين التمييز عموما بين زمن خارجي (تاريخي) الذي يؤطر بداية الاحداث ونهايتها في القصة ، وبين زمن داخلي (زمن القصة أو الزمن التخيلي) ، مع اعتبار الى زمن الخلق : زمن ظهور النص ⁴⁶ على أن هذا التصنيف يأخذ مصطلحا آخر يركز على الفصل بين مقتضى القصة كأحداث وبين مقتضى الخطاب كصيغة تفرضها استراتيجية الكاتب في التصرف في الزمن ⁴⁷

أ/ الزمن التاريخي (الخارجى) : وردت الإشارة إلى الزمن التاريخي مرتين :

الأولى : في سياق الحديث عن موافقة سامي لوالده إلى حلب حين كانت الأسرة تقضي الصيف بالقرية (قسره والده على أن يرافقه إلى حلب وكان قد مرت عليهما ثلاثة أيام حين أعلنت الحرب العالمية) ⁴⁸

الثانية : في سياق الحدث المتصل ببداية العام الجديد فقد (مضى زهاء ستة أسابيع على قيام الحرب العالمية وانتشار الذعر بين الناس ، حيث فتح المعهد أبوابه من جديد) ⁴⁹

وهكذا فإن أحدث القصة تقع في مجملها ضمن سنوات الحرب العالمية الثانية . فإذا راعينا أن القصة لا تشير إلى نهاية الحرب ثم أنها تبدأ تقريبا سنة قبل اندلاعها بالنظر أن سامي كان قد أنهى عامه الدراسي الأول حين انطلاقها ، أمكن تقدير الفترة التاريخية لأحداث الرواية من 1938 إلى 1944 .

ب / زمن القصة : الزمن الخيالي : يتعلق زمن القصة بحياة البطل سامي حيث تبدأ من أواخر مرحلة الطفولة التي يعينها السرد مباشرة في فاتحة الرواية (وخرج هو وحده ، فانظم إلى الصبية الذين كانوا قد تجمعوا ...) ⁵⁰ . اعترضت أمه على دخوله المعهد الديني حين حاولت إقناعه بالعدول عن رغبته إذ قالت (أن ذلك يكون قاسيا عليه وأنه قد لا يحتمل الحياة الدينية وهو بعد في ذلك السن) ⁵¹ وقد حاولت الأم نفسها مع والده حين قالت له : (ألا ترى أنه لا يزال صغيرا) ⁵²

يمتد زمن القصة مع الفترة التي قضاها سامي في المعهد ومدتها خمس سنوات ، زواج في آخر عام منها بين الدراسة وبين الإعداد لشهادة التعليم الثانوي المدنية (وعزم يوما على أن يستعد لتقديم امتحان الشهادة الثانوية الحكومية) ⁵³ وهذا العزم ظهر لديه بعد أن أنهى أربع سنوات في المعهد كما تتذكر أخته هدى وقال لها (أنت تعرفين أي قضيت أربعة أعوام وأنا سجين هذا البيت بفضل المشيخة ولكن طلاق سراجي مرهون بأن أبقى سنة أخرى في هذا السجن ولا بد أن يكون جدا وتعبا) ⁵⁴

في عامه الأول بالمعهد الديني غادر سامي مرحلة الطفولة إلى المراهقة يومها كان ملزما أن يقول لناظر المعهد حين أيقظه صباحا : (شيخى يجب أن اغتسل) ⁵⁵ ويتصل زمن القصة بحياة البطل بعد السنوات الخمس التي قضاها في المعهد وبعد أن حصل على شهادة البكالوريا في العام الأخير منها ، حيث أمضى سنة أخرى بإحدى كليات الجامعة وكان ذلك بالنسبة إليه حلما تحقق (وكان يستشعر شوقا يبلغ حد اللهفة إلى أن يلتحق بتلك الكلية ...

ليتابع على مقاعدها آخر مراحل الدراسة الثانوية ⁵⁶ . في نهاية عامه الدراسي تمكن سامي من النجاح (نجاحا أثار إعجاب اللجنة الفاحصة فقيده أسمه في سجل الشرف) ⁵⁷ وبعدها أخذ سامي يتهيا للسفر إلى فرنسا لإتمام دراسته وكان ذلك بعد شهر من وفاة والده، فقد (ظل البيت شهرا على صمت وسكون ، فحس الفراغ يشملنا جميعا منطلقا من ذلك الكرسي الذي كان يتصدره أبونا الغائب) ⁵⁸ ويتوقف زمن السرد في اللحظة التي كان سامي يودع فيها أهله على رصيف المرفأ، حيث ركب الباخرة (التي تحقق له الرحلة المنشودة) ⁵⁹ ، فكم كان عمره وهو يبدأ هذه الرحلة بعد أن أنهى رحلة صراع شاقة ضد سلطة النظام الاجتماعي الذي نشأ فيه ؟

حين نجح سامي في شهادة التعليم الثانوية ونزع زيه الديني راجع مرحلته السابقة متذكرا معاناته مع نفسه (أليس صحيحا أنه قد شاخ طوال هذه المدة وهو لم يبلغ العشرين بعد ؟) ⁶⁰ وحين رحل كان قد أضاف عاما واحدا إلى هذا التقدير . فإذا قدرنا أن بلوغه كان في سن الثالثة عشرة وأن ذلك كان في عامه الأول في المعهد ، وأنه أمضى بعد ذلك سنوات أربع بالمعهد وسنة واحدة بالكلية ، أمكن أن نقدر أنه بلغ الثامنة عشرة في نهاية زمن القصة . فإذا حسبنا زمن القصة من البداية إلى آخر عهد الطفولة إلى لحظة النهاية أمكن أن نقدر أن زمنها يغطي مدة ست سنوات من عمر سامي ، وهي الفترة التي تمثل على مستوى شخصيته عهد المراهقة وبداية عهد الشباب .

ج/ زمن السرد : الاتجاه الخطي المنطقي :

يبدأ السرد من لحظة في الماضي حيث كان(الطفل سامي يقف خلف الباب المشقوق) ثم يسوق الأحداث نحو المستقبل عبر المسار الذي تقطعه شخصية البطل سامي على مدار ست سنوات تقريبا وهكذا ينمو زمن السرد وبصورة عامة نموا منطقيا يكاد يتطابق مع زمن القصة ذاته على أنه لا يخلو في ذلك من بعض المفارقة وإن كانت محدودة تتعلق في مجملها بحالة الارتداد وبدرجة أقل حالة الاستباق

الارتداد : توزعت مواقع الارتداد على وحدات قليلة في السرد تعلقت جميعها بإحدى وظائف ثلاث :

أولا : إضاءة تفاصيل في أحداث ماضية لها علاقة ما بلحظة الحاضر

ثانيا : إعادة إضاءة الأحداث من منظور ثان تعلقت به تلك الأحداث مباشرة

ثالثا : التمهيد الى الأحداث خاصة إذا كان ذلك الحدث مما جرت به العادة

ضمن الحالة الأولى ما اتصل بموقف سامي حين بات ليلته الأولى في المعهد الديني واستشعر الوحدة والشوق الى أهله فاستعاد موقف أمه من اختياره (إذ حاولت أن تثنيه وقالت له إن ذلك سيكون قاسيا عليه ... وكيف أنها قالت لوالده : لا ترى أنه لا يزال صغيرا) ⁶¹ ، والواقع أن الارتداد في هذا الموقف لا يقدم فحسب تفاصيل جديدة للحدث ولكنه يكشف عن نواة التعارض التي بدأت تطل بنفسها في وجدان الفتى سامي بين اختياره المعلن وبين رغبته الكامنة .

أما الحالة الثانية فتتعلق برابطة الحب بين هدى ورفيق ، فقد ورد ذكر هذه العلاقة من منظور البطل سامي فكان هو الذي يهيئ أهم أسبابها : لقاءهما في البيت ، ذهابها الى السينما ، ثم صرح أنه بما يعلمه من علاقة الحب تلك ثم يأتي الارتداد ليكشف صورتها من زاوية نظر هدى نفسها التي تحولت راويا ثانيا في القسم الثاني من الرواية

وها هي تستعرض الأحداث (لم أكن أتوقع من أن يصارحني سامي بما كنت أحشى أن أومئ إليه به. والواقع إن هو الا ذلك اللقاء القصير الذي كان متاح لي في غرفة استقبال مع رفيق ... إن هي الا دقائق معدودة أقضيها على مقربة منه ... فأنا أحسب أنه كان مثل اضطراب ي... فكيف استطاع سامي أن يكشف خلجات نفسي... والواقع أن سامي شق أمام عاطفتي دروب المستقبل)⁶²

في الحالة الثانية حين يكون الارتداد تمهيدا للحدث متصلا بحدث على درجة من الأهمية والخرج، وهو خروج سامي الى اللعب مع أقرانه يوم الجمعة - كما جرت العادة بذلك - ولكن هذه المرة بدون " الخرجية" التي اعتاد الأطفال أن يأخذوها من آبائهم كل جمعة ، استعاد بإيراد هذا الحدث لحظة ارتدد طويلة نسبيا ، عرضت مجرى عادة الصبية كل جمعة من خروجهم الى البيت وذهابهم الى حانوت أبي محمود لشراء اللعب والحلوى، ثم سلوكهم شارع الخندق العميق فضلا عن ذكرياتهم في كتاب المعلم أبي محمود ، وما تعرض له فوزي من القلق بإيعاز من والده حين قدم الى المعلم ذلك الصباح وقال له على سبيل الكناية (إن الحصر يحتاج الى تنظيف) قاصدا ضرب أقدمه ويستمر الارتداد (بالرغم من أنه قد ذاق هو أيضا هذا القلق، فإنه لم يكن يكره المعلم محمود)⁶³ ثم يستأنف السرد خطه المنطقي عد كل ذلك (ولكنه حين استيقظ صباح ذلك اليوم بادره فوزي بقوله)⁶⁴. هكذا جرت وظيفة الارتداد في السرد، أما الاستباق فإنه يكاد لا يظهر الا في مواقف ثلاثة ارتبط فيها بإحدى وظائف ثلاث :

الاخبار: يحدث سيتم في المستقبل ويتعلق أداءه بإحدى الشخصيات ، والمثال الوحيد لهذه الحالة يتصل بالبطل سامي حيث عاد والده من العاصمة الى القرية وأنبأه أن ناظر المدرسة ابلغه أن المعهد سيقم حفلة كبرى لتتويج الفوج الأول من المتخرجين ، وأنه هو بأمر من الإدارة سيكون خطيبا في هذا الحفل .

التمني : ويتعلق الأمر بنية هدى - بعد فشلها في الامتحان الشفهي للشهادة الثانوية- في أن تستأنف الدرس صيفا لتتقدم للدورة الثانية في شهر تشرين خريفا .

التأمل : ويتصل الاستباق هنا بتأمل هدى في مستقبلها مع رفيق حيث يرى أنه هو (ذلك الشاب الذي انعقدت بيني وبينه اتفاق صامت على أن يكون شريك حياتي في مستقبل قريب لا يفصلنا عنه الا زمن محدود، وسنعرف كيف ننفقه في رضى وصبر)⁶⁵

د/ الإيقاع الزمني : يمكن أن نقدر إيقاع الزمن في حركته العامة بميل إلى السرعة والإضمار والقطع أحيانا وتظهر طبيعة هذه الحركة في المستوى العام للنص السردى من خلال معطيين اثنين :

أولا : التزام حركة الزمن في السرد بعدا منطقيا يدفع الأحداث سريعا في اتجاه واحد .

ثانيا: انقسام النص السردى الى وحدات - فصول قصيرة يتوالى فيها تتابع ورود الأحداث، وبين نهاية كل وحدة وبداية أخرى يكون المجال واسعا لأنواع من القطع والإضمار والتلخيص .

هذه هي الصورة العامة لإيقاع زمن السرد أما في المستوى التفصيلي فإن إيقاع الزمن يتراوح بين التقنيات المختلفة التي يقترحها التحليل البنيوي للسرد :

أولاً : التحليل يتباطأ السرد ويميل إلى التحليل في المواقف والأحداث الأساسية التي تتعلق بلحظات التحول و المواجهة في حياة الشخصية البطلة ، ومن تلك المواقف الموقف الافتتاحي في النص حين كان سامي ينظر من وراء الباب الى جماعة والده على بساط الطعام ، الحدث المتعلق بخروج سامي إلى اللعب حين قدم على سرقة إحدى اللعب، ففي هذا الموقف أمعن السرد في التفصيل وتبع الحدث لحظة لحظة إذ (خرج هو وحده ... انظم إلى الصبية ... انطلقوا ... كان هو متخلفاً .. حين بلغوا الحانوت وتدافعوا ... وبقي هو خارجه ... لم يستطع إلا أن يقترب ... راح يميل بصره إلى الدمى ... محاولاً إلا أن ينظر إلى الشيخ ... رأى تلك اللعب التي كان يشتري إحداها بقرش ... رجع ينظر إلى الشيخ تطلع ملياً في عكازه، ثم تساءل ، بدأ الخوف يراوده حين أخذ ينقل بصره بين الشيخ واللعب، ثم هو يحس بيده تمتد إلى ركام اللعب ... فتخطف منها واحدة تدسها في جيبه ... تنتقل به قدماه ... يمضي هارباً... يصعد الشارع ... ما لبث أن ثقب سمعه صوت هادر ... يحث خطاه ... ثم يلتفت .. يرى الشيخ المعمم ... يعدو خلقه لكنه ... قفز على عكازه ارتطم العكاز ... يظل هو في عدوه السريع ... حين التفت ... رأى الشيخ يتعثراً ... يهوي على الأرض ... يرتطم العكاز ارتطاماً و يحدث ضجة ... غير أنه يستوي ... وقد امتلأ رعباً أحس بأن هذه اللعبة تنقل لم يجد إلا أن يخرجها .. يقذف بها خلفه ... شعر بأنه ينطلق خفيفاً ... حين التفت مرة أخرى انبسط أمامه الطريق ... ما كاد يبلغ البيت ويرى أمه ... ثم انفجر باكياً)⁶⁶

على هذا النحو تمضي حركة السرد في المواقف الأساسية مفصلة وقائع الحدث في تواليها وترتيبها ، فضلاً عن الحدثين السابقين يمكن بيسر معاينة تقنية التحليل في الأحداث الأساسية المتعلقة بالتحول أو المواجهة :

الحدث المتعلق بلبس سامي للعبة وعودته الى أهله .

الحدث المتعلق بخروجه من البيت لأداء صلاة الجمعة بزيه لديني وتعرضه للسخرية من طرف صبية الحي .

الحدث المتعلق بترعه للعبة والعبة .

في أغلب مواقف التحليل يتجه السرد الى التباطؤ فإنه يقترن بمشاهد الحوار حيث يكاد زمن السرد يتطابق مع الزمن الواقعي ضمن المشاهد الأساسية في الخندق العميق :

أولاً : مشهد الحوار الذي دار بين والد سامي وأمه بشأن بدله المعهد الديني :

قالت أمه : ألا ترى أنه لا يزال صغيراً - أجاب أبوه : هذا أفضل لقد قدر الله عليه أن يكون شيخاً مثل أبيه

- أضاف أبوه : وهذا لا شك فخر له اليس كذلك ؟ - أجاب سامي : بلى يا أبي أريد أن أصبح شيخاً -

قال له أبوه : الله يرضى عليك يا سامي، ألا تعرف القول المشهور: "العمامة تاج العرب" - فhez برأسه

ثم أغمض عينيه وأخذته نشوة ..)⁶⁷

ثانياً: مشهد الحوار بين سامي وسمية حين تركا وحدهما :

سامي صاح : سمياً - ردت سمياً : لقد تركوني في داخل البيت - انفجر ضاحكاً وأنا تركوني خارج البيت

وأقفلوا دوني الباب - سألته : ما الذي ستفعله الآن ؟ - سامي : نتحدث سمياً : وبعد أن ينتهي الكلام - سامي

: إن الكلام لا ينتهي يا سمياً - اضاف : أنت بعيدة جدة - قالت كم أود أن أكون بقربك يا سامي ...)⁶⁸

ثالثا : مشهد حوار سامي مع والده بشأن الجبة والعممة :

فوزي للأب : أنظر ما فعل أبنك الشيخ - سامي : كان الأفضل أن توفر ذلك على نفسك فإني سأخبر أبي - فوزي : خرج بدون جبة ولفه - الأب : ماذا تقول خرجت اليوم بلا ... لماذا ؟ - سامي : نعم يا أبي صحيح والواقع - الأب : تقول صحيح أيها الوقح أنا لا أيد أن أراك - سامي : بل يجب أن تسمعي - الأب : لعنة الله عليك أيها الزنديق إنك لن تخلعهما أبدا - سامي : كلا بل سأخلعهما بعد اليوم إني اختنقت بهما - الأب لا.. لا أريد أبتعد عني - سامي : أبي اغفر لي... سامحي)⁶⁹

تعلقت هذه المشاهد الثلاثة بأحداث رئيسية في حياة البطل سامي ، دخوله المعهد الديني ، اللقاء مع سميا ، نزعه الجبة والعممة وحدثت المواجهة مع والده . وعموما فإن مثل هذه المشاهد تبلغ تقريبا اثني عشر مشهدا وهو عدد قليل نسبيا إذا ما قورن بحجم القصة كاملة ، غير أنه يعكس في كل الأحوال اللحظات التي يتمهل فيها السرد ليرصد بتثبت ودقة مواقف التحول والمواجهة في حياة الشخصية البطل ، ولكن الزمن الكثيف الذي يمتد في القصة أزيد من ست سنوات يلجأ الى آليات أخرى غير السرد يحتزل بها تلك الكثافة ويسرع بها إيقاعه تلك الآلية هي : أولا : القطع : يمكن أن نميز في القطع نوعين : ١/ قطعاً ظاهراً يتم التنبيه الى وقوعه مباشرة بمؤشرات زمنية مختلفة وهو يقبل التصنيف على أساس تلك المؤشرات الى : قطع قصير ويقع بالإشارة الى انقضاء مدة زمنية قصيرة لا تتجاوز الأيام أو الأسابيع مثل : (لم يلبث طويلا حتى لاحظ أنه أصبح زاهدا ..)⁷⁰ مما يذكر فيه اسم الزمن مباشرة (وانقضت بضعة أسابيع لازم فيها البيت)⁷¹ أو الأيام (وبعد بضعة أيام حل محل الشيخ فرفور كان سوريا)⁷² ويكثر هذا النوع من القطع في السرد و بخاصة إذا أدرجنا ضمنه ما تعلق بأوقات أشد قصرا كالساعات واللحظات

ب/ قطع متوسط : وهو ما تعلق بانقضاء الشهور مثل (وكما لآله أن يلتفت يوما بعد مرور بضعة أشهر فلا يجد مدرسا الأدب)⁷³ أو (خرجنا بعد شهرين من موت أبي)⁷⁴ وعموما فإن هذا النوع من القطع الظاهري قليل لا يكاد يتجاوز الأمثلة المضروبة عنه

ثانيا : القطع الضمني : وهو ما يمكن استنتاجه من مقارنة الاحداث ومن أبرز أمثله ما وقع بين الفصلين الثاني والثالث حيث ينتهي الفصل الثاني بتعبير سامي عن رغبته في الالتحاق بالمعهد الديني " أبي أرجوك إني أريد أن أصبح شيخا " ويبدأ الفصل الثالث على هذا النحو " تك الليلة حاول كثيرا أن يخنق دمعته ... إنه من هذه الليلة طالب داخلي في هذه المدرسة الدينية "⁷⁵ . فبين نهاية الفصل الثاني وبداية الذي يليه تسقط تفاصيل مهمة تتعلق بكيفية اعداد سامي لدخول المعهد وكيف ألحقه والده به ، وكيف كانت لحظة دخوله الأولى وما ثرها في نفسه . ج/ قطع طويل : وهوما تعلق بالسنة والسنوات وقد ورد مرتين في مقطع واحد من السرد في أوله " وانقضى العام كله ولم تعد ساميا "⁷⁶ وفي وسطه " و انقضى عام آخر "⁷⁷ وهكذا تكفل هذا النوع من القطع باختزال ثلث المدة الزمنية التي تتصل بها أحداث الرواية .

ثانيا : الخلاصة : إذا كان القطع في السرد يشير الى مرور الزمن ويسقط الاحداث الكبيرة فإن تقنية الخلاصة تورد الاحداث على وجه الاختصار والايجاز ، لقد تردد السرد في الخندق العميق كثيرا على هذه التقنية لما لها من وظيفة

مزدوجة لا تتحقق بواسطة أشكال القطع المختلفة إذ هي : أولا : تسرع ايقاع الزمن ، ثانيا : تحتفظ بظهور أهم أحداث التي يتوقف عليها - ضرورة - نمو القصة وتكاملها ، ومن أمثلته الخاصة في هذا النص السردى : " أوشك العام الدراسي على الانتهاء فانصرف الطلاب الى مراجعة درسهام واستذكروا ما حفظوه من القرآن والحديث فكان هدير أصواتهم ينبعث معظم ساعات النهار ... وحين اعلنت نتائج الامتحانات كان هو في عداد المجلين فتقبل ثماني اساتذته جميعا " ⁷⁸ فهذه الفقرة من السرد ذكرت ما يجري في أيام طويلة من تفاصيل الاعداد للامتحانات واجرائها ثم ترقب النتائج وظهورها ذكرت ذلك كله في أسطر أربعة

وبفضل تقنية الخلاصة كانت خمسة أسطر كافية لاختزال سنة كاملة ذلك أن الفتى سامي " عزم يوما على أن يستعد لتقديم امتحان الشهادة الثانوية الحكومية الى جانب دراسته الدينية ، أنفق الأيام والليالي يعاني من صعوبات الدوس العلمية ولا يأوي الى فراشه الا وقد أحس بالإرهاق في جسمه والألم في عينيه ولكنه كان على يقين من ان ذلك وحده سينقذه " ⁷⁹

غير أن السرد في الخنق الغميق اذا كان يتوسل بآليات القطع والخلاصة لتسريع السرد فإنه كان أيضا تأكيداً لسرعة حركيته - لا يميل الى الوصف لتحقيق استراحته الالمما .

الاستراحة : في الخندق الغميق تغلب حركة السرد على استراحته ، التي لم تقع الا مرتين : الأولى حين انتهى السرد بالأحداث الى بلوغ اسرة سامي المصيف ، إذ وقف على شرفة البيت حيث انتشر أمام ناظريه سهل البقاع " بساطا في مئة لون ولون تشربها العين فلا ترتوي " ⁸⁰

الثانية : هي متصلة بالأولى حين رأى سميا " فرأى عينية كبيرتين سوداوين ... ولا يلبث رأس صاحبتيهما ذو الشعر الطويل الأسود أن ينحني ... " ⁸¹

5/ زوايا نظر السرد : الداخل والخارج : هيمنة منظور الذات

توالى على السرد راويان : الأول : خارج نطاق السرد روى الأحداث بضمير الغائب على مدار ثمانية عشر فصلا من فصول الرواية الأربعة والعشرين : (كان واقفا .. كان ذلك اليوم .. تلك الليلة ... الخ ..) . الثاني يقع داخل السرد ، انه شخصية هدى أخت البطل سامي حيث تروي الأحداث على مدار الفصول الستة الباقية (الثاني، السادس، السابع، الثامن، التاسع العاشر) حيث يتم السرد بضمير المتكلم الفرد الذي تناوب في أحيان قليلة عندما تعلقت المواقف بأغلب أفراد الأسرة- مع ضمير المتكلم الدال على الجمع فمثال الحالة الأولى (حين خرجت ، لم أكن أتوقع ، ظل القلق مستوليا علي ، أصبحت ذات يوم ، نجحت في الامتحان .) ومن الحالة الثانية - ضمير المتكلمين - (حين استيقظنا ، وسمعنا ، ورأينا ، ودخلنا ، فوجئنا ، وخرجنا بعد شهرين ..) . بالنسبة إلى حالة الراوي الأول والذي ليس طرفا في السرد فإن زاوية النظر لا تتقدم ولا تتأخر عن شخصية البطل سامي ذلك أن انطلاق الأحداث وصور الأحكام وتقييم المواقف يتم دائما من منظوره

فبشأن طلبية العهد - مثلا- يصدر هذا الحكم في بداية الفصل الرابع من السرد (إنهم لا يعون شيئا مما يلقي عليهم من دروس...) ⁸² . من يكون صاحب الحكم ؟ يأتي الجواب مباشرة في الجملة التالية (وهو على يقين من ذلك...) ⁸³ محمدا صاحب الرؤية البطل سامي . وبشأن الكتاب والمدرسين في المعهد - يصدر الحكم أيضا من منظور الفتى

سامي إذ (أخذ تعلمه بالكتاب الذي كان يختاره هو لنفسه يشتد بقدر ما بدا يمل الكتاب الذي كانوا يختارونه...، فقد كان هذا كان كتابا اصفر.. مؤلفه من القدماء وكان يشعر بأن هذا الكتاب نفسه قد مات مع صاحبه....وعبثا ما يحاول الأساتذة المعهد أن يبعثوه في نفوس من الطلاب... ومع ذلك تكبرا ما كانت تغيب عنهم الحكمة...) ⁸⁴

هكذا في كل حدث أو موقف يلتزم الراوي الخارجي زاوية نظر الشخصية البطلية (سامي)؛ يرصد بعينها، ويأشر الأحداث ويطورها وفق حركتها حتى ليكاد الراوي /الكاتب هذا أن يكون هو البطل نفسه لا يفصل بينهما إلا هذا الحاجز اللغوي : ضمير الغائب

ومع ذلك فإن هذا الحاجز الشكلي ذاته يسقط في إحدى لحظات السرد حين يتكلم البطل مباشرة موحدا ثنائية : الراوي /البطل، وقد تم ذلك مرة واحدة على مسار السرد حين شارفت الأحداث على نهايتها بعد أن يتحرر سامي من سلطة الأب وينفذ إرادته بنزع العمامة والجبّة واخذ ينظر الى موقف والده وهو يلتقي جماعته في بيته - على عادته الجارية - نظرة لا مبالاة أو سخرية .. في هذه اللحظة أعلن الراوي _البطل عن نفسه دفعة واحدة- كأنما استغنى عن وسيطه، الراوي الخارجي _ مثيرا في البداية إلى موقف أبيه (انه يرفض أن يقر هذا الواقع ، يرفض أن يعترف به ؛ لكنه على وهم ، فانا باق على عزمي ماض في طريقي ولن أشارك هذا الصباح في تناول طعام الفطور مع الجماعة...) ⁸⁵

أما الرؤية ثانية -رؤية لشخصية هدى - فهي تكاد تكون صدى للرؤية الأولى ليس بدلالة الإعجاب الذي تحمله هدى لأخيها سامي ،ولكن بدلالة المنحني العام لشخصيتها ،في تحضر عاطفتها واتجاه إرادتها للتحدي والتحرر من سلطة الأدب ونظام القيم السائدة، ولذلك فإن أحداث القصة ومواقفها تنكشف دائما من منظور واحد، سواء في حالة الراوي الخارجي المتترم رؤية البطل - إذا لم يكن البطل نفسه - أم في حالة الراوي الحاضر في السرد :لشخصية هدى.

ثالثا : النص وقضايا السياق :

أ/ إشكالية الجنس الأدبي : رواية - السيرة والحمول الثقافي

تقدم رواية "الخنديق العميق" - إذا - نفسها كسيرة حياة لبطلها سامي حيث تتعلق أحداثها بمرحلة حاسمة في نمو الشخصية تمتد من آخر عهد الطفولة إلى بداية عهد الشباب ، برز ضمنها اتجاه هذه الشخصية نحو التمرد على النظام الاجتماعي الأبوي بطرفي سلطته : الأب/ الدين وانتهى إلى تحطيم هذه السلطة نهائيا بإسقاط رموزها واحدا تلو الآخر وتبني نظام من القيم المغايرة التي تستند في صورتها المباشرة إلى الاختيار الحر للفرد وتمتد مرجعيتها إلى قيم الحضارة الغربية التي فرضت وجودها بحكم ظروف تاريخية - لا تغييبها الرواية - على المجتمع العربي القديم الذي ينشأ البطل سامي في احد أحيائه (الخنديق العميق) .

انطلاقا من هذه الحقيقة يمكن تصنيف الخنديق العميق ضمن جنس الرواية - السيرة وهذا النوع من الرواية يمتلك حضورا مميزا في الرواية العربية الحديثة ذلك أنه وبحكم ظروف النهضة العربية والمواجهة مع الآخر - الغرب وما استتبع ذلك من صراع القيم بين قديم الحضارة العربية و جديد الحضارة الغربية خاض كثير من كتاب العرب

تجربة المواجهة المزدوجة : مواجهة مع القدم في مستوياته الاجتماعية والثقافية حيث وقف عائقا في طريقهم نحو التمثل المعرفي للحضارة الحديثة واستثمارها كأداة للتحديث ، ومواجهة مع الجديد نفسه حيث تجلى هيمنته الشاملة وتظهر عوراته وتناقضاته وهذه التجربة الأخيرة تحدث غالبا حين يتاح للكاتب أن يختبر الجديد في نسخته الأصلية الكاملة كما تجري ممارستها في أرضه ووطنه .

في المحور الحضاري : الصراع مع الذات / الصراع مع الآخر ظهرت غير قليل من الروايات التي تشاكل في بنيتها السردية جنس السيرة في ارتباطها بشخصية البطل الذي يخوض تجربة الصراع الثقافي والاجتماعي في مواجهة منظومة قيمه المحلية الموروثة أو في مواجهة منظومة قيم الثقافة الغربية ... وفي هذه التجربة يكون الواقع التاريخي حاضرا يملأ السمع والبصر بأعيان المكان (بيروت ، دمشق ، حلب ، القاهرة ، الخرطوم ، باريس ،) وأعيان الزمان (الفترة التاريخية التي يشار إليها بدقة ، الحرب العالمية الثانية ، القرن العشرين و أعيان الواقع الاجتماعي والثقافي : المعهد الديني ، الأزهر قضية الحجاب ، قضية الاختلاط بين الجنسين ، النظام الأبوي وأسماء الكتب : القرآن ، دليل الخيرات ..)

هذا الواقع التاريخي الذي يؤطر بحضوره وتفاصيل أعيانه المختلفة رواية الخندق العميق والروايات أي تنحو منحاهها : كالحى اللاتيني ، موسم الهجرة إلى الشمال ، سيرة الأيام ... ينتظم بالمثل بنية الشخصيات ذاتها خاصة الشخصية البطلة التي يتمحور عليها السرد فما هي صيغة هذه الشخصية ؟

إنها في الخندق العميق على الأقل صيغة ناشئ في محيط محافظ حيث تتمركز سلطة القدم، سرعان ما يثور عليها متسلحا بالثقافة الأدبية والكتابة ويعتققيما مغايرة تدفعه إلى اكتشاف موطنها: الغرب - باريس . هذه البنية تحيل بدرجة ما إلى تجربة الكاتب نفسها خاصة إذا أخذنا في الاعتبار أن تجربة الصراع ذاتها مع النظام الاجتماعي الموروث خاضها دائما في المستوى الثقافي فرد من النخبة يشكل بوعيه المحدد نقیضا لذلك النظام الموروث. وفي مرحلة جيل الكتاب الرواد والجيل الذي تلاهم كان هؤلاء الأدباء أنفسهم هم طرف الصراع التاريخي في معركة الصراع بين القدم والجديد . ومن هذا المنظور وقبل أن نحري أية مقارنة بين تجربة الرواية و تجربة كاتبها يكون من الجائز التأكيد بان هذه الرواية هي :

- في مستوى النوع : رواية - سيرة

- في مستوى الموضوع : رواية صراع ثقافي حضاري محورها إشكال الصراع بين القدم والجديد الوافد كما عاشته النخبة المبدعة أولا و كما عاشته الفئات الاجتماعية ثانيا و ما صاحبه من مظاهر التحول والتوتر والشك والصدام في المستويات المختلفة للمجتمع العربي في النصف الأول من القرن الماضي خاصة في مستوى : الدين ، النظام التعليمي ، النظام الأسري ، قضية المرأة ، الكتابة الأدبية نفسها حيث أصبحت الأجناس الغربية خاصة الرواية هي العالم الذي احتضن وبحكم آليات التعدد والجدال والحوار فيه تجربة الصراع والتحول تلك .

إذا كان عنوان الرواية يوحي بدلالته الرمزية حيث ترمز الخندق إلى حالة الحرب ولفظ الغميق إلى عمق ذلك الصراع وما فيه من احتناق وكثافة فإن أحداث الرواية تبرز الصراع في كل مستوياتها وأجلى صورها . ففي الصراع على مستوى الدين تندرج قضايا اجتماعية - ثقافية :

قضية الزي الديني التي أثارت المواجهة بين الأب والابن سامي، قضية الحجاب التي أثارت مواجهة ثانية وانتهت بالأب إلى الأفيار، تعدد الزوجات حيث كان الحوار بشأنها عند زواج الأب للمرة الثانية حوارا بواسطة النص الديني في المقام الأول، فلأب يقول لسامي (اسمع أنت لعلك تذكر الآية الكريمة: انكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) يجيب الابن: ولكنك بترت الآية: وإن خفتن ألا تعدلوا فواحدة⁸⁶ .

قضية اختلاط الرجال بالنساء : حيث ينكر الأب على ابنه سامي تسهيله لقاء هدى بصديقه رفيق : (أولم تسمع بالحديث الشريف : ماخلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما) أجاب الابن (إني أشك أولا صحة الحديث ثم انه لم يكن اختلاء فقد كنت أنا موجودا إلا إذا اعتبرتني أنا الشيطان وانفجر الأب : (انك تسخر من الحديث .. أيها الزنديق)⁸⁷ .

هذه القضايا ذات الطابع الإيديولوجي الاجتماعي ترتبط في مستوى السلطة التي تنظمها داخل النظام الاجتماعي الموروث بدور الأب في ذلك النظام بوصفه دورا محوريا تناط به - كسلطة اجتماعية - مهمة تنظيم القيم وفرضها وحمايتها متنفذا بالسلطة المعنوية للدين نفسه .

فالأسرة في النظام الاجتماعي الموروث والذي هو نظام أبوي بامتياز تخضع خضوعا تاما لسلطة الأب . وكيف خضوعها ذلك - في منظور العقل الأخلاقي القديم - باعتباره قيمة إيجابية تحت عنوان الطاعة فتكتسب بالإعلاء الديني مرتبة التقديس . وبسبب مكانة الأب كقيمة ومصدر للقيم في النظام الأبوي يسعى أفراد الأسرة إلى التماهي بشخصيته واختياره ، وهذه الحقيقة تكشف عنها رواية الخندق الغميق في منطلق أحداثها حين كان الطفل سامي ينظر إلى عالم والده الديني الساحر بأذكاره وقراءاته نظرة إجلال غامضة قادت إلى اختيار سبيل المشيخة أول الأمر ، ثم تتجه الرواية إلى قصة الصراع مع الأب صراعا يكشف تناقضات النظام الأبوي في العمق : فهو نظام محكوم بالاستبداد الديني العائلي ، يحتكم إلى سلطة القوة ، ففي أحد مشاهد القصة مما له دلالة عميقة على هذه المعنى أن يمسك الأخ الأكبر لسامي بيد والده حين هم بضربه قائلا : (لقد اشتد ساعدي أنا أيضا)⁸⁸ . يعاني حالة الكبت الجنسي والعاطفي: إن عقدة الكبت علامة بارزة في نمو شخصية البطل سامي التي تجلت في مظهرين :

- الأول : عقدة الشبق التي يعانها أفراد الأسرة : الأب ، الأبناء والتي تبرز بوضوح في سلوك سامي . فحين عاد من السينما وأدى إلى فراشه بعد تقريع والده استشعر الذل والاحتقار لنفسه أولا لكنه سرعان ما تذكر: (عيني الممثلة الزرقاوين وشفتيها الريانتين وهديتها المسكرين) وقد قادت هذه الشبقية إلى ارتياد بيت الدعارة حين التقى سميا للمرة الثانية وأصابته الخيبة بتبطلها وزواجها . وفوزي انتهى به

الأمر داعرا يرتاد الملاهي ويثير المشاجرات فبسبب النساء قد اقتادته الشرطة يوما بسبب إحدى تلك لمشاجرات .

- الثاني السبب الذي جرى بين الأب وزوجته جرى بلغة الاتهام الأخلاقي المكشوف : يقول الأب أثناء لمشاجرة لزوجته وأمام أبنائه (اخرسي يا فاجرة) تقول الأم : بل لعنة الله عليك أنت أيها الداعر) يقول الأب لأبنائه : (سأعرف كيف أودبكم يا أولاد الحرام) .
- وأخيرا هو نظام التناقض الأخلاقي بين الظاهر الوقور الملتزم والباطن المستسلم لأهوائه وشهواته هكذا تظهر شخصية الأب وشخصية ابنه فوزي .

ودون أن نتجاوز قضية الأب في النظام الأبوي كما تصوره الرواية يتعين أن نشير إلى مسألة أخرى على غاية من الأهمية والخطوة تتصل بدور الأب من جهة وبمعيه في الرواية من جهة ثانية ذلك أن الأب ومن الناحية السيكلوجية المحضة يمثل مصدر الكبت الذي تستجيب له نفسيات الأبناء - الذكور - بعقدي الخوف والكراهية أولا ، ثم تنتهي إلى تقمص صفات الأب/ موضوع الخوف حين تتأكد من استحالة تحقيق الانتصار عليه، ويكون هذا التأكيد نابعا من ملاحظة قوة الأب وسطوته مقابل الضعف الذي يستشعره الأبناء في مرحلة طفولتهم التي تجري في مستواها أهم العمليات النفسية التي تحدد ملامح شخصياتهم .

هذه العملية التي تتم في محور العلاقة بين الأب وأبنائه الذكور والتي يطلق عليه التحليل النفسي اسم عقدة أوديب⁸⁹ تكتسب تعقيدا إضافيا بحكم الطابع الصارم للنظام الأبوي وبحكم تأثير الطابع الحضاري الديني للنظام الاجتماعي الموروث. إنها المسألة التي لم يهمل النقد تحليلها في الرواية العربية خاصة حين يتضمن النص السرد مؤشرات واضحة على وجود هذه العقدة⁹⁰ .

في الخندق العميق يمكن أن نلتبس بيسر أركان تلك لعقدة : الصراع بين الأب والأبناء، التحالف مع الأم⁹¹ عقدة الشبق لدى الأبناء ، قهر الأب و(قتله) . وإذا حللنا المضمون العميق للرغبة التي تدفع سامي إلى مواجهة الأب فإنها تنتهي إلى نواة أساسية واحدة هي العاطفة الجنسية فالذهاب إلى السينما مقدمة إشباع ، والتخلص من الجبة والعممة تحرر من العائق الاجتماعي والديني الذي يفرض الكبت والقيود على تلك العاطفة أما التعلق بسميا فهو الموضوع الأساسي للرغبة فضلا عن أن حبه لسميا لم يكن حبا مثاليا . لقد كان في العمق حبا حسيا جنسيا : (لقد كان يحلم .. أن يلقاها مرة وينفض بين ذراعيه حمى لواعجه ويفرغ لهفته وحبه في ضمات محمومة وقبلات مسعورة يحرق بها شفتيه وشفتيها وكل موضع في جسدها)⁹² واهتمامه بالحياة العاطفية لأخته واصطحابها للسينما وتسهيل علاقتها برفيق كل ذلك يؤكد مركزية العاطفة الجنسية كدافع لدى البطل يوطر موقفه في الصراع مع والده .

لقد اقتضب السرد موقف موت الأب لكن التعليق عليه من منظور هدى جاء يلخص إشكال الصراع معه ويكشف عن عمق العلاقة - العقدة التي انتظمت ذلك الصراع (كنا نحبه ونكرهه في وقت واحد ، ولقد كان كل منا يحب هذه الأسرة لأنه كانت تجمع نوازع مختلفة ورغبات متناقضة وتوق إلى النور وتشبت بالظلام)⁹³

وفي المستوى الثقافي - تحديد النظام التعليمي الموروث - فإن الرواية تكشف بواسطة نقد كتبه ومدرسيه تناقضاته وعجزه فكتابه المدرسي هو من نوع الكتاب القديم دائما والمدرسون لا يتجاوزون تلقين مضامين هذه الكتب التي يحفظونها عن ظهر قلب ، والأحكام الدينية ذاتها لا تقدم بصورة مقنعة للطلبة و إنما تقدم بأسلوب يثير الشك والريبة ، ولكن السؤال العلمي كان في ذاته ممنوعا ويعتبر في نظر المدرسين سخرية بالدين و هزءا .

إن الموقف من قضية التعليم الديني رغم حديثه لا يخلو من سخرية وهي سخرية موضوعية تظهر من خلال إبراز التناقض التي ينطوي عليها الموقف التعليمي ذاته سواء في مستوى منهجه أو في مستوى الوعي العلمي المعرفي لمدرسيه :

- فمدرس الأدب مثلا - يبدأ حصته بإنشاء قصيدة شعرية قديمة مثلا وقائع مضمونها بحركة يديه ورجليه حتى إذا فرغ من القراءة (رأوا العرق يتصبب من جبينه لفرط ما قام من حركات وبعد أيام يكتشف الطلبة أن مدرسهم حول إلى مهمة المحافظ على خزائن المؤن فقال أحد الطلبة تعليقا على ذلك (كان شيخنا قيما على غذاء عقولنا فصار قيما على غذاء بطوننا)⁹⁴

- أما مدرس الحديث فقد أراد أن يقنع أحد الطلبة شك في حديث فأعطاه هذا المثل المثير للسخرية بعد أن أبدى غضبه : (أن رجلا شك في حديث إذا قام أحدكم من النوم فيغسل يده فإنه لا يدرى أين باتت ...وأضاف المدرس أن هذا الرجل الذي شك في الحديث أخذ يسأل أين يمكن أن تبيت يده ؟ أنها إلى جانبي قال الشيخ وحين فُض الرجل في اليوم التالي وجد يده داخله حتى المرفق في إسته واضطر الطبيب إلى قطعها)⁹⁵ . يعلق الراوي الذي هو البطل سامي كما افترضنا (وظل الطلاب حيث هم لا يعرفون أي الأحاديث صحيح و أيها غير صحيح ؟)⁹⁶

وإذا فإن منظومة القيم الدينية والثقافية بمضمونها ومناهجها يتم تقديمها في الرواية من منظور نقدي يبدأ بالشك أحيانا و السخرية وينتهي بإزالتها واستبدال القيم الجديدة بها . هذا ما حدث مع الجبة والعمة ثم مع الحجاب . هكذا باستعراض الإشكال الكبير الذي تعالجه الرواية والموضوعات المرتبطة به وبيان الطريقة التي تقدم به تلك القضايا والمواقف من المنظور المركزي الذي هو منظور البطل يمكننا أن نستخلص عناصر الرسالة التي يحملها خطاب الرواية في بنيته وأحداثه:

أولا : إدانة النظام الاجتماعي الأبوي بنياته المتخلفة باعتبارها قد شكلت عائقا أمام التحرر الفردي والاجتماعي الذي تستلزم عملية التحديث

ثانيا : إثارة النقد والشك في منظومة القيم الدينية السائدة بوصفها المرجع الأول للنظام الاجتماعي الموروث وباعتبار ما تضيف عليه من قداسة ورسوخ عقائدي وتاريخي .

ثالثا : الانتصار لقضية المرأة بكل جوانبها : التعليم ، السفور ، الحرية الشخصية

رابعا : التأكيد على عجز نظام التعليم الديني وفشله منهجا ومضمونا

خامسا : محاولة الإقناع بجدارة واستحقاق المواجهة التي خاضتها النخبة الرائدة في المجتمع العربي ضد النظام الاجتماعي القديم وما كلفته تلك المواجهة من تضحية وقلق ونبل وأخطاء أيضا .

ب/ الرواية من منظور كاتبها : فاعلية التناص : التأكيد على هوية السيرة :

انطلقت قراءتنا الخارجية للرواية من فرضيتين حاولت استكشافهما بتحليل بنيتها وأهم موضوعاتها وهما

١ / الرواية رواية سيرة

ب/ الرواية رواية صراع ثقافي حضاري بين القديم والجديد كما عاش المجتمع العربي في النصف الثاني من القرن العشرين غير أن ذلك الصراع الذي هو صراع تاريخي بالفعل يجري في الرواية على مستوى تجربة البطل سامي⁹⁷ ، فهو فرد في النخبة يتسلح بالثقافة الأدبية ويملك الاستعداد لأن يكون كاتباً . فقبل أن تنهي الرواية أحداثها يكون سامي قد وعى قدره بأن يصبح أدبياً كاتباً بل وبدأ ممارسة الكتابة إبداعاً وترجمة فهل هناك علاقة ما بين هذه الشخصية الحكائية وبين كاتب الرواية مادامت المواصفات الأولية توحى بإمكان قيام هذه العلاقة ؟

سيكون موضوعياً أن نمنح الكاتب ذاته تأسيس الجواب لهذا التساؤل (كنت في حوالي العاشرة من عمري حين قرأت للمرة الأولى كتاب الأيام لطفه حسين وقد عشت أسابيع وشهور مع ذلك الصبي الذي كأنه المؤلف وبلغ من تأثير الأيام في نفسي وفكري أي تمنيت أن أعيش أحداثاً كحداثة طه حسين وأن تتاح لي في المستقبل فرصة كتابة هذه الحداثة وقد كتبتها بالفعل عام 1958 في روايتي الثانية الخندق العميق . ولست أشك الآن في أن قبولي الالتحاق بالمعهد الديني الذي انتسبت إليه و أنا في الحادية عشرة كان مقوداً برغبة مكنونة في النفس أن أعيش التجربة التي عاشها ذلك الفتى وأن أعاني معاناة حقيقية ظروفها ومؤثراتها وكنت على وعي مبكر بأن نعمة البصر التي حرمها صاحب الأيام ربما أتاحت لي من كنوز الأدب والعلم ما لم يكن متاحاً له فانصرفت أغذي هذا الوهم بقراءة كثيفة في الأدبين العربي والفرنسي حتى أن رفاقي في المعهد الديني لا يزالون يذكرون بأنهم قلما كانوا يرونني في أوقات الفراغ خارج مكتبة المعهد ...

وكنت أتابع بلهفة كل ما كان يكتبه طه حسين وأجد فيه المزيد من المعرفة أكتسبه وعزفت عن الدراسة الدينية إلى الأدب الذي كنت أميل إليه وقد بلغ من طموحي أي بدأت وأنا بعد في الرابعة عشرة ترجمة رواية فرنسية أعجبت بها إعجاباً عظيماً هي رواية مولن الكبير لألين فورنييه وبذلت في ترجمتها طوال عام جهد مضنياً لم تكن السن لتحتمله، حين فرغت من الترجمة .. تجرأت فأرسلت بالمخطوطة إلى طه حسين الذي كان مشرفاً آنذاك على إصدار الكاتب المصري .. وقد أصابني الذهول حين بلغني أن الدكتور طه حسين وافق على نشر الترجمة فملأني ذلك اعتزازاً وزهواً ... ولكني فوجئت يوماً باحتجاب مجلة الكاتب المصري وإغلاق فرع دارها الناشئة ... ولعل الحلم الذي كان يداعبني في السفر إلى فرنسا وإعداد أطروحة الدكتوراه في الأدب ... لعل الحلم هذا إنما كان حلماً خفياً لرحلة طه حسين إلى فرنسا وفوزه بشهادة الدكتوراه فيها ...)⁹⁸

يمكن تحليل ملفوظ الكاتب - في هذا المقال - من خلال الوقوف على جملة من الحقائق الهامة المتصلة بآفاق قراءة الخندق العميق :

أولاً : إن زمن إبداع الرواية هو سنة 1958 أي بعد أن حقق الكاتب رحلته إلى فرنسا وأتمى دراسته بها وبعد أن أصدر روايته الأولى الحي اللاتيني .

ثانيا : إن الكاتب قد تلقى في مرحلة طفولته تأثيرا قويا من كاتب الأيام لطفه حسين
 ثالثا : إن الأحداث والمواقف التي عرفها الكاتب في حياته الواقعية كما يرويها بنفسه في ملفوظه السابق تتطابق
 تماما مع الأحداث والمواقف الأساسية في الرواية وبالوسع إبراز هذا التطابق بواسطة الجدول التالي :

الكاتب	البطل سامي
الأحداث لواقعية	أحداث الرواية
قراءة الأيام والتأثر بها في سن العاشرة	/
دخول المعهد الديني في سن الحادية عشرة	دخول المعهد الديني طفلا
الإقبال على المطالعة بنهم في مكتبة المعهد	كان يقضي معظم ساعات فراغه في مكتبة المعهد
العزوف عن الدراسة الدينية إلى الأدب	النفور من الدراسة بالمعهد الديني والميل إلى الأدب قراءة
ترجمة قصة مولن الكبير لألين فورننيه في سن الرابعة عشرة	وكتابة وترجمة
اتصاله بمجلة الكاتب المصري	ترجمة قصة مولن الكبير في سن مبكرة
الرحلة إلى فرنسا	أرسل بعض أقاصيصه إلى تلك المجلة المصرية) الرحلة إلى فرنسا

وهكذا فإن الأحداث الأساسية التي شكلت بنية الرواية متطابقة مع الأحداث التي عاشها - واقعا - الكاتب في حياته . وهذا يؤكد هوية الخندق العميق كرواية سيرة لبطلها الذي هو في الأساس خلقا فنيا لكاتبها الدكتور سهيل ادريس . غير أن سؤالا مهما يفرض نفسه في هذا المستوى من المقارنة بين أحداث الرواية وحيات كاتبها : لماذا أغفلت الرواية نهائيا ذلك الحدث البارز في حياة الكاتب المتعلق بقراءة كتاب الأيام وتأثره البالغ به رغم أنه ذكرت قراءة البطل لقصة مولن الكبير وترجمته لها ؟

إن نواة الجدل عن هذا السؤال متضمنة في حديث الكاتب نفسه حين قال : (وبلغ من تأثير الأيام في نفسي وفكري أن تمنيت أن أعيش حادثة كحادثة طه حسين وأن تتاح لي في المستقبل فرصة كتابة هذه الحادثة وقد كتبتها بالفعل عام 1958).⁹⁹

إن مقصدية الكاتب العميقة نجدها في الرغبة التي رافقت حياته منذ عهد الطفولة في أن يحاكي نموذج الأديب - الأيام هي ذاتها التي دفعته - وربما لا شعوريا - في أن يغيب الكشف عن مثاله الأدبي في مستوى الكتابة والواقع داخل بنية "الخندق العميق" ، حتى يحقق لها في أفق القراءة الحد اللازم من الإبداع والمفارقة ، ولو أثبت الكاتب حدث التأثير ذلك لطمس في افقها أحد أسباب التميز والاختلاف لأن نموذجها الذي تحاكيه سيكون محايتا لأحداثها بل لأفق قراءتها .

وعلى العكس من ذلك فإن إيراد الكاتب لحدث مولن كبير يخلق دلالة إيجابية باعتباره علامة نبوغ وتفوق بالنسبة إلى شخصية البطل وعلامة على دالة في الصراع الذي خاضه في سبيل تحرره من سلطة النظام الأبوي .

-
- 1 - لحمداني (حميد) بنية النص الروائي ، ط 02 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 1993 ، ص :20
 - 2 - سعيد يقطين ، انفتاح النص الروائي: النص والسياق ، ط 03 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء 2006، ص: 96 - 98
 - 3 - لوسيان غولدمان ، الإله الخفي ، تر: زبيدة القاضي: ط 01، وزارة الثقافة السورية، دمشق، 2010 ، ص :33
 - 4 - سهيل إدريس - الخندق العميق ، ط : 5 ، منشورات دار الآداب ، بيروت 1986
 - 5 - نفسه . صفحة الغلاف
 - 6 - نفسه
 - 7 - نفسه
 - 8 - نفسه
 - 9 - نفسه
 - 10 - نفسه ، ص : 07
 - 11 - نفسه ، ص : 170
 - 12 - نفسه، ص: 07
 - 13 - فرويد ، التحليل النفسي والفن ، تر: سمير كرم ، ط 02 ، دار الطليعة ، بيروت 1979 ، ص: 102 - 103
 - 14 - سهيل إدريس ، الخندق العميق ، ص: 18
 - 15 - نفسه
 - 16 - نفسه
 - 17 - نفسه
 - 18 - جورج طرايشي ، عقدة أوديب في الرواية العربية، دار الطليعة ، بيروت ، 1984 ، ص: 278
 - 19 - سهيل إدريس ، الخندق العميق ، ص: 18
 - 20 - نفسه، ص: 156
 - 21 - نفسه ، ص: 153
 - 22 - نفسه
 - 23 - نفسه ، ص 157
 - 24 - نفسه ، ص : 168
 - 25 - نفسه ، ص: 61
 - 26 - نفسه ، ص : 13
 - 27 - نفسه ، ص : 66
 - 28 - نفسه ، ص : 12- 13
 - 29 - نفسه ، ص : 23
 - 30 - نفسه ، ص: 30
 - 31 - نفسه ، ص : 28
 - 32 - نفسه ، ص: 37
 - 33 - نفسه ، ص : 35
 - 34 - نفسه ، ص: 39
 - 35 - نفسه ، ص : 52

-
- 36 - نفسه ، ص : 64
- 37 - نفسه ، ص : 67
- 38 - نفسه ، ص : 70
- 39 - نفسه ، ص : 116
- 40 - نفسه ، ص : 40
- 41 - نفسه ، ص : 39
- 42 - نفسه
- 43 - نفسه ، ص : 116
- 44 - نفسه ، ص : 122
- 45 - سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي ، ط 04 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 2005 ، ص : 89
- 46 - مصطفى التواقي ، دراسة في روايات نجيب محفوظ الذهنية (اللص والكلاب ، الطريق ، الشحاذ) ، ط 01 ، الدار التونسية للنشر ، تونس
- 1986 ، ص : 107 - 109
- 47 - سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي ، ص : 89 - 90
- 48 - سهيل ادريس ، الخندق العميق ، ص : 86
- 49 - نفسه ، ص : 87
- 50 - نفسه ، ص : 15
- 51 - نفسه ، ص : 19
- 52 - نفسه
- 53 - نفسه ، ص : 95
- 54 - نفسه ، ص : 105
- 55 - نفسه ، ص : 48
- 56 - نفسه ، ص : 122
- 57 - نفسه ، ص : 166
- 58 - نفسه ، ص : 169
- 59 - نفسه ، ص : 170
- 60 - نفسه ، ص : 101
- 61 - نفسه ، ص : 29
- 62 - نفسه ، ص : 140
- 63 - نفسه ، ص : 14
- 64 - نفسه
- 65 - نفسه ، ص : 140
- 66 - نفسه ، ص : 17
- 67 - نفسه ، ص : 20
- 68 - نفسه ، ص : 77
- 69 - نفسه ، ص : 109

-
- 70 - نفسه ، ص: 30
- 71 - نفسه
- 72 - نفسه ، ص: 44
- 73 - نفسه ، ص: 45
- 74 - نفسه ، ص: 170
- 75 - نفسه ، ص: 19
- 76 - نفسه ، ص: 75
- 77 - نفسه
- 78 - نفسه ، ص: 60
- 79 - نفسه ، ص: 96
- 80 - نفسه ، ص: 61
- 81 - نفسه
- 82 - نفسه ، ص: 79
- 83 - نفسه ، ص: 80
- 84 - نفسه ، ص: 89
- 85 - نفسه ، ص: 113
- 86 - نفسه ، ص: 153
- 87 - نفسه ، ص: 125
- 88 - نفسه ، ص: 157
- 89 - فرويد ، قلق في الحضارة، تر جورج طرايشي ، ط 2 ، دار الطليعة ، بيروت 1979 ، ص: 99
- 90 - جورج طرايشي ، عقدة أوديب في الرواية العربية، تناول الباحث تجليات عقدة أوديب لدى أربعة من كتاب الرواية العربية (المازني ، توفيق الحكيم ، أمينة السعيد ، سهيل إدريس)
- 91 - نفسه ، ص: 278
- 92 - نفسه ، ص: 128
- 93 - نفسه ، ص: 170
- 94 - نفسه ، ص: 44-43
- 95 - نفسه ، : 41
- 96 - نفسه ، ص: 42
- 97 - سماها جورج طرايشي: رواية البطل أو رواية ذات البطل ، عقدة أوديب في الرواية العربية، ص: 279
- 98 - سهيل إدريس ، طه حسين والأمانة القديمة، مجلة العربي ، العدد : 539 ، أكتوبر 2003 ، الكويت، ص: 64-65
- 99 - نفسه ، ص: 64

التعبيرات الثقافية والممارسات الدينية الشعبية

بحث انثربولوجي في مجتمع إقليم البترا

د. مرام معن الفريجات

د. عايدة مهاجر ابوتاية

جامعة الحسين بن طلال

معان - الأردن

يهدف هذا البحث إلى دراسة أشكال التعبير الثقافي والطقوس الدينية في منطقة البترا في جنوب الأردن والمناطق المحيطة بها، بالتركز على حالتين دراستين الأولى تتناول الطقوس الدينية الخاصة بزيارة الأضرحة والأشجار المقدسة، والثانية تتناول تطور تصورات المجتمعات المحلية حول الآثار في مدينة البترا. تعتمد الدراسة على المنهج الانثربولوجي ، وتأتي أهميتها من المحددات الخاصة لمجتمع الدراسة الذي تشكل وسط بيئة تراثية تشتمل على مدينة البترا إحدى أهم المدن الأثرية الكلاسيكية، ما يمنح علاقة المجتمعات المحلية بالمواقع الأثرية خصوصية واضحة، إلى جانب تأثير الاتصال الثقافي الواسع مع العالم الخارجي بفعل السياحة في سرعة التحولات التي تنال الإطار المرجعي للأفراد في المعتقدات والتعبيرات الثقافية خلصت الدراسة الى أن هناك تزايد في التهديد للثقافة المحلية، الأمر الذي يتطلب حماية وتوثيق التراث المادي وغير المادي بسبب تأثره بنشاطات تسليع الثقافة المحلية ضمن الأنشطة السياحية. بالإضافة إلى ضرورة حماية الهوية الثقافية المحلية واستدامتها.

Abstract

The research aims to study the cultural expressions and religious rituals in the region of Petra and its surrounding regions. Moreover, it focuses on two main dimensions; the religious rituals in relation to visit to tombs and holy trees, and the development of the cultural view of Petra antiquates. The importance of the study stems from the special issues related to the research population in relation to its heritage, and the wide cultural communication with the world through tourism. These two issues are believed to influence the mental, religious, and cultural expressions and rituals.

Findings showed that there is an increase in danger on the local culture, which requires protecting and documenting the tangible and intangible heritage due to the commercialization of local cultures by tourism, in addition to the need for protecting the local cultural identity and its sustainability.

ملخص

تستمد الممارسات الدينية الشعبية قوتها من القدرة على إضفاء سمات مادية على الكثير من المظاهر والمفاهيم والتصورات التي تعكسها الممارسات اليومية للأفراد والجماعات، وبينما يمثل الدين الرسمي الالتزام بالنصوص الأولى والشرعية والعلاقة المباشرة، أي غياب الوسيط بين المؤمن والله، ويمارس عادة من قبل رجال الدين الرسميين والمتعلمين والفئات الاجتماعية المتصلة بالمصادر الأولى للشرعية، نجد أن الدين الشعبي يتمثل في التدرج في علاقة المؤمن بالله وفي الاختيار الروحي؛ وهو بالتالي أقرب ما يكون منظومة من المعتقدات الشعبية المحلية التي نمت وتراكمت بفعل الممارسات المادية والبحث الدائم عن وظائف اجتماعية للدين في أغلبها تسويغية للواقع.

تهدف هذه الدراسة إلى بحث التعبيرات الثقافية والممارسات الدينية الشعبية في منطقة البترا وجوارها في جنوب الأردن والتحول التي نالتها، من خلال دراسة حالتين الأولى الممارسات الدينية الشعبية المتمثلة في زيارة المقامات والأولياء ومكانة الأشجار المقدسة، والثانية تطور التصورات الثقافية حول آثار البترا في وعي المجتمع المحلي.

يضم مجتمع الدراسة ست بلدات حول منطقة وادي موسى وجوارها ويشكل اليوم إقليماً إدارياً واحداً أخذ تسمية إقليم البترا، ويقع في الطرف الغربي لجبال الشراه، وتعد المنطقة ذات طابع تضاريسي وعراً، إذ تمتد المرتفعات الشرقية بمحاذاة وادي موسى والطيبة وتتميز جبال البترا بتكوين جيولوجي آخر هو الصخور الرملية، ويصل عدد سكان المنطقة إلى حوالي (28) ألف نسمة في أغلبهم يعودون إلى تكوين اجتماعي يعتمد على الأنساق القرابية التقليدية .

تأتي أهمية هذه الدراسة من المحددات الخاصة لمجتمع الدراسة الذي تشكل وسط بيئة تراثية تشتمل على مدينة البترا إحدى أهم المدن الأثرية الكلاسيكية، ما يمنح علاقة المجتمعات المحلية بالمواقع الأثرية، وبناء الصور الذهنية والمعتقدات حولها خصوصية واضحة، إلى جانب تأثير الاتصال الثقافي الواسع مع العالم الخارجي بفعل السياحة في سرعة التحولات التي تنال الإطار المرجعي للأفراد في المعتقدات والتعبيرات الثقافية.

أولاً: الإطار النظري والدراسات السابقة

أ- الإطار النظري

تنتشر مظاهر الدين الشعبي في الأوساط الشعبية وتمارسه في أغلب الأحيان الطبقات الفقيرة، وأهم مظاهر هذه الممارسات الدينية تتمثل بالتعبد للأولياء والمزارات والقبور والأشجار المقدسة وغيرها. (بركات، 1991)، حيث توفر هذه الممارسات المعادل الموضوعي الروحي للعجز المادي أمام مشكلات الحياة ونقص القدرات على مواجهتها، فالطبقات الاجتماعية الفقيرة والعاجزة تلجأ إلى وسطاء ملموسين بعيداً عن النصوص المجردة والتعاليم الروحية المتشددة. (حجازي، 1992)، وبذلك يمثل الدين الشعبي إحدى تعبيرات الصراع الاجتماعي السائد، وأداة من أدوات التسويغ الاجتماعي والهروب من الظلم الاجتماعي في البحث عن فضاء روحي جديد يتلمس فيه المؤمن من خلال الوسيط الحسي حاجاته ومطالبه وعطشه الروحي الذي أنتجه التجريد الكبير لمفهوم الله عبر نصوص الدين الرسمي.

ترتبط الممارسات الدينية الشعبية بالتصور الثقافي أو التمثيلات الاجتماعية والثقافية وهي النظرية التي تعنى بوصف كيف يفكر الناس وماذا يفكرون في تجاربهم اليومية المتراكمة، وكيف يؤثر الواقع الاجتماعي الأوسع في أفكارهم، ومفهوم التمثيلات الاجتماعية والثقافية (Social and cultural representation) يذهب إلى تفسير الجوانب المتعددة للحياة الاجتماعية كظواهر يمكن دراستها، فهي انساق معرفية ذات منطق ولغة خاصة بها أي خطاب مستقل، يشتمل على قيم وأفكار، وتقوم بوظيفتين أولهما إرساء واقع سيساعد الأفراد على توجيه أنفسهم في عالمهم الاجتماعي، وثانيهما للمساعدة على الاتصال وإرساء التواصل بين أعضاء الجماعة المحلية من خلال تزويدهم بنظام رمزي للتبادل الاجتماعي. (بدوي، 1993).

تأتي القيمة النظرية لهذه الدراسة وفق محدداتها التي تلخص في ثلاثة محددات أساسية، وهي أولاً: تأثير السياحة والاتصال المكثف مع العالم الخارجي في الخصوصية الثقافية وتعرض التعبيرات الثقافية والممارسة الدينية التقليدية إلى الزوال السريع دون توثيق أو حماية، كما يحدث في إقليم البترا الذي يشهد تنمية سياحية واسعة ما يجعل الدراسة تقدم قيمة نظرية مضافة في فهم الآليات والدوافع التي تخدم هذا الغرض.

ثانياً: تعمل الدوافع النفعية وطبيعة الأعمال السياحية على إعادة تكييف الممارسات الدينية الشعبية والتعبيرات الثقافية المحلية وتحويلها إلى سلعة ضمن العرض السياحي اليومي، وبدلاً من أن تكون السياحة أداة لحماية التراث والخصوصيات المحلية تعمل على تشويهها وتحويلها لسلعة للبيع.

ثالثاً: أن نمو الحركات الدينية المعاصرة في الشرق الأوسط وفر مناحاً جاذباً لأفكار شعبية سياسية قد توظف في الإساءة للأديان (Khudori, 2010).

لقد أشارت الوثيقة الأساسية للمؤتمر الدولي الحكومي للسياسات الثقافية من أجل التنمية الذي نظّمته منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (ستوكهولم، 1988) إلى ترشيد دور السياحة في تنمية المجتمعات والحفاظ على ثقافتها بوضوح. فقد نصت هذه الوثيقة على أن السياحة تمتلك إمكانيات هائلة، يُستطاع بموجبها إنشاء آليات تضمن للسكان المحليين الحصول على مزايا اقتصادية والشعور بالارتياح نتيجة لأنشطة التنمية السياحية. وفي هذا الإطار يجب أن يُنظر إلى التراث والثقافات المحلية برؤية تضمن أكبر قدر من التكافؤ والاستدامة باعتبارهما من أصول التنمية. ويعني ذلك أنه يجب أن يساعد على تلبية احتياجات الجماعات المحلية، والحفاظ على الثقافات المحلية والتراث دون تحويلها إلى سلع يتم استغلالها من قبل القطاع الخاص بطريقة لا يمكن التحكم فيها. (اليونسكو، 1988).

يبدو أحد مظاهر الصراع الثقافي، التي ظهرت مؤخراً مدخلا هاما فيما تواجه السياحة من تحديات في بعض المجتمعات المضيفة، حيث تبدو هذه التحديات للوهلة الأولى إما ذات بُعد سياسي وعقائدي محض، هو الأمر المتمثل بالإرهاب والعنف الموجه ضد الأفواج السياحية في بعض دول العالم النامي التي تعاني من آثار صراعات سياسية ذات علاقة بالغرب، مثل مصر والفلبين والباكستان وغيرها (Brown, 1998). ففي حين كانت إشارات الاهتمام توجه إلى التعصب الأصولي لدى بعض الجماعات الدينية، إلا أن ذلك تفسير لا يقدم إجابة لأبعاد وجذور

هذا السلوك الذي لا يرتبط بالأديان والمعتقدات، بل يعبر عن صراع ثقافي اجتماعي يحمل جذور اجتماعية واقتصادية تبدو في تجاهل احتياجات الفقراء وازدياد حجم البؤس نتيجة البطالة وتردي الأوضاع العامة وتواضع نوعية الحياة، الأمر الذي يجد في المعتقدات الدينية الشعبية بعض المحركات له (Brown:1998).

لقد ظهرت في الربع الأخير من القرن الماضي العديد من الدراسات التي أجرى معظمها أنثروبولوجيون والتي أكدت أن التغير الضخم في الدخل والقوة الذي أحدثته السياحة، وتحديدًا في بلدان العالم الثالث، يوازيه دمار ضخم وتغير في الثقافة المحلية. فتحويل الثقافة إلى سلعة حينما تصبح جزءاً من المنتج السياحي يجعلها فعالية تقام مقابل المال، ولم تعد تحمل معانيها. وهكذا فإن جعل الثقافة المحلية سلعة، يؤدي إلى أن يسرق من الناس المعاني والمفاهيم التي ينظمون بها حياتهم. وبما أن هذا النظام من المعتقدات هو ضمني، فإن حاملها هذه المفاهيم والمعاني يجدون أنفسهم في غاية الصعوبة والإرتباك في فهم ما يحدث لهم (Greenwood, 1989). ومن الأمثلة الشهيرة في هذا المجال، تدمير الثقافة المحلية في مقاطعة الباسك الأسبانية التي تعرض فيها العديد من عناصر الثقافة المحلية إلى التسليع (أي تحويلها إلى سلع)، وبخاصة الاحتفال والطقس الشعبي الذي يدعى Alarte والذي ورثه الأسبان منذ أكثر من 400 عام، وتحولت مظاهره إلى طقس تحت الطلب حسب أمزجة السائحين، مما يعني أن التعبيرات والمضامين اللامادية للعناصر المادية لهذه الثقافات خضعت للتحريف والتعديل حسب طلب السائح وتحت رغبة المنتج في الحصول على المقابل، الأمر الذي يوضح مدى التهديد الذي تواجه الثقافة المحلية بفعل السياحة في بعض المجتمعات (Valene,1989)، وفي المقابل هناك تجارب أخرى تتحدث عن استجابة مبدعة في الثقافة المحلية وآثار إيجابية على مسار نمو الثقافة المحلية عن طريق تنمية الوعي بالتاريخ، وتشجيع الصناعات التقليدية، وتقوية الشعور بالانتماء لهذه الثقافة (Green Wood,1989).

إن يحمل هذه التحولات الاقتصادية قد أثرت على عمليات التغير الاجتماعي والثقافي وبالتالي نالت من التصورات الثقافية والمعتقدات المحلية، وفي مقدمتها الممارسات الدينية الشعبية، إن دراسة هذه التحولات تقود إلى فهم دور الاتصال الثقافي في تغيير الأنساق الأخرى بتغير الوظائف التقليدية، وبذلك تعتمد الدراسة في مرجعيتها النظرية على الاتجاهات والمداخل النظرية الآتية:

1- الاتجاه الرمزي:

تتلخص التفاعلية الرمزية في التركيز على مفهومين أساسيين هما الرموز والمعاني. ويرى ميد بأن الناس يتعاملون بالرموز وهي التي وفرت إمكانيات الفهم المتبادل، ومن خلالها تفسر قدرة الإنسان على التعلم وإيجاد تنظيمات اجتماعية، وهي التي تميز الإنسان عن بقية الكائنات الأخرى. حيث تساعد الرموز الإنسان على التفاعل مع الآخرين، مما يساهم في تسهيل التعبير عن أشياء لها دلالة اجتماعية، ومما يسمح بتكوين النظم الاجتماعية والمجتمعات والثقافات (Harris and Lipman,1980).

والرمز يعبر عن نسق من الأفكار والمعاني المتحققة في أذهان الجماعة الإنسانية عن طريق عملية الغرس الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية. وهو عنصر من عناصر ثقافة الجماعة الإنسانية، كما يعبر عن بعض جوانب البناء الاجتماعي، وبذلك يتدخل النسق الرمزي تدخلا مباشرا في تشكيل العلاقات بين الأفراد والمجتمعات.

وترى ماري دوجلاس (Mary Douglas) إن قوة الرموز وتأثيرها تتحدد وفقاً لقوة البناء الاجتماعي وتماثله، إذ أنه كلما مارس البناء الاجتماعي ضغوطاً اجتماعية شديدة على أعضائه. كلما كانت الرموز ذات فعالية وتأثير، وينطبق هذا الواقع على المجتمعات البدائية والبسيطة والمتحضرة (حامد، 1996).

وترتبط التفاعلية الرمزية بالاتصال الذي يحقق التفاعل على أساس تبادل المعاني بواسطة الرموز التي تنظم خبرة المجتمع وتخلق تراث مشترك من المعاني والرموز، وهذه التفاعلية تسهم في إنتاج نسيج معقد من الأفكار والقيم والأفعال الاجتماعية التي يتبادلها الناس في حياتهم اليومية (Harris and Lipman, 1980).

ويتحدث كل من هارس و ليبمان (Harris and Lipmann) حول ما يسمياه الهندسة الاجتماعية التي تخلق التفاعل الرمزي داخل الثقافة الواحدة وبين الثقافات، وتعمل على التمييز بين ثقافة وأخرى، وعلى سبيل المثال يمثل الهلال مرحلة طبيعية من مراحل ظهور القمر ونموه، لكنه يستخدم كرمز للعالم الإسلامي بينما تعمل (الهندسة الاجتماعية) على إيجاد حاله أخرى وهي ما يسميه (الحتمية المعمارية) والتي تعني علاقة البنى الفيزيائية أي الوجود المادي أو الفيزيائي فيما يتعلق بالجسد أو البيئة المحيطة والوظائف التي يؤديها الرمز في التفاعل الاجتماعي، حيث تنشأ هذه العلاقة التبادلية بين الأشكال والوظائف والوجود المادي للرموز من خلال السلوك اليومي (Harris and Lipman, 1980).

إن التفاعلية الرمزية توفر جملة من المفاهيم الأساسية التي تسهم في فهم التعبيرات الثقافية المحلية وعلاقتها بالممارسات الدينية في الثقافة الشعبية، فالرمز هو أساس المعتقد وهو مقدس، فمقدرة الإنسان على استخدام الرموز هي التي تميزه عن بقية الكائنات (عطا الله، 2003).

2- الاتجاه المعرفي:

تعتبر الثقافة بوجه عام عن أساليب السلوك والتفكير المكتسبة اجتماعياً عن طريق عملية تكيف الجماعة الإنسانية مع الظروف العامة التي تعيشها، وتشتمل الثقافة على مجموعتين متميزتين من العناصر، أولهما الممارسات والوقائع الفعلية أي أساليب السلوك، وثانيهما الأفكار والمعاني الموجودة في أذهان أفراد الجماعة (حامد، 1996).

ولما كان موضوع هذا البحث هو المعتقدات الدينية الشعبية والتعبيرات الثقافية في بيئة سياحية، فهذا يعني الأخذ بالاتجاه الذي يعد الثقافة انساقاً من الأفكار والمعاني والمثل والتصورات وأساليب السلوك، أي الوقائع والممارسات الفعلية. فالسلوك يعبر عن بعض ما هو فكري والأفكار والمعاني عادة ما تكون انعكاساً أو نتاجاً لنشاط اجتماعي، وهو ما يتفق مع كون النسق السياحي يعبر عن حالة من الاتصال والاحتكاك الثقافي بين المجتمعات المضيفة والسائحين يتم خلالها ممارسة أساليب السلوك الفعلية والتعرف على الأفكار والمعاني بين الطرفين.

ومن المعروف أن لكل ثقافة نسقها المعرفي الذي يميزها بخصوصية ما، ويذهب (دركهايم) إلى أن قبول فكرة معينة أو رفضها يتحدد وفقاً لمدى انساقها مع نسق المعتقدات والقيم في ثقافة المجتمع، وهذا يعني أن الموقف من الأفكار الاجتماعية يتحدد اجتماعياً، أي من خلال الوقائع والممارسات وليس ذهنياً. حيث أن المواقف الفكرية ليست جامدة، بل تتصف بالدينامية والتغير مع التغيرات الاجتماعية والثقافية المستمرة (عطا الله، 2003).

اما جيمس دونز (James Dons) فيؤكد البعد المعرفي في التمايز بين الشعوب، حيث ان الخريطة الادراكية لاي شعب تحتفظ بعلامح ومقومات اساسية، لا تخلو من بعض الاختلافات من جيل الى آخر، اي ان لكل مجتمع تصورات الخاصة عن العالم والآخرين(عطا الله، 2003)، الأمر الذي يؤكد اهمية خصوصية البعد المعرفي في عمليات الاحتكاك والاتصال بين الشعوب التي تعد السياحة من ابرز امثلتها.

ويرى جورج زيمل (Simile) ان الاساس في العلاقات الاجتماعية بين الافراد هو المعرفة، اي ان كل شخص لديه شيئا من المعرفة عن الشخص الاخر، وانعدام هذه المعرفة يعني عدم امكانية قيام اي نوع من التفاعل، وترتبط هذه المعرفة بالجوانب النفسية وخبرة الشخص عن الآخر. والتي لا يشترط فيها ان تكون معرفة صادقة أو موضوعية. (حامد، 1996).

منهجية الدراسة واجراءتها

اعتمد البحث اولاً على المنهج الانثروبولوجي المتمثل في البحث الميداني الذي يفرض الإقامة في مجتمع البحث لتحقيق الملاحظة المباشرة والملاحظة غير المباشرة اعتماداً على الاخباريين الذين لديهم الخبرة والمعرفة الدقيقة بالاحداث والسلوكيات والخصوصيات الثقافية للثقافة المحلية. إلى جانب ذلك تتيح الإقامة والمعاشة إجراء المقابلات المتعمقة، مما يسهم في إجراء البحث بدقة وعمق وفي سبر العناصر الاجتماعية والثقافية موضوع البحث والتعرف على تفاصيلها والتغير الذي لحق بها حيث استمرت فترة الإقامة والمعاشة لاهداف هذا البحث نحو اربعة اشهر امتدت من تشرين الثاني 2011 الى بداية اذار 2012 .

وقد تركز البحث في مدينة وادي موسى وبلدة الطيبة باعتبارهما الاكثر ارتباطا بالسياحة، والاكثر تأثراً بالعمليات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المصاحبة لها، اذ ان وادي موسى هي بوابة مدينة البترا وتحتضن معظم الفعاليات السياحية من فنادق ومطاعم ومتاجر ومكاتب سياحية ومنشآت رسمية معنية بالسياحة، ومجتمعها المحلي كان لوقت قريب اكثر ارتباطاً بالمعتقدات الدينية الشعبية. اما بلدة الطيبة تعد الاقرب بعد وادي موسى وعلى الرغم من ارتباطها بالسياحة جاء متأخراً عن وادي موسى الا انها بدأت تشهد تنمية واضحة بتأثير السياحة. وشمل البحث اجراء 19 مقابلة معمقة اعتمدت على جيل الاجداد وجيل الآباء وتم الالتقاء والحصول على معلومات من نحو 47 إخباري من جيلي الآباء والأجداد إضافة إلى ثلاث جلسات تذكّر جماعية ضمت كل منها نحو 5-7 إخباريين .

واعتمد البحث ثانياً على المنهج التاريخي حتى يمكن تتبع ظهور المعتقدات الدينية الشعبية وما يرتبط بها من تعبيرات وتاريخ المقامات وما لحق بها من تطورات واستخدامات، إضافة إلى تطور التعبيرات الثقافية المحلية حول الآثار والبعد الثقافي الديني في محتوى الصور الذهنية حولها.

السياق

يقع إقليم البترا في الجنوب الغربي من الأردن، وفي الجهة الغربية من مركز محافظة معان. و يبعد عن مدينة معان حوالي 33 كم. وتبلغ مساحة الإقليم حوالي(900 كم2)، وتبعد عن العاصمة عمان 220 كم (الفريجات، 2011).

ويحد إقليم البترا من الشمال بلدة الشوبك، ومن الجنوب قضاء المريغة، ومن الغرب وادي عربة، ومن الشرق قضاء آيل. أما المدن والبلدان والقرى والتجمعات السكانية الأساسية في الإقليم التي تطابق مع حدود لواء البترا فهي : وادي موسى، الطيبة، الحمية الأثرية (البترا)، البيضاء، أم صيحون، الراجف، دلاغة، الحى، بئر حمد، المديرج، عين موسى، البقعة (أبو هديب، 2001).

في حين أن التجمعات العمرانية الأساسية التي يمكن أن يطلق عليها مجتمعات محلية، وكما حددها قانون الإقليم هي : وادي موسى، الطيبة، محمية البترا، أم صيحون، الراجف، دلاغة .

يعود التكوين الاجتماعي الحديث لمجتمع مناطق إقليم البترا إلى نهايات القرن التاسع عشر حينما بدأت القبائل المحلية في جنوب الأردن بالاستقرار التدريجي، إذ أسهمت القبيلة الرئيسية في هذه المنطقة وهي قبيلة الليثانة في عمليات الغزو والاحتلال الداخلي التي ميزت حركة القبائل الأردنية في القرن الثامن عشر ، ودخلت هذه القبيلة في حركة التحالفات التي سادت آنذاك. وتتكون القبيلة المركزية (الليثانة) من أربعة مكونات عشائرية لا تتصل بعلاقات قرابية حقيقية وربما يعتمد تقسيمها الى نمط الاستقرار وهي (العبيدية والنوافلة وبني عطا) في وادي موسى وكل منها تتكون من عشائر صغيرة بينما التجمع الرابع (الشرور) والذي ينتمي الى القبيلة المركزية (الليثانة) ويتكون من عدة عشائر صغيرة حيث تسكن هذه العشائر في بلدة الطيبة المجاورة للبترا .

مع مطلع القرن العشرين ظهرت معالم الهوية الاجتماعية المحلية في المنطقة تتبلور من مجتمع قبلي محلي يعتمد على نمط إنتاج رعوي وحركة دائبة في التنقل والترحال إلى مجتمع يتحول بالتدرج نحو نمط إنتاجي فلاحي (Shoup,1985)، ولقد ظهرت هذه المعالم في أعقاب حركة القبيلة المركزية وعشائرها الفرعية نحو الاستقرار في منطقة وادي موسى والقرى المجاورة لها صيفاً بينما اتخذت منطقة البترا مشناً لها طوال فصل الشتاء ، وشهدت هذه المنطقة أول إطار مؤسسي رسمي في مطلع القرن العشرين مع بدايات تأسيس الدولة الأردنية إذ تم إنشاء ناحية وادي موسى والشوبك عام 1921 (الفريجات، 2011)، وفي عام 1926 شهدت المنطقة اضطرابات واسعة احتجاجاً من قبل الأهالي على بعض السياسات التي اتبعتها الحكومة المركزية (الموسى، 1987)، وفي عام 1929 استقبلت المنطقة أول فوج سياحي لزيارة مدينة البترا الأثرية، ومنذ عقد الستينيات من القرن الماضي بدأت تظهر الملامح الأولى لتأسيس النسق السياحي المحلي الذي لم يشهد ازدهار الحقيقي إلا في عقد الثمانينات حيث نلمس حجم التغير الاجتماعي والاقتصادي الذي ألحقته السياحة في المجتمعات المحلية. (Shoup,1985).

الدراسات السابقة

دراسة (Mikkel Bille, 2010)، بعنوان (البحث عن العناية الإلهية من خلال الأشياء). تتناول هذه الدراسة بعض المعتقدات الشعبية المرتبطة بالطبيعة وبالجمال العام والأشياء في منطقة البترا وفي منطقة البيضاء تحديداً ولدى قبيلة العمارين ، ويرصد مجموعة من المعتقدات الشعبية ذات القيمة والدلالة الدينية المرتبطة بفكرة المخلص والتحصين ضد الاشرار والشر (Bille, 2010) .

ويقدم استعراضاً لبعض الممارسات التي يمارسها البدو المحليين طلباً للعناية الالهية، ولمنع الحسد ودرء الشر ، مثل التقرب من صخرة قريبة من سيق البيضا او استخدام الحبة السوداء او الكمون الأسود(حسب وصف الباحث) كعلاج وقيمة لحماية انفسهم من الشر (Bille, 2010) .

دراسة (Salameen and Falahat, 2009)، بعنوان (الممارسات والمعتقدات الدينية في وادي موسى في الفترة من نهاية القرن التاسع عشر الى بداية القرن العشرين ، 2009) .

تحاول هذه الدراسة تقصي بعض ملامح الممارسات الدينية والثقافية خلال فترة نصف قرن تمتد بين اواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين وتحديدًا ما يتعلق بالممارسات والمعتقدات ذات الصلة بالمقامات والقبور والاشجار المقدسة بالاعتماد على مصادر الرحالة الاوروبيين الذين زاروا المنطقة خلال هذه المرحلة اضافة الى ما ورد في مخطوط حمزة العربي الذي زار البترا واقام بها عام 1924 والمسمى جولة بين الآثار (Salameen and Falahat, 2009) .

يقدم وصفاً لموقع جبل النبي هارون من ناحية جغرافية وعلاقتة بالبترا، وقيمة الموقع الأثرية في الفترات النبطية والبيزنطية والاسلامية (Salameen and Falahat, 2009)، وتوضح الدراسة ملامح المعتقدات الشعبية المرتبطة بهذا الموقع كما ذكرتها روايات الرحالة الغربيين خلال فترة الدراسة ومن المواقع الاخرى التي تناولتها الدراسة مقام الحسيني ومقامات الفقرا الواقعة في الطريق بين وادي موسى والطيبة في منطقة تدعى عين آمون (Salameen and Falahat, 2009) .

دراسة (Jakko Frosen and Paivi Miettunen, 2008)، بعنوان (الأدبيات الدينية حول النبي هارون: الأسطورة والواقع)، يستعرض تاريخ النبي هارون وشخصيته وعلاقتة بالنبي موسى من خلال تقصي وتتبع المعلومات الواردة في المصادر الدينية والتاريخية والجغرافية وفي مقدمة ذلك المصادر التوراتية، حيث تصف الدراسة دور هارون في خروج اليهود من مصر وعبورهم سيناء نحو بلاد آدوم وصراعهم مع الآدوميين، والمهم في هذه الدراسة تتبع الجدل التاريخي والديني حول وفاة هارون ومكان دفنه حيث تعدد الروايات بين المصادر التاريخية والدينية من بينها الرواية الدينية اليهودية التي تقول بموت هارون على حدود آدوم ودفنه على قمة جبل هناك الى جانب روايات اخرى يتعدد فيها موقع دفن النبي هارون (Frosen and Miettunen, 2008) .

كما تتناول الدراسة المصادر التاريخية التي تحدثت عن النبي هارون ومقامه في الفترة المسيحية المبكرة وفي الفترة البيزنطية وسلطت الدراسة الضوء على تاريخ جبل النبي هارون في البترا وتحديدًا منذ القرن الميلادي الاول حسب رواية المؤرخ الجغرافي - اليهودي - اليوناني Flavius Josephus (Frosen and Miettunen, 2008) .

اما دراسة (Paivi Miettunen , 2004) بعنوان (درب النبي هارون : تقديس النبي هارون في إقليم البترا التقليدي والتغير (1812-2003)، تتناول التاريخ التوراتي للنبي هارون وتاريخ موقع جبل هارون والاستخدامات التاريخية للمقام من خلال استعراض التاريخ السياسي والعشائري لمنطقة البترا (Miettunen , 2004) .

وتسعى للكشف عن التحولات التي شهدتها تقديس مقام النبي هارون لدى القبائل والعشائر في منطقة البترا، حيث رصدت مكانة هذا الموقع وما يرتبط به من طقوس انطلاقاً من عام 1812، اي العودة الى اقدم الاشارات التي

عرضت المكانة الدينية لهذا الموقع من خلال رحلة بيركهات مستفيدة من سلسلة روايات الرحالة الغربيين الذين زاروا البترا وأشاروا للمقامات والمواقع الدينية الشعبية (Miettunen , 2004).

وفي الوقت الذي تستعرض بتفاصيل دقيقة موسم زيارة النبي هارون ومراحلته وما يرتبط به من طقوس وتعبيرات دينية وثقافية، وتفسر علاقة بعض الطقوس بطلب الخصب والمطر، أو برد الشر ودلالة الاطفال في كل ذلك، الا انه لا تتوقف كثيراً امام التغيرات التي شهدتها هذا الموسم منذ مطلع الثمانينيات.

دراسة (Canaan, 1930) حول الفولكلور الشعبي في منطقة البترا، وكنعان هو طبيب فلسطيني من عائلة مسيحية، مهتم بالعلوم الاجتماعية والانثروبولوجيا (1882-1964)، كتب سلسلة من المقالات عن الفولكلور الفلسطيني وعن العادات والتقاليد في الاردن وتحديداً في البترا ونشرت جميعها باللغتين الانجليزية والالمانية ونشرت هذه الدراسة في مجلة (The journal of Palestine oriental society).

زار البترا عام 1920 وعد دراسته بعنوان (طبوغرافية البترا وفولكلورها عام 1929)، (Canaan, 1930:). وصف في هذه الدراسة التكوين الطبوغرافي الطبيعي لمنطقة البترا وما تشهده من تنوع حيوي في النبات والحيوان، ويرصد كنعان اسماء الجبال والكهوف والمواقع الطبيعية كما اطلقها ابناء المناطق البدوية والفلاحين من السكان المحليين عليها، كما يسرد بعض القصص التي سمعها حول المواقع الاثرية من قبل الرواة المحليين حيث رصد 28 موقعاً طبيعياً واثرياً ترتبط بمسميات ذات عمق شعبي وفولكلوري (Canaan, 1930).

ويعتمد في تتبع أسماء المواقع الجغرافية على المضامين الثقافية المحلية لدى المجتمعات المحلية، ويقارن بين مسميات المواقع كما توصل إليها من خلال الدراسة الطبوغرافية والثقافية وما تم تناوله من باحثين ورحالة سبقوه منهم (Musil, Kennedy Dalman, and Brunnow) (Canaan, 1930).

وفي مجال الثقافة الشعبية والفلكلور يوثق كنعان واقع التعبيرات الثقافية الفنية في الأفراح والمناسبات العامة لدى كل من الليانة والبدول كما رصدها في الربع الاول من القرن العشرين (Canaan, 1930).

ويتناول موقع جبل النبي هارون ويصف الموقع الجغرافي للمقام ودلالاته في اعلى قمة الجبل، وتبدو قيمة رواية كنعان بتفاصيل طقس النبي هارون من كون مشاهدته لهذه الطقوس كانت في اوج تمسك المجتمعات المحلية بهذه التقاليد حيث يقدم وصفاً لكافة مراحل الزيارة ويصف الزوار وخصائصهم والسلوكيات التي تتم اثناء الزيارة والادوات التي تستخدم بها، اضافة الى بعض التعبيرات الشفوية وكل ما يحمله ذلك من دلالات دينية مثل القسم او الحلف باسم النبي هارون. ويقدم كنعان وصفاً لبعض المقامات الاخرى في منطقة البترا ومنها مقام الحسيني جد عشيرة الحسنات، ويقدم بعض الإشارات للدلالة الدينية لموقع عين موسى كما لاحظها في مشاهداته في الربع الأول من القرن العشرين (Canaan, 1930).

يتضح من استعراض هذه الدراسات ان معظمها ركزت على دراسة مقام النبي هارون من النواحي الاثرية والتاريخية والجغرافية فيما تندر الدراسات التي تتناول موضوع الطقوس الاجتماعية والدينية المرتبط بالمجتمعات المحلية حيث تتجسد القوة البحثية في الموضوع الدقيق للبحث الحالي، فيما أفادت البحوث السابقة في تحديد بعض الجوانب الوصفية والجغرافية والتاريخية التي دعمت الدراسة الاثنوغرافية من خلال تتبع التعبيرات الثقافية للمجتمعات

المحلية ، فيما لا توجد دراسات مباشرة تناولت الموضوع الثاني لهذا البحث وهو التعبيرات الثقافية للمجتمعات المحلية حول المواقع الاثرية .

ثانياً: الممارسات الدينية الشعبية

لقد استأثر المجتمع المحلي التقليدي في وادي موسى وجوارها بمعتقدات وطقوس ذات صبغة محلية سيطرت على المجتمع المحلي وميزته عن المجتمعات المجاورة في جنوب الأردن ، نظرا لخصائص التكوين الطبيعي والتاريخي لهذه المنطقة فيما تكررت بعض المعتقدات الدينية الشعبية كما هي في المناطق الاخرى، وقد اشار العديد من الرحالة والزائرين للبتراء في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الى ذكر بعض تلك الطقوس والممارسات.

شكلت رحلات الرحالة والمستكشفين الغربيين الى البترا منذ مطلع القرن التاسع عشر المصدر الاول للمعلومات حول المواقع والممارسات الدينية والمعتقدات الشعبية في منطقة البترا وجوارها، حيث شهدت البترا خلال القرن التاسع عشر والرابع الاول من القرن العشرين زيارات لنحو 200 رحلة غربي (العجلوني، 2003).

ولم تسجل قبل ذلك الا زيارة احد سلاطين المسلمين في القرن الرابع عشر الميلادي، بينما ارتبطت رحلة المستكشف السويسري بيركهارت عام 1812م والذي يعد مكتشف البترا للغرب بزيارة مقام النبي هارون حينما قدم نفسه على اساس انه رحالة مسلم يريد التضحية بشاه يذبجها في المقام، بعد ذلك سجلت رحلة فريق البحرية البريطاني ومنهم (Charles Leonard Iry و James Mngles) ، هؤلاء زاروا البترا وموقع النبي هارون عام 1918، وبقوا فيه مدة يومين واتخذوا دليلاً من ابناء القبائل المحلية لزيارة المقام وقدموا وصفاً موجزاً وسريعاً حول الموقع، وفي عام 1820 زار المقام (Louis Murice) وهو رحالة فرنسي التقى خادماً المقام، وفي ربيع عام 1936 زار المقام رحالة امريكي يدعى (John Liroy) وتسلق جبل هارون من الناحية الغربية الا ان افراد من القبائل المحلية قطعوا طريقة ومنعوه من الاستمرار، وفي عام 1837 قام عالم الطبيعة الالماني (Gotthilf) Heinrich بزيارة لمنطقة البترا وقام بجولة حول الجبال المحيطة بها وقدم وصفاً جيولوجياً للمنطقة وتحديداً لجبل هارون، وقام بتوثيق النقوش العربية والعبرية الموجودة في المقام (Miettunen, 2008) .

وتستمر حوادث قطع الطرق من قبل افراد من القبائل المحلية التي تعرض لها رحالة غربيين كما حدث مرة اخرى مع (Edward Robinson) استاذ الدراسات التوراتية الامريكي الذي كان في مهمة بحثية في دراسة جغرافيا فلسطين حيث قضى بعض الوقت في البترا ولم يستطع زيارة المقام (Miettunen, 2008) .

وفي عام 1939م قام الرحالة الانجليزي (John Pell) و (Johnki Nnear) ورفيقهم الاسكتلندي (David Roberts) برحلة الى البترا استمرت خمسة ايام حيث قام Roberts وهو رسام رسم مجموعة من الصور الزيتية لمدينة البترا الاثرية منها لوحين لقمة جبل هارون توضحان المقام وقمة الجبل وحارس المقام (Miettunen, 2008) وفي عام 1840 م شهد جبل هارون العديد من الزوار الغربيين القادمين عن طريق البحر من مدينة العقبة وقام (Robert Stewart و Lord Castlereagh)، بتقديم وصف موجز لزيارتهم للمقام عام 1842م ويبدو ان رحلتهم تزامنت مع احد مواسم الزيارة حيث يصفون الشموع المضاء وقطع القماش الملونة التي زين بها المقام. وفي عام 1945 م زار المقام الفنان الانجليزي William Henry وكان مهتماً بوصف القيمة الدينية للمشهد من

على قمة جبل هارون. وتوالت زيارات الرحالة الغربيين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأهمها المستشرق الانجليزي (Edward Palmer) (Miettunen, 2008) .

ففي زيارة العالم النمساوي (الواموزيل) إلى البترا في مطلع القرن التاسع عشر، تحدث عن سكان المنطقة وأشار ان انقطاع هؤلاء السكان عن الاحتلاط بغيرهم ما حفظ لهم أخلاقهم الأصلية، و كتب عن اخلاق السكان في وادي موسى وآثارهم وأصولهم ولغتهم وشعائهم الدينية، فقد بقي في أعمالهم الدينية وفي ذبائهم وضحاياهم خاصة، علامات جوهرية من الأديان السامية القديمة، حتى ان تاريخ الخرافات عندهم يرد الى عهد قديم جداً ومنها انهم يعتقدون بانه عندما لا تسقط الامطار ويضر الجفاف في مزروعاتهم فيعمد النساء الى اتخاذ عصاوين يجعلانهما ويجعلانهما على شكل صليب يغرس عميقاً في الارض التي تشكو قلة المطر (العابدي، 1974: 0).

زيارة مقام النبي هارون

ولعل أبرز الممارسات الدينية الشعبية التي سادت في مجتمع الدراسة التقليدي هو زيارة مقام النبي هارون الذي يعتقد أن قبر النبي هارون موجود في قمة واحدة من أعلى جبال البترا الرملية، حيث شيد هناك مسجدا بقبة صغيرة بيضاء يعود الى نهاية حكم الماليك (Miettunen, 2008)، وترتبط الأبعاد التاريخية لهذا الموقع باسم وادي موسى وعين موسى التي تقع في مدخل البلدة وفي الوقت الذي لا توجد ادله مادية علمية حول تاريخية هذه المواقع فإن روايات تاريخية أخرى تشير الى أن عين موسى المقصودة بالرواية الدينية تقع في بلدة القديسة كاترين في سيناء. وفي رواية أخرى هي عين ماء موجودة على بعد 12 كلم من قناة السويس في مصر. وتذكر تلك الروايات بأن قبر النبي هارون في بلدة القديسة كاترين في سيناء (زيادين، 1999: 20-22) .

والنبي هارون هو الأخ الأكبر لموسى عليه السلام وهو المتكلم باسمه، وكان النبي موسى قد هرب من وجه فرعون في ارض مصر والتجأ الى مدين وهي منطقة تقع جنوب ايلة (العقبة) عند مدائن شعيب. حيث حدثت قصته مع بنات شعيب، وهناك ظهر له الرب حسب الرواية التوراتية في جبل حوريب في الأرض العربية، وتزوج من ابنه كاهن عربي (زيادين، 1999)، ويذكر العهد القديم سفر تثنية الاشتراع أن هارون توفي في موسى في صحراء سيناء ودفن هناك، أما سفر العدد (20: 25-27) يذكر أن هارون مات على جبل حور في ارض أدوم. والحقيقة التاريخية إننا لا نعلم كيف وصل قبر هارون إلى البترا إذ صح أن المقام الموجود هو لهذا النبي أم انه مجرد أسطورة (زيادين، 1999).

أما المزار الموجود اليوم على قمة أحد جبال البترا على ارتفاع 1353م عن سطح الأرض تعلوه قبة بيضاء هو بناء مكعب بداخله مدفن مستطيل مجلل بالمخمل الأخضر وفي الزاوية الجنوبية الغربية درج يصل الى غار بداخله محراب محفور في الصخر وبداخله مدفن، يعتقد انه للنبي هارون (زيادين، 1999).

زار القائد المملوكي الظاهر بيبرس وكاتبه النويري الموقع سنة 1276م. ولم يتحدث النويري عن وجود بناء فوقه. ويشهد اليوم مسجدا صغيرا كتب على مدخله عبارة: "تم تجديد عمارة هذا المسجد في عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قولون" (1309هـ - 1331 هـ).

أما في التاريخ الحديث تأتي أولى الإشارات حول الطقوس والمعتقدات التي سادت حول هذا الموقع كما يوثقها الرحالة السويسري بيركهارت أثناء زيارته للبترا عام 1812، إذ كان يخشى من سطوة الأهالي ورفضهم لأي غريب يأتي لزيارة البترا آنذاك خوفاً من أن ينهب كنوزها، فسمع عن هذا الموقع وعن الطقوس والمعتقدات السائدة حوله، وادعى أنه مسلم قادم لزيارة النبي هارون. ويريد أن يذبح عترة يقودها تبركا وقربانا، وقد ذكر الدعاء الذي كان الأهالي يدعون به عند تقديم الذبيحة حتى يثق به الدليل الذي رافقه من وادي موسى مقابل حذاء حصان. ونص هذا الدعاء "يا هارون انظر إلينا إننا نذبح هذه الضحية لاجلك، يا هارون احفظنا وسامحنا، ولتكن راضيا عن نياتنا، وما هذه إلا عترة ما هي بسمينة يا هارون، سهل دربنا، والحمد لله رب العالمين" (بيركهارت، 1969).

كما أشار جوسان في زيارته إلى البترا في الفترة (1902-1905) إلى أهمية مقام النبي هارون لدى المجتمع المحلي قائلاً: " وفي البترا يوجد مزار النبي هارون الشهير جداً وله تأثير في نفوس العرب، فالنبي في نظرهم اسمى من الأولياء، فهو الذي تلقى رسالة خاصة من الله لتعليم الناس الطريق الصحيح، فأن مزار وادي موسى له احترامه بين سكان المنطقة"، ومن الملفت أن جوسان يشير بوضوح إلى أن المكان كان مهجوراً في السابق وتم إحياء تقديسه في فترة لاحقة (جوسان، 1997).

أن الطقوس والمعتقدات التي سادت حول هذا الموقع قديمة وأهمها زيارة النبي هارون أو موسم النبي هارون والذي يعود على أقل تقدير إلى ثلاثة قرون، ولقد اجمع الاخباريون على تفاصيل الطقس الاجتماعي بأبعاده الروحية والانفعالية. تتم الزيارة من قبل أهالي وادي موسى مرتين في العام، الزيارة الأولى وتسمى (القنيص) في نهاية شهر (آب - أوغست) والزيارة الشتوية في نهاية شهر (تشرين أول - أكتوبر). يبدأ طقس الزيارة بالمناداة بالناس من قبل شخص يتولى هذه المهمة. وتجمع الروايات بأن الشيخ (درويش الشماسين) هو الذي ورث المناادة بالزيارة في النصف الأول من القرن العشرين ثم خلفه بأداء المهمة ابنة، وكان الشيخ درويش ينادي قائلاً: (زيارة يا ناس) ويكرر ذلك أكثر من مرة ليعم الخير ويستعد الناس للزيارة. ينتظر الناس موعد الزيارة ويتربصون المناادة التي تتم قبل أسبوع بعد أن يحلم الشيخ بأن النبي هارون يزوره في منامه، ثم ينتشر خبر المناادة. وعادة ما يتحدد موعد الزيارة الأربعاء ويتداعى الناس للزيارة من المناطق المجاورة لوادي موسى والطيبة وقرى الشوبك ومعان والطفيلة وبعض القرى الأخرى، يجتمع الناس في مواكب ومجموعات بعد ظهر يوم الأربعاء مستخدمين الرواحل من خيول وبغال أو سيرا على الأقدام. أما المسار الذي تسير فيه المجموعات يبدأ من سيق البترا إلى مخيم نزال و ثم يسلكوا طريق ام دودة (موقع أثري) ومن ثم أرض الثغرة، حتى يتم الوصول إلى المقام، وقد لبس الرجال والنساء والشباب والفتيات وتأهبوا بأحسن حال واصطحبوا معهم زيت الزيتون والشموع، وتقوم الأسر التي لا تتمكن من المشاركة في الزيارة بإرسال ما تعارفوا على تسميته (بالضو) وهو الزيت أو السمن أو الزبدة بالإضافة إلى المواد الخاصة بالانارة مثل السراج والفتيلة وغيرها، بالإضافة إلى الشمع وقطعة قماش بيضاء مع أحد الزوار، وإلى منتصف الثمانينيات من القرن العشرين كان المحليون لديهم اعتقاد بأن الزيارة واجب على جميع الناس والذين لا

يستطيعون الذهاب للمقام يجب أن "يضوي" أي أن يرسل بالضوء والمقصود هنا الشمع والزيت . والقليل من الناس الذي لا يذهب في زيارة المقام او يرسل الضوء.

يسير الناس فرادا وجماعات وغالبا ما تتجمع كل عشيرة، وتنطلق في موكب واحد. وأحيانا يجتمع الأصدقاء من الشباب في موكب مشترك. تستمر الرحلة الى الموقع من وادي موسى حوالي (6) ساعات، وعند الوصول الى الجبل الذي يقع عليه الموقع يجتمعون بالقرب من خزان للمياه موجود هناك حيث يتوضئون استعدادا للدخول للمكان المقصود، ثم يصعدون الى المقام في سكنية وخشوع، ويدخلون بعد خلع أحذيتهم ويلبسون ملابس خادما للمقام وهو ما يسمى (المضوي). ويجمع كبار السن على أن أول خادما للمقام في مطلع القرن كان رجلا من اصل مصري اسمه محمد حسن المصري، وهذا ما يؤكد جوسان في كتابة عن بلاد مؤاب قائلاً " إذ ظهر النبي هارون ، بنفسه امام احد المؤمنين المسلمين المقيمين في مصر ، وطلب اليه ان يترك اطراف النيل ، وان ياتي لحراسة المزار ، وانتقل الى وادي موسى للقيام على خدمة هذا المكان المقدس " (جوسان، 1997)، في حين يذكر (العناني) في مذكراته ان خادما للمقام في مطلع الثلاثينات من القرن العشرين رجلا من اصل أفغاني، جاء للحج وانقطعت به السبل بعد أداء مناسك الحج ووهب عمره لخدمة هذا المقام (العناني، د.ت).

يتزل الزوار بهدوء وسكنية إلى المقام مستخدمين أضواء الشموع لإنارة الطريق المظلم نحو القبر، يقوم (المضوي) خادما للمقام بإضاءة القماش الأبيض بزيت وهو يردد " هذا ضوء فلان ابن فلانة أو فلانة بنت فلانة"، ويقرأون هناك القرآن والأدعية ويتذرعون إلى النبي هارون أن يوفقهم وأبناءهم ويقومون بالترك والتسبح. وبعضهم يدعون الله مقرنين اسم النبي هارون كقولهم " يا الله بحض النبي هارون"، أو " يا الله بشفاعته النبي هارون"، وما الى ذلك لاعتقادهم بمكانة النبي هارون عند الله وان شفاعة وكرامة حتمية ولا ترد عند الله .

ومن الاغاني التي يرددونها الزوار اثناء صعودهم درج المقام (الطريق للنبي هارون صعبة الصعود ، هارون النجم الكبير يا ابونا في الكواكب العالية)، وبعد انتهاء الطقس في الأجواء المظلمة يبدأ الزائر بالخروج متراجعا إلى الخلف حتى يبلغ الدرجات التي يتزل منها، إذ أن المعتقد السائد يذكر أنه لا يجوز للزائر أن يولي قفاه (أي ظهره) للنبي، وبعض الناس يسهرون ليلتهم هناك وآخرون يعودون في الليل.

ويقوم بعض الزوار بذبح الاغنام تقربا للنبي هارون وكان الزوار يستخدمون قدرا نحاسيا كبيرا لا يستطيع تحريكه الا مجموعة من الرجال وتعود قصة القدر الى حرب وقعت بين الليثانة وبني عطية حيث غنم الليثانة قدر بني عطية الكبير وتم هذه الغنيمة لمقام النبي هارون وتحول الى وقف والقدر غير موجود اليوم في المقام فيما بقيت بعض القدور والاواني النحاسية التي استخدمها الزوار .

أما العودة، فإنها تتميز بطقس احتفالي مملوء بالنشوة والفرح، ويتحلل الناس في طريق العودة من الالتزامات ونقص الالتزام بالوقار والجدية التي تصاحب طريق الذهاب وأحيانا السير على شكل جماعات قرايبية ، يقوم الزوار بوضع اكوام من الحجارة على شكل مخروط في دلالة رمزية على زيارتهم للمقام ، وتسمى هذه الأكوام من قبل الجماعات المحلية ب(مصلاة) ويعتقد الزوار بان هذه الرموز سوف تشهد عليهم يوم القيامة بانهم زاروا المقام .

وقد يعود الشباب جماعات على خيولهم أو مشيا لوحدهم وقد تعود النساء والفتيات معا، إلا أن هناك مكان لتجتمع العائدين في صبيحة اليوم التالي، حيث يصل الزوار الى منطقة معروفة في وادي موسى لاجتماع الزوار بعد زيارة المقام وهي (الجميد) والموجودة في حي بني عطا في بلدة وادي موسى وهي منطقة واسعة ومطلّة. وتبدأ في ظهيرة ذلك اليوم (الخميس) الطقوس الاحتفالية التي يشارك فيها جموع الزوار والأهالي وأهالي القرى المجاورة. وتشتمل على سباقات للخيل إظهارا للفروسية والقوة من قبل الشباب الذين يحاولون إظهار القوة والجاذبية، ويرافق ذلك إطلاق العيارات النارية والأهازيج والزغاريد من النسوة المشاركات لزيادة عزيمة المتسابقين ما يرفع من وتيرة المنافسة والمشاحنة بينهم وحلقات الدبكة والغناء. والسباق يتم على النحو الآتي:

- يتم تقسيم المتسابقين الى مجموعات ويتم ذلك من خلال مجموعة من القادة من متوسطي العمر الذين عادة ما يتميزوا بالمبادرة .

- يتم توزيع المجموعات على جانبي الميدان لاجراء مسابقة سباق الخيول

- يتم انطلاق المجموعة الاولى ويحدد الفائز منها.

- عند وصول المجموعة الأولى إلى الجانب الآخر تنطلق المجموعة الثانية ، ويحدد الفائز وتستمر هكذا حتى يصل الدور الى جميع المتسابقين.

بعد انتهاء الطقس الاحتفالي يعود الجميع إلى بيوتهم حيث تقوم كل أسرة أو مجموعة أسر بذبح شاه عند مدخل البيت ويردد من يذبح الشاه "عشاك النبي هارون" ، والفقراء من الناس الذين لم يستطعوا ذبح شاه ، يذبح من الطيور الداجنة او بعضهم يقدم لعائلة الفتة المضاف اليها السمن او الزيت او الزبدة.

لقد بقي هذا الطقس سائدا في إطاره التنظيمي المحكم الى منتصف الثمانينات، ثم بدأ يتراجع شيئا فشيئا، ومع نهاية العقد المذكور اختفى جانب المناادة بالزيارة ثم بدأ الطقس بصورته الجماعية يتراجع بشكل كبير، واختفت تماما الطقوس المصاحبة للزيارة وما بعدها، كذلك انتهت التقاليد الخاصة بعشاء النبي هارون. إلا انه ما يزال هناك بعض الاسر والأفراد بالعشرات يمارسون زيارة المقام طمعا بتلبية الحاجات امثلة ذلك:

- طلباً في ان يكون له ذرية، اي قد يكون الشخص متزوج ولا يوجد له اطفال فيتوجه للمقام طلباً للذرية، وقد يكون هنالك نذر من ام الزوجة او ام الزوج قائلة : " يا الله ان رزقت ابني او ابنتي بالذرية سازور مقام النبي هارون" . وتأتي الزيارة لتنفيذ النذر.

- طلباً بالشفاء من الأمراض، يلجأ البعض إلى طلب الشفاء من مرض معين ، او نذر بالزيارة في حال الشفاء.

إن تحليل الطقس وما يتضمنه من عناصر روحانية واحتفالية، تعيدنا الى فهم الوسط البيئي والظروف الاجتماعية بكافة تعبيراتها. لذا ، نقترح محاولة لتفسير هذا الطقس بالاعتماد على أدوات التحليل الأنثروبولوجي- الاجتماعي، إن هذه الزيارة بطقوسها وتقاليدها تعبر عن وظيفة اجتماعية تتمثل به الرغبة الجماعية في البحث عن الخصب والولادة ضمن تعبيرات مادية واخرى غير مادية ترجع الوعي الجماعي الى جذور ميثولوجية تحفظ الذاكرة الجمعية للناس وتعيد إحياءها بتعابير مادية ، ويرتبط هذا الطقس ضمن مصفوفة اجتماعية - ثقافية أخرى تندرج تحتها خمس وظائف اساسية وهي (البحث عن الخصب المرتبط بفكرة صانع المطر ثم الولادة

والجنس المرتبط برمزية الامومة الدفينة، ثم كسر الضبط الاجتماعي والمتمثلة بالتمرد ، ثم وظيفة الخلاص السليبي والتي ترمز الى البحث عن التغيير من خلال الوسيط المعبر بالتالي عن شكل من أشكال العجز ، وأخيرا وظيفة استعادة الوعي بعد الشعور بانجاز المهمة والمتمثل في انشاء مجال عام جديد مؤقت .

تحليل مصفوفة وظائف طقس موسم النبي هارون:

1. وظيفة البحث عن المطر والخصب: توقيت الموسم، المناداة للزيارة، الحراثة بعد الموسم (صانع المطر)
2. وظيفة الجنس والولادة: الفحولة، الإغواء، الفرجة (الأمومة)
3. وظيفة كسر الضبط الاجتماعي: الاختلاط بين الجنسين، الاحتفالية، استعراض القوة، الغناء (التمرد)

وبالعودة إلى تفاصيل ذلك الطقس نجد أن مواقيته ترتبط بأول الزراعة. فالموسم الأول ارتبط ببدء موسم الشتاء وإذا تأخر المنادي بالمناداة بالزيارة فأن وجهاء البلدة يتذمرون ويعتقدون أن هذا العام سيكون جفاف، وعادة بعد العودة من الزيارة يتسابق الرجال إلى حراثة الأرض. ولقد بقى موسم الزيارة الذي يسبق فصل الشتاء بأسابيع الأكثر قدرة على الاستمرار، في حين أن الموسم الذي يأتي بعد انتهاء الحصاد قد تراجع مبكراً.

إن الفكرة تدور حول الوظيفة الاجتماعية للطقوس والمعتقدات المرتبطة بالدين الشعبي وتعدد أبعاد الوظيفة الاجتماعية للطقوس والمعتقدات في جوانبها الاقتصادية والثقافة، كما تبدو في البحث عن المطر والخصب، وتكرر تعبيرات طقسية لدى مجتمعات عديدة فلقد أجريت العديد من دراسات الأنثروبولوجية حول المقامات والقبور التي ترمز إلى فكرة (صانع الأمطار) الذي تقام له الأضاحي وتقام الطقوس الدينية الخاصة بإنزال المطر وتشمل ذبح الثيران ودق الطبول والرقص وعلى الرغم من إن سلوك قبائل الدنكا على سبيل المثال يقع ضمن معتقدات المجتمعات البدائية، وفي المقابل تعد زيارة النبي هارون في البترا ضمن تعبيرات الدين الشعبي الذي يعتمد على الاختبار الروحي والتدرج في علاقة المؤمن بالله بالتعبد للأولياء والمزارات والتأويل والرموز، إلا أن كلا المعتقدين قاما على الوظيفة الاجتماعية للدين إلى جانب البعد الاقتصادي لفكرة الخصب والمطر فأن طقس زيارة النبي هارون يحمل استعادة الوعي بروح التمرد والرغبة في التغيير، فهو موسم حافل لاستعراض قوة الرجال وفحولتهم إلى جانب استعراض جمال الفتيات، إذ تشير تقاليد الطقس إلى الرغبة في التمرد على تقاليد الضبط الاجتماعي الذي تحرص عليه تقاليد الحياة اليومية في البلدة وبالتحديد في العلاقة بين الجنسين، فالشباب والفتيات يحرص كل منهما على ارتداء أجمل حللهم والاستعداد للزيارة واثناء الطريق التي تمر بمسالك جبلية شاهقة ومتشابكة ولساعات طويلة يتبادل الشباب والفتيات المغازلات عن بعد عن طريق الغناء مما يتيح فرصة للتعارف وتبادل الانفعالات بأبعادها العاطفية والجنسية، وتزداد حدة هذا التعبير في طريق العودة الذي يستمر فترة أطول نظرا لكثرة التوقف للاستراحة وغالبا ما يكون ليلا، وفي السنوات الأخيرة بات الشباب يحرصون على المشاركة في هذا الطقس رغبة في كسر نظام الضبط الاجتماعي السائد.

وحيثما تنتهي الزيارة ويبدأ الطقس الاستعراضي والذي يشتمل على الغناء وسباق الخيل واطلاق العيارات النارية تجتمع النساء والفتيات في أماكن شبة محتفية يطلقن الأهازيج والزغاريد ويراقبن استعراض القوة التي يمارسه الرجال، أي كسر حدود المجال العام المحتكر تقليدياً من قبل الرجال ، وتأسيس مجالاً عاماً جديداً.

وتنتهي طقوس الزيارة في مساء اليوم الثاني بالأضحية أو كما يسمونها (الفدوى) بإشارة إلى استعادة الوعي لفكرة قربان الحيواني الذي يعد أكثر أنواع القرابين شيوعاً وقدماً في التاريخ العقائدي، وتحديدًا في بلاد المشرق إذ تم إعادة إنتاج في معظم الحضارات والأديان في بلاد الشام.

إن مجمل الطقس الذي يمارس في زيارة النبي هارون في البترا يشير إلى مستوى من مستويات التدين الشعبي المرتبط بالوظيفة الاجتماعية للدين (بركات، 1990)، وهنا حقق هذا الطقس وظائف ترتبط بأبعاد اقتصادية واجتماعية وانفعالية هي فكرة اختراعها الناس في البحث عن الخصب والمطر والولادة والتغير والتمرد على أنظمة الضبط الاجتماعي.

زيارة مقام الحسيني

يقع مقام الحسيني على اطراف المقبرة الاسلامية من الجهة الشرقية في وسط بلدة وادي موسى ، وهذا المقام قريب من اماكن سكن عشيرة الحسنيات سابقاً وحالياً .

وينسب هذا المقام الى جد عشيرة الحسنيات واسمة (حسن) لذلك اسموة الحسيني ، وتعد "عشيرة الحسنيات من اكبر عشائر العبيدية واكبر عشائر الليثانة وتنحدر من جد واحد اسمة حسن وترتبط افراد العشيرة قرابة حقيقية" (الفريجات، 2011) .

يتكون بناء المقام من غرفة واحدة بمساحة 16 م تقريباً وارتفاع 3 م ، وهو مدشن من الحجارة المحلية من الخارج وجدرانة في الداخل مدشنة من الطين والقش والخشب (نمط البناء المحلي التقليدي) ويوجد في داخله نافذة صغيرة في ارتفاع 50 سم وعرض 60 سم وتسمى محلياً (طاقة) وهي عبارة عن نافذة صغيرة للإضاءة، والباب الخارجي للمقام مصنوع من الخشب ويقع في الجهة الجنوبية من الغرفة، ويوجد القبر داخل المقام ويغطي بقماش املس ولونه اخضر.

تعيد روايات الاخباريين هذا المقام لجد عشيرة الحسنيات ويعتبرونه رمزا لهم يتشاركون في زيارته والتبرك به، وكان لا يمكن لأي أحد من أفراد العشيرة ان يأكل من الزبدة أو السمن أو يشرب من الحليب الذي انتجته اغنامهم بداية الربيع في كل سنة الا بعد ان يقدموا منه الى المقام، حيث يذهب مجموعة من الرجال والنساء الى المقام ويبدأ طقسهم بالانارة من المنتجات الدهنية التي يجلبونها معهم ويقوموا بربط قطعة من القماش الابيض المبلل بالدهن على اطراف القبر الموجود داخل المقام، ويتوجهوا بالدعاء والتوسل طالبين حلول البركة على هذه المنتجات، وبعد أن تتم طقوس التبرك يسمح للناس من أبناء العشيرة بان يأكلوا ويشربوا من منتجات مواشيهم. ويوجد نفس الطقوس في المقامات في المناطق المجاورة لمدينة البترا ومن أمثلتها (مقام سيدنا الخضر) الذي يقع في وسط مدينة الكرك تقريباً وهو مبني على طراز العقود القديمة وينسبون الى صاحب المقام كرامات وعجائب خارقة كشفاء المرضى وابراء المقعدين والمشلولين فيؤتى بالمريض ويترك داخل المقام اياماً وليالياً ابتغاء لهذا الشفاء، ولا

يزال بعض السكان يؤيدون هذا الامر الى اليوم . ونجد باب هذا المقام ملطخاً بالحناء ومزيناً بالاشربة الحريرية ومضاء بالشموع مما يدل على مكانة صاحبه لدى السكان. (القسوس، 1994).

وعند قرب نفاذ كميات الطعام الذي تم مباركة اثناء الزيارة لمقام الحسيني يجب عليهم تخزين شئ من هذه الاطعمة، وذلك لتقديمها للضيوف الذين سيأتون للعشيرة في اوقات او مناسبات لم يتم فيها بعد مباركة الاطعمة في المقام فيقدمون للضيوف انتاج السنة السابقة ويسمى (الحولي)، ولا يمكن ان يقدموا لة شئ من الطعام غير المبارك من الحسيني حسب اعتقادهم.

وفي مقام الخضر في الكرك في بدء موسم الحليب يمتنع اهل الماشية عن شرب الحليب واللبن الرائب واكل الزبدة ويكتفون فقط بشرب اللبن المخيض بحجة ان (سيدنا الخضر) يغضب لذلك، ويقال ان الحليب واللبن الرائب عليها (سماط) ويحذر تناولها، وينتهي هذا السماط عادة عند اذابة الزبدة لعمل السمن البلدي اول مرة . فتؤخذ قطعة من الزبدة وتذاب في وعاء صغير من الصفيح او الفخار وتوضع فيها فتيلة صغيرة من القماش وتوقد ضوءاً لسيدنا الخضر . وبعد ذلك يسمح بتناول هذه الاشياء الممنوعة (القسوس، 1994).

واذا تعرض احدهم من هذه العشيرة فقد بسببة ما جمعة من طعام او شراب او من حلال، يتم عزو ذلك وتبريره بعدم زيارة الحسيني، و اشار المعمرين من نفس العشيرة الى ان البركة قد ذهبت منذ ان ترك افراد العشيرة زيارة جدهم والتبركة به.

واقترنت هذه الزيارة على افراد هذه العشيرة من وادي موسى، وفي مطلع الثمانينيات اقتصرت الزيارة على بعض الاسر ومن ثم بدات بالتلاشي، فالمقام قد هدم الجزء الداخلي منه والقبر قد نُش ودمرت اجزاء منه. يكرر طقس زيارة مقام الحسيني اعادة انتاج وظيفة الوسيط بين العبد والخالق في الدين الشعبي، ولكنها هنا تاتي في سياق وظيفة اجتماعية واضحة، ان الحاجات الاجتماعية-الاقتصادية تولد ذلك التردد والبحث عن التدرج في العلاقة بين الخالق والعبد (Gerllner, 1969).

زيارة مقامات الفقراء

قبور الفقراء في منطقة تدعى (عين آمون) في الطريق بين الطيبة ووادي موسى ويعتقد الأهالي إنها قبور لأولياء صالحين تمنح زيارتهم البركة وتلبية الحاجات والاستشفاء من الأمراض، وتقع القبور في موقع يسمى (براق) وهو مكان مرتفع يطل على جبال البترا، ويركز الأهالي على زيارة المكان لاشفاء المرضى إذ يتركون المريض ينام داخل المقبرة حيث يشاهد في نومة من يدل على علاجه أو يسمح له على موقع الألم ويوجد نفس التقليد والطقس في شمال سوريا بالقرب من مدينة حلب وفي موقع يدعى (براق) (1).

وقد تم الاشارة الى بُراق في في موروث الجغرافيين المسلمين في اشارة الى المقام الفقراء بالقرب من البترا وتذكرة بعض المصادر " فيما بين أيلة والتية، ولعل في هذا التحديد اقرب الى ان يكون ذلك الموضع المطل على جبال البترا ويدعى بُراق في الطريق من وادي موسى الى الطيبة" (الرواضية، 2002).

وعند الزيارة يتم التوجه بالدعاء والتوسل والتضرع الى الله ويعتقدوا ان الله سيستجيب لهم بكرامات ومكانة الشيوخ وحظهم عند الله ، وفي الاغلب يتم ذبح الاغنام عند المقام ل (شع الدم) ويتم الاكل منه او توزيعه على

المحتاجين في يوم الزيارة ويسمى (عشاء الفقرا) ، " وتكون الذبائح (منبوبة) كأن يقال عند ذبحها بعد البسملة والتكبير " (هذا غداء او عشاء عن روح الفقرا..) " (النوافلة، 2004).

ان ذبح الذبائح تعد احدى طرق التكريم للاولياء حيث تقام وجبة الطعام على اسمة ، مثال ذلك الوليمة التي يقيمها اهل الكرك من المسيحيين والمسلمين على شرف نوح وتدعى "عشاء نوح" (جوسان، 1997). ويمارس زوار القبر نفس الطقوس التي تمارس في مقام النبي هارون ومقام الحسيني بوضع قطع من القماش الأبيض المدهون بالسمن ويتم إشعاله فوق المقام.

والزيارات إما أن تكون فردية أو على شكل جماعات، وليس لها موعد محدد وتختص بالزيارة السنوية أي الموسمية لقبور الفقراء عشائر وجماعات محددة مثل النصرات والمشاعلة من وادي موسى وعشائر الطيبة، أما الزيارات الخاصة فتتم في أي وقت من العام تلبية لحاجات الاستشفاء، والأكثر زيارة للمقام هن من النساء.

قبر سالم ولد عواد

يرجع هذا القبر الموجود في سيل وادي موسى الى قبيلة العمارين التي تقطن في قرية البيضا وتبعد 8 كم من وادي موسى وإلى شمال غرب البترا، وترتبط زيارة قبر جد القبيلة، بزيارة قبر النبي والمقصود النبي هارون، وقبر الجد يوجد في منطقة تسمى (طور مدي).

ويوجد حول القبر حوض حجري صيرة، فإذا كان هنالك شخص مريض أو ابلة ومجنون، يضعونه داخل الصيرة : " وينمو فيها ويخروء، حتى يحصل على الشفاء من مرضه" وذلك حسب زعمهم.

ويشير كبار السن في القرية إلى أن أهل القرية يجمعون اغنامهم ، حول صيرة القبر، والشاه التي تصعد الى القبر، وتدخل الصيرة، تكون احسن واحدة من الاغنام، وفي العادة لا تتسع الصيرة لاكثر من واحدة، فيقوم صاحبها بوضع اشارة عليها كقص طرف اذنها اوغيرة، وذلك لذبحها كقربان، وعند ذبح الشاة يقول صاحب الذبيحة " هذه منك ، يا الله ، واليك، أجرها وثوابها عن روح سالم ولد عواد" ، وبعد ذلك يتم طبخها ويتم مشاركة أهل القرية بأكلها.

الاشجار المقدسة

يوجد في وادي موسى والطيبة أشجار قديمة تنتشر حولها معتقدات وتعبيرات الدين الشعبي ومنها : شجرة العطايا : تقع في وسط البلد في وادي موسى وبجانب الطريق الرئيس المؤدي إلى البترا إذ يعتقد إنها شجرة نبتت على قبر رجل صالح (اسمه عطا)، ويقال بانه جد عشيرة الهلالات وهي احدى عشائر العبيدية، والجزء الاصيلي المكون للعشيرة يرجع الى جد واحد، والافخاذ الاخرى داخل العشيرة اندمجت مع العشيرة لاحقاً، وتعد ثاني اكبر عشيرة في وادي موسى بعد عشيرة الحسانات (الفريجات، 2003)، ويعتقد أفراد العشيرة أن جدهم رجل مبارك وعند دفنة في وسط البلد نبتت على قبرة شجرة صغيرة واخذت تكبر شيئاً فشيئاً، وما زالت موجودة، وأشار الاخباريين الى هذه الشجرة التي تعرضت للقص مراراً وتكراراً الا انها تعود وتنمو بشكل اقوى ، وفي اعتقاد آخر بأن هذه الشجرة تحرس كثر من الذهب سوف يغني كل فقير يصل إليه عند كشفه من مصر إلى الشام.

ويختص بزيارة هذه الشجرة الاشخاص الذين وقع عليهم ظلم او جور، ولا تقتصر الزيارة على اشخاص او عشائر معينة، واكثر زوار هذه الشجرة هن النساء وتقوم الزائرة بهز الشجرة عدة مرات متوسلة الى الله بواسطة عطايا ان يقتص لها من الشخص الذي ظلمها أو أخذ حقها، وفي اغلب الاحيان تكون هذه الزيارات اثناء الليل حتى تستطيع المظلومة ان تشتكي وتتظلم وتتوسل كيفما شاءت متحسبة على من ظلمها.

شجرة المنية :

تقع في الجهة الجنوبية الشرقية من بلدة وادي موسى والتي يتردد على زيارتها الناس من النساء وكبار السن، ليتمنوا الامنيات من الله ويطلبون حاجاتهم وهم ممسكون بالشجرة، والتي يعتقدون أنها مباركة، وعند زيارتها يقوموا بربط الخرق والأقمشة على الشجرة بدون تحديد الألوان، ويتمنوا ما يحلو لهم ويرافق ذلك الأدعية والنذور. إذ يعتقد الزائر بأنه إذا اخلص النية فإن هذه الشجرة ستلي أمنيته.

أخذت بعض الأشجار مصدر قوتها وتأثيرها، بل قداستها من المكان الذي وجدت فيه، كنموها مثلاً بجانب ضريح احد الاولياء او القديسين لتصبح بعد ذلك مقاماً يحج اليه، وقد مورست بعض العادات والتقاليد التي بقيت واستمرت الى يومنا هذا ومنها قيام النساء بربط وتعليق خرق صغيرة من القماش على اغصان الشجرة المعتقد انها مقدسة لاهداف متنوعة كالعنوسة والحمل وطلب الشفاء وجلب الخير ودرء الشر....ثم المبادرة الى لمس جذعها واغصانها واوراقها نشداناً للبركة ، الى جانب اضاءة الشموع عند جذعها وتلاوة الادعية المرفقة بالتمنيات.

ومثل هذه الاعتقادات لا تزال بقاياها في المجتمع الأردني وغيره من المجتمعات العربية، وثمة شجرة في صحراء السرحان شرقي الأردن تتمتع بمكانة مقدسة أو مبحلة لدى أبناء المجتمع المحيط، ومثلها شجرة من عائلة "الزعرور" قرب مقام النبي شعيب قرب مدينة السلط (أبو الحمام، 2008).

وقد سجل (مفلح العدوان) ووثق للعديد من الاشجار المقدسة في القرى الأردنية من شماله حتى جنوبه، وقد تنوعت هذه الأشجار من بطم وزيتون وسنديان وصنوبر.. الخ. وهي غالباً ما ترتبط بقبر ما يعتبرونه ولياً صالحاً أو نبع ماء قديم أو حادثة لم يتبقى منها سوى ذكرها بقايا من رموز لا يعرف أصلها(العدوان، 2008).

لقد أسهمت السياحة إلى جانب عوامل أخرى، في إعادة ترتيب أولويات الناس والتخلص من الكثير من جوانب التقاليد المحلية، حينما ازداد الوعي بأهمية استثمار الأفعال اليومية بالمصالح الاقتصادية المباشرة. ولعل التقاليد المرتبطة بالدين الشعبي وتحديدًا فيما يتعلق بزيارة مقام النبي هارون والمقامات الأخرى والأشجار المقدسة أو إقامة الولائم التدينية ، جميعها قد تراجعت بشكل كبير، ويحاول البعض التأكيد بأنها قد انتهت تماماً.

لقد بقيت زيارة النبي هارون قائمة بتقاليدها وطقوسها حتى منتصف الثمانينيات، ثم بدأت بالتراجع التدريجي حيث اختفى النداء للزيارة، ثم اختفى الطابع الجماعي والاحتفالي لمواكب الزائرين. وبعد ذلك اختفى العشاء الخاص بالزيارة، ومع بدايات التسعينيات لم تعد زيارة مقام النبي هارون تقليداً محلياً قائماً يتم في يوم محدد ووفق الطقوس والإجراءات التي عرفت سابقاً، ولم يبق يتبع هذا التقليد إلا بضع عائلات قليلة ما تزال تقوم بالزيارة في مواعيد افتراضية. إن التغير الهام الذي شهدته سنوات التسعينيات وهو تحول الطقس المحلي الخاص بزيارة النبي هارون إلى طقس سياحي، أي تحول عنصر ثقافي محلي إلى سلعة سياحية ولو على نطاق محدود، صارت زيارة

مقام النبي هارون مدرجة على البرنامج السياحي، ويروج لها أحيانا بمضمون ديني وأحيانا لهواة سياحة المشي. ويتضمن ذلك إحياء بعض عناصر الطقس المحلي في زيارة الموقع من قبيل إضاءة الشموع وإحضار القماش الأخضر والزيت.

كما شهد عقد التسعينيات اختفاء طقس زيارات المقامات الأخرى، إلى جانب اختفاء العديد من الأشجار التي ارتبطت بمعتقدات محلية.

ثالثاً: التصورات الثقافية حول المواقع الأثرية

لم تكن المواقع التاريخية وشواهد الآثار في البترا تشكل دلالات موضوعية لدى السكان المحليين في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. إذ منح المجتمع المحلي الذي كان في طور التكوين دلالات رمزية وأسطورية للمواقع الأثرية.

فالمسميات التقليدية التي أطلقها السكان المحليون على المواقع الأثرية في مدينة البترا والسلوك الذي انعكس بالممارسات الفعلية مع هذه الآثار تكشف عن جوانب هامة من الصورة الذهنية التي تكونت لديهم والتي تدل على طبيعة الوعي في تلك المرحلة. وترجع تلك الصورة الذهنية حسب مضمونها إلى ثلاث مصادر أساسية هي:

1. أثر الجوار الجغرافي للحضارة المصرية القديمة وما ارتبط بها من بعد رمزي واسطوري شعبي.
 2. القصص القرآنية والمضمون الديني الرمزي المرتبط بفكرة الأصنام والوثنية.
 3. الخرافات التي ابتدعتها الخيال الاجتماعي والعقل الجمعي للمجتمعات المحلية والتي انتجت تصوراتها وتمثيلاتها الثقافية المحلية، والتي ترتبط في معظم الاوقات بالمنافع وفكرة المخوء والكتر .
- لقد أطلق السكان المحليون على الواجهة المعمارية الفخمة التي تسمى اليوم (الخزنة)، وفي أول الأمر "قصر فرعون" وأطلقوا على أحد المعابد النبطية الفخمة اسم (قصر بنت فرعون). وأطلقوا على عمود منتصب مقابل أحد المعابد النبطية (عمود فرعون)، ويبلغ ارتفاعه حوالي 30م ومؤلف من 12 قطعة حجرية ضخمة وقد تطورت الدلالات والمسميات، وسميت الواجهة المعمارية التي سميت في السابق (قصر فرعون) الخزنة، وهي التسمية التي ما زالت سائدة إلى اليوم واعتمدت رسمياً، أما (قصر بنت فرعون) فقد استقرت التسمية على (قصر البنت).
- لقد كان الزعم السائد لدى السكان المحليين أن الواجهه المعمارية الفخمة (الخزنة) التي يعتقد الآثاريون بأنها مدفن لأحد ملوك الأنباط أو معبد ؛ كانت مكانا لاقامة أحد أمراء المصريين القدماء الذي جمع ثروته وكنوزه فيها، لذا تبدو الدلالات الرمزية لتسميتها بالخزنة.
- ويصف بيركهات الذي زار البترا 1812م، أن فكرة الكنوز المخبأة في هذه المباني الفخمة القديمة متأصلة في عقول هؤلاء العرب. فهم لا يقنعون بسهولة بمقاصد أي ضيف زائر أو رحالة أجنبي. ويعتقدون بأن هؤلاء الرحالة سحرة يمكنهم أن يأمرؤا حرس هذه الكنوز نقلها لأي مكان يشاءون (بيركهات، 1969).
- كما انتشرت تسميات اخرى اقل شهرة ارتبطت بالمعتقدات الدينية الشعبية وبالتعبيرات الثقافية المحلية، والملاحظ ان معظم هذه التسميات قد ثبتت في البرامج السياحية ومنها :

- وادي صبرا : موقع أثري يوجد فيه نقوش تصويرية نبطية منحوتة في الصخر موجود في مدينة البترا وسمي نسبة لاسم ارض صبرا ويعتقد البدو المحليين ان صبرا اسم ملكة عظيمة كانت تحكم تلك الارض.
- سيق البارد: الشق الصخري الموجود في منطقة البيضا يحتوي صور منحوتة في الصخر وحفر داخلها آبار تجمع المياه في فصل الشتاء وسمي ابو البارد لانه بارد شتاءً وصيفاً ويعتقد البدو ان الجن هو الذي شق الصخر .
- بير العرايس : موقع في منطقة البيضا وهو بئر لتجميع المياه يتم استخدامة اما للشرب او لسقي الحيوانات وتعود تسميته لقصة عروستين هربتا ليلة الحناء من ازواجهما لانهم غير راضتين عن الزواج فهربا عند البئر ليختبئا، ولا يعرفان انه ملئ بالماء فوقعا في البئر وطبعت ايديهما على جدران البئر وهن مخضبات بالحناء وما زال الحناء موجود الى الان وينظر البدو اليه كمثال للاختيار والتضحية .
- وادي فرّسا: موقع يوجد داخل المحمية الاثرية سماه البدو بفرسة لأن الخيل التي تسير فيه تقع وتموت ، ملئ بالابار والمغر والاشكال المنحوتة في الصخر .
- ام صنيديق او صناديق الجن: مكان يوجد داخل الموقع الاثري وهو ملئ بالصناديق المحفورة بالصخر (اي انها اشكال رباعية مفرغة داخل الصخر)، ويشير الاخباريون الى انه اخرجت منها صناديق مليئة بالذهب والفضة، ويعتقدوا انها ما زالت ملاً بالصناديق المقفلة غير المفتوحة وغير مكتشفة.
- وادي المظلم: وهو مكان داخل الموقع الاثري في بداية مدخل البترا وقريب من السد وقبل الوصول الى السيق يوجد وادي صخري من الجانبين وهو مظلم في النهار لذلك سمي بوادي المظلم ويرتبط بمعتقدات محلية مرتبطة بالخوف والقوى الخفية .
- اما حول تطور الصورة الذهنية حول السياحة والسياح يلاحظ مسار التطور المرتبط بمدى الالتزام او التخلص من المحتوى الديني الشعبي ، ويوضح النص التالي المقتبس عن بيركهاتر الصورة الذهنية للعلاقة السائدة مع الأجنبي والصورة الذهنية حول المواقع الأثرية في البدايات المبكرة لاتصال السكان المحليين مع الأجانب: "على مقربة من الطرف الغربي لوادي موسى توجد بقايا بناية ضخمة يدعوها الأهالي (قصر بنت فرعون)، ودخلت في طريقي عدة مدافن قبلها، مما أثار دهشة دليلي، ولكنه حينما رأي انحراف عن طريق المشاة لجهة القصر صرخ قائلاً: "أرى الآن بوضوح انك كافر لك بعض المهام الخاصة بين الخرائب في مدينة أجدادك، ثق إننا لن نسمح لك بأخذ بارة واحدة من الكنوز المخبوءة فيها لأنها موجودة في أرضنا وهي ملكنا نحن...." (بيركهاتر، 1969).
- أما الصورة الذهنية حول الأجانب وزوار المدينة الغرباء، فقد بقيت سائدة إلى البدايات الأولى من القرن العشرين. ويؤكد الاخباريون المعمرون الذين تمت مقابلتهم أن النظرة السلبية للسائح لم تشهد تغيراً إلا في العقد الثاني والثالث من القرن الماضي، حينما بدأ السكان المحليون ينتظرون مردوداً مادياً مقابل قيامهم بدور الدلالة للسياح المغامرين الذين يظهرون على فترات متفاوتة من السنة.
- وتُجمع المقابلات على أن النظرة المحلية للمواقع الأثرية قد استمرت إلى بدايات القرن العشرين مملوءة برؤية مبتدعة بالخرافات حافظت عليها بعض الطقوس التي كانت سائدة، وبالتحديد اعتقاد وجود الكنوز المخبأة في تلك المواقع، مما أدى إلى تعرضها للتخريب ومحاولات التدمير. فلقد اعتاد أهالي وادي موسى والمناطق المجاورة

على إطلاق العيارات النارية من بنادقهم على التماثيل والزخارف والتيجان في الواجهات المعمارية، وتحديدًا (الخزنة) اعتقاداً أنها سوف تتحطم وتكشف عن الكنوز المخبأة في داخلها. ولقد استمر هذا السلوك إلى بدايات عقد الأربعينيات من القرن الماضي مما شوه وخرب الكثير من التحف الفنية النادرة في المدينة.

حيث يقوم الأهالي في طريق عودتهم بأجراء ما يشبه المسابقة في إطلاق العيارات النارية على رؤوس التيجان والزخارف التي تزين واجهة (الخزنة) حيث يضعونها كإشارات لعياراتهم النارية، ولقد فعلت البنادق القديمة فعلها بذلك التراث وما زالت آثار العيارات النارية باقية إلى اليوم توضح حجم الخراب الذي لحق بالمواقع الأثرية في مدينة البترا ارتبط هذا السلوك بطقس زيارة النبي هارون

وفيما يخص التعبيرات الثقافية الخاصة بصورة السائح لدى السكان المحليين نجد ان نشأة السياحة في البترا ارتبطت بسياحة المغامرة مع مطلع القرن العشرين، حيث لم يكن يتجرأ الوصول إلى المدينة إلا المغامرين من فئات محدودة وهي:

1. الهيئات العلمية ومدارس التنقيب عن الآثار.

2. البعثات ذات الطابع الديني المرتبط بأنشطة المدارس التوراتية.

3. جنود الجيوش الغربية التي ارتبطت بمهام عسكرية في مناطق الشرق الأوسط.

4. المغامرون من هواة الآثار الغربيين.

5. الطبقة المثقفة والميسورون من الغرب.

وهذه الصورة تعرضت للتغير حسب نمو السياحة وما يصاحبها من أزمات وظروف ويلاحظ كيف تطورت التعبيرات الدالة على هذه الصورة من المحتوى الديني الشعبي الى المحتوى المعاصر المرتبط بالمنفعة والمصلحة.

يصف الاخباريون في وادي موسى الصورة الذهنية الأولى للسائح مع نشأة السياحة في البترا في النصف الأول من القرن العشرين، بشكل مشوش وغير واضح. وعادة ما كان المجتمع المحلي يطلق على السائحين مسمى (الكفار)، وعلى الرغم من كون هذه الصورة مفعمة بالمضمون الديني الشعبي الا ان المجتمع المحلي يبرر التعامل مع هؤلاء الكفار في الحدود الدنيا ضمناً للمصالح. ان الصورة الذهنية الأولى التي ارتبطت بنشأة السياحة جاءت في سياق توفيقى يحمل دلالات التسويق الاجتماعي والثقافي بشكل واضح حيث كان معظم سياح البترا من فئة السياح الأثرياء المغامرين، بمعنى آخر يحمل محاولة للتوفيق بين المعتقد الديني من جهة والمصالح المادية من جهة أخرى .

اما في مرحلة تأسس العمل السياحي اي انتقال السياحة إلى العمل المؤسسي من خلال المؤسسات وليس الأفراد بعد الستينيات إلى نهاية السبعينيات فقد تراجعت صورة " الكافر " التي كان السائح يوصف بها، في حين برزت صورة معدلة جديدة لأولئك السياح الذين ظهروا يتنقلون في الحارات والأماكن السكنية، ويلتقطون الصور التذكارية للاماكن او الأفراد، حيث كان المجتمع المحلي، وتحديداً في وادي موسى، يطلقون على هذه الفئة من السياح مسمى (الجواسيس). لقد بنيت هذه الصورة الذهنية على خلفية الأحداث السياسية في منطقة الشرق الأوسط، وانطلاقاً من رغبة في تفسير فضول السياح في التنقل داخل الأماكن السكنية. على اعتبار ان السائح الذي لا يكتفي بزيارة المواقع الأثرية، ويتنقل في أماكن أخرى له أغراض وأهداف أخرى غير السياحة.

ومنذ الثمانينيات وصولاً إلى عقد التسعينيات من القرن الماضي، بدأت تظهر معالم تعديلات جذرية على الصورة الذهنية عن السائح الغربي تحديداً ما يرتبط بشكل مباشر بالمصالح المادية التي تجلبها السياحة، وتقوم هذه الصورة على الاحترام وعدم الإساءة للسائح باعتباره مصدراً للرزق أساسي يستفيد منه بشكل مباشر وغير مباشر الجميع، حتى ان بعض العاملين في المهن السياحة اعتادوا على ترديد عبارة " السياح ولا المطر " إشارة إلى ربط مصيرهم بقدوم السائحين، وان الموسم السياحي افضل لهم من نزول المطر، أي افضل من الموسم الزراعي.

ان الصورة الذهنية التي اخذت في الاستقرار ترى السائح بمفهومه العالمي المعاصر، وهي صورة مرتبطة بالمصالح المادية للأفراد باعتبار السياحة سلعة خدمية لها مردود مادي. ومن اجل الحفاظ عليها لابد من تقديم صورة إيجابية عن المجتمع المحلي في التعامل مع السياح، الا ان الصورة التقليدية لم تنته تماماً، فما يزال جيل كبار السن يحمل مضامين تلك الصورة التي ارتبطت بالهيئة التي يظهر فيها السائح الذي يأتي ضمن مجموعات سياحية يطلق عليه مسمى " الخواجا " ويلقى الاحترام والمودة، وهناك فئات أخرى من السياح الشباب من الطبقات الأقل ثراء يطلق عليهم مسمى (المقطع) وجمعها (مقاطيع)؛ أي أولئك الذين ياتون بشكل فردي او ضمن مجموعة صغيرة، ويتزلون في الفنادق الشعبية أو ينامون بحقائب النوم في الأماكن العامة.

الخلاصة

تناول البحث تاريخ الافكار والمعتقدات الشعبية الدينية والتعبيرات الثقافية المرتبطة بها في منطقة البترا وجوارها، وفق محددات الخصائص التراثية والأثرية للموقع، الى جانب حجم الاتصال الثقافي وتأثيره بفعل السياحة في مضامين هذه المعتقدات والتحولات التي شهدتها .

يُبرز البحث أهمية توثيق التراث المادي وغير المادي المرتبط بالمعتقدات والتعبيرات الثقافية في بيئة ثقافية تشهد تحولات واسعة وتغير اجتماعي وثقافي متواتر ما يعني ان الخصوصيات المحلية تتعرض في البيئات ذات الاتصال الثقافي المكثف الى تهديد فعلي بالزوال.

ابرزت نتائج الدراسة أهمية الحفاظ على التراث المحلي وتوثيقه في مواجهة عملية تسليع الثقافات المحلية التي تشهدها المناطق السياحية ومنها البترا، وعلى سبيل المثال محاولة بعض المكاتب السياحية إعادة احياء طقس النبي هارون، ولكن بعد تعديله بما ينسجم مع تسويقه سياحياً، كما هو الحال في بعض الانشطة السياحية الليلية والتخييم التي يتم فيها تعديل الحكايات والقصص التراثية الشعبية المحلية واحيانا تزييفها بالكامل من اجل تسويقها سياحياً.

ان حماية الخصوصيات الثقافية بما تكتنفه من تراث ثقافي يعد احد عناصر الاستدامة، حيث تبرز هذا القيمة في الكيفة التي يلتقي من خلالها جميع الفاعلين في المشهد التنموي على قناعة بأن الاستدامة وتنمية الموارد تتطلب في احد جوانبها الحفاظ هلى الثقافة الشعبية وتحويلها الى مورد تنتفع منه المجتمعات المحلية دون ان يتم تسليع تلك الثقافات وتحويلها الى سلع يتم تعديلها أو تزييفها حسب قوانين السوق ورضا الزبون.

المصادر والمراجع

أ. باللغة العربية

- أبو الحمام، عزام (2009)، الأنباط تاريخ وحضارة، دار اسامة للنشر والتوزيع ، الاردن.
- أبو هديب، شحادة (2000)، تجربة إقليم البترا التنموية، (أعمال مؤتمر محافظة معان آفاق التنمية والتحديث، 20-21/11/2000)، منشورات جامعة الحسين بن طلال، معان.
- الأسود، عبد الحافظ: (2002)، الرمز في الانثروبولوجيا والفلكور، القاهرة .
- بدوي، احمد زكي (1993)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت.
- بركات، حلیم (1998)، المجتمع العربي المعاصر : بحث استطلاعي اجتماعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- بيركهارت، يوهان، ترجمة أنور عرفات (1969)، رحلات بيركهارت: الجزء الثاني في سوريا الجنوبية، المطبعة الأردنية، عمان.
- جوسان، انطون ترجمة الدكتور سامي النحاس (1997)، العادات العربية في بلاد مؤاب، وزارة الثقافة، دار الينابيع للنشر والتوزيع، عمان.
- حامد، السيد احمد (1996)، الزي والرمز في المجتمع الكويتي الحفاظ على الذاتية الاجتماعية والثقافية، مجلة كلية الآداب، وحدة النشر العلمي، جامعة القاهرة، العدد 2.
- حجازي، مصطفى (1992)، التخلف الاجتماعي : سيكولوجية الانسان المقهور، معهد الانماء العربي، بيروت.
- الرواضية، المهدي عيد (2002)، الأردن في موروث الجغرافيين والرحالة العرب، وزارة الثقافة، عمان.
- زيادين، فوزي (1999)، موقع النبي هارون في البترا، مجلة آثار، دائرة الآثار العامة، عمان.
- العجلوني، احمد: (2003)، حضارة الانباط من خلال نقوشهم، مشروع بيت الأنباط للتأليف والنشر، البترا.
- العناني، عمر: (د.ت)، ضرب المكانس: مذكرات معلم في البادية، عمان.
- عطا الله، كوكب (2003)، ثقافة الجسد في المجتمع الاردني: بحث انثروبولوجي في مخيم البقعة الفلسطيني، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، رسالة دكتوراه غير منشورة.
- العابدي، محمود (1974)، أجنب في ديارنا، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان.
- العدوان، مفلح (2008)، بوح القرى موسوعة القرى الأردنية ، الجزء الأول ، منشورات المؤسسة الصحفية الاردنية، مركز دراسات الرأي.
- الفريجات، مرام (2011)، السياحة والتغير الاجتماعي في الاردن: دراسة انثروبولوجية في إقليم البترا، منشورات أمانة العاصمة، عمان

-القسوس، نجيب(1994)، ملامح من التراث الشعبي في محافظة الكرك، منشورات جامعة مؤتة ، لجنة احياء التراث ، الكرك

-الموسى، سليمان (1987)، تاريخ الأردن الحديث 1916-1959، دار المحتسب، عمان.

-النوافلة، محمود (2004) ، لواء البترا الأرض والإنسان، وزارة الثقافة، عمان.

اليونسكو:(1998)، الوثيقة الأساسية للمؤتمر الدولي الحكومي للسياسات الثقافية من اجل التنمية، باريس.

ب . باللغة الانجليزية

- Brown, Frances (1998), Tourism Reassessed: Blight or blessing?, Butter worth-Heinemann, London.
- Canaan, Tawfig (1930), Studies in the Topography and Folklore Of Petra , The Journal of Palestine oriental society.
- Gellner, Ernest (1969),A pendulum Swing Theory of Islam, Roland Robertson , Sociology of Religion, London: Penguin Books, 1969,Pp 127-138.
- Greenwood,Davydd,J.(1989), Culture By The Pound :Anthropological Perspective on Tourism as Cultural Commoditization, From: (Editor by Valenel . Smith ,Hosts and Guests, The Anthropology of Tourism), University of Pennsylvania, Philadelphia - a press.
- Harris,Howar and Lipman, Alan, (1980) Social Symbolism and Space Usage In daily life (Sociological Review. Vol 28.No2).
- Jakko Frosen and Paivi Miettunen (2008), Aaron In Religious Literature , Myth and Legend, from Zbigniew T.Fiema and Jakko Frosen : Petra- The Mountain of Aaron(2008)The Church and The Chapel, Societies Scientiarum, Fennica , Helsinki.
- Khudori, Darwis (2010), The Rise of Religion - Based Political Movements , Bundung Spirit.
- Mikkel, Bille (2010), Seeking providence Through things : the word of God Versus Black Cumin , from An Anthropology of Absence Materialization of Trans- cendence and Loss. Springer Science + Business Media.
- Miettunen, Paivi (2004), Darb Al-Nabi Harun : The veneration of the prophet Harun in Petra region- Tradition and change 1812-2003, MA Thesis , Semitic Studies.
- Miettunen, Paivi (2008), Jabal Harun: History, Past Explorations and Pilgrimage, from Zbigniew T.Fiema and Jakko Frosen : Petra- The -Mountain of Aaron (The Church and The Chapel), Societies Scientiarum Fennica , Helsinki.
- Salameen , Zead and Falhat , Hani : (2009), Religious Practices and Beliefs in Wadi Mousa between the late 19th and early 20th centuries, Jordan Journal for history and Archaeology , Amman, Volume 3, No 3, 2009.
- Shoup, Tohn Aostin: (1985), The Impact of Tourism on the Bedouin of Petra , The Middle East Journal, 34 (2): 277-291.
- Simms Steven, Ruussell: (1996), Ethno horologe of The Bedul Bedouins of Petra (ACOR), Amman, Jordan.
- Valene ,L , Smith,(ed): (1989),Host and Guest,The Anthropology of Tourism, University of Pennsylvania, Philadelphia Press.

الآثار القانونية المترتبة على تصفية الشركات المساهمة

في القانون اليمني والفقه الإسلامي

إعداد

دكتور/ حسين أحمد محمد الغشامي

أكاديمية الشرطة - اليمن

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى تناول الآثار القانونية لتصفية الشركة المساهمة في القانون اليمني، وفي ضوء أحكام الفقه الإسلامي. وذلك بهدف تدارك النقص والتعارض والقصور في نصوص قانون الشركات اليمني المتعلقة بالآثار القانونية لتصفية الشركة المساهمة العامة، ومدى اتفاق ذلك مع مبادئ الفقه الإسلامي. ولتحقيق الغاية من هذه الدراسة قام الباحث بدراسة النصوص القانونية لقانون الشركات اليمني المتعلقة بتصفية الشركة المساهمة اعتماداً على منهج تحليل النصوص القانونية مع الاستعانة بالآراء الفقهية ذات العلاقة بالموضوع في كتب الفقه والتراث الإسلامي، ثم استخدم الباحث المنهج المقارن لإبراز الأهمية القانونية والشرعية للآثار القانونية لتصفية الشركة المساهمة. وتوصل الباحث إلى مجموعة من النتائج من أهمها وجود عدد من الثغرات القانونية في قانون الشركات اليمني وتعديلاته؛ إذ لم يُحِط القانون اليمني بتصفية الشركة المساهمة بالقواعد القانونية الكافية لتنظيم أحكام التصفية، وقد حاول الباحث سد هذه الثغرات بتقديم مجموعة من المقترحات بهدف سد النقص التشريعي ومعالجته.

Abstract

This study handled the legal implications for the liquidation of public stock companies in accordance with Yemeni law and a comparative study with Islamic law. This study examines the provisions of Yemeni law regarding the Liquidation of Public Stock Company and the extent to which its provisions are found to be in accordance with the principles of Islamic jurisprudence. The researcher analysed the context of the Yemeni company law paragraphs connected with the legal implications for public stock company liquidation and used the inductive methodology, tracing all of the ideas and injunctions related to the issue of liquidation in the books of Islamic jurisprudence, in addition to other books and research. Then the researcher used comparative methodology to highlight the importance of the legal implications of public stock companies liquidation from both shariah and modern legal prospective. Finally, the researcher suggests a number of recommendations which may contribute to the enactment of laws in a more accurate manner.

مقدمة:

مع تطور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية أخذت الشركة تواكب حركة التطور التي تمر بها المجتمعات، حيث أصبحت تحتل في الوقت الحاضر المقام الأول في النشاط الصناعي والتجاري، بل والزراعي أيضا في كثير من الدول. وفي هذا الصدد سعت الدول إلى سن القوانين في محاولة منها لإيجاد قواعد تكون مناسبة لعمل هذه الشركات ولمواجهة الإشكاليات التي تواجهها. وليس هذا فحسب، بل استرعت اهتمام الفقه ورجال القانون، فأتخذوا منها مادة للبحث، حتى غدت معظم أحكامها مستقرة في نظريات عامة.

وعند توافر سبب من أسباب انقضاء الشركة تدخل الشركة في مرحلة التصفية، ويتم تعيين مصف للشركة مهمته القيام بتسوية المراكز القانونية التي تكون قد تركتها الشركة الواقعة تحت التصفية. ولما للشخصية المعنوية للشركة من أهمية فقد نص المشرع على احتفاظ الشركة بشخصيتها المعنوية في أثناء فترة التصفية، وبالتالي فإن دخول الشركة مرحلة التصفية ليس له تأثير على مقومات الشركة وآلياتها القانونية، وأن وضع الشركة تحت التصفية لا يكون سببا أو مبررا لانتهاء التزامات الشركاء نحوها. وموضوع الآثار القانونية لتصفية الشركة المساهمة من المسائل القانونية الهامة التي تمر بها الشركة، حيث تثير الكثير من الصعوبات القانونية والمشكلات العملية ما يجعلها مادة خصبة للبحث. وهذا ما يحاول الباحث القيام به في هذه الدراسة، في ظل قانون الشركات اليمني. ولما كانت الشريعة الإسلامية تمثل مصدر جميع التشريعات اليمنية، كان لزاما علينا أن نتلمس أصول البحث محل الدراسة في تراث الفقه الإسلامي.

وفي ضوء ما تقدم، فإننا في هذا البحث سوف نتناول الآثار القانونية لتصفية الشركة المساهمة في القانون اليمني وفي ضوء الفقه الإسلامي وفقا للتقسيم الآتي:

المبحث الأول: أثر التصفية على حقوق دائني الشركة ومساهميها.

المبحث الثاني: أثر التصفية على سلطات مجلس الإدارة.

المبحث الثالث: أثر التصفية على عقود الشركة.

المبحث الأول: أثر التصفية على حقوق دائني الشركة ومساهميها

يهدف المشرع من تقرير نظام التصفية إلى تحقيق الموازنة بين مصالح الأطراف المختلفة، بهدف تمكين كل طرف من الحصول على حقه. ومن أجل بلوغ هذه الغاية، فإنه متى حلت الشركة واتخذ الشركاء الإجراءات الكفيلة بتصفيتها أو صدر قرار قضائي بذلك، تصبح أموال الشركة موجهة للوفاء بديونها وتسوية التزاماتها كافة، من ذلك التاريخ. وبالتالي يتعين غل يد الشركاء عن المساس بأموال الشركة، لاسيما وأن المساهمين لا يسألون عن ديون الشركة إلا بمقدار مساهمتهم في رأس المال. وسوف نتعرض لأثر التصفية على حقوق دائني الشركة ومساهميها في مطلبين على النحو الآتي:

المطلب الأول: أثر التصفية على حقوق دائني الشركة.

المطلب الثاني: أثر التصفية على حقوق الشركاء.

المطلب الأول: أثر التصفية على حقوق دائني الشركة

لما كانت أموال الشركة تمثل الضمان العام لدائتيها، فإن تسوية الديون المطلوبة من الشركة تعد من أهم عمليات التصفية. وبما إن إدارة أموال الشركة تصبح بعد صدور قرار التصفية من حق المصفي، فإن دفع الديون المطلوبة من الشركة من الواجبات الأساسية التي يتحتم على المصفي القيام بها.

ويقوم المصفي عند مباشرته لمهام عمله بإعداد قائمة تتضمن أموال الشركة وموجوداتها، وإعداد هذه القائمة يتطلب تحديد ما لها من حقوق على الغير وما عليها من التزامات⁽¹⁾، حتى يتمكن من معرفة حقيقة الوضع المالي للشركة.

وجرت العادة أن يعد المصفي قائمة بأسماء الدائنين ومقدار ديونهم على الشركة وفي سبيل القيام بذلك يعلن المصفي في الصحف داعيا كل من له دين بذمة الشركة مراجعته في غضون مدة يعينها في الإعلان لتثبيت دينه. وعلى الدائنين أن يقدموا ما لديهم من مستندات ووثائق تؤيد ديونهم على الشركة⁽²⁾.

وقد يتعدد دائنو الشركة بين دائنين عاديين ودائنين من أصحاب التأمينات العينية الخاصة، وأرباب الامتيازات العامة، وقد يكون دين بعضهم حال الأداء، في حين يكون دين بعضهم الآخر مؤجلا إلى حين.

وعليه فإننا سوف نقسم البحث في هذا المطلب إلى فرعين:-

الفرع الأول: الموقف الخاص لبعض دائني الشركة

الفرع الثاني: طريقة سداد الديون

الفرع الأول: الموقف الخاص لبعض دائني الشركة

يختص بعض دائني الشركة بموقف خاص بهم وهؤلاء هم الدائنون لأجل واصحاب السندات، وسوف نبين الوضع القانوني لكل منهم فيما يلي:-

أولاً: الدائنون لأجل

لم يأخذ القانون المدني اليمني بمبدأ سقوط أجل الدين في حالة تصفية الشركة، حيث نصت المادة 658 منه على الآتي: " تقسم أموال الشركة بين الشركاء جميعا بعد استيفاء الدائنين لحقوقهم وحط المبالغ اللازمة للديون التي لم تحل، أو المتنازع فيها...".

وعليه فإن الديون المؤجلة لا تصبح حالة وواجبة الأداء في حالة تصفية الشركة كما هو الحال عند إفلاس الشركة. ولا يجوز للدائن المطالبة بالسداد الفوري لدينه، بل يجب عليه الانتظار حتى حلول أجل الدين ثم يقوم بالمطالبة لدفعه.

وتسوية حقوق الدائنين لأجل تستدعي التوفيق بين فكرتين متناقضتين الأولى ضرورة إنهاء التصفية في أقصر مدة ممكنة، والثانية خطر انتقاص ضمانات الدين التي يعتمد عليها الدائنون نتيحة قيام المصفي بدفع الديون المستحقة. ويتطلب الأمر منا معرفة ما إذا كان يحق للمصفي إلزام الدائنين لأجل باستيفاء ديونهم قبل موعد الوفاء استعجالا للتصفية. وما إذا كان باستطاعة الدائنين لأجل مطالبة الشركة بالسداد الفوري.

بالنسبة للمسألة الأولى وهي حق المصفي بإلزام الدائنين لأجل باستيفاء ديونهم قبل موعد الوفاء، اتفق الفقه⁽³⁾ على أنه إذا كان الأجل مقررًا لمصلحة الشركة فإن المصفي يستطيع التنازل عن الأجل ويدفع الدين المطلوب من الشركة

بالرغم من أنه لم يستحق موعد دفعه. أما إذا كان الأجل مقرراً لمصلحة الدائن، فالمصفي لا يستطيع إلزامه بالقبول بالوفاء قبل حلول أجل الدين، إلا إذا وافق الدائن على التنازل عن هذا الأجل. وفي حالة تنازل المدين عن الأجل يحق للشركة خصم الفوائد المستحقة للدائن عن المدة اللاحقة لوفاء الدين⁽⁴⁾.

وبالنسبة للمسألة الثانية وهي حق الدائنين لأجل بمطالبة الشركة أثناء فترة التصفية بالسداد الفوري لديونهم. فالأصل أنه لا يحق لهم المطالبة بهذه الديون قبل ميعاد استحقاقها. إلا أنه إذا تبين أن الشركة لا يبقى بها أموال بعد سداد الديون المستحقة الأداء، أو إذا خفضت ضمانات دائنيها، فيحق لهم في هذه الحالة المطالبة بديونهم إلى جانب أصحاب الحقوق الواجبة الأداء⁽⁵⁾.

وبالتالي فإن حقوق دائني الشركة المنحلة لا تتعدل أثناء التصفية، فأموال الشركة تبقى الضمان العام للدائنين. ويكون للدائنين الحق في المحافظة على أموال الشركة، فإذا قام المدين أو غيره بأي عمل يؤدي إلى زيادة الديون وانقاص حقوق الدائنين والإضرار بهم، فإن لهم وسائل تكفل حماية هذه الحقوق، فقرار التصفية يجب أن لا يؤثر في الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها الدائنون.

ويتم احتساب الديون لأجل ضمن توزيع أموال الشركة، ويلزم المصفي باقتطاعها من أموال الشركة والاحتفاظ بها لأصحابها حتى يحين أجل الاستحقاق، ويقوم المصفي باستئصال المبالغ اللازمة لوفاء الديون المتنازع عليها. وعلى خلاف ذلك يرى جمهور فقهاء المسلمين حلول الديون الآجلة بوفاء المدين لخراب ذمته، وأن الديون تصبح بعد ذلك متعلقة بأموال المدين.

ثانياً: أصحاب السندات

عندما تحتاج الشركات المساهمة، إلى أموال إضافية لتوسيع أعمالها، أو لمواجهة التزاماتها، فإنها تلجأ إلى زيادة رأس مالها بإصدار أسهم جديدة. ولكن قد لا ترغب الشركة في اللجوء إلى هذه الطريقة للحصول على الأموال. ذلك أن زيادة رأس المال بإصدار أسهم جديدة سيأتي بمساهمين جدد، يشاركون المساهمين القدامى في اقتسام الأرباح. لذا تفضل الشركة اللجوء إلى الاقتراض، للحصول على الأموال التي تحتاجها، وذلك عن طريق إصدار سندات ذات قيمة اسمية واحدة. وتكون هذه السندات قابلة للتداول، وقد يكون الإقراض من الدولة أو من البنوك أو من شركات التمويل التجارية، وذلك في حالة ما إذا أرادت الشركة مبالغ صغيرة ولآجال قصيرة، أو يكون القرض بشكل جماعي عن طريق طرح السندات للاكتتاب العام من قبل الجمهور، وتتعهد الشركة بموجب هذه السندات بسداد القرض وفوائده في الميعاد المبين لانتهاؤه مدته⁽⁶⁾.

ويعد حامل السند دائناً للشركة بقيمته، فيكون له الحق في استرداد قيمة السند في تاريخ الاستحقاق المتفق عليه، وكذلك له حق تقاضي الفوائد المحددة عنه تدفع في الآجال المتفق عليها أياً كانت حالة الشركة، أي سواء أحققت الشركة أرباحاً أم لم تحقق، ولحامل السند ضمان عام على أموال الشركة لاسترداد قيمته وفوائده.

والأصل أن صاحب السند هو دائن عادي للشركة مثله مثل الدائنين العاديين إلا أن بعض السندات تكون مضمونة بممتلكات معينة من الشركة أو تضمنها جميع أصول الشركة⁽⁷⁾.

فإذا دخلت الشركة مرحلة التصفية وكان موعد استحقاق السند قد حل أجله، فبالنسبة لأصحاب السندات العادية، فإنهم يكونون بمثابة دائنين عاديين للشركة، ويستوفي صاحب السند حقه بعد سداد الدائنين المرهنيين والممتازين⁽⁸⁾.

أما إذا كانت هذه السندات مضمونة برهن لصالح جماعة حملة السندات، فإن الأولوية بالسداد تكون لهم من ثمن المال المرهون، وإذا تبقى أي فائض فإنه يستعمل لسداد الديون الأخرى. أما إذا لم يكف ثمن المرهون لسداد ديون أصحاب السندات، فالمبلغ المتبقي يعد دينا عاديا، ويدخل أصحاب السندات مع الدائنين العاديين في استيفاء حقوقهم⁽⁹⁾.

وبما أن أصحاب السندات هم دائنون للشركة بقيمتها، وأموال الشركة جميعها تشكل الضمان العام لديونها، فإنه لا يجوز أن يتم تقسيم أموال الشركة بين الشركاء قبل تأمين دفع قيمة هذه السندات لأصحابها. ويلزم الشركاء في حال اقتسامهم لأموال الشركة قبل سداد ديون أصحاب السندات برد الأموال التي حصلوا عليها بدون وجه حق. وبالنسبة للفقهاء الإسلاميين، فإنه لا يجوز للشركة أن تصدر سندات قرض كون حكم السندات هي الحرمة القطعية، ووجه الحرمة أن السند قرض على الشركة لأجل بفائدة معلومة، ولا يخرج عن كونه عقد قرض اجتمعت فيه عناصر ربا الديون الثلاثة وهي الدين، والأجل، وزيادة مشروطة في الدين مقابل الأجل والزيادة على أصل القرض من قبيل الربا المحرم شرعا بمقتضى الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

أما الكتاب فلقوله تعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ))⁽¹⁰⁾. وقوله تعالى ودالِّلِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَحَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ⁽¹¹⁾.

أما السنة فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه جابر، (قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء)⁽¹²⁾.

أما الإجماع، فقد أجمع على تحريمه السلف الصالح والعلماء المجتهدون من بعدهم وتعاقبت القرون على ذلك الإجماع ولم يتطرق إليه الريب في عصر من العصور⁽¹³⁾.

ومن الإجماع ما ذهب إليه الجامع الفقهي على حرمة الزيادة مقابل القرض ونذكر منها ما يلي:

1. ورد في قرار الجمع الفقهي رقم (6/11/60) بشأن السندات ما يلي:

أولاً: إن السندات التي تمثل التزاما بدفع مبلغها مع فائدة منسوبة إليه أو نفع مشروط محرمة شرعا من حيث الإصدار أو الشراء أو التداول، لأنها قروض ربوية سواء أكانت الجهة المصدرة لها خاصة أم عامة ترتبط بالدولة. ولا أثر لتسميتها شهادات أو صكوكا استثمارية أو ادخارية أو تسمية الفائدة الربوية الملتزم بها رباً أو ريعاً أو عمولة أو عائداً".

ثانياً: تحرم أيضاً السندات ذات الكوبون الصفري باعتبارها قروضاً يجري بيعها بأقل من قيمتها الاسمية، ويستفيد أصحابها من الفروق باعتبارها حسماً لهذه السندات.

2. فتوى المؤتمر الثاني لجمع البحوث الإسلامية المنعقد بالقاهرة عام 1385هـ ونصها:

أ - الفائدة على أنواع القروض كلها ربا محرم، لا فرق في ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي، وما يسمى بالقرض الإنتاجي لأن نصوص الكتاب والسنة في مجموعها قاطعة في تحريم النوعين.

ب - كثير الربا وقليله حرام، كما يشير إلى ذلك الفهم الصحيح في قوله تعالى: (يأيتها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة).

ج - الإقراض بالربا محرم لا تبيحه حاجة ولا ضرورة، والاقتراض بالربا محرم كذلك، ولا يرتفع إثمه إلا إذا دعت إليه الضرورة... وكل امرئ متروك لدينه في تقدير ضرورته.

وحيث إن السندات التي تصدرها الشركات المساهمة في اليمن، والتي نص المشرع على إباحتها إصدارها باطلة وتخالف أحكام الشريعة الإسلامية، فإنه لا يصح أن تكون في الشركات ويجب أن لا تلجأ إليها، ويمكن للشركة تلافي اللجوء إلى السندات عن طريق الاكتتاب بأسهم جديدة سواء أكان للجمهور أم قصر الاكتتاب الجديد على المساهمين، أو عن طريق الأدوات والوسائل الإسلامية البديلة التي اجتهد فقهاء الجامع الفقهي في إبرازها مثل الصكوك التي تعتمد على عقد المقارضة المشتركة أو الجماعية وهي الصيغة المتطورة لعقد المضاربة الثنائية. وسواء كان عقد المضاربة لفترة طويلة الأجل أو لمشروع معين وسواء كانت هذه الصكوك ترد قيمتها في الأخير مرة واحدة أم بالتدريج⁽¹⁴⁾، أو أن يكون البديل للأوراق التي مصدرها الاستصناع⁽¹⁵⁾، أو للأوراق المالية التي تعتمد على عقد الإجارة كعقد شرعي بديل عن السندات المحرمة⁽¹⁶⁾.

ونرى استبعاد هذا النوع من الأوراق المالية المعمول به في شركات المساهمة كونها عبارة عن قروض ربوية، تخر الناس إلى تعاطي الربا بيعاً وشراءً وأكلاً. وهي تتعارض مع نص المادة (3) من الدستور اليمني التي تعتبر الشريعة الإسلامية مصدر جميع التشريعات.

الفرع الثاني: طريقة سداد الديون

نصت المادة 49/2 من قانون الشركات اليمني على الآتي: " في حالة غياب الشروط أو غموضها في عقد الشركة تستعمل موجودات الشركة وتوزع حسب الترتيب الآتي:-

أ - تدفع النفقات والمصاريف الناشئة عن تصفية الشركة.

ب - تدفع الديون المترتبة على الشركة إلى الدائنين من غير الشركاء مع دفع الحقوق الممتازة أولاً.

ج - تدفع الديون المستحقة لكل من الشركاء نتيجة تسليفهم أموالاً للشركة ليست من رأس المال.

ومن هذا النص نجد أن الأولوية في سداد ديون الشركة هي كما في أدناه:

أ - الديون الناشئة عن التصفية

أعطى قانون الشركات اليمني أولوية لسداد الديون التي تنشأ عن أعمال التصفية، مادة 49/أ، وتشمل هذه الديون أتعاب المصفي ومصاريف التصفية مثل أجور الإعلان وأجور المحامين والمحاسبين والرسوم، وكذلك أجور الأشخاص الذين يعينهم المصفي للقيام بمساعدته، حيث تحتل هذه المصاريف المرتبة الأولى وتمتاز على باقي الديون قانونا. وحسنا فعل المشرع اليمني، فالدائن الذي أقرض الشركة في مرحلة تصفيتها وهي مرحلة من الخطورة بمكان أحق باستيفاء دينه بالأولوية على غيره، نظرا للاخطار المحدقة التي تصاحب الائتمان الممنوح للشركة خلال هذه المرحلة.

ب - الديون الممتازة

عرف القانون المدني اليمني الامتياز بأنه أولوية يقررها القانون لحق معين مراعاة منه لصفته⁽¹⁷⁾. والديون الممتازة يتم دفعها بالأولوية على الديون الأخرى⁽¹⁸⁾، حيث يتم أولا دفع المصروفات القضائية التي انفقت لمصلحة جميع الدائنين في حفظ أموال المدين وبيعها وتوزيعها. ثم المبالغ المستحقة للخزانة العامة من ضرائب ورسوم وفقا للأحكام الخاصة بكل امتياز. والمبالغ التي صرفت في حفظ المنقول وفيما يلزم له من ترميم. والمبالغ المستحقة للخدم والكتابة والعمال وكل اجبر آخر من أجور ورواتب عن الأشهر الثلاثة الأخيرة⁽¹⁹⁾.

ويكون للديون الممتازة طبقا للمادة 49/ب من قانون الشركات اليمني الأولوية في السداد بعد سداد نفقات التصفية.

ج - الديون المضمونة برهن

إذا قدمت الشركة لأحد دائنيها ضمانا للوفاء بدينه، أية أموال منقولة أو عقارية، فيكون هذا الدائن صاحب حق ضمان على هذه الأموال، بحيث يحق لهم استيفاء ديونهم من ثمن بيع المرهون بالتقدم على الدائنين العاديين والدائنين التاليين لهم في المرتبة⁽²⁰⁾.

ويكون لصاحب الدين المضمون برهن القيام ببيع المال المرهون، والحصول على قيمة دينه. وإذا كان ثمن الشيء المرهون يقل عن دين المرهن، فإن المرهن يستوفي الثمن الذي يبيع به المرهون بالأولوية على غيره من الدائنين العاديين، ويحق له أن يرجع على المدين بالمبلغ المتبقي، ويعتبر المبلغ غير المسدد ديناً عادياً، ويتساوى المرهن مع الدائنين العاديين في استيفاء حقوقهم⁽²¹⁾.

د - الديون العادية

بعد أن يقوم المصفي بسداد الديون الناتجة عن عمليات التصفية، والديون الممتازة، والديون المضمونة برهن، يقوم بسداد الديون العادية⁽²²⁾. ويتم تسديد هذه الديون على قدم المساواة، حيث إن الدائنين متساوون في الضمان العام، وتكون جميع الأموال المتبقية ضامنة للوفاء بديونهم.

وإذا كانت أموال الشركة لا تكفي لسداد ديونها فإنه يجب على المصفي أن يقوم بالوفاء الجزئي، بحيث يوزع على الدائنين بنسبة دين كل منهم⁽²³⁾، ومع ذلك فإنه يحق لأي من الدائنين التقدم إلى القضاء للمطالبة بدينه كاملة مما قد يؤدي إلى إعلان إفلاس الشركة أثناء مرحلة تصفيتها⁽²⁴⁾.

وفي كل الأحوال فإن الدائنين قد لا يستردون حقوقهم بالكامل. وكما هو معلوم في دعاوى الإفلاس فإنه بعد حصر الموجودات والديون وتقسيمها إلى ديون من الدرجة الأولى وممتازة وعادية تقوم المحكمة بسداد حقوق الدائنين من الدرجة الأولى ثم بعد ذلك الدائنين الممتازين فالعاديين. وفي الحالات التي لا تكفي الموجودات لسداد جميع ديون الفئة المعنية فإن المحكمة توزع الموجودات بين الدائنين بالتناسب لكل نصيب حسب مقدار دينه²⁵. وهذا النصيب قد يقل كثيراً عن أصل الدين. وربما تملك ديون فئة بأكملها إذا استغرقت ديون الفئات الأعلى جميع أموال المفلّس. ويبقى لكل دائن الحق في اتخاذ الإجراءات الفردية للحصول على الباقي من دينه⁽²⁶⁾.

ولا يجوز إهدار الديون وسقوطها لمجرد أن الشركة قد تمت تصفيتها، كون قواعد المعاملات الشرعية في الشريعة الإسلامية تشترط الأداء أو العفو أو إبراء الذمة.

ه - ديون الشركاء

وتشمل هذه الديون المصروفات التي يكون أحد الشركاء قد قام بتسليفها أو انفاقها لمصلحة الشركة، ويتم الوفاء بها بعد سداد جميع ديون الشركة⁽²⁷⁾.

ويجب على المصفي أثناء تسوية ديون الشركة، إدخال ديون الشركاء في ميزانية التصفية والوفاء بها بعد قيامه بالوفاء بجميع الديون المطلوبة من الشركة.

مما سبق يتضح لنا أن المشرع أولى رعاية خاصة لأصحاب التأمينات العينية الخاصة، وأصحاب الامتيازات العامة، تضمن حصولهم على حقوقهم قبل الشركة. في حين لم يول طائفة الدائنين العاديين من الرعاية ما يكفل حصولهم على ديونهم لدى الشركة.

وكون هذه الطائفة تمثل القاعدة العريضة للدائنين، فإني أرى، أن يرتب المشرع على صدور قرار التصفية نشوء تجمع يضم أفراد طائفة الدائنين العاديين ويكون مثلاً لهم، بحيث يتمتع كل فرد منهم عن رفع الدعاوى الانفرادية في مواجهة الشركة، ويكون من وظائف ذلك التجمع تلقي ما بقي من أموال الشركة وقسمته بينهم قسمة غرماء. ذلك أن ترك السبيل لكل دائن في رفع دعوى المطالبة بحقه، من شأنه أن يؤدي إلى اضطراب إدارة المصفي، ويزيد من صعوبة استغلال مشروع الشركة. وذلك قياساً على المعمول به في الإفلاس.

وأجد أنه من الأفضل أن يتبنى المشرع اليمني حلاً عملياً لمعالجة مشكلة تسوية الديون غير المستحقة، بما يكفل إنهاء تصفية الشركة بأسرع وقت ممكن وبما يؤدي إلى المحافظة على حقوق الدائنين. وذلك عن طريق استحقاق هذه الديون عند التصفية مع خصم ما نسبته 5 % من الفوائد عن الفترة ما بين الإعلان عن المبلغ المطلوب للدائن وتاريخ استحقاق الدين.

المطلب الثاني: أثر التصفية على حقوق الشركاء

المساهمون هم أصحاب رأس المال يجتمعون في جمعية عامة تكون صاحبة الاختصاص الأصيل في إدارة الشركة. وتتكون من جميع المساهمين الذين يجتمعون للتداول في شؤون الشركة واتخاذ القرارات اللازمة بشأنها بما يضمن لها الرقابة والإشراف على أعمال الشركة⁽²⁸⁾.

وبما أن الشركة تقوم في الأساس لاستغلال مشروع تجاري بهدف تحقيق الربح، فإنه يشترط لانعقاد الشركة صحيحة، أن يقدم كل شريك مساهمته في رأس المال لينشأ ذلك المشروع.

فإذا اكتمل البناء القانوني للشركة أصبحت الشركة هي المالك لهذه الأموال، ولا يكون للشركاء من حق قبل الشركة إلا حقهم فيما تحققه من ربح⁽²⁹⁾.

وبما أن الشخصية المعنوية للشركة تبقى أثناء فترة التصفية، فإن وضع المساهمين في الشركة تحت التصفية لا يتغير عن الوضع السائد قبل حلها. فأموال الشركة تبقى مملوكة لها ولا تعد مالا مشاعا بين الشركاء⁽³⁰⁾. وبالتالي فإن المنطق يقضي بعدم جواز تصرف الشركاء بهذه الأموال.

وبما أن المساهم في الشركة له الحق في أرباحها، فإن هذا يقودنا إلى السؤال عن مدى حق الشركاء في التصرف في الأرباح التي تجنيها الشركة أثناء مرحلة التصفية.

ذهب بعضهم⁽³¹⁾ إلى أنه في الحالة التي تحقق فيها الشركة أثناء فترة تصفيتها أرباحا ناتجة عن استمرارها بنشاط سابق للحل استكمالاً للتصفية فإن للشركاء الحق باستيفاء هذه الأرباح حسب الشروط في عقد الشركة. وبما أن أموال الشركة في مرحلة التصفية، سواء ما كان منها موجودا عند الحل، أم ما يؤول ملكيته إليها بعد ذلك، تكون مسخرة للوفاء بديونها، فإننا بدورنا نرى أنه ليس للشركاء الحق في الحصول على شيء بعد دخول الشركة مرحلة التصفية، إلا بعد الفراغ من تسوية جميع ديونها الحالية والآجلة.

ولا يحق للمساهمين المطالبة بقيمة مساهمتهم عند دخول الشركة في مرحلة التصفية⁽³²⁾. بل تبقى هذه الأموال تمثل الضمان العام لدائني الشركة الذين لا يزاحمهم الدائنون الشخصيون للشركاء، حيث إن الأفضلية لدائني الشركة بخصوص أموالها، لأن أموال الشركة ضامنة لديونها قبل أن تضمن حقوق الشركاء⁽³³⁾.

ومن الخصائص المميزة للشركة المساهمة أن مسؤولية الشريك تكون محدودة بمقدار مساهمته في رأس مال الشركة، فإذا تمت تصفية الشركة وكانت ديون الشركة تفوق أموالها فالشريك في الشركة المساهمة لا تتعدى خسارته المبلغ الذي دفعه لقاء الأسهم التي اكتتب بها أو اشتراها، حيث إن بقاء الشخصية المعنوية للشركة أثناء مرحلة التصفية واحتفاظها بذمتها المالية الخاصة يجعل أموالها هي الضمان العام لدائنيها. فالضمان العام لدائني الشركة يتكون من راسمها ولا يمتد إلى أموال المساهمين الخاصة، فلا يوجد مساهم يسأل عن ديون الشركة في كل أمواله.

وقد نصت المادة 105/ أ من قانون الشركات اليمني على الآتي: " لا يسأل المساهم في شركات المساهمة عن التزامات الشركة إلا بقدر حصته في رأس المال ".

وحيث إن قانون الشركات اليمني أجاز دفع قيمة الأسهم النقدية على أقساط وذلك بأن يسدد المساهم 20% من قيمة الأسهم المكتتب فيها، والباقي عبارة عن دين وهو 80 % يسدد على مدى أربع سنوات⁽³⁴⁾، فإن المساهم قد يكون مدينا للشركة بالباقي من قيمة أسهمه حين دخول الشركة مرحلة التصفية، مما يثير تساؤلا حول ما إذا كان دخول شركة المساهمة مرحلة التصفية يعني تحلل المساهم من التزامه بدفع قيمة مساهمته التي تعهد بتقديمها، أم أنه يبقى مدينا لها بما تعهد به، وما إذا كان للمصفي الحق في مطالبة الشركاء بالباقي من حصصهم.

وعلى الرغم من أن القانون اليمني لم يعالج تلك الحالة بنص صريح، إلا أن المادة 108 من قانون الشركات تنص على الآتي: " لا يجوز للشركة إبراء ذمة المساهم من التزامه بدفع قيمة السهم...". كما نصت المادة 105/أ من قانون الشركات على الآتي: " لا يسأل المساهم عن التزامات الشركة إلا بقدر حصته في رأس المال ". وعليه يمكننا القول إن المساهم أثناء مرحلة التصفية يبقى مدينا للشركة بالباقي من قيمة أسهمه في حالة عدم تسديدها، وذلك استنادا إلى الالتزام الذي أخذه الشركاء على عاتقهم بتقديم حصص محددة ومعروفة، حيث إن الغير الذين يتعاقدون مع شركة مساهمة ضماهم هو رؤوس الأموال التي تعهد المساهمون بتقديمها للشركة لتكوين أصولها التي أبلغ رقمها إلى علم دائني الشركة عن طريق النشر الذي يتطلبه القانون. وبالتالي فإن للمصفي أن يطالب الشركاء بالباقي من حصصهم إذا اقتضت ذلك أعمال التصفية مع مراعاة المساواة بين المساهمين⁽³⁵⁾.

وعلى هذا الأساس إذا سدد المساهم في الشركة المساهمة العامة جميع المبالغ المستحقة عليه بسبب اكتتابه في أسهمها أو شرائه لها، فإنه يكون قد أوفى بالتزاماته الماليه قبلها وأبرأ ذمته تجاهها ولا يحق بعد ذلك لكائن من كان، الرجوع عليه، بأي مبلغ إضافي أو إلزامه بالمساهمة في الخسارة التي تكون قد أحقت بالشركة مهما كان عدد الأسهم التي يملكها فيها وما تمثله قيمة هذه الأسهم بالنسبة إلى رأس مال الشركة⁽³⁶⁾.

وبما أن شركة المساهمة تقوم على الاعتبار المالي، وتكون مسؤولية الشريك فيها محدودة بقيمة أسهمه فقط، هل يملك المساهم الحق في بيع أسهمه خلال مرحلة التصفية؟

لم نجد في الفقه أو القضاء أو نصوص التشريع اليمني ما يسعنا في حل مسألة ما إذا كان للمساهم في الشركة المساهمة العامة الموجودة تحت التصفية الحق في التصرف بأموال الشركة أو تداول أسهمها ونقلها.

وبما أننا رأينا أنه ليس للشركاء الحق في الحصول على شيء بعد دخول الشركة مرحلة التصفية، إلا بعد الفراغ من تسوية جميع ديونها الحالية والآجلة، وبما أن الشركة لا تستطيع العودة إلى مباشرة عملها من جديد بعد صدور قرار التصفية. فإننا نرى أنه لا يجوز التصرف بأموال الشركة المساهمة العامة الموجودة تحت التصفية وحقوقها وأي تداول بأسهمها ونقل ملكيتها. ونتمنى على المشرع اليمني معالجة هذه الحالة بنص صريح حتى يتم إزالة اللبس.

وبالنسبة لأثر تصفية الشركة في الفقه الإسلامي على حقوق الشركاء ودائني الشركة، فقد وضعت الشريعة الإسلامية قواعد عامة تؤتي ثمارها في الوفاء بواجبات الناس، بحيث تفوقت بها على الحلول التي أخذت بها القوانين الوضعية.

فالإسلام حرم الاستغلال وأوجب الوفاء بالحقوق وتنفيذ التعهدات وحب الوفاء بالوعود، وجعل الوفاء بالالتزامات من مكارم الأخلاق، وأعطى لأجرة الكيال والوزان والمكان الذي استؤجر لحفظ المال أولوية في السداد على سائر ديون الغرماء، كما أعطى لأموال بيت المسلمين أولوية في السداد، وقدم الدين الموثق برهن على سائر الغرماء، كما قدم الدائنين في استيفاء حقوقهم على الخلف الخاص⁽³⁷⁾، وجعل الوفاء بحقوق الغير واجبا أخلاقيا قبل أن يكون التزاما شرعيا.

وكونه لا يمنع في غير شركة المفاوضة بقاء جزء يسير من الحصة في ذمة الشريك، بحيث يصبح مدينا بها للشركة⁽³⁸⁾، فإنه يتوجب عليه الوفاء بها، وعلى المصفي مطالبة هذا الشريك بالوفاء إذا اقتضت ظروف الشركة ذلك، كما لو عجزت موجوداتها عن سداد ديونها، ولا يترتب على تأخير الوفاء استحقاق الشركة لفوائد تلك الحصة المتأخرة، وهذا بخلاف القانون⁽³⁹⁾.

وعليه فإن حل الشركة في الفقه الإسلامي لا يؤثر على حقوق الشركاء أو الدائنين حيث تظل حقوقهم قبل الشركة مصنونة من كل الأخطار، ولا يستطيع أحد الشركاء الاستئثار بحصته في الشركة إلا بعد الوفاء بديونها والتزاماتها. ويظل كل شريك مستحقا لحصته من الربح الذي تغله الشركة إلى حين انتهاء تصفية الشركة، ما لم تستغرقه ديون الشركة.

المبحث الثاني: أثر التصفية على سلطات مجلس الإدارة

شركة المساهمة كشخص معنوي لا بد أن تستعين بأشخاص طبيعيين يتولون إدارة أعمالها وتمثيلها تجاه الغير، لذا عهد المشرع بهذه المهمة إلى عدد قليل من الأشخاص ينتخبون من المساهمين ليكونوا مجلس إدارة الشركة الذي يعد الهيئة الرئيسة التي تتولى إدارة الشركة ورسم سياستها تحت إشراف الهيئة العامة للمساهمين ورقابتها باعتبارها مصدر سلطاته وصاحبة السلطة العليا في الشركة.

ويتمتع مجلس إدارة شركة المساهمة بسلطات واسعة في إدارة الشركة حيث إنه يعد الجهاز التنفيذي الذي يقوم بتسيير شؤون الشركة ويقوم بتنفيذ توصيات الجمعية العامة وقراراتها.

وتتولى الجمعية العامة انتخاب أعضاء مجلس الإدارة بالاقتراع السري⁽⁴⁰⁾، من بين المساهمين الذين تتوافر فيهم شروط العضوية⁽⁴¹⁾، ويجب أن لا يقل عدد أعضاء مجلس الإدارة عن ثلاثة ولا يزيد عن أحد عشر عضوا⁽⁴²⁾، وذلك حتى لا يقوم شخص واحد بالاستئثار بإدارة مثل هذه الشركات لما لها من أهمية خاصة في النشاط الاقتصادي ولما تقوم به من استثمار مدخرات عدد كبير من الأشخاص، ويراعى دائما عند تحديد العدد المطلوب أن يكون فرديا حتى يسهل اتخاذ القرارات بالأغلبية. وينتخب مجلس الإدارة من بين أعضائه رئيسا ونائبا للرئيس يحل محله عند غيابه، ويعين المجلس أمين سر يختاره من بين أعضائه أو من غيرهم⁽⁴³⁾. ويعين نظام الشركة مدة العضوية في مجلس الإدارة على ألا تتجاوز ثلاث سنوات⁽⁴⁴⁾.

ونظرا لما يتمتع به مجلس الإدارة من سلطات واسعة، حيث تمثل السلطة التنفيذية للمديرين الأداة الفاعلة في تسيير أنشطة الشركة أثناء مرحلة حياتها العادية. يبرز سؤال مهم، إذا حلت الشركة ودخلت دور التصفية فما أثر التصفية على سلطات مجلس الإدارة؟

رأينا أن الشركة عندما تدخل في مرحلة التصفية فإنها تبقى محتفظة بشخصيتها المعنوية بالقدر اللازم لأغراض التصفية، وبالتالي يجب أن يكون هناك شخص طبيعي يقوم بتمثيل الشخص المعنوي أثناء مرحلة التصفية وهذا الشخص هو المصفي.

وبالتالي فإن القاعدة أن حل الشركة يؤدي قانونا إلى انتهاء السلطة الفعلية لمجلس الإدارة آليا بمجرد الحل⁽⁴⁵⁾. إلا أن المشرع لاعتبارات معينة رأى اعتبار المديرين في حكم المصفين إلى التاريخ الذي تنتهي فيه إجراءات تعيين المصفي⁽⁴⁶⁾.

فإذا تم تعيين المصفي، زالت عن مجلس الإدارة صفتهم القانونية في تمثيل الشركة، ذلك أن صدور قرار التصفية ممن يملك حق إصداره يعد بمثابة الحجر على الشركة وعلى المديرين معا. وبالتالي يجب أن يتوقف مجلس الإدارة بعد هذا التاريخ عن إدارة الشركة ولا يقوم بإبرام أي تصرف، وذلك لزوال صفتهم القانونية في تمثيل الشركة⁽⁴⁷⁾. ويصبح المصفي الذي يعين للقيام بالتصفية صاحب الصفة الوحيدة في تمثيل الشركة في جميع الأعمال التي تستلزمها هذه التصفية وكذلك في جميع الدعاوى التي ترفع من الشركة أو عليها.

إن زوال صفة مجلس الإدارة وغل أيديهم لا يقتصر فقط على التصرفات القانونية، ولكنه يشمل الأعمال الإدارية بما فيها أعمال الحفظ. ولكن هذا لا يعني بطلان ما يتخذه مجلس الإدارة من إجراءات هدفها حفظ أموال الشركة، وفي الأحوال التي تدعو ظروف الاستعجال إلى اتخاذها، بحيث يترتب على التأخير في القيام بها ضياع شيء من أموال الشركة كقطع التقادم أو بيع المال المعرض للتلف، بل إننا نرى أن تدخل المدير في هذه الحالة يعد ضروريا باعتباره التزاما قانونيا وهذا ما يملية واجب حسن النية.

وطبقا لقانون الشركات اليمني فإن أعضاء مجلس الإدارة بصفتهم مساهمين في الشركة لا يسألون عن التزامات الشركة إلا بقدر ما يملكون من أسهم في رأس مال الشركة، ومجلس الإدارة بصفته وكيلا عن الشركة لا يسأل عن التزامات الشركة، وإنما تسأل الشركة عن الالتزامات الناشئة عن تنفيذ القرارات التي يتخذها مجلس إدارتها والتصرفات التي يجريها في حدود اختصاصه إذا كانت مما يدخل في غرض الشركة ولو جاوزت القيود المقررة على سلطة المجلس في نظام الشركة⁽⁴⁸⁾، بل وتلتزم الشركة في تعويض من أصابه ضرر من جراء الأعمال والتصرفات غير المشروعة التي يقوم بها أي من أعضاء المجلس أو تصدر عنه في إدارة الشركة⁽⁴⁹⁾.

ومن المعروف أن سوء الإدارة أو الإهمال أو التقصير من مجلس الإدارة قد يتسبب في عجز الشركة عن الوفاء بديونها ومن ثم إفلاسها، مما يثير تساؤلا حول حدود مسؤولية أعضاء مجلس الإدارة في حالة تصفية الشركة أو إفلاسها.

لقد نصت المادة 154 من قانون الشركات اليمني على الآتي: " يسأل أعضاء مجلس الإدارة عن تعويض الضرر الذي يلحق المساهم أو الغير بسبب أخطائهم ".

ونصت المادة 796 من القانون التجاري اليمني على الآتي: " إذا تبين بعد إفلاس الشركة أن موجوداتها لا تكفي لوفاء 20% على الأقل من ديونها، جاز للمحكمة بناء على طلب مدير التفليسة أن تقضي بإلزام أعضاء مجلس الإدارة أو المديرين كلهم أو بعضهم بالتضامن بينهم أو بغير تضامن بدفع ديون الشركة كلها أو بعضها إلا إذا أثبتوا أنهم بذلوا في تدبير شؤون الشركة عناية الرجل الحرص ".

وعليه فإن رئيس مجلس إدارة الشركة المساهمة العامة وأعضاء مسؤولون تجاه الشركة والمساهمين والغير في حالة ظهور عجز في موجودات الشركة بحيث لا تستطيع الوفاء بالتزاماتها وكان سبب هذا العجز التقصير أو الإهمال من مجلس الإدارة⁽⁵⁰⁾.

ولا تبرأ ذمة عضو مجلس الإدارة إلا إذا أثبت أن التقصير يرجع إلى سبب أجنبي أو قوة قاهرة وليس له دور في حدوثه⁽⁵¹⁾، أو أن يثبت أعضاء مجلس الإدارة أنهم اعتنوا بإدارة أعمال الشركة عناية الوكيل المأجور، أو أنهم على الرغم من قيامهم بواجباتهم الإدارية على الوجه الأكمل لم يكن بوسعهم اكتشاف أخطاء الإدارة وتدارك نتائجها⁽⁵²⁾.

ولم يكتف المشرع بتحميل أعضاء مجلس الإدارة المسؤولية عن أفعالهم فقط وإنما أجاز إشهار إفلاسهم استثناء من أحكام الإفلاس التي لا تجيز شهر إفلاس غير التاجر⁽⁵³⁾.

ونجد أن ما جاء به التنظيم الحديث من تفرعات في إدارة الشركة، لا يخرج عن القواعد والأحكام التي قررها الفقه الإسلامي، إلا في بعض الإضافات والتنظيمات.

وأن هنالك اتفاقاً بين الفقه الإسلامي والقانون اليمني بالنسبة لمسؤولية أعضاء مجلس الإدارة، فقد اتفق الفقهاء⁽⁵⁴⁾ على أن من يدير الشركة أمين لا ضمان عليه في الخسارة، أو في التلف، إذا كان يتصرف في حدود غرض الشركة، وفي حدود عقدها، وشروطها، وذهبوا إلى أن مجلس الإدارة يتحمل المسؤولية في حالة ما إذا تعدى ما نص عليه عقد الشركة، أو أساء تدبير شؤونها، ولا تتأثر هذه المسؤولية بتصفية الشركة.

المبحث الرابع: أثر التصفية على عقود الشركة

لا شك في أن أي نشاط تجاري أو اقتصادي أو صناعي لا يستقيم إلا إذا وضع في إطار قانوني، يحدد مراكز أطرافه وما لهم من حقوق وما عليهم من التزامات، والعقود تعد من أهم الوسائل لبلوغ ذلك، ولا يتصور الاستغناء عنها في الواقع العملي.

وتجدر الإشارة إلى أنه لا يمكن استعراض جميع أنواع العقود التي يمكن أن تقدم الشركة المساهمة على إبرامها أثناء مسيرة نشاطها عبر هذه الدراسة، غير أن هناك بعض العقود التي لا غنى عنها لأي شركة، ولا تثار أية صعوبة حول تلك العقود ما دامت الشركة قائمة بنشاطها، وإنما يمكن أن تتجلى الصعوبات في حالة حل الشركة أو تصفيتها لأي سبب من الأسباب.

ولما كان الرأي قد استقر على ما سبق تناوله عبر الدراسة، من أن حل الشركة لا يترتب عليه زوالها نهائياً، بل تدخل مرحلة التصفية محتفظة بشخصيتها المعنوية بالقدر اللازم للتصفية، ولا تزول إلا بانتهاء التصفية وإقفالها. وبالتالي فإن الشركة أثناء مرحلة التصفية تمارس نشاطها التجاري بما يتفق والوضع القانوني الذي وجدت فيه، وقد تدخل في علاقات وتصرفات قانونية مع الغير.

ويندر في الحياة العملية أن تنحل الشركة وقد أوفت بكل التزاماتها قبل الغير، أو استحصلت على كامل حقوقها في مواجعتهم.

ومعروف أن الشركة بوصفها كيانا قانونيا تتعاقد أثناء حياتها العادية إما ملتزمة أو ملتزما لها، أفيعني ذلك بقاء جميع العقود التي أبرمتها الشركة أثناء حياتها الطبيعية قائمة دون أن تتأثر بوضع الشركة تحت التصفية، أم أن دخول الشركة مرحلة التصفية يؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر على العقود التي ارتبطت بها الشركة مع الغير.

للإجابة على هذه التساؤلات ينبغي توضيح الفرق بين العقود الفورية والعقود المستمرة.

فالعقد المستمر، هو العقد الذي يحتاج تنفيذه إلى فترة من الزمن، بحيث يكون الزمن عنصرا جوهريا فيه، كعقد الإيجار، وعقد العمل وعقد التأمين وعقد التوريد⁽⁵⁵⁾. وهذا النوع من العقود يستلزم بطبيعته أن ينشأ بين طرفيه التزامات، يستمر تنفيذها فترة من الزمن، أو يتكرر هذا التنفيذ مرات عدة.

وغالبا ما تكون الالتزامات المترتبة على هذه العقود محددة المدة، فإذا كان العقد محدد المدة وتنتهي مدته أثناء مرحلة التصفية وقبل إقفالها فالراجح استمرار تنفيذ تلك الالتزامات بواسطة المصفي إذا كانت الطبيعة القانونية لأعمال الشركة المنحلة تسمح بالاستمرار في تنفيذ تلك الأداءات⁽⁵⁶⁾.

أما إذا كان العقد غير محدد المدة، فالغالب هو استمرار العقد أثناء مرحلة التصفية إلى أن تنتهي أعمالها ويتم إقفالها. ولكن إذا شارفت أعمال التصفية على الانتهاء قبل أن تنتهي مدة العقد، فإنه طبقا للقواعد العامة تنقضي التزامات الشركة بإقفال التصفية وشهره⁽⁵⁷⁾، لأنه من غير المعقول في هذه الحالة أن تستمر الشركة لتنفيذ هذه الالتزامات، لما يترتب على ذلك من إرهاق للشركة والشركاء والغير.

أما بالنسبة للعقد الفوري فهو العقد الذي يتم تنفيذه دفعة واحدة، حيث لا يكون الزمن عنصرا جوهريا في تنفيذ الالتزامات الناشئة عنه، حتى ولو تم التنفيذ على شكل دفعات، مثل عقد البيع⁽⁵⁸⁾. ويظل العقد فوريا حتى لو أجل فيه التزام أحد الطرفين إلى أجل مستقبل، فالبيع بثمن مؤجل، هو عقد فوري، ذلك أن الزمن لا يتدخل في تحديد مقدار هذا الثمن، وإنما يحدد فقط موعد تنفيذه. فإذا ارتبطت الشركة بعقد بيع وتم إبرامه بينها وبين الغير، ثم دخلت الشركة مرحلة التصفية قبيل تنفيذه فالأصل أن الشركة تبقى قادرة على التنفيذ على الرغم من دخولها مرحلة التصفية، وبالتالي يقع على عاتق المصفي واجب تنفيذ العقد⁽⁵⁹⁾.

وتظهر أهمية التمييز بين العقود فورية التنفيذ والعقود مستمرة التنفيذ من ناحيتين⁽⁶⁰⁾:

أولا: فيما يتعلق بالاعذار، إذ يعد شرطا ضروريا لاستحقاق التعويض في العقد الفوري، في حين لا ضرورة له بالنسبة للعقد المستمر.

ثانيا: فيما يتعلق بالفسخ، فالفسخ له أثر رجعي بالنسبة للعقود فورية التنفيذ، وليس له هذا الأثر بالنسبة للعقود مستمرة التنفيذ.

وكون هذا البحث لا يتسع لاستعراض جميع أنواع العقود، فسوف نقصر حديثنا على عقدي العمل والإيجار نظرا لكثرتها وشيوعها في الواقع العملي، ولما لهما من أهمية عملية بالغة بالنسبة للشركة الموضوعة تحت التصفية، وسوف تتناولهما تباعا كما في أدناه:

المطلب الأول: أثر التصفية على عقود العمل

عرفت المادة 27 من قانون العمل اليمني رقم 5 لسنة 1995 عقد العمل بأنه "اتفاق بين صاحب العمل والعامل يتضمن تحديد شروط العمل ويتعهد العامل بمقتضاه أن يعمل تحت إدارة صاحب العمل وإشرافه مقابل أجر يتعهد به المتعاقد الآخر" (61).

وعقد العمل من العقود المستمرة التي يستغرق تنفيذها مدة من الزمن بعكس العقود الفورية التي يتم تنفيذها في وقت قصير جدا كعقد البيع، حيث يسلم البائع الشيء المباع ويقبض الثمن، وبعبارة أخرى، فإنه بمجرد تكوين عقد العمل تنشأ علاقة تعاقدية تربط طرفيه وتفرض عليهما التزامات مستمرة طالما ظل العقد قائماً.

ومن هنا يثور التساؤل التالي: هل دخول الشركة مرحلة التصفية يعد سبباً لانتهاء عقد العمل وانقضاء العلاقة التعاقدية بين طرفيه، وتحلل كل منهما من الالتزامات المنصوص عليها بعقد العمل، المتمثلة في تحلل العامل من التزاماته بأداء العمل تحت إمرة صاحب العمل وإشرافه ورقابته، وتحلل هذا الأخير من التزاماته بأداء أجر العامل وملحقاته ؟

يعد عقد العمل من العقود الملزمة للجانبين، حيث يرتب بمجرد انعقاده التزامات على عاتق كل من الطرفين العامل ورب العمل، ويجب عليهما تنفيذها، ذلك أنه لا يجوز لكل من طرفي العقد التحلل من الالتزامات التي تقع على عاتق كل منهما بموجب العقد (62)، إلا إذا أصبح تنفيذ العقد مستحيلاً لسبب من الأسباب (63).

لذلك فإن دخول الشركة مرحلة التصفية يعد من قبيل الأسباب التي تؤدي إلى انتهاء عقد العمل، حيث إن وضع الشركة تحت التصفية يترتب عليه صعوبة الاستمرار في تنفيذ عقود العمل السابقة على التصفية، لأن التصفية تهدف إلى إنهاء نشاط الشركة، مما يستتبع إنهاء عقود العاملين بالشركة (64)، سواء كانت محددة المدة أم غير محددة المدة حيث إن هذا الانتهاء يعتبر من قبيل استحالة تنفيذ العقد (65).

وقد يرى المصفي أنه ليس من الضروري الإبقاء على خدمات جميع العمال الذين إبرامت الشركة العقود معهم. وبالتالي يقوم بإنهاء عقود العمل المتعلقة بالعمال الذين لم يعد هنالك حاجة لهم، وقد يكون ذلك بشكل تدريجي كلما قل نشاط الشركة وذلك أن حل الشركة وتصفيتها يستتبع إنهاء علاقة العمل بين العمال والشركة لاستحالة استمرار العاملين في القيام بأعمالهم المعتادة لانتهاء المحل بحسب الأصل الذي يؤدي إلى إنهاء العقد بقوة القانون (66). ويتعين مراعاة احترام مهلة إعلان فسخ هذه العقود (67).

أما بخصوص حقوق العمال من أجور ومكافآت عن مدة العمل التي باسروها مع الشركة سواء قبل دخولها مرحلة التصفية أم بعد ذلك فيعد ديناً في ذمة الشركة ويستطيع العامل الذي عمل لديها مطالبتها بأجوره المستحقة عن مدة عمله (68).

المطلب الثاني: أثر التصفية على عقد الإيجار

نعلم أن عقد الإيجار من العقود الرضائية الملزمة للجانبين، إذ ينشئ التزامات في جانب كل من المؤجر والمستأجر على السواء، وقد عرفت المادة 682 من القانون المدني اليمني عقد الإيجار بأنه "عقد بين مؤجر ومستأجر يقع على منفعة معلومة بعوض معلوم لمدة محدودة أو مطلقة".

وتحتاج الشركات التجارية أثناء حياتها إلى محل تجاري تزاوّل من خلاله أعمالها ونشاطاتها التجارية، ويختلف هذا المحل باختلاف نوع النشاط وحجمه. ويعرف المحل التجاري بأنه " مجموعة من الأموال المنقولة المخصصة لممارسة حرفة تجارية وأن هذه المجموعة تتضمن نوعين من العناصر: عناصر مادية كالسلع والمهمات وعناصر معنوية كالعلامات التجارية، والاسم التجاري، وحق الإيجار وغيرها " (69). وبالتالي فإن المحل التجاري قد يكون مستأجراً بموجب عقد إيجار.

وقد ترغب الشركة في التوسع في أعمالها ونشاطاتها التجارية في مواقع مختلفة، وفي هذه الحالة تلجأ الشركة إلى إبرام عقود إيجار متعددة مع مالكي المحال التجارية، الأمر الذي يترتب لها حقوقاً ويفرض عليها التزامات.

وقد تثير عملية دخول الشركة مرحلة التصفية مشاكل تتعلق بعقد إيجار المحال التجارية للشركة، بمعنى هل تبقى عقود إيجار الشركة قائمة، أم أنها تنفسخ بمجرد حلها ودخولها دور التصفية ؟

من المتفق عليه أن الشخصية المعنوية للشركة الداخلة في التصفية لا تنقضي، ونتيجة لذلك تستمر ذمتها المالية المستقلة، وتبقى الشركة قادرة على اكتساب الحقوق وتحمل الالتزامات.

لذلك فإن عقود الإيجار التي تبرمها الشركة أثناء حياتها تظل مستمرة منتجة لآثارها حتى انتهاء التصفية، ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل يمتد ليشمل أيضاً عقود الإيجار الصادرة من الشركة ذاتها للغير (70).

ويقع على المصفي واجب المحافظة على استمرار العلاقات الإيجارية للأماكن المستأجرة من الشركة واللازمة لمباشرة نشاطها أثناء مرحلة التصفية (71).

وقد يرى المصفي أن مصلحة الشركة تحت التصفية تقتضي إنهاء بعض عقود الإيجار قبل انتهاء مدتها، مما يثير تساؤلاً عن حق المصفي في القيام بذلك.

لم يعالج المشرع اليمني هذه المسألة في قانون الشركات، لذلك لا بد لنا من الرجوع إلى الأحكام العامة لانتهاء عقد الإيجار في القانون المدني. وبرجوعنا إلى تلك الأحكام، نجد أن المشرع اليمني قد أجاز لأحد المتعاقدين لعذر طارئ يتعلق به أن يطلب فسخ عقد الإيجار، وحينئذ يضمن ما ينشأ عن هذا الفسخ من ضرر للمتعاقد الآخر (72).

وعليه، فإن دخول الشركة مرحلة التصفية يعد برأينا عذراً طارئاً يميز للمصفي أن يطلب فسخ عقود الإيجار التي أبرمتها الشركة حتى قبل انتهاء مدتها، ويضمن المصفي ما ينشأ عن الحكم بفسخ الإيجار، وذلك ضمن الحدود التي يقرها العرف.

وكذلك بالنسبة للفقهاء الإسلاميين لم يترتب على حل الشركة تحللها من كل الالتزامات المالية أو المدنية، وذلك لبقاء ذمتها بعد الحل، ومقتضى ذلك أن تستمر باقية كل الوسائل التي تيسر للشركة تحصيل حقوقها وتنفيذ أموالها، من محل مزاوله نشاطها أو عمال.

وكل ما يهدف إلى تحقيق منفعة العباد وصالح أحوالهم يدخل في باب المباح الذي لا حرج فيه، ومن هذا المنطلق يستمر عقد إيجار مقر الشركة أو عقود العمال إذا اقتضى الحال ذلك. فإذا انتهى المصفي من تنفيذ أموال الشركة وأوفى ديونها وحصل حقوقها، انتهت تلك العقود وأصبح أطرافها في حل منها.

الختام:

وفي الختام أحمد الله سبحانه وتعالى على نعمه الكثيرة وعلى توفيقه لإتمام هذا البحث ونوصي بما يأتي :

- يوصي الباحث بسقوط الأجل واستحقاق الدين في حالة تصفية الشركة أسوة بحالة إفلاسها، حتى نستطيع التوفيق بين ضرورة إجراء التصفية في أسرع وقت ممكن والمحافظة على حقوق أصحاب الديون الآجلة.

- يوصي الباحث بضرورة تبني حل عملي لمعالجة مشكلة تسوية الديون غير المستحقة، بما يكفل إنهاء تصفية الشركة بأسرع وقت ممكن وبما يؤدي إلى المحافظة على حقوق الدائنين، وذلك عن طريق استحقاق هذه الديون عند التصفية مع خصم ما نسبته 5 % من الفوائد عن الفترة ما بين الإعلان عن المبلغ المطلوب للدائن وتاريخ استحقاق الدين، فجمهور فقهاء المسلمين يرون حلول الديون الآجلة بوفاء المدين لخراب ذمته، والديون تصبح بعد ذلك متعلقة بأموال المدين؛ فعلى رأي الجمهور يجب على المصفي وفاء ديون الشركة المنحلة ولو كانت مؤجلة إلى حين، لأن حق الدائن يصبح بعد ذلك متعلقاً بأموالها فيقتضي حقه منها.

- يوصي الباحث باستبعاد السندات التي تصدرها الشركات المساهمة في اليمن كونها عبارة عن قروض ربوية، تخر الناس إلى تعاطي الربا بيعاً وشراءً وأكلاً، فهي تتعارض مع نص المادة (3) من الدستور اليمني التي تعدّ الشريعة الإسلامية مصدر جميع التشريعات، وأن تعمل الشركة على تلافي اللجوء إلى السندات عن طريق الاكتتاب بأسهم جديدة سواء أكان للجمهور أم قصر الاكتتاب الجديد على المساهمين، أو عن طريق الأدوات والوسائل الإسلامية البديلة التي اجتهد فقهاء المحامع الفقهية في إبرازها مثل الصكوك التي تعتمد على عقد المقارضة المشتركة أو الجماعية.

- يوصي الباحث أن تتم معالجة مسؤولية أعضاء مجلس الإدارة في حالة تصفية الشركة وظهور عجز في موجوداتها، بسبب سوء الإدارة أو الإهمال أو التقصير من مجلس الإدارة بالنص على أن رئيس مجلس إدارة الشركة المساهمة العامة وأعضائه مسؤولون بالتضامن والتكافل تجاه المساهمين عن تقصيرهم أو إهمالهم في إدارة الشركة، أما في حالة تصفية الشركة وظهور عجز في موجوداتها بحيث لا تستطيع الوفاء بالتزاماتها وكان سبب هذا العجز التقصير أو الإهمال من رئيس المجلس وأعضائه أو المدير العام في إدارة الشركة أو مدققي الحسابات، فإن للمحكمة أن تقرر تحميل كل مسؤول عن هذا العجز ديون الشركة كلها أو بعضها حسب مقتضى الحال، وتحدد المحكمة المبالغ الواجب أدائها وما إذا كان المسيئون للخسارة متضامين في المسؤولية أم لا .

- يوصي الباحث أن يرتب المشرع على صدور قرار التصفية نشوء تجمع يضم أفراد طائفة الدائنين العاديين ويكون ممثلاً لهم، بحيث يمتنع كل فرد منهم عن رفع الدعاوى الانفرادية في مواجهة الشركة، ويكون من وظائف ذلك التجمع تلقي ما بقي من أموال الشركة وقسمته بينهم قسمة غرماء؛ ذلك أن ترك السبيل لكل دائن في رفع دعوى المطالبة بحقه، من شأنه أن يؤدي إلى اضطراب إدارة المصفي، ويزيد من صعوبة استغلال مشروع الشركة، وذلك قياساً على المعمول به في الإفلاس.

الهوامش:

- (1) المادة 48 من قانون الشركات اليمني.
- (2) فوزي محمد سامي، الشركات التجارية، (عمان: دار الثقافة للنشر، 2005) ص: 549.
- (3) الزيني، أصول القانون التجاري، ص: 464. جاك الحكيم، الشركات التجارية (دمشق: منشورات جامعة دمشق)، ص: 376.
- (4) محسن شفيق، الوسيط في القانون التجاري المصري، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1957)، ج: 1، ص: 756.
- (5) علي حسن يونس، الشركات التجارية (القاهرة: دار الفكر العربي، 1957)، ص: 186. الشخابنة، النظام القانوني لتصفية الشركات التجارية، ص: 346. ناصيف، موسوعة الشركات التجارية، ص: 222.
- (6) من هذه الوسائل:
- أ - الدعوى غير المباشرة (المادة 366 من القانون المدني اليمني). ب - دعوى عدم نفاذ التصرف (المادة 367 من القانون المدني اليمني). ج - دعوى الصورية (المادة 369 من القانون المدني اليمني). لمزيد من التفاصيل انظر د. عبدالرحمن، محمد حسن، وسائل إجبار المدين على الوفاء بدينه (القاهرة: دار النهضة العربية)، ص 105 وما بعدها.
- (7) الشخابنة، النظام القانوني لتصفية الشركات التجارية، ص: 327.
- (8) الباجي، سليمان بن خلف بن سعد، المنتقى شرح موطأ الإمام مالك (القاهرة: مطبعة السعادة، 1332هـ)، ج 4، ط 1، ص: 86.
- (9) نصت المادة 113/ أ من قانون الشركات اليمني على الآتي: " للشركة المساهمة أن تصدر أسنادا للقرض المشروعة التي تعقدها....".
- (10) نصت المادة 120/ أ من قانون الشركات اليمني على الآتي: " تقوم الشركة بوفاء قيمة أسناد القرض المشروعة طبقا للشروط المتفق عليها عند الإصدار ولا يجوز لها تقديم ميعاد الوفاء أو تأخيرها ".
يلاحظ أن المشرع اليمني قصد بالمشروعة في المادة السابقة نوعية النشاط أي أن لا يكون مما يحرمه الشرع أو القانون، كتجارة الخمر والأشياء المحرمة، أما الربا والتعامل به فلم يتعرض له هذا القانون، كونه لم يشترط أن يكون نشاط تلك الشركة المساهمة غير ربوي، فضلا عن ما نلاحظه على أرض الواقع من إنشاء البنوك المساهمة ذات النشاط الربوي.

لمزيد من التفاصيل انظر يعقوب يوسف صرخوة، الأسهم وتداولها في الشركات المساهمة في القانون الكويتي (القاهرة: دار النهضة العربية، 1982)، ص: 82 وما بعدها. العكيلي، الشركات التجارية، ص: 260 وما بعدها.

- (11) محمد صالح بك، شركات المساهمة (القاهرة: مطبعة جامعة فؤاد الأول، 1949)، ص: 185.
- (12) محمد حسني عباس، المؤسسات العامة والشركات في التشريع المصري (القاهرة: دار النهضة العربية، 1967)، ص: 169.
- (13) الشخابنة، النظام القانوني لتصفية الشركات التجارية، ص: 348.
- (14) البقرة آية 278.
- (15) البقرة آية 275.
- (16) رواه مسلم في صحيحه في باب الربا، شرح النووي (مصر: المطبعة المصرية)، ج: 11، ص: 26.
- (17) أبو الأعلى المودودي، الربا، ترجمة عاصم الحداد (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، 1979)، ص: 86.
- (18) أميرة عبداللطيف مشهور، الاستثمار في الاقتصاد الإسلامي (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1991)، ص: 306.
- (19) مجلة المؤسسات المالية العربية وتمويل التنمية والاستثمار في الوطن العربي، صنوق النقد العربي، 2005، ص: 94.
- (20) الخليل، أحمد بن محمد، الأسهم والسندات وأحكامها في الفقه الإسلامي (دار ابن الجوزي، 1424هـ)، ص: 324.
- (21) المادة 375 من القانون المدني اليمني.
- (22) المادة 49/ب من قانون الشركات اليمني.
- (23) المادة 308 من القانون المدني اليمني.
- (24) حمدان، حسن عبداللطيف، التأمينات العينية (بيروت: الدار الجامعية، 1988)، ص: 203.
- (25) الشخابنة، النظام القانوني لتصفية الشركات التجارية، ص: 365.
- (26) المادة 49/ب من قانون الشركات اليمني.
- (27) ناصيف، موسوعة الشركات التجارية، (د.ن، 1994)، ص: 224.
- (28) ناصيف، موسوعة الشركات التجارية، ص: 224.

(29) المادة 739 من القانون التجاري اليمني.

(30) المادة 745 من القانون التجاري اليمني.

(31) المادة 49/ ج من قانون الشركات اليمني.

(32) عزيز العكيلي، الشركات التجارية، (عمان: دار الثقافة للنشر، 2002)، ص: 315.

(33) حمود محمد شمسان، تصفية شركات الأشخاص، (القاهرة: دن، 1994) ص: 695.

(34) الشخابنة، النظام القانوني لتصفية الشركات التجارية، ص: 234.

(35) Rose Fancis, *Company Law*, (London: Sweet and Maxwell, 1989), p408.

(36) نصت المادة 109 من قانون الشركات اليمني على الآتي: " لا يجوز للمساهم أن يطلب استرداد ما دفعه للشركة كحصة في رأس المال ".

(37) علي حسن يونس، الشركات التجارية، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1957)، ص: 176.

(38) يبدو أن المشرع اليمني قد وقع في تناقض عند تحديد نسبة المدفوع من قيمة السهم والمدة التي يجب أن لا يتجاوزها لسداد قيمة باقي السهم فالمادة (95) من قانون الشركات اليمني تنص على أن: " تدفع قيمة الأسهم النقدية دفعة واحدة أو على أقساط ولا يجوز أن يقل القسط الواجب تسديده عند الاكتتاب عن 20 % من قيمة السهم ويجب أن يسدد كامل السهم خلال أربع سنوات من تاريخ قرار إعلان التأسيس ". بينما نصت المادة (76) من نفس القانون على الآتي: " لا يجوز أن يقل المدفوع من قيمة كل سهم نقدي عند الاكتتاب عن (25%) من قيمته الاسمية ويجب أن يدفع الباقي من قيمة السهم خلال سنتين من تاريخ تأسيس الشركة.... ".

(39) ذهب الدكتور علي حسن يونس إلى أن للمصفي إجبار من لم يقدم حصته من الشركاء على تقديمها ولو لم يكن ذلك لازماً لسداد ديون الشركة لأن الشريك مدين بالحصة للشركة، واستيفاء حقوق الشركة يدخل في اختصاص المصفي. مشار إليه عند ناجح بدران، تصفية الشركات التجارية: دراسة قانونية محاسبية عملية (دمشق: دار الصفدي، 2003)، ص: 49.

(40) يلاحظ أن المساهم قد يسأل بغير صفته شريك في الشركة، بل بصفته عضو في مجلس الإدارة أو مدير للشركة، وهنا لا تتحدد مسؤوليته بما اكتتب به من أسهم.

(41) نادية كمال سعيد عرفة، تصفية شركات الأموال (رسالة دكتوراة، الجامعة الأردنية، 2010)، ص: 112.

(42) ذهب فقهاء الحنفية والمالكية إلى عدم اشتراط حضور رأس مال الشركة من جميع الشركاء وقت العقد، وإنما يشترط وجوده وقت الشراء. أما الحنابلة فإنهم يشترطون حضور رأس المال من جميع الشركاء عند العقد. لمزيد من

التفاصيل حول ذلك انظر كمال الدين محمد بن عبدالواحد السيواسي، فتح القدير (مصر: مطبعة مصطفى محمد، د.ت)، 14/5.

(43) شمسان، تصفية شركات الأشخاص، ص: 722.

(44) المادة 124 من قانون الشركات اليمني.

(45) المادة 122/ ب من قانون الشركات اليمني.

(46) المادة 122/ أ من قانون الشركات اليمني.

(47) المادة 125 من قانون الشركات اليمني.

(48) المادة 123 من قانون الشركات اليمني.

(49) نصت المادة (654) من القانون المدني اليمني على الآتي: " تنتهي عند فسخ الشركة سلطة المديرين...".

ومع ذلك فقد نصت المادة 48 من قانون الشركات اليمني على أن: " على المصفين أن يضعوا قائمة الجرد بالتعاون مع مديري الشركة". وبالتالي فإن دور مجلس الإدارة لا يتعدى مساعدة المصفي في أعمال التصفية عند الحاجة.

(50) المادة 655 من القانون المدني اليمني.

(51) وحي فاروق لقمان، سلطات ومسؤوليات المديرين في الشركات التجارية (القاهرة: دار الفكر العربي، 1998)، ص: 149.

(52) المادة 144/ أ من قانون الشركات اليمني.

(53) المادة 144/ ب من قانون الشركات اليمني.

(54) يلاحظ أن بعض القوانين كانت أكثر وضوحاً في معالجة مسؤولية أعضاء مجلس الإدارة في حالة تصفية الشركة وظهور عجز في موجوداتها، حيث نصت المادة 159 من قانون الشركات الأردني على الآتي: " رئيس وأعضاء مجلس إدارة الشركة المساهمة العامة مسؤولون بالتضامن والتكافل تجاه المساهمين عن تقصيرهم أو إهمالهم في إدارة الشركة غير أنه في حالة تصفية الشركة وظهور عجز في موجوداتها بحيث لا تستطيع الوفاء بالتزاماتها وكان سبب هذا العجز التقصير أو الإهمال من رئيس وأعضاء المجلس أو المدير العام في إدارة الشركة أو مدققي الحسابات للمحكمة أن تقرر تحميل كل مسؤول عن هذا العجز ديون الشركة كلها أو بعضها حسب مقتضى الحال، وتحدد المحكمة المبالغ الواجب أدائها وما إذا كان المسببون للخسارة متضامنين في المسؤولية أم لا ".

(55) المادة 306 من القانون المدني اليمني.

(56) إلياس ناصيف، الكامل في قانون التجارة: الشركات التجارية (بيروت: منشورات بحر المتوسط، 1982)، ص: 318.

- (57) نصت المادة 696 من القانون التجاري اليمني على الآتي: "إذا طلب شهر إفلاس الشركة جاز للمحكمة أن تقضي أيضا بشهر إفلاس كل شخص قام تحت ستار هذه الشركة بأعمال تجارية لحسابه الخاص وتصرف في أموال الشركة كما لو كانت أمواله الخاصة..".
- (58) كمال الدين محمد بن عبدالواحد السيواسي، فتح القدير (مصر: مطبعة مصطفى محمد، د.ت)، ص 27/5.
- الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ص 72/6.
- (59) عبدالزاق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني: نظرية الالتزام (القاهرة: دار النشر للجامعات المصرية، 1952)، ج:1، ص: 166.
- (60) شمس، تصفية شركات الأشخاص، ص: 686.
- (61) نصت المادة 895 من القانون المدني اليمني على انقضاء عقد المقاولة ب وفاة الماؤل.
- (62) محمد شريف أحمد، مصادر الالتزام في القانون الأردني: دراسة مقارنة بالفقه الإسلامي (عمان: دار الثقافة للنشر، 1999)، ص: 35.
- (63) محمد كامل ملش، الشركات (القاهرة: مطابع دار الكتاب العربي، 1957)، ص: 699.
- (64) أنور سلطان، مصادر الالتزام في القانون المدني الأردني، دراسة مقارنة بالفقه الإسلامي (عمان: منشورات الجامعة الأردنية، 1987)، ص: 18.
- (65) وهو التعريف عينه الذي أخذ به القانون المدني اليمني حيث نصت المادة 781 منه على الآتي "عقد يتعهد فيه أحد المتعاقدين بأن يعمل في خدمة المتعاقد الآخر وتحت إدارته وإشرافه مقابل أجر يتعهد به المتعاقد الآخر". وقد تناول القانون المدني اليمني عقد العمل في المواد 781 إلى 825 في ثلاثة فروع، تناول في الأول الأحكام العامة وفي الثاني الأجير الخاص، وفي الثالث الأجير المشترك، وقد أخذ هذا التقسيم عن الفقه الإسلامي.
- (66) سليمان بدر الناصري، قانون العمل (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2010)، ص: 97 وما بعدها.
- (67) المادة 219 من القانون المدني اليمني. كذلك انظر سيد محمد رمضان، الوسيط في شرح قانون العمل (عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2004)، ص: 402 وما بعدها.
- (68) شمس، تصفية شركات الأشخاص، ص: 690.
- (69) ملش، الشركات، ص: 699.
- (70) المادة 36 / أ من قانون العمل اليمني.

-
- (71) منصور عبدالسلام الصرايرة، المسؤولية المدنية للمصفي تجاه الشركة المساهمة العامة (بحث منشور، مجلة الشريعة والقانون، العدد 45، 2011)، جامعة الإمارات، ص: 239.
- (72) ملش، الشركات، ص: 783.
- (73) الخولي، الموجز في القانون التجاري، (القاهرة: مطبعة المدني، 1970)، ج: 1، ص: 358.
- (74) شمسان، تصفية شركات الأشخاص، ص: 692.
- (75) أحمد محرز، الشركات التجارية، (القاهرة: النسر الذهبي للطباعة، 2000)، ص: 257.
- (76) المادة 713 من القانون المدني اليمني.

إشكالية التسامح

في الفقه الإسلامي بين الواقع والمغالطات

د. علاء الدين عبد الرزاق جنكو

مدرس الفقه والأصول بكلية القانون والعلوم السياسية

جامعة التنمية البشرية

السليمانية / العراق

الملخص باللغة العربية

إن الناظر إلى التاريخ الإسلامي سيجد أن الأحقاد الطائفية والحروب الدينية غريبة على أرض الإسلام فقد عرف المسلمون منذ انطلاقته أن التسامح هو : سلوك حضاري وفضيلة اجتماعية تتمثل في احترام المعتقدات وإمكانية التعايش مع معتنقيها، وقبول المخالف مع قدرة الرفض .

ومع ذلك لم تظهر فكرة التسامح كمبدأ خاص إلا على أنقاض الحروب الدينية في أوروبا بعد أن عاشت أوروبا عهداً من الطغيان الكنسي والاضطهاد الديني .

لقد أشار القرآن الكريم والسنة النبوية إلى التسامح، من خلال آيات كثيرة، أشارت بالمضمون إليه أما في السنة النبوية جاءت بكل ما تحمله هذه الكلمة من التساهل والمساهلة في كل جوانب الحياة ، وبناء عليهما تجلت سماحة الإسلام في مظاهر العلاقات بين المسلمين وغيرهم، فوضعت مجموعة القواعد والضوابط الفقهية والآداب السلوكية للتسامح أظهرت جميعها أن الإسلام دين اليسر ورفع الحرج والمشقة و الرحمة الواسعة ودين هداية لإنقاذ البشر من الضلالة إلى النور.

مع تبلور فكرة الدولة والمجتمع المدني خرج مفهوم التسامح بمعناه الشامل، من نطاق السلوك الفردي أو الذاتي أو الاختياري الى نطاق السلوك الجماعي والدولي والإلزامي، وأصبح أساساً لكل تنظيم سياسي، في الغرب أولاً، ثم في العالم. وبذلك التسامح بدأ دينياً وحظي بتأييد فلسفي .

من المغالطات التي أشكلت على الكثير من أبناء المسلمين كيفية التوافق بين التسامح كقيمة لفضيلة وبين مفهوم الإرهاب كما ورد في القرآن الكريم. فليس هناك أي تعارض بين كون الإنسان يبني سوراً يحمي به نفسه وفي الوقت ذاته يتمتع بأعلى وأنبيل صفات البشر .

ومن المغالطات عدم القدرة على التوفيق بين التسامح وتطبيق قاعدة ومبدأ المعاملة بالمثل وبمقارنة بسيطة بين هذا المبدأ في الإسلام وغيره سنجد أن هذا المبدأ تم إقراره في الإسلام ليكون السلاح الرادع للمعتدين على المسلمين .

ومن التصورات والمغالطات التعارض فضيلة التسامح مع المخالفين من غير المسلمين ومسألة الولاء، إن الولاء للإسلام لا يعني رفض غيره لأنه مدعو للدفاع عن نفسه إذا ما تعرض لهجوم عسكري أو ثقافي، ولأن الإسلام دين التسامح والعفو والصفح يأمر بمسألة من لا يتعرض له بالإساءة .

وذاك هو التوافق بين تسامح الإسلام ورفضه الولاء لخصومه المعتدين، توافق يعتبر حاجزاً حقاً بين التسامح والعفو من جهة والضعف والجبن والنذالة من جهة أخرى .

A look at the history of Islam shows that the sectarian hatred and the religious battles were far away from Islam-land and the Muslims, from the beginning of Islam, knew that Tolerance is a civilized behavior and a social virtue represents in respecting other beliefs, coexist with their believers and accepting the aliens while you are able to reject.

Whereas Tolerance, as a special principle, was never known until after the religious battles in Europe and after it suffered a lot from spiritual tyranny and religious oppression.

Tolerance is mentioned in Quran in a lot of verses and in Prophet Muhammad Sunna it occurs as much as this word, Tolerance, is related to every aspect of life. So according to these two, Quran and Sunna, the Islamic tolerance manifested itself in the relationship between Muslims and non Muslims. It puts a group of jurisprudential rules and principles and behavioral regulations for tolerance, all of these show that Islam is the religion of facilitation, mercy and it comes to save the humanity from misguidance to the light .

With the appearance of the concept of state and civil society the notion of tolerance exited from the field of personal, individual and optional behavior to a collective, international and obligatory one and became a foundation for each political organization in west and then in the world. In this way tolerance began religiously then it was supported philosophically.

Muslims then confused how to coincide between tolerance as value for virtue and between the concept of terrorism in Holy Quran. It doesn't conflict if people want to protect themselves and at the same time have the highest and noblest characteristics of human beings.

There is also the mistake of inability to reconcile between tolerance and applying the principle and base of reciprocity, and if this principle in Islam is compared to others we will conclude to the fact that this principle was decided to protect Muslims from aggressors.

There is also another misunderstanding about the conflict of tolerance with aliens of non Muslims and the issue of loyalty. Being loyal to Islam doesn't mean rejecting others because it is called to defend itself if it was attacked military or intellectually, and because Islam is the religion of tolerance and forgiveness it orders peace for those who don't abuse.

This is the coincide between the Islamic tolerance and rejecting loyalty to its aggressor opponents. This coincide is considered a barrier between tolerance and forgiveness from one side and weakness, coward and villainy from another side.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله النبي الأمي وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الكرام إلى يوم الدين وبعد :

إن الناظر إلى التاريخ الإسلامي سيجد أن الأحقاد الطائفية والحروب الدينية غريبة على أرض الإسلام والمسلمين، فقد عرف الإسلام منذ انطلاسته أن يعاشر غيره على المسامحة واللفظ وأن يعرعى حسن الجوار فيما يشرع من قوانين ويضع من تقاليد¹.

والإنسان بحاجة إلى التعارف والتواصل والترفع عن العنصريات والاستعلاء والأنانية وعدم التخاذل والانهزام أمام هوة القتل والاحتلال وإبادة الجنس البشري.

وليس هناك وسيلة تقوم بها لتحقيق متطلبات الإنسان من التواصل والتعارف مثل التسامح والتعامل بين الأمم والأقوام والشعوب المختلفة في العقائد والأديان والمدارس الفكرية .

إضافة إلى ما ابتليت به بعض الدول الإسلامية من الصراعات الداخلية سواء الطائفية منها أو العرقية، والتي لا يمكن حلها إلا بالتزام جميع الأطراف بالتسامح وتطبيقها على أرض الواقع .

ونتيجة للخط بين المفاهيم وقع بعض المسلمين في مصائب فادحة جراء التفسير الخاطئ للنصوص وعدم التوافق بين المفاهيم الداعية للجهاد من ناحية والداعية إلى التعايش والتسامح من جهة أخرى.

هذه الانتقائية في التطبيق الخاطئ أعطت للدول غير المسلمة انطباعاً بأن المسلمين غير صادقين في دعاوهم وأنهم إذا كانوا بهذه الدرجة من العنف فيما بينهم وداخل بلدانهم، فكيف سيكون الحال فيما لو كانوا في مقابلة الآخر، وعليه تم تصنيفهم أعداء حقيقيين لهم وتحت عنوان الإرهاب .

ويثير موضوع التسامح العديد من التساؤلات التي لا يخلو بعضها من صعوبة أو تعقيد:

فعلى سبيل المثال: فكيف تعالج التشريعات أو القوانين الوطنية وأحكام القانون الدولي مختلف جوانب التسامح؟

وهل ثمة تطابق مطلق في المستوى التشريعي بين النظري والممارسة؟

وما هي الحدود المسموح بها والمحظورة في مجال التسامح؟

وهل صحيح أن الإسلام قام على القسوة والإكراه في الدين وزرع الأحقاد والظلم والعنف والترويع والإرهاب؟

فرضية البحث :

تقوم الفرضية الأساسية لهذا البحث على اعتبار أن مبدأ التسامح قادر على حل جميع المشاكل التي ابتليت بها الدول الإسلامية - وخاصة سوريا والعراق - ولا سيما أن المجتمع الأوروبي لجأ إليه كأفضل أسلوب لمشاكله بعد عصور سوداء من تدمير وإهانة البشرية .

وبناءً على هذه الفرضية اعتمد البحث على فرضيتين فرعيتين:

- أن التسامح جزء من ذاتية الإسلام لم ولن ينفصل عنه بسبب سوء تصرف المسلمين مهما تبدلت الأحوال والأمكنة والأزمنة.

¹ - أنظر : التسامح بين الإسلام والنصرانية، محمد الغزالي، ص 5.

- التفسير الخاطئ وعدم القدرة على التوافق بين مبادئ الإسلام في الأمن والخوف والحرب والسلام،
يوقع البعض في جملة من المغاطات الواهية وهم يحسبون انهم يبدعون في اكتشافات تاريخية !!
منهجية البحث :

اتبعت في هذا البحث منهج التحليل والاستنباط والاستنتاج من خلال تناول مبدأ التسامح في المصادر الأساسية للإسلام والقانون الدولي وربطها بما يثيره المنتقدين من شبهات ومغالطات من مبدأ : (السعادة تكمن في حجرة تبختر اتضحاً، وشبهة تتضائل افتضحاً) وقد اعتمدت في بحثي على مجموعة من المصادر والمراجع وبعض المجالات وبعض مواقع الإنترنت التي وضعت لها قائمة في نهاية البحث .

خطة البحث :

وإغناءً للموضوع قسمت بحثي إلى مقدمة ومبحثين في كل منهما ثلاثة مطالب، مع خاتمة ذكرت فيها التوصيات والنتائج على النحو الآتي :

المقدمة : وشملت أهمية الموضوع وفرضية ومنهجية وخطة البحث .

المبحث الأول : ماهية التسامح وتاريخ النشأة

المطلب الأول : تعريف التسامح .

المطلب الثاني : التسامح لمحة تاريخية .

المطلب الثالث : أهمية وقيمة التسامح .

المبحث الثاني : التسامح قراءة فقهية وقانونية .

المطلب الأول : التسامح في القرآن الكريم، والسنة النبوية الكريمة

المطلب الثاني : القواعد والضوابط الفقهية للتسامح في الإسلام .

المطلب الثالث : مبدأ التسامح في الاتفاقيات الدولية .

المبحث الثاني : الإسلام والتسامح والمغالطات .

المطلب الأول : التسامح وإرهاب العدو .

المطلب الثاني : التسامح والمعاملة بالمثل .

المطلب الثالث : التسامح والولاء .

الخاتمة .

النتائج والتوصيات .

والله أسأل التوفيق والسداد.

المبحث الأول : ماهية التسامح وتاريخ النشأة

المطلب الأول : تعريف التسامح

تعريف التسامح لغة :

التسامح من سَمَحَ وتدل على السلاسة والسهولة، ويقال: سَمَحَ وَأَسَمَحَ إذا جاد وأعطى عن كَرَمٍ وَسَخَاءٍ؛ والمُسَامَحَةُ: المُسَاهَلَةُ. وتَسَامَحُوا: تَسَاهَلُوا. وفي الحديث المشهور: (السَّمَاخُ رَبَاخٌ)² أي المُسَاهَلَةُ في الأشياء تُرْبِخُ صاحبها. وتقول العرب: عليك بالحق فإن فيه لَمَسَمَحاً أي مُتَسَعاً³.

تعريف التسامح اصطلاحاً :

تعددت تعريفات التسامح في الاصطلاح : فقد عرفه الجرجاني بأنه : (بذل ما لا يجب تفضلاً). وعرفه صاحب نضرة النعيم : (تيسير الأمور والملاينة فيها وتتجلى فيها عدم القهر) كما يطلق على : الاعتراف الرسمي الحقيقي بحقوق الآخرين الاجتماعية والسياسية⁴. ويرى أمين الريحاني أن التسامح له صلته القوية بالتساهل في التعامل مع المخالف بشكل عام ويخصص المعنى في حالة التعامل مع المعتقدات والطقوس المخالفة⁵.

المعنى الذي يراه الباحث :

وبعد الاطلاع على مجموعة من التعريفات ، رأيت أن التسامح هو : سلوك حضاري وفضيلة اجتماعية تتمثل في احترام المعتقدات وإمكانية التعايش مع معتنقيها، وقبول المخالف مع قدرة الرفض .

المطلب الثاني : التسامح: لمحة تاريخية

التسامح في الإسلام لازمه منذ بداية نزول الوحي، حتى أصبح من أعظم الفضائل الأخلاقية، والضرورات المجتمعية، وسبيل لضبط الاختلافات وإدارتها، وباتت من أهم أدوات نشر وتطبيق هذه الرسالة التي تأمر بالعدل، وتنهى عن الظلم، وترسي دعائم السلام في الأرض، وتدعو إلى التعايش الإيجابي بين البشر جميعاً في جو من الإخاء والتسامح بين كل الناس بصرف النظر عن أجناسهم وألوانهم ومعتقداتهم، مع كل ذلك لم تظهر فكرة التسامح كمبدأ خاص يقف عنده علماء الفلسفة والفكر والدراسات الاجتماعية وخاصة الأوروبية منها إلا على أنقاض الحروب الدينية في تلك القارة، ثم تحول فيما بعد إلى مبدأ له مرتكزات أساسية يقوم عليها⁶.

2 - سلسلة الأحاديث الضعيفة 4. قال الألباني الحديث منكر ، رقم الحديث : 1557، ج 4 ص 62 الطبعة الأولى. سنة 1988 م، مكتبة المعارف الرياض.

3 - لسان العرب، لابن منظور، مادة (سَمَحَ)، الطبعة الثانية، 1413هـ 1993م دار إحياء التراث العربي - بيروت

4 - إشكالية التسامح، محمد مجتهد ثبستري، في : التسامح وجذور اللاتسامح، ص 20، رضوان السيد وآخرون، مركز دراسات فلسفة الدين، شباط 2005م ، وزارة الثقافة العراقية ، بغداد .

5 - كن شجاعاً واستخدم عقلك بين نور التسامح وظلمة التعصب، د. محمد الرميحي، مجلة العربي، ص 18 العدد 422، سبتمبر 1992م، الكويت .

6 - نقد التسامح اللبرالي، د. محمد بن أحمد المفتي، ص 15، ، (ب ط ، ب ت) مركز البحوث والدراسات، إصدار رقم 128، جريدة البيان .

لما عاشت أوروبا عهوداً من الطغيان الكنسي والاضطهاد الديني الذي وصل ذروته إلى محاكم التفتيش الذي شرع بأمر البابا جورجوري التاسع عام 1123م ثم صدر أم بابوي من قبل أبوست الرابع يرسخ نظام محاكم التفتيش ويشرعن حق الاضطهاد الديني⁷.

وقد كانت أسوأ ممارسات هذه المحاكم في أسبانيا بعد مصرع غرناطة سنة 1492م التي تشكلت بمرسوم بابوي في نوفمبر سنة 1478م⁸.

أدى التعصب الديني والمذهبي في أوروبا إلى بروز اتجاهين فكريين :

الاتجاه الأول: يرى أنه إنطلاقاً من صعوبة توحيد النصارى لجعل كل فئة منهم لرؤى مختلفة يمثلها الإيمان الحق بالنسبة لها فإنه يمكن الوصول إلى اتفاق حول الحد الأدنى من أساسيات الاعتقاد العام في إطار كنيسة شاملة، مع بقاء الاختلافات في المعتقدات غير الأساسية وفي أشكال العبادة القائمة بين النصارى .

الاتجاه الثاني: وهو الرفض لمفهوم الكنيسة الشاملة، فقد طرح فكرة الدعوة إلى التسامح لكل المعتقدات النصرانية وقد قويت شوكة هذا التوجه في الجزء الأخير من القرن السابع عشر⁹.

ولا بد من الإشارة إلى أن هذه الممارسات الإرهابية إنما جاءت مخالفة لما يدعو إليه الديانات السماوية كالمسيحية واليهودية حتى في زمن التحريف أيضاً، فالمسيحية التي تقول أناجيلها: لقد قيل لكم من قبل أن السنّ بالسنّ والأنف بالأنف، وأنا أقول لكم: لا تقاوموا الشرّ بالشرّ بل من ضرب خدك الأيمن فحوّل إليه الخد الأيسر ومن أخذ رداءك فأعطه أزارك وإن سخرك لتسير معه ميلاً فسر معه ميلين¹⁰.

- من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان¹¹.

هذه نصوص مأخوذة من الإنجيل (الكتاب المقدس) وهي بدورها تتضمن مبادئ التسامح في أجلى صوره، بل إنه تسامح يبدو أحياناً فوق الطاقة، وهذا دليل ثانٍ على تشارك الأديان السماوية في هذا الجانب الفضيل من جوانب الحياة ولا غرابة في ذلك لأن الربّ واحد ومشرع القيم السمحة واحد، على الرغم من اختلاف الأنبياء والأديان.

وكذلك فأن اليهودية تدعو إلى التسامح فإذا نظرنا إلى مثل هذه الوصايا..

- كل ما تكره أن يفعله غيرك بك فإياك أن تفعله أنت بغيرك¹².

7 - قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، د. توفيق الطويل، ص 80، طبعة عام 1991م، مركز الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر.

8 - تسامح الإسلام وتعصب خصومه، د. شوقي أبو خليل، ص 79، الطبعة الثالثة، عام 1428م ميلاد الرسول، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس، ليبيا.

9 - نقد التسامح اللبرالي، د. محمد بن أحمد المفتي، ص 15.

10 - المسيح في الإسلام، ميشال الحايك، ص 159، ط 4، 1961م بيروت. دار النهار. ص 159.

11 - مقالة للاستاذ عقيل يوسف عيدان، باحث في الفلسفة الإسلامية والفكر العربي، من الكويت.

ayemh@yahoo.com

12 - الكتاب المقدس للمدرسة والعائلة في العهدين القديم والجديد - (العهد القديم). بعناية: الأب باسيليوس كناكري. ص

- وتطهروا وأزبلوا شرَّ أفكاركم وكفّوا عن الإساءة تعلّموا الإحسان والتمسوا الإنصاف¹³.

المطلب الثالث : أهمية وقيم التسامح

بناء على ما سبق يتضح إن التسامح بمفهومه الشامل له قيم على أساسها يبني وبها يحقق غايته ويجني ثمار نتائجها بين البشر وهذه القيم هي :

1- ضرورة وجوده :

تتمثل أهمية التسامح تتمثل في ضرورة وجوده ، فسُنّة الوجود اقتضت أن يكون وجود الإنسان على الأرض على شكل تجمّعات بشرية، وهي وإن اتّفقت في ما يجمع بينها من وحدة الأصل والحاجة إلى التجمّع والحرص على البقاء والرغبة في التمكن من مقوّمات الحياة لكنها في الوقت نفسه تباينت في ما تتفرّد به كل مجموعة من خصوصيات سواء كانت عرقية أو دينية أو جغرافية أو ثقافية.

وقد صرّح القرآن بهذه الحقيقة الوجودية فقال تعالى : [يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ]¹⁴.

فالغاية من اختلاف الناس - كما بينها الله تعالى - إلى شعوب وقبائل وتنوعهم إلى ثقافات ومدنّيات إنما هو التعارف لا التناكر، والتعايش لا الاقتتال، والتعاون لا التّطاحن، والتكامل لا التعارض، وبهذا تتضح أهمية التسامح في كونه ضرورياً ضرورة وجود الإنسان نفسه¹⁵.

2- اقتضاء الاحترام المتبادل:

قيمة التسامح تتمثل أيضا في كونه يُقرّ الاختلاف ويقبل التنوّع ويعترف بالتغاير ويحترم ما يميز الأفراد ، ويقدر ما يختص به كل شعب من مكونات ثقافية، تكون سبب وجوده وسرّ بقائه وعنوان هويته ومبعث اعتزازه.

3- اقتضاء المساواة :

من الواضح أن قيمة التسامح تتمثل في كونه يقتضي التسليم المطلق - إعتقاداً وسلوكاً وممارسة - بأنه إذا كان لهؤلاء وجود فلاولئك وجود، وإذا كان لهؤلاء دين له حرّمته فلاولئك دين له الحرمة نفسها، وإذا كان لهؤلاء خصوصية ثقافية لا ترضى الانتهاك فلاولئك خصوصية ثقافية لا تقبل المسّ أبداً.

4- دعم إقامة المجتمع المدني:

من الواضح أن التسامح الديني يُعدّ أرضية أساسية لبناء المجتمع المدني وإرساء قواعده، فالتعددية والديموقراطية وحرية المعتقد وقبول الاختلاف في الرأي والفكر وثقافة الإنسان وتقدير المواثيق الوطنية

13 - المصدر السابق، ص 139.

14 - سورة الحجرات / 13.

15 - في ظلال القرآن ج 6 ص 3348.

واحترام سيادة القانون، خيارات استراتيجية وقيم إنسانية ناجزة لا تقبل التراجع ولا التفريط ولا المساومة، فالتسامح عامل فاعل في بناء المجتمع المدني، ومشجع على تفعيل قواعده¹⁶.

ومع كل هذا لم يكتشف المسلمون الكنز الثمين المتمثل في قيم التسامح في الإسلام، وما عليهم إلا العودة إليه والابتعاد عنه ولو أمعن الدعاة في التسامح وابتعدوا في خطاباتهم عن عقلية الوصاية على تفكير الآخرين لترجعوا قمم النهضة الثقافية حيث تزهت تطلعاتهم وتنهض لديهم أفكار مبدعة.

المبحث الثاني (التسامح في الإسلام قراءة فقهية)

المطلب الأول : التسامح في القرآن الكريم والسنة النبوية

انطلق الإسلام دعوة هداية إلى البشرية من غار حراء وتجاوزت البحار والمحيطات وسلاسل الجبال لتصل إلى شتى بقاع العالم.

ولم يكن ليكتب لهذا الدين الانتشار لولا فضل الله تعالى له أولاً، ومن ثم احتوائه على القوانين والمبادئ التي سهلت له طريق نشره ووصوله إلى البشرية.

ومن أعظم هذه القوانين التي كان لها الدور الكبير في بزوغ نجم الإسلام في شتى مجالات الحياة مبدأ التسامح الملازم للآيات والأحاديث الشريفة .

فلسفة القرآن في التسامح

لقد أشار القرآن الكريم إلى التسامح، من خلال آيات كثيرة، وأمر الناس أن يتمسكوا بها.

القرآن الكريم وإن لم يذكر كلمة (التسامح) نصاً، إلا أن آيات كثيرة أشارت بالمضمون إلى ذلك مثل: الصفح، العفو، التجاوز، والهجر الجميل... الخ، فإن كل هذه المعاني وسواها، تدل دلالة واضحة على التسامح، والسير على مبدأ العفو والصفح، والترغيب وأخذ المحبة والتآخي، وعدم إشاعة النعرات الجاهلية التي دائماً ما تفضي إلى الاقتتال، وزرع الفتنة وإشاعة ثقافة الموت في المجتمع¹⁷.

آيات التسامح : وكثيرة هي الآيات الكريمة التي دعت إلى التسامح منها :

- قوله تعالى : [اَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ]¹⁸.
- قوله تعالى : [وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا]¹⁹.
- وقوله تعالى : [خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ]²⁰.

16 - أنظر : قيم التسامح، نبيل نعمة الجابري، مقالة منشورة في موقع الموسوعة الإسلامية بتاريخ 2013/4/21م على الرابط : <http://www.balagh.com/mosoa/pages/tex.php?tid=1332>

17 - التسامح في القرآن، داود سلمان الكعبي، موقع لحوار المتمدن، العدد: 2663 بتاريخ 2009/5/31م على الرابط :

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=173610>

18 - سورة النحل / 125.

19 - سورة الفرقان / 63.

20 - سورة الأعراف / 199.

- قوله تعالى : [وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْصَبْ الصَّصَحَ الْجَمِيلَ]²¹.
- قوله تعالى : [وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ]²².
- قوله تعالى : [وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ]²³.
- قوله تعالى : [وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ]²⁴.
- قوله تعالى : [وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ]²⁵.
- قوله تعالى : [وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ]²⁶.

التسامح في السنة النبوية:

أما التسامح في السنة النبوية جاءت بكل ما تحمله هذه الكلمة من التساهل والمساهلة في كل جوانب الحياة ، ولا أبالغ لو قلت : إن أعظم وأروع صفات الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم والتي جعلت منه أقرب الناس إلى قلوب خصومه قبل أصحابه وأتباعه هي صفة التسامح التي حملها بين ذرات جسده الطاهر وطبقها في حياته الشريفة المباركة، ومواقفه صلى الله عليه وسلم يصعب حصرها ولعل أكثرها شهرة وموقفه في يوم الفتح الأعظم فتح مكة (عندما وقف أمام قريش يسألهم بعد كل ما فعلوا به وبأصحابه: ماذا تظنون أني فاعل بكم قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، قال : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم)²⁷.

أحاديث التسامح : لقد تضافرت الأحاديث النبوية الداعية إلى التسامح منها :

- 1 - عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى فينتقم لله تعالى²⁸.
- 2 - عن أنس رضي الله عنه قال : كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي صلى

21 - سورة الحجر / 85.

22 - سورة النور / 22 .

23 - سورة آل عمران / 134.

24 سورة آل عمران / 159.

25 - سورة الأنعام / 108.

26 - سورة العنكبوت / 46.

27 - السيرة النبوية الصحيحة، أكرم ضياء العمري، ج2 ص481، الطبعة السادسة لعام 1994م، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية.

28 - أخرجه مسلم برقم : (2328).

الله عليه وسلم وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبرته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه، فضحك ثم أمر له بعطاء²⁹.

3 - عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كأني انظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي نبياً من الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)³⁰.

4 - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)³¹.

5 - وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (إنما بعثت بحنيفية سمحة)³²

وغيرها من الآيات والأحاديث الدالة على فضل العفو والصفح عن الناس وأن يصبر على الأذى ولا سيما إذا أؤذي في الله فإنه يصبر ويحتسب وينتظر الفرج، وهذه الثروة الثمينة من الآيات والأحاديث الشريفة الدالة على التسامح يعرف مكانة هذا المبدأ العظيم الذي ولد مع أول إشعاعات جبريل وهو يلقي الوحي على رسولنا الأكرم صلى الله عليه وسلم عكس الذي كان في أوروبا يوم بات التسامح طوق النجاة لمئات آلاف من البشر من سيف وأرهاب رجال الكنيسة !!

المطلب الثاني : القواعد والضوابط الفقهية للتسامح الإسلام

للقوف على الجانب التشريعي والفقي لمبدأ التسامح وكيف فهم وفسر الفقهاء الأجلاء هذا المبدأ وبنوا على أساسه الأحكام الشرعية في هذا المجال، لابد من الإشارة أولاً إلى التقسيمات المجتمعية والمحاو المتعددة والتي على أساسها يتعامل الإسلام مع الناس .

تتجلى سماحة الإسلام في مظاهر عدة يمكن جمعها في ثلاثة محاور، والنظر من خلالها إليه:

الأول : بين المسلمين، من خلال الدعوة إلى إقامة مجتمع تسوده الأخوة والتضامن: [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ]³³. وهذا يتحقق المجتمع المتراس الذي يكون كالجسد الواحد: (مثل المومنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)³⁴.

ويبلور هذا التوحدَ مظهرُ التكافل الذي يجعل الفرد في كفالة الجماعة، لا سيما في حال الفقر أو العجز أو أي ضعف.

29 - أخرجه البخاري برقم : (2980)، ومسلم برقم : (1057).

30 - أخرجه البخاري برقم : (3477) و(6929)، ومسلم برقم : (1792).

31 - أخرجه البخاري برقم : (5763)، ومسلم برقم : (2609).

32 - أحمد في "مسنده ج 6 ص 116، من حديث عائشة رضي الله عنها، وإسناده حسن.

33 - سورة الحجرات /10

34 - أخرجه البخاري برقم: (6011)، ومسلم برقم: (2586)

الثاني : مع غير المسلمين الذين يعيشون في المجتمع الإسلامي، أي الذين يكونون قلة، مما تكفي في الدلالة عليه أن الإسلام دعا إلى محاورتهم ومجادلتهم بالتي هي أحسن، وبمنهج قائم على الحكمة والموعظة: [وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ³⁵]. [ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ³⁶]. وهذه الفئة سنتحدث عنها بنوع من التفصيل في هذا المطلب

الثالث : مع غير المسلمين في مجتمعات أخرى غير إسلامية، ويقوم على مبدأ (السلم) الذي هو أساس التعامل الذي يدعو إليه الإسلام، معتبراً أن غير السلم هو مما يغري به الشيطان ويدفع إليه : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ³⁷]. وتتأكد هذه الدعوة حين تكون مقبولة من الطرف الآخر: [وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ³⁸] ولا يخرج المسلمون من السلم إلى الحرب، إلا في حال الدفاع عن النفس والعقيدة، ولرد العدوان، مما يجعل القتال جهاداً في سبيل الله .

واعتماداً على ماسبق وعلى مفهوم التسامح المختار وهو: (سلوك حضاري وفضيلة اجتماعية تتمثل في احترام المعتقدات وإمكانية التعايش مع معتنقيها، وقبول المخالف مع قدرة الرفض)، سنجد أن الموضوع يتعلق بالمخالف للمسلم عقيدة وإيماناً إذا كان الأمر بين المسلمين وغيرهم أما ما يتعلق الأمر بين المسلمين أنفسهم فيدور رحاه حول الاختلافات الفقهية والمدارس الفكرية التي وصلت في بعض الأحيان إلى الاختلاف في العقائد، على أن المهم في دراستنا هذه هو تناول التسامح على مستوى علاقة المسلمين بغيرهم.

تطرق أكثر علماء الفقه إلى دراسة الأحكام الشرعية المتعلقة بغير المسلمين من أصحاب الديانات السماوية كاليهودية والنصرانية في باب يحمل عنوان أحكام أهل الذمة، ومن أهم تلك القواعد والضوابط الفقهية والآداب السلوكية للتسامح في الإسلام:

- 1- تميّز الإسلام بأنه دين اليسر ورفع الحرج والمشقة فلا عسرفيه، ولا أغلال ولا آصار، قال الله تعالى: [وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ³⁹].
- 2- شمل الإسلام بيسره ورفقه غير المسلمين فتسامح معهم في كثير من القضايا والأحكام ومنحهم جميع حقوقهم .

- 3- الرحمة الواسعة للإسلام كما قال تعالى: [وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ⁴⁰]

35 - سورة العنكبوت / 46.

36 - سورة النحل / 125.

37 - سورة البقرة / 208.

38 - سورة الأنفال / 61.

39 - سورة الأعراف / 157.

- 4- الإسلام دين هداية لإنقاذ البشر من الضلالة إلى النور، ومن عذاب الله إلى رضوانه.
- 5- التسامح في الاعتقاد والعبادة: قال تعالى: [لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ] ⁴¹.
- قال ابن كثير: أي لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام، فإنه بين واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه ⁴².
- 6- الوصية بأهل الذمة، عندما حدث الإسلام على عدم التعرض لهم بظلم أو أذى، قال النووي: أما الذمة فهي الحرمة والحق وهي هنا بمعنى الذمام، وأما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم، وأما الصهر فلكون مارية أم إبراهيم منهم ⁴³.
- 7- حرمة دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فقد حرم الإسلام دماء المعاهدين وأهل الذمة وعلق ذلك بدخول الجنة إن تعرض لذلك أحد بغير حق قال النبي صلى الله عليه وسلم (مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا) ⁴⁴.
- 8- أمر الإسلام الوفاء بالعهود والمواثيق وحذر من نقضها بأي صورة من الصور طالما هي موافقة لمنهج الله وشرعه وموافقة مع المصالح العامة.
- 9- إقامة العلاقات الدولية: وهي في الإسلام قائمة على السلم، بل على البر والإقسط والتعاون والرحمة، مع الأمم الأخرى، لقوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ] ⁴⁵ فالأصل في العلاقات الدولية في الإسلام تحريم البغي والعدوان، أو التعاون والتحالف على العمل على ارتكابه، لأنه تعاون على الإثم.
- 10- الصدقة على غير المسلمين، يأمر الإسلام بالإحسان والصلة ولو على غير المسلمين كما قال تعالى: [لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ] ⁴⁶.
- 11- الحكم بين غير المسلمين وقبول شهادتهم على بعضهم البعض وعلى المسلمين في السفر قبول شفاعة أهل القدر والجود منهم فقد أجاز الشرع قبول شفاعة الكفار في بعض الأحوال .
- 12- ومن مظاهر التسامح التي اختص بها أهل الكتاب في الإسلام إباحة الأكل من ذبائحهم وذلك في قوله تعالى: [وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ] ⁴⁷.

40 - سورة الأعراف/156.

41 - سورة البقرة/256.

42 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج 1 ص 321، الطبعة الأولى، سنة 2000م، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، لبنان.

43 - شرح النووي لصحيح مسلم، شرف الدين النووي، ج 8 ص 338، الطبعة الأولى، عام 1995م، دار أبي حيان، القاهرة ، طبع على نفقة محمد بن راشد آل مكتوم.

44 - أخرجه البخاري برقم: (3166).

45 - سورة البقرة/208.

46 - سورة الممتحنة/8.

- 13- الاستئذان عليهم: فمن الآداب الإسلامية الاستئذان على المسلم وغير المسلم وإكرامهم في حسن الضيافة والاستقبال والتوديع .
- 14- من مظاهر التسامح في الإسلام إباحة التعامل مع غير المسلمين في العقود المالية ومعاملتهم في البيع والشراء، والتهادي معهم وقبول هداياهم وصلة الرحم معهم وبينهم .
- 15- الاستفادة مما عندهم من علوم ومعارف وتعلم لسانهم ولغتهم كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود⁴⁸ .
- 16- احترام حقوق الجوارلغير المسلمين، وجواز مخالطة أهل الكتاب وغيرهم من غير المسلمين لحاجة دينية كعرض الإسلام عليهم أو دنيوية كالبيع والشراء والحكم بينهم والزيارة وغير ذلك.
- 17- يجوز عيادة غير المسلمين إذا مرضوا كالجار والصدیق والزميل في العمل وما شابه ذلك، والدعاء لهم بالهداية والعافية ومن ذلك: يجوز الدعاء لغير المسلمين بالهداية بل هو سنة، والدعاء بالعافية كما تقدم في الأحاديث والآثار.
- 18- الإحسان إلى غير المسلمين: يقيم الإسلام العلاقة بين المسلمين وغيرهم ممن لم يقاتلوهم في الدين أو يخرجوهم من ديارهم على البر والإقسط⁴⁹ ولعل من أبرز صور الإحسان إلى المخالفين في الدين الأمر بالإحسان إلى الوالدين غير المسلمين ثم الأقربين على حسب درجات قربهم قال تعالى: [وَإِنْ جَهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا^{٥٠} وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا^{٥١} وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ^{٥٢} ثُمَّ إِلَىٰ^{٥٣} مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ^{٥٤}] .
- 19- قبول دعوتهم إلى وليمة عرس بشرط الخلو من معصية
- 20- حماية دور عبادتهم وطقوسهم، وحماية الكنائس والمعابد القائمة الوارد في الفقه الإسلامي يمتد ليشمل أماكن أخرى يستخدمها غير المسلمين للعبادة.
- وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنه قال أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر جيوشه أن لا يقتلوا العباد والنساك في صوامعهم وبيعهم، وعلى الرغم أن هناك عدم اتفاق بين الفقهاء إلا أنه يجوز للمسلمين أداء الصلاة في كنيسة أو معبد⁵¹ .

المطلب الثالث : مبدأ التسامح الديني في الاتفاقيات الدولية

47 - سورة المائدة 5/

48 - أخرجه البخاري برقم: (7195). صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، مراجعة: محمد علي القطب وهشام البخاري، الطبعة الأولى، عام 1997م، مكتبة العبيكان.

49 - من القسط : أي العدل .

50 - سورة لقمان /15.

51 - أنظر: حاشية رد المحتار ج 1 ص 411، المغني لابن قدامة ج 1 ص 759، الفتاوى الكبرى لابن تيمية ج 2 ص 59 وموقع الدليل الفقهي على الرابط : <http://www.fikhguide.com/almbt3th/12> .

بعيدا عن موقف الشريعة الإسلامية، يعتبر التسامح من أعظم القيم والمبادئ التي يجب أن تقوم عليها المجتمعات البشرية في العصر الحديث، بعد زوال الفواصل بين الشعوب، وتلاشت الأبعاد بين الأقطار، وتشابكت المصالح بين الدول، وامتزجت الحضارات والثقافات حتى غدت ملكا للعالم بأسره ينهل من ينابيعها كل البشر.

مع تبلور فكرة الدولة والمجتمع المدني، في فصل الدولة عن الكنيسة، والحصول على المشاركة في اتخاذ القرارات في الدولة، والأخذ بمفهوم التسامح الذي يدل على قدر من المغايرة المسموح بها، وعلى قدرة المجتمع على استيعاب المعارضة واحترام الاختلاف في الرأي والعقيدة، خرج مفهوم التسامح، بمعناه الشامل، من نطاق السلوك الفردي أو الذاتي أو الاختياري الى نطاق السلوك الجماعي والدولي والإلزامي، وأصبح أساسا لكل تنظيم سياسي، في الغرب أولا، ثم في العالم. وبذلك التسامح بدأ دينيا وحظي بتأييد فلسفي، ثم اكتسب، بفعل تنامي ظاهرة التعصب، موقعا قانونيا، وأصبح، الأنظمة السياسية الديمقراطية، الدعامة الأساسية لتقدم مسيرة حقوق الإنسان والحريات الأساسية.

وكانت الإرهاصات الأولى مع المعاهدات التي نصت على حظر تجارة الرقيق والقضاء على العبودية. ففي عهد عصبة الأمم تمّ في العام 1926، إبرام اتفاقية خاصة بتحريم الرق الذي يعد حالة اجتماعية يكون فيها المرء ملكا لشخص آخر، أو لطرف آخر، وسلعة تقتنى كالأثاث، وتباع.

وميثاق الأمم المتحدة هو المرجع الأهم في الدفاع عن حقوق الإنسان وترسيخ أركان التسامح. ففي ديباجته أكدت الشعوب إيمانها بالحقوق الأساسية للإنسان، وبكرامة الكائن البشري وقيمه، وبحق المساواة بين الناس، وأعلنت عزمها على أن تسلك طريق التسامح وتعيش معا في سلام وحسن جوار.

وفي الفقرة الثالثة من المادة الأولى ورد أن من مقاصد الأمم المتحدة «تعزيز احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس جميعا وتشجيعها، بلا تمييز بسبب العرق أو الجنس أو اللغة أو الدين». ونصت الفقرة الثالثة من المادة 55 على إشاعة الاحترام العالمي والفعال لحقوق الإنسان والحريات الأساسية للجميع، بلا تمييز بسبب العرق أو الجنس أو اللغة أو الدين⁵².

وفي عام 1948، صدر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي يعتبر حدثا تاريخيا وإنجازا حضاريا متميزا للمجتمع الإنساني، وخلاصة رفيعة لأنبل ما دعت إليه الكتب المقدسة والفلسفات والنظريات الإنسانية التي نشرت في القرون الماضية وعبرت عن توق الإنسان الى الحرية والمساواة والتسامح⁵³. وكان (الإعلان العالمي) المحطة التاريخية الأولى في مسيرة تطور حقوق الإنسان.

⁵² - مبدأ التسامح الديني ومناهضة العنف في الاتفاقيات الدولية، محمد المجذوب، موقع حشد ، على الرابط :

<http://hshd.net/print1809.html>

53 - مبدأ التسامح الديني ومناهضة العنف في الاتفاقيات الدولية، محمد المجذوب، موقع حشد ، على الرابط :

<http://hshd.net/print1809.html> . مرجع سابق .

والمادة 18 منه حسمت بعض الإشكالات عندما أقرت بحق كل شخص « في حرية التفكير والضمير والدين»، واعتبرت أن هذا الحق يشمل «حرية في تغيير دينه أو معتقده، وحرية في إظهار دينه أو معتقده بالتعبير وإقامة الشعائر والممارسة والتعليم بمفرده، أو مع جماعة، وأمام الملأ، أو على حدة».

وجاء العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية يقر، في المادة 18، حق الإنسان في أن يدين بدين ما، وأن يعتنق أي دين أو معتقد يختاره. وفي العام 1981، صدر الإعلان بشأن القضاء على جميع أشكال التعصب والتمييز القائمين على أساس الدين أو المعتقد، وسار في الاتجاه ذاته وكرس حرية الدين، وعرف مصطلح التعصب والتمييز، ومضمون عبارة الحرية الدينية.

وفي 1993/6/14، عقد في فيينا المؤتمر العالمي حول حقوق الإنسان، فطالب، في برنامج العمل الصادر عنه، جميع الحكومات باتخاذ جميع التدابير المناسبة لمواجهة أشكال التعصب والعنصرية وعدم التسامح. ولم يقتصر أمر الاهتمام بمبدأ التسامح الديني على الأمم المتحدة وأجهزتها ومؤتمراتها، بل شمل كذلك المنظمات الإقليمية التي أتيح لها إصدار العديد من البيانات والقرارات لحماية الحرية الدينية.

ففي تموز 1992، أصدر مؤتمر لمنظمة الوحدة الأفريقية (الاتحاد الأفريقي اليوم) قراراً نبه فيه إلى خطورة استعمال الدين لغايات تقوم على التمييز العرقي، ودعا إلى تعميق التشاور لتعزيز قيم التسامح والاعتدال والتضامن في العلاقات الأفريقية. وفي اجتماعه في تونس، في حزيران 1994، أقر مدونة قواعد السلوك ودعا إلى ضرورة التصدي للتطرف والإرهاب.

وكان مؤتمر القمة لمنظمة المؤتمر الإسلامي قد أصدر، في كانون الأول 1991، قراراً أكد فيه «عدم السماح لأية حركة تستغل ديننا الحنيف للقيام بأي نشاط منائى لأي بلد عضو، ودعا إلى التنسيق بين الدول الأعضاء لتطبيق ظاهرة الإرهاب الفكري والمغالاة.

وفي حركة عدم الانحياز تعرض رؤساء الدول والحكومات، في اجتماع جاكارتا في ايلول 1992، لمسألة الحرية الدينية، واعتبروا أن الإرهاب يشكل تهديداً خطيراً يحول دون التمتع بحقوق الإنسان، ومنها الحرية الدينية. وهناك، على المستوى الأوروبي، وثائق عديدة في هذا الصدد، منها توصية صادرة عن المجلس الأوروبي،

وبعد صدور «الإعلان العالمي» توالى صدور الاتفاقيات الدولية الداعمة والحامية لحقوق الإنسان ومبدأ التسامح، وازدادت الجهود الدولية الرامية إلى إرساء مبادئ التسامح ومقاومة التعصب، ومنها:

.الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري 1965/2/21

.الاتفاقية الدولية للقضاء على جريمة الفصل العنصري وقمعها 1973/11/30

. الإعلان بشأن القضاء على جميع أشكال التعصب والتمييز القائمين على أساس الدين أو المعتقد

1981/11/25

. اتخاذ لجنة حقوق الإنسان (التي حل محلها في العام 2006 مجلس حقوق الإنسان، المرتبط مباشرة بالجمعية العامة للأمم المتحدة) قراراً في العام 1986 قضى بتعيين مقرر لتقصي مظاهر التعصب ومتابعة الإجراءات الحكومية الهادفة إلى القضاء على هذه الآفة.

. إعلان حقوق الأشخاص المنتمين الى أقليات قومية أو عرقية أو دينية أو لغوية 1992/12/18 وفي 1993/12/20، صدر قرار الجمعية العامة باعتبار سنة 1995 السنة الدولية للتسامح (اقتناعاً منها بأن التسامح . الاعتراف بالآخرين وتقديرهم، والقدرة على العيش مع الآخرين والاستماع الى الآخرين . هو الأساس السليم لأي مجتمع مدني)

المطلب الرابع : أبرز المواقف الحضارية الإسلامية لإرساء قيم التسامح

أولاً : وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم للقادة والجيش :

لم تكن فضيلة التسامح قيمة نظرية نادى بها الإسلام فحسب، بل تعدى إلى التطبيق العملي وكان للقائد والمربي والمعلم الأول رسولنا الأكرم صلى الله عليه وسلم أولى بصمات هذا التطبيق، وعلى الرغم من الإشارة إلى موقفه من قريش عند الفتح الأعظم - فتح مكة - إلا أن وصاياه للجيش الإسلامية وهي تنطلق للدفاع عن المسلمين وعقيدتهم كانت من أعظم وأروع ما سطره التاريخ في سجل التسامح، فلا يجوز أن تتعدى الحرب إلى المدنيين الذين لا يشتركون فيها من الشيوخ والنساء والأطفال والعجزة، أو العبّاد، أو العلماء، والخدم، إلا إذا قاتلوا، أو كان لهم في تدبير الحرب رأي ومكيدة؛ لأن القتال هو لمن يقاتلنا⁵⁴.

أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عندما أرسله إلى قبيلة كلب النصرانية : فقال له " :اغزوا جميعاً في سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله، لا تَغْلُوا، ولا تَغْدِرُوا، ولا تُمَثِّلُوا، ولا تَقْتُلُوا وَلِيداً، فهذا عهدُ الله وسيرة نبيّه فيكم⁵⁵ .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَعَثَ جَيْشَهُ قَالَ : (اُخْرُجُوا بِسْمِ اللَّهِ تَقَاتِلُون فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ لَا تَغْدِرُوا وَلَا تَغْلُوا وَلَا تُمَثِّلُوا وَلَا تَقْتُلُوا الْوِلْدَانَ وَلَا أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ)⁵⁶ .

كانت تلك هي وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضي الله عنهم جميعاً عندما كان يُرسلهم لدعوة الناس إلى الإسلام، والأخذ بأيديهم إلى طريق الله تعالى، وفتح الأبواب أمام الدعوة الإسلامية حتى تصل لكل البشر، وحتى لا يُحرّم أحدٌ من نور الإسلام العظيم.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصي أيضاً بعدم الإفساد في الأرض، فلم تكن حروبه صلى الله عليه وسلم حروب تخريب كالحروب المعاصرة التي يحرص فيها المتقاتلون من غير المسلمين على إبادة مظاهر الحياة لدى خصومهم، بل كان النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه يحرصون أشدّ

⁵⁴ - شرح السياسية الشرعية لابن تيمية، محمد بن صالح العثيمين ص 369، الطبعة الأولى، سنة 2004، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان .

⁵⁵ - أخرجه الحاكم في المستدرک برقم : (8623)، وقال الذهبي في التلخيص: صحيح. وانظر السيرة النبوية، ابن هشام: ج 2 ص 631.

⁵⁶ - أخرجه أحمد برقم: (2728)، والبيهقي في سننه برقم: (17933).

الحرص على الحفاظ على العُمران في كل مكان، ولو كان بلاد أعدائهم؛ فقد جاء في وصية الرسول صلى الله عليه وسلم لجيش مؤتة : (وَلَا تَقْطَعَنَّ شَجَرَةً وَلَا تَغْفِرَنَّ نَخْلًا وَلَا تَهْدِمُوا بَيْتًا)⁵⁷ .
ثانياً : العهدة العمرية :

وكما كان الرسول صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى والقُدوة الحسنة في إرساء قيمة التسامح في الاسلام وعند المسلمين، سار على نهجه الشريف الصحابه الكرام، فكانوا خير جيل تخرج من بين يدي أرحم قائد عرفه التاريخ، وكان من أشهر وأروع مواقف الصحابة في إرساء قيمة التسامح - سيرا على نهج النبوة - موقف سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما عرف بالعهد العُمري التي كتبت بينه رضي الله عنه وبين أهل القدس يوم فتحها وهذا نصها :

(بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين نص العهدة العُمريّة هذا ما أعطى عبد الله، عمر، أمير المؤمنين، أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقمها وبريئها وسائر ملتها... أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينقص منها ولا من حيّزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يُعطوا الجزية كما يُعطي أهل المدائن. وعليهم أن يُخرجوا منها الروم واللصوص. فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا أمنهم. ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية. ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيّعتهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيّعتهم وصلبهم حتى يبلغوا أمنهم. فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية. ومن شاء سار مع الروم. ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية)

كتب وحضر سنة خمس عشرة هجرية، شهد على ذلك : عالد بن الوليد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمر بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان⁵⁸ .

يخلط البعض قصداً أو جهلاً بين العهدة العمرية وما يعرف عند الفقهاء بالشروط العمرية التي أوردها بعض العلماء كابن القيم في كتابه أحكام أهل الذمة، وشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى وابن كثير في تفسيره، وعند دراسة هذه الأسانيد يتبين بوضوح ضعفه بسبب الانقطاع بين روايته. وقد أورد ابن الجوزي مجموعة من الروايات في هذا المعنى كلها لا يخلوا من ضعف في بعض رواياتها أو جهالة في آخرين كما أن الدكتور همام سعيد في كتابه الوضع القانوني لأهل الذمة أشار إلى توهين هذه الشروط من جميع طرقها، وقال : حتى الإمام ابن الجوزي فطن للضعف فقال معلقاً عقب ذكر الروايات وشهرة هذه الشروط تغني عن أسانيدها، وهذا غير مسلم فيه لأن الشهرة لا تعني الصحة أو حتى الحسن بل هناك المشهور ما هو موضوع⁵⁹ .

⁵⁷ - البيهقي في سننه الكبرى (17935).

58 - روايات العهدة العمرية دراسة توثيقية، رمضان إسحاق زيان بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية في غزة، ص 185، العدد الثاني، يونيو 2006.

59 - الوضع القانوني لأهل الذمة، همام سعيد، ص 157.

وعليه تكون هذه الشروط غير مقبولة حديثاً، وإن استخدمها الفقهاء في كتبهم، وأن العهدة العمرية تختلف تماماً عن شروطها التي ألحقت بها خطأ⁶⁰.

ثالثاً: تعامل صلاح الدين مع الأسرى

ومع مرور مئات السنين وأبطال الإسلام يتابعون ما بدأ به نبيهم صلى الله عليه وسلم، فاستمروا في تسطير قيمة التسامح وإرساء قيمته لتجتاز البحار والمحيطات لتروىها المجتمعات البشرية حتى في خارج ديار الإسلام، فهي هو السلطان الناصر صلاح الدين أثبت للعالم أن الإسلام وحده القادر على كبح جماح الانتقام البشري، والوحشية المتولدة نتيجة رفض المخالف والاستيلاء على الحقوق.

لم يعتمد السلطان على التعامل بالمثل مع الصليبيين كما تعاملوا هم مع الأسرى المسلمين بل تعامل معهم بكل إنسانية وسلمية لم يشهد التاريخ لها مثيلاً في ذلك الزمان.

فعلى سبيل المثال لما دخل السلطان بيت المقدس محرراً أعطى الأمان لأهلها ليخرجوا منها وأمهاتهم أربعين يوماً، تمكن الأغنياء من الصليبيين من دفع الفدية التي عليهم، وخرجوا تاركين وراءهم الفقراء منهم يواجهون مصيراً تعيساً، فقد خرج البطريك هرقل من بيت المقدس بخزائنه الضخمة دون النظر لغيره، وهذا الموقف المخزي من كبار الصليبيين وتلك الشهامة وذلك التسامح من السلطان الناصر جعل الكاتب الانكليزي (لين بول) يؤكد على إعجابه بصلاح الدين حيث قال بعد تهجمه على البطريك: (إنها كانت فرصة للملك المسلم أن يعلم المسيحيين معنى التسامح)⁶¹.

وكان أثر هذا التصرف واضحاً على المسلمين حول صلاح الدين فطلب من السلطان عدة من الشخصيات كأخيه الملك العادل وأمير البيرة والبطريك وباليان مجموعة من الأسرى ليطلقوا سراحهم بل تعدى الأمر إلى عامة المسلمين يتسابقون إلى هذا التسامح والكرم اقتداءً بقائدهم السلطان. وكانت المفاجأة من السلطان عندما أمر حرّاسه بالمناداة في شوارع القدس أنه سيطلق سراح من لم يستطع دفع الفدية من الصليبيين لكبر سنه، وأن على هذه الطائفة أن تتقدم من الباب الخلفي للمدينة ليسمح لهم بالخروج منها من طلوع الشمس إلى الليل، وما أن أصدر هذا الإعلان حتى توافد الصليبيون على ذلك الباب بأعداد لا تحصى⁶².

ثم حدث أن اجتمعت مجموعة من النساء أمام مكان إقامته ولما سأل عن حالهن قالوا له: إنهن زوجات الأسرى وبعض القتلى الذي سقطوا في المواجهة معنا في بعض المعارك، فأمر بإطلاق سراح أزواجهن

60 - روايات العهدة العمرية دراسة توثيقية، رمضان إسحاق زيان بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية في غزة، ص 189.

61 - صلاح الدين الأيوبي، د. محمد علي الصلابي ص 539، الطبعة الأولى، عام 2008م، دار المعرفة، بيروت.

62 - صلاح الدين والصليبيون استرداد بيت المقدس، عبد الله الغامدي، ص 216، طبعة عام 1985م، دار الفضيلة، بيروت.

الأسرى، ومنح الأرامل وزوجات القتلى مبلغاً من المال يكفيهن للوصول إلى المكان الذي يرغبن التوجه إليه⁶³.

ووردت الكثير في من القصص والحالات الخاصة التي اشتهرت في سيرته وكانت مضرب المثل في أوروبا على الإنسان المسامح الكريم كتعامله مع الملكة الرومية المتعبدة وابنة أماري زوجة أحد الملوك وكذلك الأبرنساء أم هنفري⁶⁴.

المبحث الثالث : (الإسلام والتسامح والمغالطات)

المطلب الأول : التسامح وإرهاب العدو

من المغالطات التي أشكلت على الكثير من أبناء المسلمين كيفية التوافق بين التسامح كقيمة لفضيلة أكد عليها الإسلام بشقيه النظري والتطبيقي، وبين مفهوم الإرهاب كما ورد في القرآن الكريم في عدة آيات سواء باللفظ المباشر أو غير المباشر.

ومن خلال دراسة مادة مفردات ألفاظ الإرهاب في القرآن الكريم تجد أنها لم تأت مرة واحدة بمعنى القتل والدمار ونشر الظلم، فالإسلام دين سلام ووئام وعدل وهو بعيد عن الإرهاب - بمفهومه المعاصر - وليست غايته القتل والدمار، بل غايته نشر السلام والعدل والإخاء⁶⁵.

أما أكثر الآيات دلالة على تخويف الأعداء وترهيبه جاءت في قوله تعالى : [وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطٍ آخِلٍ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ]⁶⁶

وردت اللفظة في هذه الآية بصيغة فعل المضارع من الأفعال الخمسة المبني للمجهول، لأن التخويف والإفزع هنا منصب على طوائف متعددة من أعداء الله ودينه، وعليه فالترهيب هنا ليوقف خطر الأعداء من المناوئين والمحاربين، وليس للمسلمين من الأمم الأخرى، فالترهيب هنا للأعداء حق شرعي إلهي منحه لعباده المسلمين زمن الحرب، لإرهاب أعداء الله، ممن يقعدون للمسلمين كل مرصد بهدف إيذائهم وكسر شوكتهم وهو حقهم الديني المشروع للدفاع عن أنفسهم وأوطانهم⁶⁷.

وفي هذا الصدد قال الإمام الطاهر ابن عاشور: (وجملة "ترهبون به عدو الله وعدوكم" هم المشركون، فكان تعريفهم بالإضافة لأنها أخصر طريق لتعريفهم)، ويقول: (والإرهاب جعل الآخر راها أي خائفاً، فإن

63 - صلاح الدين والصليبيون، ص 218، وحطين طريق الانتصار عبد القادر الباقوري، ص75، الطبعة الأولى، عام 1998م، دار الهدى، المنيا، مصر.

64 - الروضتين في أخبار الدولتين، ابن شامة، ج 2 ص 245، طبعة عام 1992م، من منشورات وزارة الثقافة، دمشق.

65 - أنظر: الإرهاب في اليهودية والمسيحية والسياسات المعاصرة، زكي السيد أبو غصبة، ص132، الطبعة الأولى، لعام

2002، دار الوفاء للطباعة، المنصورة، مصر. والإرهاب، بشتيوان صادق، ج 1 ص124، الطبعة الأولى، لعام 2006، رسالة ماجستير من كلية القانون جامعة صلاح الدين، مطبعة الحاج هاشم، أربيل، كردستان العراق .

66 - سورة الأنفال /60.

67 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 3 ص 304 من دون طبعة، من دون تاريخ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، وصفوة التفسير ومحمد علي الصابوني، ج 1، ص 511، (ب ت ، ب ط) دار قصر الكتاب، البليدة،

العدو إذا علم استعداد عدوه لقتاله خافه، ولم يجرؤ عليه، فكان ذلك هناء للمسلمين وأمنا من أن يغزؤهم أعداؤهم، فيكون الغزو بأيديهم: يغزون الأعداء متى أرادوا، وكان الحال أوفق لهم، وأيضا إذا رهبواهم تجنبوا إعانة الأعداء عليهم⁶⁸

ومن هذا المنطلق ليس هناك أي تعارض بين كون الإنسان يبني سورا يحمي به نفسه وفي الوقت ذاته يتمتع بأعلى وأنبل صفات البشر.

وبرأيي: على العكس تماما فالمتسامح لا يظهر فضيلتها عليه إلا إذا كان بمقدوره فعلها، فالزاهد الحقيقي مثلا هو من يملك المال وينفقه في وجوه الخير ولا تشغله ثروته المالية عن الله وعبادته.

وكذلك الإحسان من يعفو عن غيره وهو قادرة على الانتقام من خصمه وعدم العفو عنه، ولكن العفو عند المقدرة تلك هي قمة فضيلة العفو.

وكذلك التسامح الحقيقي هو من كان قادرا على عدم منحها بسبب الغلبة والتفوق في جميع الميادين كالسياسية والعسكرية، أما إذا تجرأ معتد للنيل من المسلمين، وماذا لو كان هذا المعتدى دولة باغية لن تتورع عن الهجوم على جارتها إن كانت الجارة دولة ضعيفة ؟ لذا لا بد لتلك الدولة الضعيفة أن تستعد بكل ما تستطيع من قوة، لا لتعتدى على غيرها ولكن لتحمي حدودها من تلك الدولة المتعدية الباغية، والدولة الإسلامية الحقيقية لا تعتدي على أحد، ولا تدخل في حرب إلا مضطرة لتدافع عن نفسها، وحتى تكون في أمن ويتحقق السلام وتردع الدول المتعدية الطامعة فيها، لا بد للدولة الإسلامية من أن تكون قوية على أتم استعداد للدفاع، وبهذه القوة تؤسس السلام لأنها تردع و (ترهب) الدول المتعدية فلا تفكر في العدوان، وبسياسة الردع هذه يتم حقن الدماء هنا وهناك، ويتحقق السلام.

وبهذا يكون مصطلح الارهاب ردعاً وتخويفاً للعدو الباغي بما يحقق السلام، ومن هنا نفهم قوله جل وعلا: [وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطٍ آخِيزٍ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ]⁶⁹ فإن جنحت الدولة المعتدية للسلام، حتى لو تظاهرها وخداعا، فإن على الدولة الإسلامية قبول السلام، توكلنا على الله جل وعلا وأملا في نصره وتأييده، امثالاً لقوله تعالى: [وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ]⁷⁰ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ]⁷¹.

وبذلك يكون المعنى خلاف الشائع لمصطلح الإرهاب في عصرنا فيأتى المعنى في القرآن الكريم كأداة للإصلاح والسمو الخلقى وكسبيل لتحقيق السلام⁷¹.

68 - تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج 10، ص 56 و 57، الطبعة الأولى، 1984م، الدار التونسية للنشر، تونس.

69 - سورة الأنفال / 60.

70 - سورة الأنفال / 61-62.

71 - مفهوم الارهاب في القرآن الكريم، أحمد صبحي منصور، مقال منشور في موقع الحوار المتمدن بتاريخ:

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=195345 : الرابط 2859 العدد 2009/12/15

المطلب الثاني : التسامح والمعاملة بالمثل

ومن المغالطات التي يقع فيها بعض المنتقدين للإسلام عدم قدرتهم على التوفيق بين التسامح وبين تطبيق قاعدة ومبدأ المعاملة بالمثل الجائز شرعا .

ومع ورود هذا المبدأ في أكثر من آية في القرآن الكريم إلا أنه رافقه الدعوة إلى المسامحة إما بشكل مباشر أو غير مباشر .

ففي قوله تعالى : [وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ۖ]⁷² وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ

يقول الرازي : (أمر الله بأن يعاقبوا بمثل ما أصابهم من العقوبة ولا يزدوا)⁷³ .

ويقول سيد قطب : (ومع تقرير قاعدة القصاص بالمثل ، فإن القرآن الكريم يدعو إلى العفو والصبر ، حين يكون المسلمون قادرين على دفع الشر ووقف العدوان ، في الحالات التي قد يكون العفو فيها والصبر أعمق أثر وأكثر فائدة للدعوة . فأشخاصهم لا وزن لها إذا كانت مصلحة الدعوة تؤثر العفو والصبر . فأما إذا كان العفو والصبر يهينان دعوة الله ويرخصانها ، فالقاعدة الأولى هي الأولى . ولأن الصبر يحتاج إلى مقاومة للانفعال ، وضبط للعواطف ، وكبت للفطرة ، فإن القرآن يصله بالله ويزين عقابه : { وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ۖ }⁷⁴ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ { فهو الذي يعين على الصبر وضبط النفس ، والاتجاه إليه هو الذي يطمأن من الرغبة الفطرية في رد الاعتداء بمثله والقصاص له بقدره)⁷⁵ .

وبمقارنة بسيطة بين هذا المبدأ في الإسلام وغيره سنجد أن قاعدة المعاملة بالمثل في أول نشأتها في الإسلام تناولت العلاقة بين العبد وربّه في العبادات إلى جانب المسائل الأخلاقية وآداب المعاملة ، ومن ثم تناولها في العقوبات ، على أن هذا المبدأ نشأ عند غير المسلمين لتتناول العقوبات بين البشر أولاً⁷⁵ .

كما أن هذا المبدأ تم إقراره في الإسلام ليكون السلاح الرادع للمعتدين على المسلمين ، ووضع له شروطه وأهمها على الإطلاق عدم الزيادة وتجاوز حدود الحق في القصاص ، أما غيرهم فلم يكن هناك حد للإنقاصات ولم تشفع للحد من ذلك علاقات القربى والجوار كما حصل في البوسنة والهرسك .

وبذلك يمكن القول : أن العلاقات الاجتماعية والدولية والدبلوماسية في الإسلام تقوم على أساس مبادئ وقيم الحق والعدالة ومن ثم تعتبر ممارسة أخلاقية لتوضع أخير في نطاق التعبد لله تعالى .

أما في قوله تعالى : [وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ۖ]⁷⁶ وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۖ]⁷⁷ وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ

⁷² - سورة النحل / 126 .

⁷³ - التفسير الكبير ج 20 ص 42 .

⁷⁴ - في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج 4 ص 2202 ، الطبعة الخامسة والعشرون ، عام 1996م ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر .

⁷⁵ - خبر في موقع جريدة الرأي السودانية عن رسالة دكتوراة في موضوع المعاملة بالمثل ، للباحث مصطفى عثمان

إسماعيل في جامعة النيلين على الرابط : <http://www.alnilin.com/news-action-show-id-22447.htm>

سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ [76].

فجاء الترغيب الإلهي بالعفو والصفح والإصلاح وتفضيله على مقابلة السيئة بالسيئة، وعند هذه الآية يقول محمد رشيد رضا : (بأن الله تعالى أباح لنا في التعامل فيما بيننا أن نجزي على السيئة بمثلها عملاً بالعدل ، وجعل العفو فضيلة لا فريضة فقال : [وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ] وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ [إلى آخر الآيات . وقال : [وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ] وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ] أفلا يكون من العدل بل فوق العدل في الأعداء أن نعاملهم بمثل العدل الذي نعامل به إخواننا أو بما ورد بمعنى الآية في بعض الآثار ، قاتلوهم بمثل ما يقاتلونكم ؟ وهم ليسوا أهلاً للعدل في حال الحرب) [77].
وبهذه الملازمة والمزاوجة بين الحق في تطبيق مبدأ المعاملة بالمثل والدعوة والترغيب في التسامح يكون الإسلام قد رسم خطاً متوازناً يراعي فيه حقوق الإنسان من جهة والسمو بها إلى معارج الفضيلة من جهة أخرى .

المطلب الثالث : التسامح والولاء

ومن التصورات والتفاسير الخاطئة والمغالطات التي يقع فيها البعض تعارض فضيلة التسامح مع المخالفين من غير المسلمين ومسألة الولاء للإسلام، فكيف يمكن التوافق بين تسامح الإسلام والآيات الكريمة الداعية إلى عدم موالة المشركين والكفار كما في الآيات الكريمة التالية :
قوله تعالى : [لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ] [78].

وقوله تعالى : [يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ] [79].

وقوله تعالى : [كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَسِقُونَ] [80].

الناظر إلى هذه الآيات الكريمة بدراسة موضوعية سيرى أنه لا علاقة ولا صلة لهذه الآيات الكريمة بموقف الإسلام من التسامح مع المخالفين مهما كانت آراؤهم ومعتقداتهم لأنها وردت في المعتدين على الإسلام والمحاربين لأهله⁸¹. كما أن تنبيه المسلمين والمواطنين في بلدانهم من معاونة خصومهم واجب

⁷⁶ - سورة الشورى / 39-43.

⁷⁷ - تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج10 ص71، الطبعة الثانية، عام 1368هـ، دار المنار، القاهرة، مصر.

⁷⁸ - سورة آل عمران / 28.

⁷⁹ - سورة المائدة / 51.

⁸⁰ - سورة التوبة / 8.

⁸¹ - تسامح الإسلام وتعصب خصومه، د. شوقي أبو خليل، ص50.

يتجدد على الكافة في كل العصور، وقد حدد الإسلام تحديدا دقيقا من يحق مناوئتهم ومقاطعتهم وعدم الاتصال بهم، فقال تعالى : [لَا يَنْهَكُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ]⁸²

يقول الأمام حسن البنا : (وليس في الدنيا منصف واحد يُكره أمة من الأمم على أن ترضى بهذا الصنف دخیلاً فيها وفساداً كبيراً بين أبنائها ونقضا لنظام شؤونها)⁸³.

فصودر قانون يحرم التعامل مع أية قوات أجنبية ضد بلد آمن ومستقر ومسالمة لا يفهم منه أن يصبح اهل هذا ابلد عدواً مخاصماً للعالم أجمع، ولا أن ينشأ أبنائه على بغض البشرية ولا أن يعمل ساستها على كسب خصومة العالم من دون مبرر .

وفي هذا السياق يذكر الدكتور شوق أبو خليل مثلاً رائعاً فيقول : (لقد قال المسيح : "ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً" ⁸⁴ فهل يفهم أحد من ذلك أن رسالة المسيحية إيقاد للحروب في الأرض وأنها لا تحيا بين الناس إلا لسفك الدماء ؟)⁸⁵.

إن الولاء للإسلام أيضاً لا يعني رفض غيره لأنه مدعو للدفاع عن نفسه إذا ما تعرض لهجوم عسكري أو ثقافي، ولأن الإسلام دين التسامح والعفو والصفح يأمر بمسالمة من لا يتعرض له بالإساءة .
وليس هذا فحسب بل دعا الإسلام إلى التعامل بالبر والعدل والتسامح مع كل مخالف معه في الاعتقاد شريطة أن لا يبادر الآخر إلى الكيد والمكر وإعلان الحرب فضلاً عن الخوض فيها سواء بشكل مباشر أو غير مباشر ⁸⁶.

يقول الله تعالى : [لَا يَنْهَكُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ]⁸⁷ إِنَّمَا يَنْهَكُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ]⁸⁷ .
فالإسلام يمد يد المصافحة لجميع البشرية ليحقق التعاون لإقامة مجتمع العدل ونشر الأمن وصيانة الدماء أن تسفك وحماية الحرمات.

وذاك هو التوافق بين تسامح الإسلام ورفضه الولاء لخصومه المعتدين، توافق يعتبر حاجزاً حقاً بين التسامح والعفو من جهة والضعف والجبن والندالة من جهة أخرى .

82 - سورة الممتحنة /8.

83 - مجموعة رسائل الإمام حسن البنا، ص286. طبعة سنة : 1412هـ 1992م ، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر .

84 - إنجيل متى 34/10

85 - تسامح الإسلام وتعصب خصومه، د. شوقي أبو خليل، ص50.

86 - مجموعة رسائل الإمام حسن البنا، ص285.

87 - سورة الممتحنة /8.

الخاتمة

بفضل الله ومنه أنهيت البحث وتوصلت إلى مجموعة من النتائج والتوصيات على النحو الآتي :
أولاً : النتائج :-

- 1 - جاء الإسلام متمماً لمكارم الأخلاق وتريع التسامح قمة فضائلها كسلوك حضاري تميز في احترام العقائد وقيول المخالف .
- 2 - دعوة الأمم غير الإسلامية – والأوروبية خاصة – إلى التسامح كمبدأ جاء انتصاراً غير مباشر لدعوة الإسلام وكشف لمكانتها .
- 3 - من الضرورات التنوع البشري وأحزام الخصوصية ترسلها والحقيقية الإنسان من الأحزام المتبادل والمساواة . واقامة المجتمع المدني تطبيق غير تسامح بين الناس .
- 4 - كان وما زال الإسلام الرائد و القائد في الحقيقة القيم الإنسان التي ترفع من القدر الإنسان وتكريم بين سائر المخلوقات لذا القرن الكريم والسنة التقرير لتؤكد عميلة التسامح وأهمية التطبيق.
- 5 - وضع الإسلام جملة من القواعد والضوابط الفقية والإرساء قيمة التسامح بين المسلمين ولذين هم من الامم بعيدا عن الجميع أنواع الإختلاف العقديّة الفكرية والعرقية .
- 6 - لم يغفل للمجتمع الدولي بجميع المؤسساته عن الدعوة الى التسامح ونبذ العنف في جميع المبادئ وفيها قامت بالعديد من القرارات وأصدرت الكثير القرارات الداعية لها .
- 7 - الدعوة إلى التسامح مع غير المسلمين والرفق بهم ومسالمهم لا يتعارض مع دعوة الإسلام إلى الاستعداد الدائم لتحقيق التوازن في القوة حتى لا يطمع فيها من لا يؤمن جانبه سواء على المستوى الفردي والشخصي أو على المستوى الدولي .
- 8 - منح الإسلام الحق في المعاملة بالمثل لا يتعارض مع مبدأ التسامح لا سيما وأنه دعا إلى العفو والصفح بشكل متلازم وجعل ذلك من العبادات والقربات .
- 9 - تحذير الإسلام من الاعداء والخصوم المعتدين لا يعني أن يرفع المسلمون راية الخصومة للعالم بل على العكس تماماً من خلال فتح قنوات الاتصال والتعاون مع الأمم الأخرى لتحقيق العدالة ونشر الأمن والسلام على الأرض.

ثانياً : التوصيات :-

- 1- التركيز على أهمية دور الدعاة والخطباء ومعلمي المواد الدينية في توجيه الخطب في الجوامع لتوطيد التلاحم بين أبناء المجتمع واحترام قيم حقوق الانسان والمواطنة في ظل الشريعة الإسلامية السمحاء
- 2- تشكيل لجان جادة من وزارة التربية ووزار الاوقاف لدعم المناهج التربوية بمفاهيم التعددية لمكونات المجتمع وباعتماد مبدأ المواطنة وحقوق الانسان والتسامح .
- 3- دعوة المؤسسات الاعلامية المختلفة في ممارسة دورها الايجابي والمؤثر في اشاعة ثقافة الحوار وقبول الاخر وترسيخ مفاهيم التعايش السلمي والتسامح بجميع انواعه ومجالاته.
- 4- دعم منظمات المجتمع المدني العاملة في مجال المكونات الاثنية والدينية وتعزيز السلم المجتمعي ونشر ثقافة الاخوة ونبذ العنف.

5- الاخذ بنظر الاعتبار خصوصية المكونات الدينية والاجتماعية المختلفة في موضوع الاحوال الشخصية

أهم المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الإرهاب في اليهودية والمسيحية والسياسات المعاصرة، زكي السيد أبو غصّة، الطبعة الأولى، لعام 2002، دار الوفاء للطباعة، المنصورة، مصر. و
- الإرهاب، بشتيوان صادق، الطبعة الأولى، لعام 2006، رسالة ماجستير من كلية القانون جامعة صلاح الدين، مطبعة الحاج هاشم، أربيل، كردستان العراق .
- إشكالية التسامح، محمد مجتهد ثبستري، في : التسامح وجذور اللاتسامح، رضوان السيد وآخرون، مركز دراسات فلسفة الدين، شباط 2005 م ، وزارة الثقافة العراقية ، بغداد .
- تسامح الإسلام وتعصب خصومه، د. شوقي أبو خليل، الطبعة الثالثة، عام 1428 ميلاد الرسول، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس، ليبيا.
- التسامح بين الإسلام والنصرانية، محمد الغزالي، ص 5.
- التسامح في القرآن، داود سلمان الكعبي، موقع حوار المتمدن، العدد: 2663 بتاريخ 2009/5/31 م على الرابط : <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=173610>
- تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الطبعة الأولى، 1984م، الدار التونسية للنشر، تونس.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الطبعة الأولى، سنة 2000م، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، لبنان.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، من دون طبعة، من دون تاريخ، دار الأندلس للطباعة بيروت.
- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الطبعة الثانية، عام 1368هـ، دار المنار، القاهرة، مصر .
- الروضتين في أخبار الدولتين، ابن شامة، طبعة عام 1992م، من منشورات وزارة الثقافة، دمشق.
- روايات العهدة العمرية دراسة توثيقية، رمضان إسحاق زيان بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية في غزة، العدد الثاني، يونيو 2006.
- سلسلة الضعيفة 4. قال الألباني الحديث منكر، رقم الحديث 1557 : الطبعة الأولى. سنة 1988 م، مكتبة المعارف الرياض.
- شرح السياسية الشرعية لابن تيمية، محمد بن صالح العثيمين الطبعة الأولى، سنة 2004، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان .
- شرح النووي لصحيح مسلم، شرف الدين النووي، الطبعة الأولى، عام 1995م، دار أبي حيان، القاهرة ، طبع على نفقة محمد بن راشد آل مكتوم.
- صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، مراجعة: محمد علي القطب وهشام البخاري، الطبعة الأولى، عام 1997م، مكتبة العبيكان.
- صفوة التفسير ومحمد علي الصابوني، ، (ب ت ، ب ط) دار قصر الكتاب، البليدة،
- صلاح الدين الأيوبي، د. محمد علي الصلابي الطبعة الأولى، عام 2008م، دار المعرفة، بيروت.
- صلاح الدين والصليبيون استرداد بيت المقدس، عبد الله الغامدي، طبعة 1985، دار الفضيلة، بيروت.
- صلاح الدين والصليبيون وخطين طريق الانتصار عبد القادر الباقوري، ص75، الطبعة الأولى، عام 1998م، دار الهدى، المنيا ، مصر.

- في ظلال القرآن، سيد قطب، الطبعة الخامسة والعشرون، عام 1996م، دار الشروق، القاهرة، مصر.
- قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، د. توفيق الطويل، طبعة عام 1991م، مركز الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر.
- قيم التسامح، نبيل نعمة الجابري، مقالة منشورة في موقع الموسوعة الإسلامية بتاريخ 2013/4/21م على الرابط : <http://www.balagh.com/mosoa/pages/tex.php?tid=1332>
- الكتاب المقدس للمدرسة والعائلة في العهدين القديم والجديد - (العهد القديم). بعناية: الأب باسيلوس كناكري.
- كن شجاعاً واستخدم عقلك بين نور التسامح وظلمة التعصب، د. محمد الرميحي، مجلة العربي، العدد 422، سبتمبر 1992م، الكويت .
- لسان العرب، لابن منظور، مادة (سَمَحَ)، الطبعة الثانية، 1993م دار إحياء التراث العربي - بيروت
- مجمع الزوائد رواه أحمد وأبويعلى بنحوه والبرزورجالهم ثقات.
- مجموعة رسائل الإمام حسن البنا، طبعة سنة: 1992م ، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر.
- المسيح في الإسلام، ميشال الحايك، ط4. 1961م بيروت. دار النهار.
- المعاملة بالمثل خبر في موقع جريدة الرأي السودانية عن رسالة دكتورة في موضوع المعاملة بالمثل، للباحث مصطفى عثمان إسماعيل في جامعة النيلين على الرابط : <http://www.alnilin.com/news-action-show-id-22447.htm>
- المغني لابن قدامة
- مفهوم الارهاب في القرآن الكريم، أحمد صبحي منصور ، مقال منشور في موقع الحوار المتمدن بتاريخ : 2009/12/15 العدد 2859 على الرابط :
- <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=195345>
- مقالة للاستاذ عقيل يوسف عيدان، باحث في الفلسفة الإسلامية والفكر العربي، من الكويت. ayemh@yahoo.com
- موسوعة وكبيديا الحرة على الرابط التالي :
- <http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%B3%D8%A7%D9%85%D8%AD>
- موقع الدليل الفقهي على الرابط : <http://www.fikhguide.com/almbt3th/12> .
- نقد التسامح اللبرالي، د. محمد بن أحمد المفتي، (ب ط ، ب ت) مركز البحوث والدراسات، إصدار رقم 128، جريدة البيان .

تأثير الانترنت على هوية الطالب الجامعي في ظل المنظومة القيمية للمجتمع الجزائري

د. سهى حمزاوي

جامعة عباس لغرور خنشلة

ملخص:

إن الطبيعة المفتوحة لتكنولوجيا الإعلام جعلت من الصعب التحكم فيها واللجوء إلى الانتقائية. وعلى الرغم من وجود بعض الطرق التي تسمح بمثل هذه الانتقائية في استخدام الإنترنت إلا أن هناك وسائل تكنولوجية أخرى يمكنها إبطال مفعول المراقبة والتحكم في استخداماتها المختلفة. لذا ينبغي على كل مجتمع أن يبحث عن الوسائل الكفيلة لحماية مثله، وقيمه، وهويته الثقافية من مخاطر الغزو الفكري. وهذا ما ستبينه هذه الدراسة من خلال الكشف عن الآثار الإيجابية والسلبية التي تخلفها الانترنت على الهوية الثقافية لفئة مميزة في المجتمع ممثلة في فئة الطلبة الجامعيين، وكيف يمكن تكييف هذه الوسيلة مع واقع وقيم المجتمع الجزائري.

الكلمات المفتاحية: الانترنت - الطالب الجامعي - الهوية الثقافية.

Abstract:

Social science has not been able in general in a number of Arab universities after several years of its founding, to succeed in consolidating its presence not only on the epistemological level of the concept of the scientific knowledge, method and theory, but also on the social level to accept their scientific output of research and scientific production, because the fact is not read scientifically, and analyze its urgent issues in a way that leads to a forward-looking vision. In fact, the applied fact of these sciences reveals a cognitive gap between theory and methodology, and between the environment of their presenting to the students, this issue makes us asking through this article a number of questions about the nature of the relationship between the scientific knowledge related to social sciences with the daily laboratory of the scientific and practical space made up of students, courses and administrative constraints as part of the university system as a whole.

Key words: internet, student, cultural identity.

مقدمة:

أتاحت تكنولوجيا الاتصال الحديثة، عددا كبيرا من خدمات الاتصال التي تلي حاجات ورغبات مستخدميها، ومن أهم وسائل الإعلام والاتصال التي تعد أكثر استقطابا للأفراد، شبكة الانترنت التي تعد سمة واضحة للتقدم والتطور التكنولوجي والازدهار المعاصر الذي توصل إليه العالم الحديث.

إن الإقبال الواسع للشباب على الانترنت لدليل واضح على أهميتها الكبيرة في المجتمع كون هذه الفئة من أكبر الفئات المستخدمة لهذه الوسيلة، وقد اتسع نطاقها وتعددت مصادرها حتى غيرت الكثير من المفاهيم وطرق العيش في مختلف المجالات، فالكثير من الشباب اليوم يعتبرها الحافز الرئيس في خلق ثقافة جديدة، تعمل على تبادل الأفكار مع مختلف الدول الأخرى من تقاليد وقيم وأعراف ومعتقدات وغيرها مما يمكن أن تحدّثه هذه الوسيلة من انقلاب وتغيير بمجرد استخدام هذه الشبكة العنكبوتية.

وتعد فئة الطلبة الجامعيين من أكثر الفئات استخداما لهذه الشبكة، حيث أصبحت الملجأ الوحيد الذي يتجه إليه الطالب الجامعي سواء لأغراض علمية أو ترفيهية، إضافة إلى الدور الذي تؤديه هذه الشبكة في أوساط الطلبة، والتأثير الواضح على هويتهم وقيمهم الاجتماعية والأخلاقية. فقد فرض التطور التكنولوجي الهائل الذي توصل إليه العالم اليوم ضرورة جذب الأفراد نحو استخدام الانترنت، خاصة فئة الشباب التي تعتبر الركيزة الأساسية للمجتمع، وقد توسع هذا الاستخدام على نطاق واسع من طرف الطلبة خاصة الجامعيين وهو ما أكسبه عادات وثقافات ومعارف جديدة من خلال المواقع المختلفة التي يدخلونها عبر شبكة الانترنت، مما نتج عنه التخلي عن بعض القيم الثقافية والاجتماعية والأخلاقية للهوية الوطنية، وتقليد الشخصية الغربية التي تعمل على طمس الشخصية والهوية الوطنية للمجتمعات. بالإضافة إلى نوع من الفساد والانحلال في الجانب الأخلاقي مما انعكس سلبا على الفرد والمجتمع.

إن أهم ما ينجذب إليه الطلبة اليوم هو التوجه إلى مواقع التعارف والدراسة التي تستقطب عددا كبيرا من الأفراد مما أدى إلى قلة الاتصال الشخصي المباشر بين الأفراد الذي أصبحوا في عزلة نفسية واجتماعية. إلا أن ذلك لا يغني عن وجود فوائد لهذه الشبكة تتيح للأفراد سيطرة أكبر على ما يتعرضون له من معلومات ومعارف وأخطار وبكل التفاصيل المطلوبة، بالإضافة إلى القدرة على الحصول على كل مواد الترفيه التي يرغب فيها وفي الأوقات المناسبة له تماما.

وعليه تأتي هذه الدراسة لتناول هذه الظاهرة وما يحيط بها من خلال التزول الى الميدان (الحرم الجامعي) واستطلاع آراء الطلبة عن كتب حول تداعيات استخدامهم الانترنت في المجالات الواسعة لحياتهم اليومية.

أولاً- الاطار النظري للدراسة:

1. مشكلة الدراسة:

تشكل قضايا الإعلام اليوم أحد دعائم الثورة التكنولوجية الحديثة، وقد انعكس ذلك على الفرد وعلى نمط حياته مقارنة مع ما كانت عليه في القرون الماضية.

وقد أصبحت تحتل مكانة كبيرة وأهمية بالغة في المجتمع المعاصر، ولو لم يسع المرء إلى وسائل الإعلام والاتصال، فإن هذه الوسائل سوف تسعى إليه لتقدم له ما يدور من أحداث وما أفرزته العقول من علوم ومعارف، لاسيما بعد أن فرضت التقنيات المعاصرة نفسها في الساحة الإعلامية.

وقد تضاعفت مكانة الإعلام والاتصال بعد أن حملت لنا الاكتشافات الحديثة والبحوث المعاصرة معطيات تقنية، ووسائل إلكترونية وإمكانات إعلامية لم تتح للأجيال السابقة، ومن ثم أصبح لوسائل الإعلام والاتصال قوة تأثير كبيرة في العصر الحديث، وأصبح الإنسان في كل يوم وفي كل مكان سواء في العمل أو في المنزل أو في الشارع يعتمد عليها كمصدر رئيس للحصول على المعلومات.

كما مكنت ثورة المعلومات من الوصول إلى ملايين الناس في لحظة واحدة، وأصبح الخبر يطوف المعمورة في الوقت نفسه حتى تحول العالم إلى قرية إلكترونية. ولعل أحدث هذه الوسائل وأكثرها استقطابا للأفراد الانترنت التي جمعت العالم بأكمله حول شاشة صغيرة.

وتعد فئة الطلبة الجامعيين الفئة البارزة من فئة الشباب الذين يهتمون بالتوجه نحو الانترنت باعتبارها الفئة المثقفة في المجتمع وركيزته الأساسية، فقد يلجأ إليها الطالب من أجل اكتساب المعلومات والمعارف، في حين يستخدمها البعض الآخر كوسيلة ترفيه وتسلية.

وتعتبر المعلوماتية أو تكنولوجيا المعلومات من المصطلحات والمفاهيم التي أضيفت إلى الساحة الإعلامية، فلم يعد الفرد يستغرق وقتا طويلا في البحث واكتساب المعارف ومعرفة الأخبار ونقلها، بل أصبح يعرف أشياء عديدة في ظرف ساعة واحدة. إذ يكفي جلوسه أمام الشاشة لمعرفة ما يريد البحث عنه فلا يكلف نفسه بالبحث ولا يجهد عقله في التفكير.

ولم يعد موضوع وجود مردود لهذه الوسائل موضع جدل أو نقاش، ولكن الجدل يدور حول طبيعة التأثير من حيث كونه إيجابي أو سلبي.

مما سبق نصل إلى تحديد إشكالية هذه الدراسة من خلال طرح التساؤل الرئيس الآتي:
ما طبيعة الانعكاسات والآثار التي تخلفها الانترنت على هوية الطالب الجامعي؟ وكيف يمكن تكييف هذه الوسيلة مع واقع وقيم المجتمع الجزائري؟

2. أهمية الدراسة:

لكل دراسة أكاديمية أهميتها التي تدفع الباحث إلى متابعتها ومعالجتها ومحاولة التوصل إلى نتائج تجيب عن تساؤلاتها المطروحة. وتتمثل أهمية هذه الدراسة في:

أ- إبراز أهمية الانترنت كأداة هامة لنشر الثقافة وتسريع عملية توزيع المعارف والمعلومات.

ب- إبراز التأثير السلبي والإيجابي للانترنت على الهوية الثقافية للطالب الجامعي.

ج- يعد تأثير الانترنت على ثقافة الطالب الجامعي أهم الجوانب التي تنعكس على حياة الطالب الجامعي بعد أن كانت وسائل الإعلام بصفة عامة تركز على منتج ومردود هذه الوسائل، ومنه ارتأينا إلى البحث عن الانترنت، ودورها في نشر الثقافة بين أوساط الطلبة والكشف عن مدى إقبال الطالب على هذه الأداة التكنولوجية.

3. أهداف الدراسة:

- تسعى كل دراسة أو بحث علمي إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، وتأتي دراستنا هذه لتحقيق الأهداف الآتية:
- الكشف عن حقيقة الظاهرة من الجانب الميداني، أي معرفة كيف تؤثر الانترنت على الهوية الثقافية للطالب الجامعي والجوانب التي تمس هذا التأثير.
- التوصل إلى نتائج ومعلومات جديدة خاصة بهذا الجانب، أي معرفة الآثار الإيجابية والسلبية التي تخلفها الانترنت على ثقافة وهوية الطالب الجامعي.
- معرفة مدى اندماج الطالب الجامعي مع هذه الوسيلة مع ما تحدثه من تأثيرات ثقافية واجتماعية.
- إبراز مدى أهمية الانترنت في تنمية الوعي الثقافي لدى الطالب الجامعي.
- البحث عن أنجع السبل لتوظيف الانترنت بما يتوافق مع قيم وأخلاق الطالب الجامعي من جهة، ومنظومة القيم في المجتمع الجزائري من جهة ثانية.

4. الدراسات السابقة:

من بين الدراسات السابقة التي تناولت بعض مؤشرات موضوعنا الحالي دراسة الدكتورة لمياء السامرائي المعنونة ب: دوافع استخدام الطالبة الجامعية العراقية للانترنت -الاتجاهات والمعوقات- وهي عبارة عن ورقة عمل أعدتها للمنظمة العربية للتنمية الإدارية عام 2004.

وقد خلصت الدراسة إلى أن عدد مستخدمي الانترنت وقتها وبعد أشهر من التغيرات التي حصلت في العراق في ظل الحرب وانهيار النظام السياسي السابق وصل إلى 136 فردا من عينتها من الطلبة من مجموع 300 فرد تفوق فيها الذكور على الإناث، حيث وصل عدد الذكور إلى 92 شخص، ووصل عدد الأفراد الذين لا يستخدمون الشبكة إلى 164 فردا. واختلفت أسباب عدم استخدام الانترنت في عدم توافر الانترنت في المنازل بنسبة 63.4 %، وعدم توافر الانترنت في مكان قريب 27 %، والسبب الثالث هو عدم توافر التلفون بنسبة 36 %.

وأكدت الدراسات أن أغلب المستخدمين للشبكة من العراقيين كانوا يستغلونه في إرسال بطاقات المعايدة في المناسبات المختلفة، ووصل عددهم إلى 61 فردا، واحتل البحث العلمي المرتبة الثانية بإجمالي 51 زائر، وجاء الاطلاع على الأخبار والردشة والموسيقى في المرتبة التالية.

وأوصت الدراسة على ضرورة العمل على توفير الانترنت في البيت والعمل على توسيع وتحسين ظروف استخدامه في الجامعات ومقاهي الانترنت، ووضع خطة سريعة لتعميم استخدام الانترنت في الجامعات العراقية قليلة التكلفة مع تأهيل العناصر البشرية الشابة في المراحل الدراسية الجامعية وتنمية قدراتها.

وفي دراسة لسامي عبد الرؤوف بعنوان: استخدام الانترنت في العالم العربي، حاول الباحث من خلالها معرفة استخدام الشباب للانترنت في العالم العربي، فاختار خمس بلدان عربية وهي: مصر، السعودية، الإمارات، الكويت، البحرين، كما لجأ الباحث إلى اختيار عينة قصديه حتى يتمكن من توفير بعض السمات الخاصة في أفراد العينة مع الرغبة في اختيار الدول الأكثر استخداما للانترنت، وقد بينت هذه الدراسة الميدانية أن 72.6 % يستخدمون الانترنت، وأن 91.5 % من المبحوثين يعتبرون الانترنت مصدرا هاما للأخبار والمعلومات، بينما تأتي كل من التسلية وقضاء وقت الفراغ في المرتبة الثانية. وجاءت المعلومات العلمية التي يحصل عليها الأفراد من الانترنت بنسبة: 62 %، وتلا ذلك المعلومات الاجتماعية الثقافية بنسبة 57 %، وفيما يتعلق باستخدام المبحوثين للبريد الالكتروني أشارت النتائج إلى أن ما يقارب من نصف المبحوثين أي حوالي 45.5 % يستخدمون البريد الالكتروني للاتصال.

إن هذه الدراسات تعطي ولا شك دفعة للغوص في مجال مدى توظيف شبكة الانترنت في البحث العلمي في الأوساط البحثية والأكاديمية العربية، خاصة ذلك الفقر الذي تعاني منه المكتبات العربية من الناحية العلمية، كما أن الدراسات نفسها كانت قاصرة أو شبه قاصرة من ناحية شموليتها وخلو معظمها من المقارنات والشواهد الميدانية.

5. فرضيات الدراسة:

1. كلما ازداد إقبال الطالب الجامعي على الانترنت، كلما ازداد وعيه الثقافي.

مؤشراتها:

- التمييز بين الأمور.

- الاستخدام الصحيح للانترنت.

2. للانترنت تأثير واضح على الهوية الثقافية للطالب الجامعي وقيمه الاجتماعية والأخلاقية.

مؤشراتها:

- العلاقات الاجتماعية.

- اكتساب عادات وسلوكات جديدة.

- الوعي الطلابي وقيم المحافظة على الهوية الثقافية والاجتماعية.

3. يتعين على الطالب الجامعي أن يستخدم الانترنت بما يتوافق مع قيم المجتمع الجزائري وأخلاقه.

مؤشراتها:

- مراعاة خصوصية المجتمع الجزائري ومنظومته القيمية.

- الاستخدام الأمثل للانترنت من خلال اختيار الجوانب الإيجابية.

6. مفاهيم الدراسة:

1. مفهوم التأثير:

هو القدرة على إحداث تغيير في الآخرين لا يرى إلا من خلال الأثر الذي يتسبب في إحداثه دون استخدام القوة والسلطة الرسمية.¹

الأثر هو النتيجة التي تتولد عن انعكاس شيء على شيء آخر مقابل. سواء كان أثر نفعي أو غير نفعي وينقسم الأثر إلى قسمين:

◀ أثر سلبي: نتيجة سيئة لشيء على شيء آخر.

- أثر إيجابي: نتيجة فعالة أو مستحقة.

2. مفهوم الانترنت:

لغة : انترنت Internet كلمة انجليزية تنقسم إلى قسمين: Inter التي تعني بين و net التي تعني الشبكة، والكلمتان مجتمعتين تعني الشبكة البينية. والاسم دلالة على بنية الانترنت باعتبارها شبكة ما بين الشبكات. وبالانجليزية a network of networks، ومع هذا فقد شاع خطأ في وسائل الإعلام العربية تسمية الشبكة الدولية للمعلومات ظناً أن المقطع inter في الاسم هو اختصار لكلمة international net والتي تعني دولي بل هي inter- connexion net Works التي تعني الشبكات المترابطة.²

اصطلاحاً: لقد اختلفت الآراء ووجهات النظر حول وضع تعريف محدد لمفهوم الانترنت ومن بينها: " الانترنت شبكة عالمية مكونة من الشبكات الحاسوبية المختلفة المتصلة بواسطة وسائل اتصالات بعيدة، تتكون من عدد كبير من الشبكات المتصلة بعضها ببعض، والتي تستخدم نفس الطريقة الاتصالية، إذا هي شبكة كونية تربط ملايين من أجهزة الكمبيوتر عبر العالم. ويستخدمها حسب إحصائيات 2001 أكثر من 300 مليون مستخدم يتضاعف عددهم بشكل سريع تقوم على تبادل الأخبار والبيانات والمعلومات " ³

وهناك من عرف الانترنت بأنها: " نظام معلومات عالمي يستند إلى شبكة مؤلفة من شبكات قادرة على دعم الاتصالات، باستخدام بروتوكول ضبط الإرسال بروتوكول الانترنت (IP/TCP). تتصل فيما بينها بشكل منطقي بواسطة مجال عنوان وحيد على نطاق العالم يستند إلى بروتوكول الانترنت. وتجعل من الممكن الانتفاع بخدمات رفيعة تقوم على أساس البنية الأساسية للاتصالات والبنية الأساسية ذات الصلة " ⁴

في حين ذهب البعض الآخر إلى تعريف الشبكة العالمية الانترنت بأنها: " شبكة تربط بين عدد من الشبكات المنتشرة في العالم كله، من شبكات حكومية وشبكات جامعات ومراكز بحوث وشبكات تجارية وخدمات فورية ونشرات إلكترونية وغيرها. يصل إليها أي شخص يتوفر لديه جهاز كمبيوتر ومودم وخط هاتفي، ليحصل على عدد لا متناهي من المعلومات. تقدم هذه الشبكة عدداً من الخدمات الاتصالية والإعلامية تفيد المستخدم بشكل عام، والإعلامي بشكل خاص " ⁵.

التعريف الإجرائي:

الانترنت هي مجموعة من الحاسبات تتحدث عبر الألياف الضوئية وخطوط التلفون ووصلات الأقمار الصناعية. وهي مكان يستطيع فيه الفرد التحدث إلى أصدقائه وأسرته المنتشرين عبر كافة أنحاء العالم، والذين انضموا معاً من

أجل تبادل المعلومات والأخبار والآراء وتبادل الأفكار، أو هي مجموعة مفككة من الحواسيب موجودة في آلاف الأماكن حول العالم من أجل العثور على المعلومات أو التشارك في ملفات، لذا فهي أكبر مزود للمعلومات في الوقت الحاضر.

3. مفهوم الطالب الجامعي:

يعد الطالب الجامعي فرداً من الأفراد المكونين للعنصر البشري في الجامعة وتعد عليه آمال كبرى فيما يخص دفع عجلة تقدم المجتمع.

أ.لغة: الطالب الجامعي في اللغة من طالب أي طلب الشيء يطلب طالب، والطلبة الجامعيين فئة من فئات الشباب هدفهم الأسمى العلم والمعرفة من أجل ضمان المستقبل المهني ومكانة اجتماعية.

ويمكن تعريفه بأنه: "شريحة المثقفين في المجتمع بصفة عامة، إذ يتركز المثاق والآلاف في نطاق المؤسسة التعليمية"⁶

التعريف الإجرائي:

يعد الطالب الجامعي أحد أفراد الفئات المثقفة في المجتمع، يزاول دراسته في الجامعة، قصد زيادة وتطوير رصيده المعرفي والثقافي واكتساب ثروة علمية تؤهله إلى اكتساب مكانة مرموقة في المجتمع. بالإضافة إلى الحصول على شهادة أكاديمية تؤهله إلى العمل ليسهم في تنمية المجتمع.

4. ثقافة الطالب الجامعي:

إن الطالب الجامعي يحكم تكوينه العلمي والمعرفي نجده كثير التفكير في أوضاع مجتمعه خاصة الوسط الجامعي الذي ينتمي إليه بصفة أكثر من المجتمع الخارجي الذي يعيش فيه، فيحسن طريقه إلى المجتمع وفاعليته، وهو في سبيل ذلك يحاول فهم مشكلات مجتمعه من خلال مناقشتها مع زملائه، ويحاول أن يقارن أوضاع مجتمعه بمجتمعات أخرى من خلال ما يطالعه من جرائد وكتب، وما يشاهده من أخبار التلفزيون العالمية.

التعريف الإجرائي:

الثقافة عند الطالب الجامعي هي كل ما يكتسبه من جديد بحكم انتمائه إلى شريحة متعلمة وطريقة استغلالها في الحياة اليومية العادية، إذ يمتلك القدرة على الفهم والاستيعاب والمناقشة والامتناع والرفض لكل ما يناقض عاداته وأفكاره وقيمه، وبالتالي تجعله شريحة مميزة في المجتمع.

◀ خصائص ثقافة الطالب الجامعي:

تضم الجامعات داخل مدرجاتها آلاف الطلبة مجمعين من مناطق مختلفة، ولكل منهم وعيه الثقافي الخاص به، فهو جزء لا يتجزأ من المجتمع، وتقوم هذه الثقافة على ثلاث جوانب يتركز عليها الطالب الجامعي، فتلك الجوانب مجتمعة ما بين ثقافة المعرفة وثقافة السلوك والثقافة السياسية.

- الطالب الجامعي وثقافة المعرفة:

إن الطالب يعتقد بأن وصوله إلى المرحلة الجامعية وتخصّصه بإحدى التخصصات وحده كافيا لأن يقال عنه مثقف، ومن ثمّ ينغلق على ذاته ويكتفي بما يعرفه من خبرة حياته إضافة إلى معرفته العلمية. ويقتصر في المعرفة بالتغلغل في سطور كتب تخصّصه غير ملتفت إلى قراءة الكتب الأخرى، وهذا ما يستدعي البحث في الأسباب والدوافع ووضع الآليات والبرامج والخطط التي من شأنها أن تقوم بتوليد وتعزيز الإرادة والرغبة لدى الطالب الجامعي إلى البحث عن المعرفة من خلال التشجيع والتوعية بأهمية المعرفة للفرد والمجتمع.

- الطالب الجامعي وثقافة السلوك:

لعل المتأمل إلى الثقافة السلوكية لطلاب الجامعات يجد أن الطلبة منهم من لديه السلوك الإيجابي ومنهم من لديه السلوك السلبي، وهذا ما نخّصه بالذكر وما نخجل منه من خلال ما يقوم به بعض الطلبة من عدم الاحترام بين الطلبة وبين مدرسيهم، وقلة النظافة والنظام، وعدم الالتزام باللوائح والقرارات الجامعية. ويقومون بعكس صورة سلوك بينهم داخل الجامعة غير آخذين قدسية الحرم الجامعي، وما يجب أن يقوموا به من سلوك إيجابي احتراماً لجامعتهم وتعليمهم وثقافتهم، وما أصعب من ذلك هو سلوك العنف الناتج في غالب الأحيان عن مشاهدة الأفلام عبر الانترنت، فبذلك يعتبر السلوك ميزة مهمة لدى المثقف وهذا ما يميز الطالب الجامعي المثقف عن غير المثقف لأن الثقافة هي السلوك.

- الطالب الجامعي والثقافة السياسية:

الجامعة هي دولة سياسية مصغرة تتمثل في الكتل الطلابية السياسية ومجلس اتحاد الطلبة وما يتضمن ذلك من عملية ديمقراطية من خلال انتخاب الطلبة لمن يمثلونهم ويتحدثون عنهم وعن مشاكلهم وهمومهم.

5. الهوية الثقافية:

إن المحافظة على الهوية الثقافية تعد من بين التحديات التي تواجه الشباب العربي عامة والجزائري خاصة في ظل تنامي وتعالى الأصوات المناادية بالحرية والتحرر الفكري والمذهبي والعقائدي، مع الاندماج في تيار العولمة وعالمية الثقافة الإنسانية، وعلى هذا الأساس فالهوية الثقافية هي محصلة عديد من العوامل الدينية واللغوية والتاريخية والسياسية وغيرها التي تتفاعل مع بعضها البعض تفاعلا مستمرا . ويمكن تعريف الهوية الثقافية للأفراد بأنها: " جميع السمات المميزة لهؤلاء الأفراد كاللغة والدين والتاريخ والعادات والتقاليد والقيم وأنماط العلاقات الاجتماعية، وطرائق التفكير وسبل السلوك والتصرف وغيرها، مما يحفظ لهم شخصيتهم المتجددة عبر العصور ويميزهم عن غيرهم.

6. المنظومة القيمية:

إن الإنسان هو الكائن الوحيد الحامل للقيم، والذي يتعرض لعملية التشكيل الإيديولوجي التي يمتص من خلالها الاتجاهات والتصورات والعادات والتقاليد وغيرها، وعلى هذا الأساس فالمنظومة القيمية هي مجموعة قيم الفرد أو

المجتمع مرتبة وفقا لأولويتها، وهي إطار على هيئة سلم تتدرج مكوناته تبعا لأهميتها، وتتفاعل عناصره فيما بينها وتتبادل المراتب لتؤدي وظيفة معينة لدى الفرد.

7- تأثير الانترنت على الهوية الثقافية للطلاب الجامعي:

1. الآثار الإيجابية:

بات انتشار الانترنت في العالم الغربي خلال التسعينيات من القرن الماضي يشكل قضية مهمة أثارت كثيرا من النقاش حول تأثيراتها المحتملة على المجتمع عموما، وفئات الشباب الجامعي خصوصا، ورأى كثير من الباحثين أن قطار الانترنت قد انطلق في المنطقة العربية بشكل قوي مع بداية القرن الحالي.

ولعل أهم التأثيرات التي تخشها المجتمعات على شبها هي التأثيرات التي توصلت إليها التكنولوجيا الحديثة خاصة على مستخدمي الانترنت، وقد اعتمدت الثقافة في تطورها وانتشارها خلال مراحل التاريخ على التكنولوجيا، فاستخدمت التواصل الإنساني المباشر في المراحل الأولى للتطور البشري، كما استخدمت الإشارات والإيماءات والحركات، ثم حكايا الجداث والروايات الشفهية، ثم الكتابة والفيلم السينمائي والبحث الإذاعي والتلفزي، وأخيرا محطات الإرسال والاستقبال والقمر الصناعي ومراكز المعلومات وغيرها.

- الانترنت كأداة للتثقيف والانفتاح على العالم الخارجي:

1. تذهب الأستاذة باسمه يونس إلى أنه من الانعكاسات الإيجابية على الهوية الثقافية الطالب الجامعي:

تعريف الطالب الجامعي العربي بالثقافة الغربية في مختلف بلدان العالم بغرض الاستفادة منها والبحث في آفاق جديدة تخدم تطوره الفكري والثقافي.

2. تقريب العالم من بعضه البعض، وتهدم أسوار الغربة والبعد ليتحقق الانفتاح على الآخر والاتصال معه، إذ أن الطالب أمام حقل واسع من تكنولوجيا المعلومات يتأثر بما يراه، ولعل ذلك بارز في تغيير بعض المواقف أو اتخاذ بعض السلوكيات.

3. التبادل الثقافي مع الآخرين ودعوتهم للتعرف على القدرات ومجالات الإبداع، وهو ما يعرف بـ:

الشات chat الذي يلجأ إليه الكثير من الطلبة الجامعيين اليوم خاصة في أوقات الفراغ، وهو ما أدى إلى التعرف على مختلف الثقافات في مختلف جهات العالم. وفي مجال البحث العلمي سهل الأمر على الطلبة من خلال سرعة الوصول إلى المعلومة حيثما كان مصدرها، وربط مراكز الأبحاث والدراسات ومراكز الكتب والمكتبات، وتوفير الوقت والجهد بما يمكن أن يقال أن قرنا إضافيا من الزمن قد أضيف إلى رصيدهم عندما كان الكتاب هو المصدر الوحيد.

ففي شبكة الانترنت لا تأتي المعلومات مكتوبة فقط، بل ناطقة ومسموعة ومتحركة فالطالب أو الشاب لا يستطيع أن يجدها مطبوعة فقط بل يمكنه الحديث والتفاعل مع أصحابها والتباحث معهم بشأنها، وتعديلها وتطويرها وما إلى ذلك. وخير دليل على ذلك أنه يمكن للباحثين والطلبة والمثقفين الجلوس حول مائدة مستديرة عن بعد

يطرحون الرأي والرأي الآخر، ويتباحثون حول مسائل حيوية هامة وكل منهم يقع في إحدى زوايا قارة تبعد عن أختها بملايين الكيلومترات وهذه إحدى العجائب التي تتصف بها الشبكة الدولية للمعلومات.⁷ ومن هنا فإننا نؤكد على أن الانفتاح على الآخر هو الاستفادة من علومه، ولا نريد بذلك التقليد له والأخذ بنمط الحياة لديه، فالانفتاح ينطلق من أرضية ثابتة واضحة تجاه قيمه ومبادئه أما التقليد فيعني: "الانتقال من البيئة المحلية إلى البيئة الغربية مما يفقد المرء هويته الحضارية لأنه لن يكون الآخر".⁸

- فتح باب المنافسة المحترفة لتطوير الإنتاج الإعلامي:

وذلك من خلال استمرار انخفاض التكلفة في نقل الأخبار مما سيضعف من انتشار أنظمة الأخبار المتطورة في جميع أنحاء العالم خاصة المتقدم، ولعل أهم شيء يلفت انتباه الشباب سواء الجامعي أو العادي هو الأخبار الجديدة أو المعلومات التي ينتبه إليها أكثر من الأمور الأخرى.

فالطالب مثلاً لو كلف بإجراء بحث حول موضوع فإنه لا يستغرق الوقت الطويل، ولا يلجأ إلى الكتب والبحث فيها بل نجده يتجه مباشرة إلى ما يعرف بمقاهي الانترنت من أجل الحصول على ذلك من جهة، وريح الجهد والوقت من جهة أخرى، فالانترنت أصبحت بمثابة الكتاب الواسع المفتوح الذي لا تخفى عليه خافية.

إن تكلفة استخدام الانترنت تقوم على أساس الاشتراك بسعر موحد لا على أساس تناسبي مع البعد والوقت وهكذا فإنه يمكن لمستخدم الانترنت أن يجري اتصالاً دولياً أو يرسل رسالة مكتوبة إلى قارة أخرى دون أن يدفع سوى تكلفة اتصال هاتفي محلي. يعتبر هذا الأمر محبوب لدى الشباب بصفة عامة، إذ يلجأ له الكثير من الشباب بغية التعارف والتبادل للثقافات والمعلومات والأخبار خاصة التعارف الذي شاع بصفة كبيرة عند الطلبة.

2. الآثار السلبية:

- تكريس وترسيخ ثقافة الاختراق:

عادت قضية الاختراق الثقافي تطرح نفسها مع التكنولوجيا الجديدة وشبكات الأقمار الصناعية، حيث تمكنت الدول الصناعية من السيطرة على الفضاء وبالتالي فرض قيمها وأفكارها وأخلاقها على الآخرين والتي يتأثر بها الشباب، فالاختراق الثقافي آلية متطورة تسعى إلى تكريس منظومة معينة من القيم الوافدة تتفاعل داخل المجتمعات، وتسري ببطء ولكن بثبات فتعمل على تفتيتها وتمزيقها من الداخل وإحلال القيم المخترقة محلها، ومن هنا يتخلى الشباب عن القيم الحقيقية الثقافية والاجتماعية، وتكسب قيم جديدة وغريبة، فيمس هذا التأثير العقائد والقيم والأفكار والهوية ليجعلهم يشعرون بالنقص، ومن ثم التوجه إلى الثقافة الجديدة التي تتماشى مع العصر من خلال تعزيز الهيمنة والتبعية للدول المتقدمة التي تستثمر عدد هائل من تقنيات الاتصال والإعلام الأكثر حداثة. فمعظم محتوى شبكة الانترنت هو نتاج غربي أمريكي وهذه المواد الإعلامية ليست فارغة المعاني ومحايدة في أفكارها، بل تحمل فكراً محدداً وتعبر عن ثقافة معينة لا تتفق مع منظومتنا القيمية، وهذه الثقافة هي التي تلفت انتباه الشباب فيقومون بتقليدها وإتباعها والتخلي عن هويتهم الأصلية.

ويمكن إيجاز الآثار السلبية للانترنت على هوية الطالب الجامعي فيما يلي:

صرف الشباب الجامعي عن ثقافته المحلية الأصلية، وعن هويته عن طريق محاولة زرع ثقافة جديدة تتماشى مع العصر ولا تمد للقيم العربية الإسلامية بأي صلة.

إن أهم تأثير للانترنت على الطلبة هو الانصراف عن المكتبات والمطالعة والعمل من أجل التعرف على ما يحدث في العالم الخارجي فقط، والانصراف عن البحث والتقصي واكتساب المعارف والمعلومات.

اكتساب عادات سيئة من خلال توجه الشباب إلى مقاهي الانترنت وقضاء أوقات كبيرة هناك مما أدى بالدخول في مواقع إباحية أدت إلى إفساد عقول الشباب وتدمير الهوية الوطنية والانتماء.

التقليد الأعمى للمجتمعات الغربية وهو الهدف الذي تسعى إليه هذه المجتمعات أي تفتيت المجتمعات العربية الإسلامية، وطمس منظومتها القيمية.

غياب الطلبة عن المحاضرات في الجامعات والتوجه إلى الانترنت وجلبها بطريقة بسيطة وكذلك البحوث العلمية التي يكلف بها الطالبة حيث لا يلجئون إلى الكتب والمراجع والمصادر بل مباشرة إلى الانترنت.

- تأثير الانترنت على القيم الثقافية والاجتماعية:

رغم الآثار التي تنتج من تعرض الناس لما تبثه وسائل الإعلام من معلومات، إلا أن الجزء الأكبر من الدراسات في هذا الجانب انصبت على بعض المجالات إذ ركزت على أهمها وتلخصت في ثلاثة مجالات:

1. العنف

2. الإثارة الجنسية

3. التباعد بين الأجيال.

وهذا لا يعني أن الباحثين في حقل وسائل الإعلام والمجتمع تجاهلوا الجوانب الأخرى لتأثير وسائل الإعلام على الجمهور خاصة الشباب مثل تغير المواقف والتأثير على الآراء والقيم وما إلى ذلك مما له علاقة بالسلوك الإنساني، إنما لكون هذه الأمور أكثر جدلاً بسبب الآثار العميقة التي تتركها على كثير من الفئات وبخاصة الشباب داخل الجامعات أو في أي مكان آخر.

1. العنف:

لقد شغلت هذه المسألة حيز كبير من اهتمام الباحثين في مجال وسائل الإعلام والمجتمع وعلى رأسها الانترنت، وقد كانت الافتراضات التي قامت عليها هذه الدراسات ترى أن تنامي ظاهرة العنف والسلوك العدواني بين جمهور وسائل الإعلام، وبخاصة الشباب يرجع بشكل أساسي إلى تعرض الشباب إلى وسائل إعلامية تتضمن كثيراً من العنف اللفظي والجسدي⁹ هذه الدراسات في مجموعها خرجت بنتائج عن العنف في وسائل الإعلام، وبخاصة شبكة الانترنت بصفتها تجذب الكثير من الشباب والطلبة ومن بينها:

إن الجمهور الذي يستخدم الانترنت ويقوم بالخوض في مواقع ذات صلة بالملاحظة والمشاهدة غالباً ما يقلد العنف الواقعي وليس العنف الخيالي، فالعنف الذي يمكن أن يقع في حياة الناس اليومية، كالمشاجرات واستخدام الأسلحة النارية أو البيضاء وغيرها من أنواع العنف.

وقد أثبتت الدراسات أن نسبة كبيرة من الشباب الجامعي تميل إلى تقليده وتعلمه، أما العنف الذي تعرضه بعض قصص الخيال العلمي وحرب النجوم، وغيره من أنواع العنف الذي هو من صنع خيال الإنسان ولم يشاهد مثله في الواقع فإن نسبة تقليده من الشباب قليلة جدا.

إن الشباب يتعلم العنف من وسائل الإعلام خاصة الانترنت والتلفزيون، إلا أنه لا يقلده إلا في حالات القلق النفسي، وحينما تثار عواطف ومشاعر السخط والغضب أين يتخلى الشاب عن قيمة الأخلاقية إذ يسترجع ما شاهده في ذاكرته من مشاهد العنف التي عرضتها وسائل الإعلام، أي أن وسائل الإعلام عرضت على الشباب الوسيلة التي يجب إشباعها في مثل هذه الحالات مثل حالات الانتحار في حالة من الضعف أو القلق.

2. الإثارة الجنسية:

قبل الحديث عن الدراسات التي تولت تأثير المضامين الجنسية للرسائل الإعلامية التي تبثها وسائل الإعلام للجمهور، لابد من الإشارة إلى مسألتين مهمتين في هذا الجانب:

الأولى: أن الأكثرية المطلقة للدراسات التي تناولت الجنس في وسائل الإعلام ركزت على دور الإثارة الجنسية التي تعرضها وسائل الإعلام في تغذية العنف والسلوك العدواني عند الشباب الذين يتعرضون لهذا النوع من الوسائل الإعلامية. ولم يحظ الجانب الأخلاقي المتمثل في تشجيع هذا النوع من الوسائل الإعلامية على إشاعة الرذيلة إلا بجزء صغير جدا من تلك الدراسات، ويعود هذا إلى النظرة المتساهلة للمجتمعات الغربية للإباحة والعلاقات الجنسية بأنواعها حيث لا يعد الزنا جريمة.

ثانيا: أن كل الدراسات التي أجريت حول هذه المسألة قامت على مفهوم للجنس والإثارة الجنسية وهو ما يخالف الثقافة العربية والإسلامية كما يناقض القيم الاجتماعية.

وهناك فرق بين مفهوم الإثارة الجنسية في المجتمع المسلم، ومفهومه في المجتمعات الغربية، فالمجتمع المسلم مجتمع محافظ لأن عدم فهم الفرق بين طبيعتي المجتمعين يؤدي إلى سوء فهم نتائج تلك البحوث والدراسات. فالنتائج الإيجابية الجنسية في المجتمع المسلم تؤدي إلى نتائج أسوأ من تلك التي تحدث في المجتمع الغربي.

هذا ما تهدف إليه الثقافة الغربية والذي من شأنه الاسهام في إنتاج ثقافة الدول المخترقة ويعود ذلك إلى:

الواردات الأجنبية الغربية من أفلام ومسلسلات التي تحمل في طياتها برامج ثقافية تختلف إن لم نقل تناقض معتقدات وثقافة المجتمعات المستقلة، وخاصة العربية والإسلامية لتسهم في خلخلة التوازن الفكري والنفسي للشخصية العربية الإسلامية المحافظة.

التساهل في الالتزام اللغوي والثقافي بحجة الحداثة والتبسيط، وهو ما يقوم به الشباب الجامعي بصفة عامة حيث تخلى عن لغته العربية الفصحى الصلبة ولغته العامة، وأصبح يقلد الغربيين في لغتهم وطريقة كلامهم.

وهكذا فإن المضامين الثقافية المستوردة تعمق مفاهيم ومعتقدات وعادات وسلوكات تتعارض مع الثقافة الوطنية وهذا ما يفسره بروز بعض المظاهر الغربية في المجتمعات المختلفة كطرق اللباس والسلوك¹⁰

3. التباعد بين الأجيال:

إن وسائل الاتصال الحديثة تدخل بشكل أو بآخر في تكوين قيم واتجاهات الأحداث والشباب في المجتمع الحديث إزاء المواقف الاجتماعية المختلفة. وهذه القيم والاتجاهات قد تختلف تماما عن اتجاهات الآباء أو الجيل السابق، الشيء الذي يعمق التغيرات البنيوية في المجتمع أي التغيرات في العلاقات السائدة بين أعضاء المجتمع. ولعل أبرز مظاهر التغير الذي نراه في مجتمعاتنا الحديثة هو التباعد بين أجيال الآباء والأبناء، هذا التباعد الذي عززته وسائل الاتصال الحديثة وعلى رأسها البث الفضائي والانترنت.¹¹

8- آليات مواجهة الآثار السلبية للانترنت على المستوى الثقافي:

إن التطور العلمي لوسائل الإعلام والاتصال لا يزال يشهد تدفقا في اتجاه واحد من الغرب الصناعي الغني إلى الشرق النامي الفقير، وليس من المطلوب نقل التكنولوجيا نقلا جذريا فحسب. بل يجب العمل على توظيفها بما يتلاءم مع متطلبات المجتمع وحاجاته ويرز ذلك على مستويين:

المستوى الفني: ويجب العمل فيه على:

تطوير وسائل الإعلام والثقافة المحلية عن طريق منحها الحرية في الوصول إلى المعلومات والاهتمام الجدي بشؤون الناس.

الإسراع في خطوات إنجاز مشاريع البث الفضائي الحكومية منها والخاصة، وذلك بمواكبة الثورة التكنولوجية في العالم، والنهوض بمستوى الإعلام الوطني بما لا يتيح المجال للتعرض للمحطات والمواقع الأجنبية الوافدة، وتخصيص المواطن فكريا وسياسيا بما يضعف التأثير السلبي للرسائل الغزيرة التي تصل إليه.

تعزيز التعاون بين الهيئات الإعلامية المتقاربة حضاريا وثقافيا للقيام بإنتاج مشترك تتضافر فيه المهارات الإبداعية والفنية لتوفير منتج إعلامي راق.

التحرك لدى المنظمات الدولية والإقليمية المختلفة التي تبث برامجها بالأقمار الصناعية للالتزام بالمواثيق التي صدرت عن منظمة الأمم المتحدة واليونسكو بخصوص استخدامات الأقمار الصناعية التي تعمل على إثراء الثقافات.

تعزيز حركة البحث العلمي في مجال الاتصالات والإفادة من الخبرات الوطنية ووضع استراتيجيات عبر الأقمار الصناعية، تأخذ حاجات المشاهدين والمستخدمين التنموية والوطنية القومية بعين الاعتبار.

المستوى التقني: حيث يهتم بالعمل على:¹²

التخطيط بعيد المدى: ذلك أنه لا يتحقق التأثير في نفوس مستخدمي الانترنت وعقولهم وقيمتهم الثقافية والاجتماعية إلا في إطار تخطيط لمدة معينة أقلها سنة.

الدخول في عمليات إنتاج مشترك مع الهيئات الإعلامية العامة وشركات الإنتاج الخاصة بغية الحصول على إنتاج متميز وبتكلفة أقل من الإنتاج الفردي.

تحديد نسبة المواد الأجنبية وليس المقاطعة الكاملة لكل ما هو أجنبي، بل الواجب اختيار المواد المناسبة التي لا تتعارض مع قيمنا ومبادئنا، إضافة إلى تحديد زمن عرض مثل هذه البرامج من زمن البث اليومي، وهذا ليس إبداع بل سياسة تلتزم بها كل الدول المحترمة لثقافتها وقيمها حتى في الدول الغربية نفسها.

ثانياً- إجراءات الدراسة الميدانية:

1. مجالات الدراسة (المكاني والبشري):

أجريت الدراسة الميدانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية - جامعة خنشلة. وقد تم خلالها اختيار طلبة الماستر في التخصصات الآتية: علم الاجتماع الثقافي والحضري، التنمية والسكان، الفلسفة، التاريخ، السمععي البصري المسجلين خلال الموسم الجامعي 2013/ 2014، ونظرا للعدد المحدود لطلبة هذه التخصصات، فقد تم الاعتماد على المسح الشامل لهم. وعليه تحصلنا على 225 طالب وزعت عليهم استمارة استبيان مكونة من 30 سؤال. وفيما يلي جدول يوضح عدد الطلبة حسب التخصصات:

جدول رقم 01: يبين عدد طلبة الماستر حسب التخصصات

المجموع	تخصص الماستر
30	علم الاجتماع الثقافي والحضري
24	التنمية والسكان
40	الفلسفة
40	التاريخ
38	السمععي البصري
172	المجموع

المصدر: إحصائيات الكلية للموسم الجامعي 2013/ 2014

2. منهج الدراسة:

يعد المنهج الأساس الأول الذي تبنى عليه أي دراسة علمية، إذ تتم بموجبه المعالجة الميدانية للبحث على اعتبار أن المنهج هو: الكيفية أو الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسة المشكلة موضوع البحث، وهو يجيب على الكلمة الاستفهامية كيف؟

وفي ضوء هذه الدراسة بدا من الواضح استخدام المنهج الوصفي لما له من ارتباط بالموضوع في قدرته على كشف الحقائق المطلوبة، وتصنيف البيانات، وتحليلها تحليلًا دقيقًا وموضوعيًا، يهدف إلى معرفة مدى تأثير أجهزة وسائل الإعلام على الجمهور مركزين أساسًا على شبكة الانترنت وتأثيرها على ثقافة الطالب الجامعي.

3. أداة الدراسة:

الاستبيان:

قمنا في هذه الدراسة بالاعتماد على الاستمارة في جمع المعلومات من المبحوثين، وقد صممت بناء على تساؤلات الدراسة ومؤشراتها.

وقد وجهت الاستمارة كما سبق وأن أشرنا إلى طلبة الماستر بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة عباس لغرور خنشلة كفئة مبحوثين قصد معرفة طبيعة التأثير الذي تتركه الانترنت على ثقافة الطالب الجامعي وهويته. وقد احتوت على 30 سؤال موزعة على أربعة محاور مرتبطة بالفرضيات السابقة الذكر.

4. مناقشة النتائج النهائية للدراسة:

مناقشة النتائج في ظل الفرضية الأولى:

بالنسبة للفرضية الأولى المتعلقة بازدياد الوعي الثقافي للطلاب الجامعي كلما ازداد إقباله على الانترنت، وضحت البيانات الاحصائية أن معظم الطلبة ليسوا على وعي كاف بالاستخدام الصحيح لهذه الوسيلة الإعلامية إذ نجد نسبة متفاوتة بين الاجابات الإيجابية والإجابات السلبية، حيث اتضح أن هناك فئة معتبرة من هذه الشريحة الشابة (71%) نذهب إلى أنه في بعض الأحيان تزيد الانترنت من وعي الطالب وتنميته مما يجعله يتحكم أكثر في مختلف الأمور التي تعترضه.

كما وضحت المعطيات الكمية أن نسبة (67%) من المبحوثين تؤكد على أن الانبهار بالثقافة الغربية يجعل الفرد في بعض الأحيان يتخلى عن مبادئه وسلوكاته القديمة وذلك بسبب اكتساب عادات وسلوكات جديدة، مما يؤدي به إلى التخلي عن بعض العادات والقيم واستبدالها بعادات جديدة، في حين تنفي نسبة (33%) من إجمالي الطلبة المبحوثين هذا الانبهار بالثقافات الغربية.

ومن خلال إجابات المبحوثين دائما تبين أن النسبة الغالبة (79%) ترى أن قيمة الثقافة المكتسبة عبر الشبكة العنكبوتية مفيدة بالنسبة للطالب، وقد تكون العكس ودون جدوى عندما لا توظف في إطارها الصحيح.

مناقشة النتائج في ظل الفرضية الثانية:

بالنسبة للفرضية الثانية المتعلقة بتأثير الانترنت على الهوية الثقافية للطالب وقيمه الاجتماعية أثبتت المعطيات الكمية أنها محققة، غير أن تأثيرها الإيجابي أكثر من تأثيرها السلبي، فالطالب يحاول دائما المحافظة على مبادئه وأخلاقه من خلال استخدامه لهذه الوسيلة الإعلامية.

وقد وضحت لنا الاحصائيات أن هناك نسبة (55%) من الطلبة تؤكد أن الانترنت لها تأثير متوسط على ثقافة الطالب الجامعي، ونسبة (32%) تقر بأن للانترنت تأثير قوي على ثقافة الطالب الجامعي، في حين نجد نسبة (12.5%) ترى بأن الانترنت تؤثر تأثيرا ضعيفا على ثقافة الطالب الجامعي خاصة عندما يكون هذا الأخير على وعي تام بالاستخدام الأمثل لها.

مناقشة النتائج في ظل الفرضية الثالثة:

بينت النسب الإحصائية للفرضية الثالثة أن الطالب الجامعي يحاول دائما أخذ الأمور الإيجابية من الانترنت، وقد أكد لنا الطلبة المبحوثين أنهم يحاولون دائما التعامل مع الانترنت وما يكتسبونه من معرفة عبرها بما يتوافق ومبادئهم وقيمهم الإسلامية.

وتؤكد النتائج الكمية المحصل عليها أن معظم الطلبة يرون أنه من الضروري أن يكون التعامل مع الانترنت في وقتنا الراهن تعاملًا حذرًا يتوافق ومقومات المجتمع الجزائري المسلم نسبة (34 %) بينما يرى البعض أن المسألة نسبية، إذ لا يستطيع الطالب في ظل هذا الزخم الهائل من المعلومات أو الاختراق الثقافي بتعبير أدق أن يتحكم في الأمور خاصة في غياب الوعي والتنشئة الاجتماعية الصحيحة، وهو الأمر الذي أكدته العديد من الدراسات التي بينت أن ما تتضمنه برامج البث الفضائي والانترنت من قيم مادية تضع الفرد في موقف مقارنة بين واقعه الذي يعيشه، وما يراه من نماذج للحياة المتطورة في الغرب مما يجعله في حالة صراع نفسي مما يولد لديه اضطرابات سلوكية كثيرة ومتنوعة كالاعترا ب مثلاً.

خاتمة:

إن ما نختتم به قولنا هو أن وسائل الاتصال الحديثة ومن ضمنها الانترنت أصبحت إحدى العوامل الرئيسة في حدوث التغيير الثقافي والاجتماعي، إلا أن هذه الوسائل قد تكون سلاحاً فتاكاً لقيم المجتمع ومبادئه، كما أنها في الوقت نفسه قد تكون مدعماً للهوية والتراث وتحت على التمسك بهما. لذا يجب أن نؤكد على أن هذه الوسائل لا تستطيع أن تفعل فعلها المؤثر لو كان هناك استعمال ملائم ومناسب لها.

فالمسألة باتت تتعلق بكيفية تصرف الفرد المستخدم لهذه الوسيلة، باعتبار أن الشباب هم من يتحكمون بها ويديرونها، وبات الأمر متعلقاً بتصرفاتهم من خلال اختيارهم للبرامج الضارة والنافعة.

التوصيات:

إن ما يمكن أن نستخلصه من النتائج الميدانية السابقة أن الانترنت غيرت الكثير من المفاهيم والاستخدامات في مجال الإعلام والاتصال، وهو ما لفت انتباه الطلبة، لهذا فإن الانترنت بقدر ما لها من إيجابيات، لها أيضاً سلبيات على الساحة الإعلامية والثقافية والاقتصادية والنفسية.

وعليه، وتأسيساً على النتائج السابقة توصي الدراسة بما يلي:

1. يجب على الطالب الجامعي التوجه إلى المواقع التي تمد بالإنتاج الفكري، وتعدد مصادر المعلومات وتنوع أشكالها وتصنيفها، بدلاً من توجهه إلى المواقع التي تبث آخر صيحات الموضة والكليبات، والمواقع الإباحية التي تؤدي به إلى التخلي عن مبادئه ومعتقداته واكتساب عادات غريبة لا صلة لها بالمجتمعات العربية والإسلامية. فأضرارها أكثر من منافعها يجب الابتعاد عنها وعدم الاهتمام بها.

2. إن الاهتمام الكبير بالانترنت من طرف الطالب والشباب والمراهقين بصفة عامة يؤدي إلى خلق بعض العوائق الاجتماعية والثقافية والأخلاقية والاقتصادية. إذن يمكن أن نقول أن الانترنت سلاح ذو حدين يمكن الاستفادة منها في الخير ويمكن تسخيرها في الشر والفساد، فالدخول إلى مقاهي الانترنت وتوفر الخدمة في المنزل يخلق فضولا كبيرا بالدخول إلى مواقع مختلفة منها ما يمكن تجنبها ومنها ما يمكن الابتعاد عنها نهائيا.

3. إنه من الضروري إقامة نوع من الضبط والرقابة على مقاهي الانترنت وعدم الترخيص إلا لمن لديه خلفية علمية وثقافية وأخلاقية، لأن القليل فقط ممن يترددون على هذه المقاهي ويستغلونها لتحقيق فوائد تربوية ومعنوية ومعرفية.

4. يجب توعية مستخدمي الانترنت بأضرارها على منظومة القيم والأخلاق وانتشار الفساد والرذيلة والجريمة في المجتمع، بالإضافة إلى إلزام مقاهي الانترنت باستخدام برامج الفلترة للمواقع السيئة والفاصلة مع إزالة الغرف الفرد في هذه المقاهي وأن تكون جميع الأجهزة مفتوحة حتى يمكن مراقبتها.

الهوامش:

1. محمد منير سعد الدين: قراءة في الإعلام المعاصر والإسلامي، دار بيروت المحروسة، لبنان، ط2، 1998، ص 153.
2. محمد محفوظ: تكنولوجيا الاتصال، دار المعرفة الجامعية، لبنان، 2005، ص 143.
3. حسين محمد نصر: الانترنت في العالم، مكتبة الفلاح للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص 64.
4. رأفت نبيل علوه: شبكات الاتصال، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص 104.
5. رضا عبد الواحد أمين: الصحافة الالكترونية، دار الفجر للنشر والتوزيع، الزهة الجديدة، القاهرة، مصر، ط1، 2007، ص 67.
6. محمد علي محمد: الشباب العربي والتغير الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د ط، 1987، ص 92.
7. محمد بن عبد الرحمن ضيف: كيف تؤثر وسائل الإعلام، مكتبة العبيكان، الرياض العليا، ط2، 1998، ص 64.
8. باسمه يونس: دور وسائل الإعلام في إنتاج ثقافة بحثية، نقلا عن كتاب ندرة الثقافة العربية، د.ت، ص 195.
9. منا نحاس: ثقافة الانترنت وأثرها على الشباب، دار الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة، الأردن، د ط، 2006، ص 156.
10. باسمه يونس، مرجع سابق، ص 497.
11. فلاح جابر الغراي: وسائل الاتصال الحديثة ودورها في إحداث التغير الاجتماعي، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، المجلد 8، العدد 2، العراق، 2009، ص 212.
12. نزار الرئيس: التعايش مع التكنولوجيا، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، مصر، 2012، ص 67.

قائمة المراجع

1. باسمه يونس: دور وسائل الإعلام في إنتاج ثقافة بحثية، نقلا عن كتاب ندرة الثقافة العربية، د.ت.
2. حسين محمد نصر: الانترنت في العالم، مكتبة الفلاح للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2003.
3. رأفت نبيل علوه: شبكات الاتصال، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007.
4. رضا عبد الواحد أمين: الصحافة الالكترونية، دار الفجر للنشر والتوزيع، التزهة الجديدة، القاهرة، مصر، ط1، 2007.
5. فلاح جابر الغرابي: وسائل الاتصال الحديثة ودورها في إحداث التغير الاجتماعي، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، المجلد 8، العدد 2، العراق، 2009.
6. محمد بن عبد الرحمن ضيف: كيف تؤثر وسائل الإعلام، مكتبة العبيكان، الرياض العليا، ط2، 1998.
7. محمد علي محمد: الشباب العربي والتغير الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د ط، 1987.
8. محمد محفوظ: تكنولوجيا الاتصال، دار المعرفة الجامعية، لبنان، 2005.
9. محمد منير سعد الدين: قراءة في الإعلام المعاصر والإسلامي، دار بيروت المحروسة، لبنان، ط2، 1998.
10. منا نحاس: ثقافة الانترنت وأثرها على الشباب، دار الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة، الأردن، د ط، 2006.
11. نزار الرئيس: التعايش مع التكنولوجيا، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، مصر، 2012.

العلاقة بين الضغوط المهنية وممارسة السلوك الصحي لدى عمال الإدارة.

أ. عيادي نادية

أ.د. جبالي نور الدين

جامعة الحاج لخضر باتنة

التخصص: علم نفس الصحة

الملخص:

الهدف من هذه الدراسة هو معرفة العلاقة بين الضغوط المهنية والسلوك الصحي لدى عمال الإدارة الجامعية، كما تسعى الدراسة أيضا لمعرفة مدى انتشار الضغوط المهنية ومدى ممارسة السلوك الصحي لديهم. تضمنت عينة البحث 77 عاملا من جامعة العربي بن مهيدي بأم البواقي باعتبار أن عمالها يعانون من مجموعة من الضغوط المهنية. ويتبع المنهج الوصفي تم تطبيق مقياس للضغوط المهنية واستبيان للسلوك الصحي على أفراد العينة وتم تحليل البيانات باستخدام المتوسط الحسابي والانحراف المعياري، ومعامل الارتباط لبيرسون. أظهرت نتائج الدراسة أن:

- يعاني عمال الإدارة الجامعية من الضغوط المهنية بمستوى مرتفع.
 - يمارس عمال الإدارة الجامعية السلوك الصحي بنسبة منخفضة.
 - توجد علاقة عكسية بين الضغوط المهنية و السلوك الصحي لدى عمال الإدارة الجامعية فزيادة الضغوط المهنية تنخفض ممارسة السلوك الصحي.
- تؤكد هذه النتائج على ضرورة القيام بمزيد من الدراسات والأبحاث حول الضغوط المهنية من اجل وضع وتصميم بعض الطرق والاستراتيجيات للحد من الضغوط المهنية التي يتعرض لها عمال الإدارة الجامعية وانعكاساتها السلبية على صحتهم النفسية والجسمية وبالتالي على مردودية العمل برمتها.
- الكلمات المفتاحية: الضغوط المهنية، الصحة، السلوك الصحي

Abstract:

The current study aimed to identify the relationship between professional stress and health behavior on workers university administrations, also aimed to identify professional stress level and practice level of health behavior.

The study simple consist of 77 workers university administrations in university of Larbi Ben Mhidi on Oum El Bouagui using two tools professional stress scale, and health behavior questionnaire. The data try by mean, deviation and conficience Pearson correlate.

The result showed that there is high level of professional stress on workers university administrations and median level practice of health behavior.

There is also a significant negative correlate between the professional stress and health behavior on workers university administrations.

In the light of the findings of the current study, researchers recommended the need to develop and design some of the ways and strategies to reduce the professional stress of workers university administrations and their negative effects on the mental and physical health.

مقدمة:

يعتبر الضغط النفسي من المواضيع العلمية الحديثة التي شغلت اهتمام عد كبير من الباحثين والأطباء منذ أكثر من نصف قرن ، ذلك لان الحياة اليوم ازدادت تعقيدا و قوة و ازدادت مطالبها وحاجاتها، ما اضطر الفرد السعي لمواكبة هذا التسارع الذي نتج عنه الضغط على النفس و تحميلها أكثر من طاقتها لان زيادة الضغوط بكل أنواعها هي نتيجة التقدم الحضاري المتسارع، التي أدت إلى استنزاف الطاقات الذي ينعكس على الحالة النفسية العقلية وعلى الحالة النفسية⁽³⁾ .

والضغوط هي مفهوم يشير إلى درجة استجابة الفرد للأحداث أو المتغيرات البيئية في حياته اليومية، وهذه المتغيرات قد تكون مؤلمة تحدث بعض الآثار الفيزيولوجية التي تختلف من فرد لآخر. وهي تكمن في سوء استجابة الفرد و سوء مواجهته لمطالب المحيط والتي تؤدي بدورها إلى سوء تكيف و توافقه مع مطالب الحياة^(10، ص46)، ومن ابرز تلك الضغوط نجد الضغوط المهنية التي تعد من أهم أنواع الضغوط ذلك لان الظروف الداخلية لدى العامل هي السبب الفعال في التعرض للإصابة إضافة إلى الظروف الخارجية في العمل (علاقات العمل، أجور العمل، وسائل النقل...) والظروف الفيزيائية (الحرارة، التهوية، الإضاءة...) كلها مجتمعة تسبب ضغوطا عالية تعيق إنتاجية العامل و تؤدي إلى بعض الحوادث و الإصابات و قد تؤدي إلى أمراض. فهي حمل زائد على الفرد في مجال العمل يستلزم منه تطوير استراتيجيات جديدة من شأنها تقليل هذا العبء أو الحمل^(3، ص180). لذا توسعت دائرة اهتمام الباحثين بمجال الضغوط المهنية خاصة ذلك لان أثاره و نتائجه الصحية أصبحت تبرز في حياة الإنسان من خلال مشاكل صحية عديدة كالصداع و صعوبات في النوم. حيث تبين أن الضغط متغير نفسي اجتماعي مؤثر في الصحة.

فعدة دراسات تبين ارتباط ضغوط العمل الشديدة بارتفاع ضغط الدم ومستوى الكوليسترول في الدم والتي تؤدي إلى أمراض القلب والاضطرابات المعوية والتهاب المفاصل وأن أغلب الرجال الذين يكونون عرضة للضغوط هم أكثر الناس إصابة بالنوبات القلبية وأمراض مزمنة أخرى كالسكري والقرحة المعدية⁽¹⁾...

ذلك لان تعرض الفرد للضغوط المهنية يجعله يتهاون في الاعتناء بصحته حيث نجده نادرا ما يداوم على السلوك الصحي الذي له دور هام في الوقاية من الأمراض، و بالتالي قيامه بسلوكات صحية غير سليمة كالتدخين و التغذية غير الصحية والنشاط البدني وتناول المخدرات التي تزيد من خطر الإصابة بالأمراض المزمنة بفعل ممارستها بصفة نمطية، و لعل أكثر العمال عرضة للضغوط هم عمال الإدارة الجامعية نتيجة تراكم العمل لديهم و لساعات العمل الطويلة... مما يجعلهم أكثر فئة تتهاون في الاعتناء بصحتها .

ونظر للأهمية البالغة لسلوك الصحي في الوقاية والحد من الأمراض ، و نظرا لان الضغوط النفسية وبالتحديد المهنية تؤثر على صحة الفرد من خلال قهوانه في ممارسة السلوك الصحي ، جاءت هذه الدراسة لمعرفة مدى تأثير الضغوط المهنية على ممارسة العامل الإداري للسلوك الصحي ، من خلال طرح التساؤل التالي:

ما العلاقة الكامنة بين الضغوط المهنية و مدى ممارسة العامل الإداري للسلوك الصحي؟

ولكن قبل الإجابة على هذا التساؤل لابد من معرفة أولا:

مامدى انتشار الضغوط المهنية لدى عمال الإدارة الجامعية؟ وما مدى ممارستهم للسلوك الصحي؟
وتسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- معرفة مدى انتشار الضغوط المهنية لدى عمال الإدارة الجامعية.
 - معرفة مدى ممارسة السلوك الصحي من قبل عمال الإدارة الجامعية.
 - معرفة مدى تأثير الضغوط المهنية على ممارسة السلوك الصحي لدى عمال الإدارة الجامعية.
- وتكمن أهمية الدراسة في:
- إلقاء الضوء على مجموعة من الضغوط المهنية التي يعاني منها العامل بالإدارة الجامعية .
 - فتح المجال للمزيد من الدراسات للبحث في مثل هذه المواضيع .
 - التعريف بموضوع السلوك الصحي و أهميته.

مفاهيم البحث:

1-الضغوط المهنية:

تعريف الضغط النفسي:

يعرف سيلبي الضغوط بأنها مجموعة أعراض متزامنة مع التعرض لموقف ضاغط .
و عرفها ميكانيك بأنها تلك الصعوبات التي يتعرض لها الكائن البشري بحكم الخبرة و التي تنجم عن إدراكه للتهديدات التي تواجهه .

أما فيري فيرى بأنها تغير داخلي أو خارجي من شأنه أن يؤدي إلى استجابة انفعالية حادة و مستمرة (7،ص118).
وهو كما عرفه غريب عبد الفتاح غريب (1999) الاستجابة الفيزيولوجية و النفسية و السلوكية للفرد الذي يسعى إلى أن يتوافق مع كل الضغوط الداخلية و الخارجية.

فالضغط النفسي هو استجابة الفرد النفسية، الفيزيولوجية و السلوكية للأحداث التي يتعرض لها في حياته اليومية ، و تمثل الاستجابة النفسية للأحداث الضاغطة في الإجهاد الذهني و الإحساس بالقلق والاكتئاب والشعور بالشدة. أما الاستجابة الفيزيولوجية فتتسم بإفرازات لبعض الهرمونات المنشطة للوظائف الفيزيولوجية الضرورية لمواجهة الأخطار التي قد يتعرض لها الإنسان مثل هرمون الأدرينالين و الكورتيزون... (10، ص45)

ضغوط العمل:

وهي المواقف التي تكون فيها متطلبات البيئة أو ما يطلب من الفرد القيام به على درجة اكبر من الإمكانيات الذاتية و القدرات الخاصة للفرد ، فلا يستطيع أداء العمل المطلوب على أكمل وجه فيشعر بالضغط و يعتمد مستوى الضغط الحادث على مدى إدراك الفرد للفشل في مواجهته لتلك المتطلبات (9) .

هي تعبير عن حالة من الإجهاد العقلي أو الجسدي و تحدث نتيجة للحوادث التي تسبب قلقاً وإزعاجاً أو تحدث نتيجة لعوامل عدم الرضا أو نتيجة للصفات العامة التي تسود بيئة العمل أو أنها تحدث نتيجة للتفاعل بين هذه المسببات جميعاً (4،ص164).

ويرى بارون (أن ضغوط العمل تدل على حالتين مختلفتين الأولى تشير إلى الظروف البيئية التي تحيط بالفرد في بيئة العمل ويطلق على هذا مصادر الضغوط أما الحالة الثانية فإنها تشير إلى ردود الفعل (Baron,1986 الداخلية التي تحدث بسبب هذه المصادر (11،ص25).

آلية الاستجابة للضغوط:

تعد الضغوط الداخلية أو الخارجية مثيرات لا بد أن يستجيب لها الإنسان استجابات مختلفة تبعاً لخصائصه من جهة وطبيعة تلك الضغوط وشدتها من جهة أخرى ويمكننا تقسيم الاستجابات إلى:

أ- استجابات إرادية:

وهي تلك التي يعيها الفرد، ويشعر إزاء وقوعها برد فعل مثل استجابته بتخفيف ملابسه عند الإحساس بارتفاع درجة الحرارة أو ارتداء ملابس أخرى عند الإحساس بالبرد.

ب- استجابات لا إرادية:

وهي ردود فعل بعض أجهزة الجسم التي يصعب التحكم بها مثل الارتجاف عند التعرض لموقف لا يستطيع التحكم فيه، أو التعرق بسبب الخجل ويمكن تقسيم الاستجابة إلى:

* عضوية:

مثل التنبهات الهرمونية وإفرازات بعض الغدد وفعاليات الجهاز السمبثاوي المسؤول عن أمن الجسم تلقائياً من حيث السيطرة على جميع أجهزته الحيوية اللاإرادية مثل الجهاز الدوري والتنفسي وجهاز الغدد والجلد الذي يعمل وقت تعرض الجسم للخطر (ضغط خارجي أو داخلي) وهو يعلن ما يشبه حالة الطوارئ وذلك بتجهيز طاقاته ووضعها في أعلى درجات الاستعداد، وكذلك الجهاز الباراسمبثاوي، حيث العمل بالاتجاه المعاكس للسمبثاوي بإبطاء أو كف عمل بعض أجهزة الجسم.

* نفسية:

كافة الاستجابات التي يتحكم أو لا يتحكم بها الفرد في الموقف المحدد وهي:

أولاً: العمليات المعرفية..

والتي تمثل العمليات العقلية مثل التفكير. بمعطيات الضغط ومسبباته، وكذلك تقييم الضغط الموجود ثم الوصول إلى معرفة الضغوط دون القيام بفعل ما.

* السلوكية:

وهي الاستجابات التي يلجأ إليها الفرد تحت وطأة الضغوط، تلك الاستجابات التي يمكن ملاحظتها. والاستجابة للضغوط لا تقتصر على الكائن البشري، بل إنها موجودة عند الحيوانات أيضاً. لذا فإن أي ضغوط يتعرض لها الإنسان لا تؤثر في أجهزة الجسم كلها، بل على قسم منها، إذ قد يتأثر أحدها بشدة، بينما لا يكاد يتأثر الآخر أبداً (6،ص102)

آثار ضغوط العمل:

لضغوط العمل آثار عدة من بينها:

- آثار ذاتية (غير موضوعية) مثل العدوانية، اللامبالاة، القلق، الضجر، الإعياء والتعب، الإحباط.
- آثار سلوكية مثل تناول المخدرات المسكرات، الإفراط في الأكل والشرب .
- آثار ذهنية(معرفية) مثل عدم القدرة على اتخاذ قرارات صائبة و عدم القدرة على التركيز .
- آثار صحية و فيزيولوجية مثل آلام الصدر الظهر، آلام القلب.
- آثار تنظيمية مثل الغياب، ضعف الولاء التنظيمي و ضعف الأداء و عدم الرضا⁽²⁾.

2- تعريف السلوك الصحي:

توجد عدة تعاريف للسلوك الصحي من بينها:

تعريف فوشمان:

يرى أن السلوك الصحي يتمثل في عزو الفرد لمعتقداته ، توقعاته ، اندفاعاته ، إدراكاته ، عناصر معرفية و شخصية أخرى ، التي من شأنها أن تساعد في الحفاظ على الصحة ، تجديدها و تحسينها ^(12، ص10) . يعرف سرافينو السلوك الصحي على أنه :

أي نشاط يمارسه الفرد بهدف الوقاية من المرض أو لغرض التعرف على المرض أو تشخيصه في المرحلة المبكرة ^(10، ص20) .

يعود السلوك الصحي إلى نشاطات الأفراد، الجماعات، المنظمات لتحسين استراتيجيات المواجهة للمرض ، وتعزيز جودة الحياة ^(14، ص10)

وهو تصورات اجتماعية ، نفسية و اقتصادية لأي أشكال سلوك الإنسان توضح تحفيز وتخريض الفرد أو الجماعة لتحسين صحتهم، الوقاية من المرض والتشخيص أو الشفاء من المرض ^(13، ص24) .

يلاحظ اتفاق فوشمان و سرافينو على أن السلوك الصحي يهدف إلى الحفاظ على الصحة، الوقاية و تحسين الصحة .

لهذا يمكن القول أن السلوك الصحي هو كل سلوك يمارسه الفرد بناء على اعتقاداته، إدراكاته و توقعاته بهدف الحفاظ على الصحة، الوقاية من المرض، التشخيص، تحسين و ترقية الصحة.

و يعرف السلوك الصحي إجرائيا بأنه تلك النشاطات المتضمنة عادات التغذية، مستويات النشاط و التمارين الرياضية، استهلاك الكحول التدخين و المخدرات، استخدام حزام الأمن، الممارسات الجنسية، عادات السياقة أو تبني عادات صحية وقائية و تقبل النصائح ^(15، ص205) .

- أنماط السلوك الصحي:

السلوك الصحي: (Sarafino) قسم سرافينو

1- البعد الوقائي (Illnes Préventive):

يتضمن الدراسات التي من شأنها أن تحمي الإنسان من خطر الإصابة بالمرض كالحصول على التلقيح ضد مرض معين مثلاً أو مراجعة الطبيب بانتظام لإجراء الفحوص الدورية

2— بعد الحفاظ على الصحة (Health maintenance):

يشير إلى الممارسات الصحية التي من شأنها أن تحافظ على صحة الفرد بالإقبال على الأكل الصحي مثلاً أو تنفيذ سلوكيات صحية أخرى منصوص بها.

3— بعد الارتقاء بالصحة (Health Promotion):

يشير إلى الممارسات الصحية التي من شأنها أن تحافظ على صحة الفرد و الارتقاء بها إلى أعلى مستويات ممكنة من خلال النشاط البدني و ممارسة الرياضة بشكل منتظم (10، ص20-21).

الدراسة الميدانية:

بعد استكمال الجانب النظري للبحث و اعتماداً على التراث النظري والنظريات الخاصة بموضوع البحث، واستناداً إلى مجموعة من الدراسات التي تناولت متغيرات البحث، قامت الباحثة بتصميم مقياس للضغوط المهنية ارتكازاً على بعض العوامل المسببة للضغوط مثل: عدد ساعات العمل، العلاقات في العمل، الأجر، بيئة و ظروف العمل، طبيعة العمل وتم عرض الصورة الأولية للمقياس على مجموعة من المحكمين ونفس الشيء بالنسبة للسلوك الصحي.

فبالاطلاع على استبيان السلوك الصحي لسامر جميل رضوان وعلى دراسة أحمد عبد السلام بالأردن لبناء مقياس السلوك الصحي تم تصميم استبيان أولي للسلوك الصحي بناءً على ثلاث محاور هي:
— بعد الحفاظ على الصحة. — بعد الوقاية. — بعد الارتقاء بالصحة.

و بناءً على هذا تم تعديل الصورة الأولية للمقياسين و بعدها صيغت الصورة النهائية لهما فأضحى مقياس الضغوط المهنية يتكون من 32 عبارة، واستبيان السلوك الصحي يتكون من 45 عبارة .

أ— منهج الدراسة:

المنهج هو مجموعة من القواعد التي يتم وضعها بقصد الحصول على الحقيقة في العلم، أي أنه الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة لاكتشاف الحقيقة، و المناهج أو طرق البحث تختلف باختلاف المواضيع، و لهذا توجد أنواع من المناهج العلمية (8، ص83).

و باعتبار موضوع الدراسة يتعلق بمعرفة مدى تأثير الضغوط المهنية على ممارسة السلوك الصحي ومدى انتشار كل منهما فإن أنسب منهج يمكن استخدامه هو المنهج الوصفي، الذي يهتم بجمع أوصاف دقيقة علمية للظواهر المدروسة و وصف الوضع الراهن و تفسيره، وكذلك تحديد الممارسات الشائعة و التعرف على الآراء، المعتقدات ، الاتجاهات عند الأفراد والجماعات، وطرائقها في النمو والتطور، كما يهدف أيضاً إلى دراسة العلاقات بين الظواهر.

ب- عينة الدراسة و خصائصها :

تم اختيار عينة البحث بطريقة عرضية من جامعة العربي بن مهيدي بأم البواقي وكان العدد الإجمالي للعينة 77 عاملا (56 عاملا، 21 عاملة) باعتبار أن عمالها يعانون حقا من مجموعة من الضغوط نظرا لموقع الجامعة المتواجد خارج المدينة ولأنها لا تحتوي على أي من المرافق الضرورية (مطعم، نادي...) إضافة إلى أن الباحثة تقطن بالقرب من الولاية.

ج- أدوات الدراسة:

1- مقياس الضغوط المهنية:

قامت الباحثة بتصميم مقياس للضغوط المهنية تضمن 32 عبارة، وتضمنت بدائل الإجابة خمس اقتراحات هي كالآتي: تنطبق علي دائما، تنطبق علي، تنطبق علي أحيانا، لا تنطبق علي، لا تنطبق علي أبدا.

* صدق المقياس: معنى الصدق أن المقياس يقيس فعلا ما صمم لقياسه، وقد حسب الصدق بطريقة المقارنة الطرفية والذي أظهر أن المقياس على يميز تمييزا كبيرا بين الحاصلين على الدرجات المرتفعة وبين الحاصلين على الدرجات المنخفضة حيث كانت قيمة ت المحسوبة تساوي 12.4 وهي دالة عند مستوى 0.01.

* ثبات المقياس: حسب ثبات الاختبار باستخدام معامل ألفا لكرونباخ الذي وجد انه يساوي 0.49 وهي درجة تدل على أن المقياس ثابت.

كما حسب الثبات بطريقة التجزئة النصفية وكان معامل الارتباط لجيتمان يساوي 0.49 وتم تعديله بمعادلة سيرمان براون فبلغ 0.65 وهذا يؤكد بأن المقياس ثابت.

2- استبيان السلوك الصحي:

قامت الباحثة بتطبيق استبيان السلوك الصحي وقد تضمن في صورته النهائية 45 بنداً، وتضمنت بدائل الإجابة ثلاث اقتراحات هي: نعم، أحيانا، لا.

حسبت الخصائص السيكمترية للمقياس كالآتي:

صدق الاستبيان:

للتأكد من صدق الاستبيان تم توزيعه على (4) أربع أساتذة من قسم علم النفس و علوم التربية بجامعة باتنة بهدف استطلاع آرائهم بخصوص العبارات و تمثيلها لفئات الاستبيان ، تسمى هذه الطريقة بصدق المحكمين.

بعد حساب النسب المئوية لصدق المحكمين للمقياس

دل على أن الاستبيان يقيس ما أعد لقياسه بنسبة 93.85.

* حساب الصدق بتطبيق معادلة لوشي لحساب صدق المحكمين:

$$ص = (نو - ن/2) / (ن/2)$$

من خلال تطبيق معادلة لوشي على عبارات الاستبيان تبين أنها صادقة حيث أن ص تساوي أو أكبر من 0.5 في جل العبارات.

* حساب صدق الاتساق الداخلي:

وكان هذا بحساب معامل الارتباط بين علامة كل بند والعلامة الكلية للاستبيان، وأظهرت النتائج أن معاملات الارتباط كلها دالة عند 0.01 والبند الثلاثة الأولى دالة عند 0.05 وهذا يعني أن بنود الاستبيان صادقة.

- ثبات الاختبار:

حسب ثبات الاختبار باستخدام معامل ألفا لكرونباخ الذي وجد انه يساوي 0.99 وهي درجة تعني أن الاستبيان ثابت بدرجة جيدة.

3- المقاييس الإحصائية:

تحتاج كل دراسة إلى أساليب و تقنيات إحصائية معينة تتناسب مع طبيعة فرضيات البحث التي يسعى الباحث لتحقيقها، و لهذا فهي تختلف باختلاف البحث.

و في هذه الدراسة تم الاعتماد على حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لمعرفة مدى انتشار متغيرات البحث لدى عينة الدراسة وعلى معامل الارتباط لبيرسون لأنه يساعد في معرفة العلاقة الموجودة بين متغيرات البحث ، كما أنه أستخدم لحساب صدق وثبات أدوات الدراسة .

نتائج الدراسة:

1- نتيجة السؤال الخاص بمدى انتشار الضغوط المهنية لدى عمال الإدارة الجامعية ومدى ممارستهم للسلوك الصحي مبينة في الجدول التالي:

المتغيرات	ن	م	ع
الضغوط المهنية	77	112.30	12.50
السلوك الصحي	77	92	11.80

الجدول(01)

يلاحظ من الجدول(01) أن المتوسط الحسابي للضغوط المهنية يساوي 112.30 وهذا يدل على أن أغلب أفراد العينة يعانون من الضغوط المهنية وهذا بدوره قد يكون راجعا إلى المناخ التنظيمي السائد بالجامعة مثل قلة المشاركة في اتخاذ القرارات، عدم إعطائهم صلاحيات تساعد على تسير أمور العمل، كثرة السجلات والأعمال الكتابية الذي يكون سببا مباشرا في التوتر. كما قد يكون راجعا إلى البيئة العامة للعمل وما تتمتع به من كفاءة أو ضعف في التجهيزات والتهوية(عبد الرحمان الطيرري،1994).

وفيما يخص السلوك الصحي فإن المتوسط الحسابي للممارسات الصحية تساوي 92 وهي تدل على ممارسة متوسطة وهذا يعني وجود عوامل تعيق العمال على ممارسة السلوك الصحي.

2- فيما يخص نتيجة التساؤل الخاص بمدى تأثير الضغوط المهنية على ممارسة السلوك الصحي فالنتائج مبينة في

الجدول(02):

المتغيرات	ن	ر	مستوى الدلالة
الضغوط المهنية-السلوك الصحي	77	-0.42	دالة عند 0.05

الجدول(02)

بحساب معامل الارتباط لبيرسون بين الضغوط المهنية والسلوك الصحي تبين وجود ارتباط سلبي بينهما $r = -0.42$ مما يعني أن زيادة الضغوط المهنية تنخفض ممارسة السلوك الصحي وهذا أيضا يتضح من خلال مقارنة المتوسطات الحسابية لكل منهما فارتفاع المتوسط الحسابي للضغوط المهنية يقابلها انخفاض المتوسط الحسابي للسلوك الصحي وهذا ما يتوافق مع نتائج الدراسات السابقة التي أجمعت على أن الضغوط المهنية خاصة تؤثر على الجانب الصحي للفرد حيث أنها تجعل الفرد يتخلى عن الممارسات الصحية ويتبنى ممارسات أخرى غير صحية. لذا توجد بعض الأمراض التي ترتبط بالضغوط، حيث يكون المستوى المرتفع من الضغوط مصحوب بضغط الدم المرتفع، والمستوى المرتفع من الكولسترول الذي يؤدي إلى أمراض القلب، و أمراض الجهاز الهضمي والجهاز العصبي كما تشير الدراسات إلى أنه من المحتمل وجود علاقة بين الضغوط والسرطان (Cranwell Ward 1987, Luthans 1992).

الخلاصة:

أن الهدف من الدراسة هذه هو معرفة العلاقة بين الضغوط المهنية و مدى ممارسة السلوك الصحي لدى عمال الإدارة الجامعية حيث تبين أن هذه الفئة من العمال تعاني من مجموعة من الضغوط راجعة لبيئة و طبيعة العمل من جهة وإلى العامل من جهة أخرى، كما وجد بأنه لهم ممارسة ضعيفة للسلوك الصحي، وهذا يدل على عدم اهتمامهم بمثل هذه السلوكيات التي لها دور جد هام في الوقاية والحد من الأمراض والحفاظ على الصحة. كما أظهرت الدراسة وجود علاقة سلبية بين الضغوط المهنية وممارسة السلوك الصحي أي كلما زادت الضغوط قلت الممارسات الصحية والعكس صحيح، فمعاناة الفرد من الضغوط المهنية يجعله يتهاون في الاعتناء بصحته مما يزيد من فرص الإصابة بالأمراض المزمنة، مما ينبغي على المسؤولين والباحثين الاهتمام بهذا الجانب من أجل السعي لتخفيض مستوى الضغوط المهنية وأيضاً العمل على نشر الثقافة الصحية بين الناس لتوعيتهم بأهمية السلوك الصحي وهذا من أجل الوصول إلى مستوى جيد من الصحة النفسية والجسدية.

قائمة المراجع:

- 1- الجاسم ليلي. اثار الضغوط النفسية على صحة القلب.
www.moh.gov.kw 30.10.2010.
- 2- الدبيحي حسام. دراسة بعض الضغوط النفسية وعلاقتها ببعض المتغيرات لمعلمي المرحلة الابتدائية في غزة.
www.hossam.elaphblog.com
- 3- الشبراوي محمد، الانور محمد(2003). ضغوط مهنة التدريس، مجلة علم النفس العدد 148.
- 4- الطريري سليمان عبد الرحمان (1994). الضغط النفسي، مفهومه، تشخيصه، طرق علاجه ومقاومته، الرياض. ط1
- 5- جرجس ملاك(1983). سيكولوجية الإدارة و الإنتاج الدار العربية للكتاب. تونس.
- 6- زهران حامد عبد السلام(1987). الصحة النفسية و العلاج النفسي . عالم الكتب .مصر.
- 7- عبد الستار إبراهيم(1998). الاكتئاب اضطراب العصر الحديث. عالم المعرفة. الكويت.
- 8- محمد عبد الحفيظ إخلاص(2000). طرق البحث العلمي والتحليل الإحصائي في المجالات التربوية والنفسية والرياضية. مركز الكتاب. مصر.
- 9- ياركندي بنت حامد هانم. ضغوط العمل وعلاقتها بالقيادة التربوية و وجهة الضبط لدى مديرات المدارس. مجلة رسالة الخليج العربي. العدد 89.
- 10- يخلف عثمان(2001). علم نفس الصحة، الأسس النفسية والسلوكية للصحة. دار الثقافة. قطر. ط1.
- المراجع الأجنبية:
- 11- Baron.(1986). Behavior in organization. Boston. 2ed.
- 12-David Gauchman .(1988)Health behaviour. Emerging research perspective. Springer. New York.
- 13- David Gauchman.(1997) .Hand book of health behaviour research, I personnel and social determinants. Springer. New York.
- 14- Karen Glanz Barbara , Rimer and al(2002). Health education and health behaviour theory and practice . Jossey bass. 3edit.
- 15- Jerry Sule, and al.(1982). Social Psychology of health and illness. London.

شعر الحرية والعاطفة في كتابات صالح خرفي

بين نشوة الانتصار وصمت القوافي

د. منصوري عبد الوهاب

كلية الآداب واللغات والفنون

جامعة سيدي بلعباس

ملخص:

الحرية حاجة مقدّسة عند كل شخص وعند الأمم، فحياة بدون حرية لا طعم لها، ولذلك وجدنا عبر التاريخ أن الإنسان أي إنسان وفي أي مكان كان يتصدى وبكل ما يملك من أدوات لكل مغتصب لحرية مفضلا الموت على أن يعيش مكبلا بالأغلال. فعندما تغيب الحرية يغيب الإبداع ويُحاصر ويُخنق.

كيف استقبل الشعب الجزائري عودة حرّيته بعد حرب قاسية مع المستعمر الفرنسي، وبالأحرى كيف استقبل الشعراء هذا الحدث العظيم؟ هل ساير الشعر هذا الحدث؟ هل تراجع دوره؟ ما الذي جعل الشاعر يصمت ولا يساير؟

لماذا غاب شعر العاطفة أيضا، هل الشاعر لم يكن مستعدا نفسيا لهذا النوع من الشعر؟ أم أن الوقت لا يسمح بذلك؟ أم أن الحديث عن المرأة لا يكون إلا ضمن جوّ من الحرية؟

الكلمات المفتاحية:

الشعر - الحرية - الاستعمار - المغتصب - الغياب - الحرب - الشعب - الجزائري - العاطفة - الغزل.

الإنسان مولع بالحرية تواق إليها لا يحلو له العيش إلا ضمن أرجائها وأجوائها. قد تلهيه ضرورات الحياة من الاستمتاع بما حينا، لكنه سرعان ما يعود في طلبها والتصدي لكل مغتصب لها، فهو لا يشعر بقيمتها إلا عند ما يفترقها. كان ذلك حال الجزائري عندما سلبت منه إنسانيته من طرف استعمار لم يضمن لنفسه البقاء إلا بالتضييق وكم الأفواه وخنق الأصوات الحرة الرافضة لوجوده وأساليبه. فهو الذي أنشأ توقا عظيما للحرية وهيأها بها، يتتبع منافذها أينما حلت ويتعلق بتبشيرها كلما لاح في الأفق أمل يقرب أواها. ولم يكن سبيله إليها معبدا ولا سهل المنال. فالأشواك مغروسة أمامه تأبى الذبول بفعل إصرار غارسيها على سقيها بالدماء والجراح. فغدا البحث عنها ((أشبه باليد السحرية تحرك كل شيء ولكنك لا تعثر منها على شيء))¹ إذ أعين المستعمر يقظة ورقابته لصيقة لا تجند المواجهة إلا بالحديد والنار. بيد أن أسلوبه لم يفلح دائما، فقد كانت ثورة نوفمبر آخر عهده بالجزائر، عندما اختارت اللغة التي يعيها المستعمر مرجحة الاستشهاد على ذل العيش.

وقد يكون ذلك سببا في الابتهاج الذي استقبل به الجزائريون يوم الاستقلال الذي وصل ((إلى حد العربة ونشوته المتراقصة في الشوارع وانقضاضه على تماثيل قاده الاحتلال يكبها على مناخرها))² انتقاما ممن سلب حرّيتهم وحطم جسور تلاقيهم بالطبيعة الإنسانية التي لا يمكن أن تتجلى أسمى معانيها إلا في يوم الحرية.

يأتي يوم الاستقلال إذا ليعلن نهاية عهد ارتبط وجوده باحتقار الجزائريين وتفجيرهم وجعلهم لقمة سائغة للأمراض والآفات بشئ أنواعها، وليفتح عهدا جديدا متوجا بمجهودات جبارة، جسدت من خلالها الوله بالحرية والتضحية من أجل امتلاك ناصيتها. ولم تستثن من ذلك التهليل طبقة من المجتمع ولا فرد بغض النظر عن توجهاته وطموحاته الخاصة. فالحرية قاسم مشترك بين البشر لا ينفر منها إلا من كان سببا في انتهاك حقوق الناس فيها. لكن الابتهاج بيوم الحرية لا يمكن أن تكون طريقه واحدة، فكل واحد يختار الأنسب واللائق به، تبعا لميوله السياسية والثقافية.

في مثل هذه المواقف يتراجع دور الشعر فهو لا يستطيع احتواء المستجدات بشكل آن وسريع، وإلا كان نقله لها باهتا. يفتر كلما صار الاستثنائي عاديا، ولعل ذلك ما لاحظته صالح خرفي حين رأى الشعراء لم يحركوا ساكنا عند اندلاع الثورة على الرغم من أنهم كانوا المحفرين الأوائل إليها والمبشرين بانتصاراتها، وهي الملاحظة نفسها التي رصدها لدى الشعراء غداة الاستقلال بل ((ربما كان صمت الشعر في الاستقلال أعمق منه في الانطلاقة)).³ وإذا كان ذلك أمر اعتاد عليه الشعر عبر مساره التاريخي، إذ الشاعر لا يصور الأحداث كما هي، ولا يقوم مقام المؤرخ أو الخطيب، فإن الصمت المطبق في الشعر الجزائري يستدعي طرح مجموعة من التساؤلات للبحث عن سر عدم مسيرة الشعر للحدث في الجزائر بشكل يثير الإعجاب. فقد عهدنا في الآداب العالمية انبهار عدد من الشعراء بالأحداث العظمى وابتهاج الآخرين بها. أما أن يكون الصمت عاما فذاك شأن محير. فهل الشاعر الجزائري أحس أن مهمته قد انتهت بعد أن امتلك الجزائري ما قاوم من أجله، أم أن الابتهاج بيوم الحرية كان أعظم من أن تحتويها كلمات شاعر، فانزوى متأملا إلى أن يحين دوره؟ مرجحا الوقفة الخاشعة من النشوة الطافرة العابرة ((التي تستقبل حريتها بالذكريات الأليمة التي سبقتها ومهدت لها، وعندما يكون بسطاء الشعب في فرحة جارفة بالاستقلال تقبع الذاكرة الواعية في محراب الماضي تناجي أرواح الشهداء ودماء الأبرياء وتستجلي المواقف البطولية الضاربة في أعماق التاريخ والنكسات الوطنية المتعاقبة التي قدر لثورة نوفمبر أن تنهض بها. وكذلك كانت وقفة الشعر يوم 5 تموز 62 وقفه الخشوع والوجوم والصمت)).⁴

لم يجد الشاعر الجزائري إذا بدا من الصمت، فهو سريع التذكر نافر من مجازاة العامة في إعلان غضبه أو تلهيله مسيرة للأحداث والأوضاع، ففرحته لا يمكن أن تكون تامة بمعزل عما يحمله من صور لقوافل الشهداء الذين توالى سقوطهم قربانا للحرية، إنهم حاضرون باستمرار ولا يمكن لحدث الاستقلال أن يترعهم من ذاكرته مهما كانت عظمة ذلك اليوم.

لا يصدر الشاعر في مواقفه عن ردود أفعال وإلا فقدَ سموه عن العادي واندرج في إطار اهتمامات العامة، وصار في دائرة ضيقه لا تخرق الآفاق ولا تعمد إلى التواجد والتوثب؛ وبذلك فالشعر الجزائري لم يكن باستطاعته أن يحمل تجربتين في آن واحد: دماء الماضي القريب ونشوة الحاضر، الأول يدعو إلى التأمل ويحثه على تقدير المجاهدين الذين هم أهل له، والثاني يحفره بشكل قوي للانضمام إلى الابتهاج. وأتى له أن يفعل ذلك والدماء لا زالت ندية وجراح الأرامل واليتامى لم تندمل بعد.

أمام هذا الاختيار الصعب اختار الشاعر الجزائري أن يصمت مطلقاً، بعد أن علم أن دوره تراجع وأن أوان العامة ليمارسوا حقهم الطبيعي في التهليل بالحرية والاستقلال.

إن شعر الثورة وبعده شعر الاستقلال لا يمكن أن يكون هو الشعر الذي يسجل أحداثهما في أوانهما، وإنما هو الذي سيكتب بعدهما بزمن ليس بالقليل. إذ تتطلب العملية الشعرية في مثل هذه الحالات نضوج الفكرة وتمثلها، وأبعادها عن الطابع الجماعي الذي يصدر في الغالب عن طفرة شعورية مرتبطة بالحدث. وبذلك يمكن له أن يتجاوز حماسه ورغبته في التفاعل الطارئ مع المستجدات ليصبح قادراً على التصوير المتميز لبطولات الثورة والاعتداد بأمجادها بصياغة فنية بمقوماتها الأساسية⁵.

ولعل ذلك ما يمنح مصداقية لاعتبارات بعض النقاد من أن شعر الثورة الجزائرية لم يكتب بعد؛ إن الوقفة المتأنية التي تنتظر هدوء الأوضاع وانقشاع الضباب هو الكفيل بإظهار القادرين حقاً على التعبير عن إنجازات الثورة، وهو المحك الحقيقي الذي يظهر تفوق الكلمة عن الحدث أو العكس. وقد ينضاف إلى هذه الأسباب العامة التي لا تخص شاعراً دون غيره؛ إذ هي من طبيعة العمل الشعري ومن خصوصياته، سبباً خاصاً بشعراء الجزائر عندما عكرت صفو فرحتهم "منظمة الجيش السري" التي ظهرت عقب الهزيمة العسكرية التي مني بها الجيش الفرنسي أمام تحديات الشعب الجزائري فانطلقت ((في ساحات المدن وشوارعها في أزمة نفسية خانقه تطلق الرصاص على الرائح والغادي وتشفى الغليل بضربات العشوائية بعد أن خانتها الضربات الهادفة))⁶.

يكشف صالح خرفي مازقا آخر في وجه الشاعر الجزائري الذي لم يتجاوز معادلة الشهداء وفرحة الاستقلال، لتخلق له معادلة أخرى أكثر تعقيداً حين دعي إلى نقل صورة الابتهاج وسط برك من الدماء لازالت المنظمات السرية تقتربها في حق الجزائريين فاختلف لديه ((بسمة النصر بدمعة الشهيد))⁷، ومن ثم لم يجد الشاعر الجزائري من مخرج غير الصمت وذاك ما حاول أن يثبتته صالح خرفي.

إذا كان ما ساقه صالح خرفي سائراً وفق صيرورة الشعر لكن طرحه لم يغلق المنافذ كلها أمام القارئ للولوج إلى دوائر ضيقة من لم يسلط عليه الضوء بشكل كاف. إذ لا يمكن أن يكون الصمت عاماً ولا الحكم المرصود مطلقاً يلغى الاستثناء، وبخاصة أن الناقد لم يشر إلى ضالة النتائج الشعري المفترضة، ولا إلى محدودية الأشعار المصاحبة للحدث. قد يليق الحكم على طبيعتها بالضعف والضحالة. أما أن يصمت الشعراء وهم العاشقون للحرية فذاك أمر يستدعي النظر.

لا يصدر الناقد عبد الله الركيبي من الزاوية نفسها في استعراضه لشعر الاستقلال حين يقر أن الشاعر الجزائري رافق أحداث الاستقلال ويقدم نماذج شعرية تهلل به منذ أن أعلن وقف إطلاق النار.

اليَوْمَ يَنْعَمُ بِالْ كُلِّ شَهِيدٍ * فِي خُلْدِهِ وَيُقِيمُ أَعْظَمَ عِيدِ
وَيَقُولُ كُلُّ نَدَائِي فِي حَفْلِهِ * اليَوْمَ قَدْ حُطِّمَتْ كُلُّ قُيُودِ
اليَوْمَ يَفْتَحِرُ الْأَمِيرُ بَنَسْلِهِ * وَيَقُولُ أَبْنَائِي وَقُوا بَعْهُودِي⁸

والواقع أن الفرحة العارمة التي حفت أرجاء الجزائر لا يمكن أن يتجاوزها الشاعر الجزائري وينتظر زمن النضج الكفيل بمنح شعر متميز يليق بالحدث، بل إن تلك الفرحة قد تكون أعظم شأنًا لدى الشعراء دون غيرهم، باعتبار خصوصياتهم في التعامل مع المستجدات والتفاعل معها. فصار لا مناص من التصوير وبخاصة أنهم وحدهم ((الذين يملكون القدرة على التعبير المبدع عن هذه اللحظة الفريدة وتلك الفرحة الغامرة لحظة ميلاد الشعب من جديد))⁹ كما يحلو لعبد الله الركيبي أن يصف تعانق الفعل الشعوري بالعمل الشعري، لدى شعراء يرى تجاوزهم مع انتهاج شعبهم على غرار ما فعله محمد العيد آل خليفة:

الْيَوْمَ يَذْكُرُ شَعْبُنَا حُرِّيَّةً ** بِالشُّكْرِ مِنْهُ حُرِّيَّةً أَنْ تُذَكَّرَا
بَاغِ النَّفَاسِ وَالنُّفُوسِ مِنْ أَجْلِهَا ** وَبِهَا اشْتَرَى فِي الْعُمُرِ أَغْلَى مَا اشْتَرَى
نَالَ النَّجَاحَ بِهَا وَأَصْبَحَ مُنْجَرًّا ** أَهْدَافَ ثَوَرَتِهِ بِهَا وَمَوْفَرًّا¹⁰

وفي قصيدة أخرى يثبته الناقد عبد الله الركيبي يعبر فيها محمد العيد عن سعادته بالحرية التي أنعم الله بها على الشعب ويوضح فيها أن الكفاح هو الذي أوصل إلى هذه الحرية السعيدة.

وَطَنِي الْمُدَى بِالْكَفَاحِ تَحَرَّرَا ** وَمَصِيرُهُ بَعْدَ النَّجَاحِ تَقَرَّرَا
فَابْنُ الْجَزَائِرِ صَارَ سَيِّدَ أَرْضِهِ ** وَالْعَاصِبُ الْمُحْتَلُّ وَلَّى مُدْبِرًا¹¹

لم يكن محمد العيد آل خليفة الاستثناء الذي يدعم القاعدة، فقد رافقه شعراء آخرون في حمل الفرحة نفسها كفعل محمد الأخضر السائحي¹²:

أَيُّ شُعُورٍ وَأَيُّ لَحْنٍ ** أُغْنِي وَلِيَالِي كُلَّهَا أَعْيَادُ
وَبِلَادِي، وَيَا جَمَالَ بِلَادِي ** نَحْنُ فِيهَا الْحُكَّامُ وَالْأَسْيَادُ
وَجَدْنَا نَحْصُدُ الْغَلَالَ عَلَيْهَا ** بَعْدَ أَنْ كَانَ لِلدُّخُولِ الْحَصَادُ
كَمْ بَذَلْنَا وَكَمْ أَرْقَنَّا عَلَيْهَا ** مِنْ دِمَاءٍ لَمْ يُثْنِنَا مِنْ اسْتِبْدَادِ

وبذلك يصبح حكم صالح خرفي الخاص "بصمت القوافي" مع بزوغ فجر الحرية عاما لا يحتكم إلى أدلة تؤسس لمصداقيته فقد نفى الشعر المصاحب للحدث مطلقا. فيما أن رأي عبد الله الركيبي أكثر موضوعية ودقة؛ إذ إنه لم يكنف بمعارضة ما توصل إليه صالح خرفي بل أظهر عدم استناده على دليل مقنع يزيل حيرة القارئ ويسد منافذ الشك. بل إن صالح خرفي يقدم سببا واه في الاستدلال على صمت الشعراء حين اعتبر ذلك بفعل المنظمة السرية التي نغصت فرحة الجزائريين بجرائمها الانتقامية؛ بيد أن الشاعر قد عايش، ما هو أشد وأعنف ولم يلجم لسانه ولا امتنعت قريحته عن التنديد والتحفيز.

إن الأحداث العظمى مهما كانت درجة ألمها هي التي تتيح إمكانية بروز شعراء في مستواها، قد يبهتهم هولها وجسامتها جحيمها، لكن ذلك لا يطيل عمر العقم بل يعجل بميلاد روائع شعرية لا تقل شأنًا عن الأحداث نفسها. وفرحة الاستقلال تدخل ضمن الإطار نفسه ولا تحيد عنه. من رحمها انبثقت أصوات مهللة، لم يعثر لها صالح خرفي على أثر في الديوان الشعري الجزائري. أو أنه تجاوزها لضالة نتاجها وضعف فنيها، فأتاح له ذلك الحكم بعدم وجود شعر سائر أحداث الاستقلال.

إن العمل النقدي إذا لم يؤسس لنفسه منهجا يسعى للسير على خطاه ويضع غايات دقيقة يتجلد لتحقيقها، لا يمكن أن يتعد عن الأحكام الذاتية والعامة، ولا أن ينفر من الأفكار الجاهزة التي تضيق مساحات اليقين وتوسع مجالات الشك. وإذا كان اليقين في مثل هذه الحالات ضربا من الوهم، فإن الاقتراب منه يمنح مصداقية الطرح وموضوعية المعالجة، وهي سمات لم تتجل في أحكام صالح خرفي لاعتبارات لا يبرزها دائما سعيه الخيبي إلى التأريخ والتوثيق، فلا التاريخ الشعري أنصف في هذا المقام ولا الشعر غربل وعرفت قيمته.

الشعر العاطفي:

شغل الشعر العاطفي قسما وافرا من الديوان الشعري العربي القديم، بل إن الشعرية العربية لا ترى إلا ضمن أطره. فتسابق الشعراء إلى ابتداع صوره والإسهام في بناء شكله وترسيخ مضامينه، وكأن الشاعر القديم كان ملزما بالمشاركة في تثبيت جزئياته. ليصبح مجالا لإبداع التفاصيل الشكلية دون المساس بالإطار العام الذي دأب عليه الشعراء السابقون.

ولعل ذلك ما دفع نقاد العصر العباسي¹³ إلى رسم حدود القصيدة العربية منطلقين مما سموه بالمقدمة الطللية التي لا يستقيم الشعر دون الاستهلال بها. ومن ثم غدا الغزل ممثلا بمقدمة الأطلال مفتاح القصائد، لا يجيد عنه من يتغنى لشعره الاستيساغ والذيوخ. ولأمر ما أرجع بعض الدارسين أغراض الشعر لفن الغزل فهو يضم في ضروها ولا يمنعه المقام من البروز بدون استئذان. إذ الأغراض لم تكن بواعثها غير الحب والعواطف وبتعبير آخر، كانت هذه الأغراض تتصل بالغزل بهذا السبب أو بذاك، بالسبب الواضح أو بالسبب الغامض، ولكنها كانت في أحيان كثيرة قريبة منه¹⁴، فقصاصد الفخر لم تكن غايتها إظهار القوة والبسالة فحسب بل كان يراد لها أن تجعل الحبيبة تندبش لرؤية بطولاته وقوته التي لا تضاهى. كما أن الوصف غير بعيد عن هذا المعنى، فقد يستفيض الشاعر في وصف ناقته أو وصف المشاق التي يتحملها من أجل الوصول إلى ديار الحبيبة فيكون ذلك سببا كافيا لاستمالة عواطفها، وترقيق مشاعرها نحوه. وعلى النهج نفسه صار الشعراء اللاحقون، لم تلهمهم ظروفهم ولا شدة وطأة آلامهم على طلب المرأة والتردد إليها، بغض النظر عن الأبعاد الجمالية ولا الفلسفية التي يتخذ حضورها عند هذا أو ذاك، على الرغم أن صوت الغزل قد يخفت رنينه عندما تستجد أوضاع لا يمتلك الشاعر إزاءها سوى الصمت، كحال شعراء صدر الإسلام الذين أقلعوا عن هذا الغرض بعد أن شغلهم القرآن ببلاغته وتوجيهاته، فولوا وجوههم شطر أغراض أخرى، لكنهم سرعان ما عادوا إلى عهدهم الأول بل بأكثر إصرار على الخلق والتجديد فيه متجاوزين ما كانوا يرونه مانعا على القول فيه.

إن الأبعاد التي منحت لفن الغزل في العصر الحديث، لم تستطع أن تثبت أسطورة المرأة فيه ولا أن تنفي الوجه الإنساني بداخله، فظل صوت المرأة الواقعي هو الغالب بعيدا عن التعسف والتأويل الذي أبعد الحضور الفعلي للمرأة فيه. ومن ثم ينسج الشعراء الحديثون على منوال القدماء فأظهروا ولهم بالمرأة وجعلوا أشعارهم وسيلة للبحث عنها وللوقوف على أسرارها وألغازها التي لا تنطق بها دائما. بل إن المرأة في الشعر الحديث صارت المقصد الأوحى متلوثة بمعاني الحرية والوطن والأصالة وما إلى ذلك من الدلالات التي تجعلها المرأة حياة.

أما في جزائر الاستعمار فان الشعر العاطفي مجسدا بفن الغزل، لم يكن غرضاً يشد إليه الشعراء بعبارة صالح خرفي، فقد كان حدثاً شعرياً طارئاً لا يولج عالمه الشعراء إلا لما وعلی سبيل الاقتداء بالتراث القديم. وذلك أمر محير تشذ فيه الجزائر عن القاعدة فهو غرض مهجور غير مستحب، ينعت الناسج له بالخارج عن النظام والمألوف والسائر في سبيل الضلال والتهيه.

وبذلك أصبح غيابه بهذه الحدة يشكل ظاهرة نقدية تستدعى وقفة متأنية تكشف الشاذ في الشائع والخاص في العام، ولعل ذلك ما دعا صالح خرفي إلى إثارة الإشكالية ومحاولة تفسير معطياتها وأبعادها.

يرى صالح خرفي أن غياب فن الغزل في الديوان الشعري الجزائري راجع بالأساس إلى الظروف العامة التي عايشها الجزائري في ظل الاستعمار، فقد ابتلي بكل الآفات والشرور وانشغل عن حياة اللهو بشطظ العيش والمرض المزمن، الذي لا تصفو فيه العواطف ولا تتطلع إلى إقامة علاقات مع الجنس الآخر. فالمقهور المتألم لا يجعل همه البحث عن الأنيس أو استحضار ذكرياته وإنما يشقى من أجل لقمة لم يسهل المستعمر مهمة اللاهث وراءها.

وبذلك يبدو تعليل الناقد مقنعاً، إذ الغزل لا تحلو نسائمه في وضع متعفن يئن أصحابه جوعاً وتسليطاً. وإن كان الشاعر لا يأبه لمثل هذه المواقف، فهو ينفث روحه المتسامية بغض النظر عن الوسط الذي يبدع فيه. وليست المرأة وهي المحور الأساس لفن الغزل فالشعر العاطفي أيضاً مجالاً يصلح التغني بتميزها مرة وإلغاء دورها مرة أخرى.

إن المرأة هي التي تشد المرء للحياة، وتدعوه إلى مزيد من التضحيات للظفر بها، تصدر صورها من رحم الآلام والأحزان، لتمنح أملاً في تحسين الأوضاع، بل إن صبرها وتجملها يحفز الإنسان على تجاوز واقعه، ويخلق لنفسه أحيزة يحتمي بظلالها كلما ضاقت به الدنيا واشتدت وطأها.

وبذلك لا يمكن أن يكون غياب فن الغزل عائداً فقط للأجواء المظلمة التي تحجب عن الشاعر الاستئناس للمرأة والصدور عن طهرها ونقاها؛ ولعل ذلك ما دعا صالح خرفي إلى الاستفاضة في سبب آخر يفسر ذلك الغياب غير الطبيعي فيحدده بشيوع الطريقة المعادية لهذا النوع من الفن واعتباره من المحرمات التي لا ينبغي للمسلم الولوج في عالمه وإلا دخل عالم المستهترين بالدين وقيمه، فهو عندهم من لهُو الحديث لما صرح بذلك أحد شعرائها علانية:

أَلَا فَدَعِ التَّغَزُّلَ فِي غَوَايَ * فِتْلَكَ طَرِيقَةَ الْمُسْتَهْتَرِينَ
فَمِنْ صَوْتِ الْبِلَادِ لَنَا نِدَاءٌ * يَكَادُ الْمَرْءُ يُسْمِعُهُ أَنْيْنَا¹⁵

وبذلك ضربت رقابة صارمة على فن الغزل إلى أن صار الامتناع عنه ضامناً للشعرية وابتعاداً عن النقد اللاذع الذي يمس صاحبه بالدرجة الأولى. بل إن المتلقين أنفسهم لا يستسيغون صوته بأمر ممن يرونهم أكثر فهماً للدين ودعواته.

وقد يفهم هذا العزوف أكثر عندما يتتبع الباحث الأصول الفكرية لشعراء الجزائر في تلك الفترة فأغلبهم من خريجي الزوايا والكتاتيب التي كانت تسير من الطريقين أصحاب دعوة المنع بدعوى ضرورة الاشتغال بأمور أكثر شأنًا وحاجة للجزائريين. كما أن رواد حركة الإصلاح لم يحددوا عن الموقف نفسه الذي أسس له الطريقون. حين عمدوا إلى دعوة الشعراء إلى الابتعاد عن هذا النوع الشعري، بل إن دعوتهم تخص كل شعر صادر عن الذات. وكان الشاعر لديهم ينبغي أن يكون ناطقاً رسمياً باسم وسطه ومجتمعه لا صدًى لنفسه. وقد أورد صالح خرفي

شهادة شيخ الإصلاحيين عبد الحميد بن باديس ليحسد منحى العزوف والإلغاء. فقد علق الشيخ على قصيدة غزلية تساجلها ثلاثة من شعراء الجزائر في حسناء مرت بهم فحاطبوا في ذلك الشخص المرئي شخصا آخر غير مرئي، وهو تعليل يعي حقيقة الشعر الذي يسمى الأشياء بأسمائها، ولا تفهم معانيه بما يحمله ظاهر اللفظ، بيد أن حمزة بوكوشة لم يتقبل التعليل فرأى أن المساجلة التي تمت بين الشعراء الثلاث بعيدة عن الرمز والكناية لأن الفتاة حقيقة ثابتة مرت على الشعراء.¹⁶

إن الإقرار بغياب فن الغزل في الشعر الجزائري يقود بالضرورة إلى إثارة أسئلة كثيرة لا يستطيع الجو الديني ولا الأوضاع الاجتماعية أن تشكل وحدها مانعا له أو مسوغا لغيابه. إذ حضوره لا يكاد يخلو من ديوان شاعر سواء أكان غارقا في الطرقية وطقوسها أم باحثا عن لقمة عيش يذهب بها جوعه وجوع الآخرين إن استطاع. ولعل ذلك ما جعل صالح خرفي يتتبع المنافذ التي تسلت من هذا الفن للشعر ويقف على أشكالها التعبيرية. بعيدا عن التصريح المطلق بالرغبة في إحداث علاقات مع المرأة، بعيدا أيضا عن القوالب الجاهزة التي اعتمدها السابقون في استحضار المرأة، وبذلك رآه يلتبس ((طرقا ملتوية شتى لمكوناته وأساليب متعددة للبوح بها وقد يكون صادق العاطفة الغزلية، فيتخذ لها ذريعة في صورة موقف قومي، وقد يكون الإحساس القومي هو الغاية فيركب له متن العاطفة تسترا وتقية، وكل قصيدة مزدوجة المضمون من هذا اللون، تستطيع أن تتأرجح فيها بين مضمونين، حقيقي ومجازي))¹⁷ وهي بذلك لا تبتعد عن رأى أبي القاسم سعد الله فيما سماه بالتعويض حين استعاض الشعراء الجزائريون ((عن الغزل بالمرأة غزلا آخر ظنوه يحميمهم من سلطة المجتمع وإرهاب الاحتلال. وهذه الظاهرة توجد في إنتاج الشعراء الذين اتخذوا من حب الوطن أو وصف الطبيعة، أو من حرج الموقف السياسي طريقا إلى التنفيس عن أنفسهم))¹⁸ وقد يفهم من ذلك صرامة السلطة المراقبة لموضوعات الشعراء، ولكنه في المقابل قد ينفي ما ذكر سالفنا من أن شعراء الجزائر في غالبيتهم نشأوا نشأة دينية هي إلى الطرقية أقرب. إذ لا يتم اللجوء إلى الرمز والإيحاء للتنفيس ماداموا مقتنعين بمذهبهم في الحياة، وإلا صار الدليل المقدم من صالح خرفي لتبرير غياب شعر الغزل في الجزائر غير ذي قيمة. إذ ما أكدته في الأول نفاه بالأشكال التعبيرية الجديدة لفن الغزل. أما إذا كان الأمر غير ذلك فإن متلقي الشعر هو الذي يحدد وجهة القصيدة فيجعلها غزلية متى شاء ووطنية متى حلا له ذلك. ثم إن الإيحاء والتلميح يمنحان إمكانية التأويل، للوقوف على ما يحمله النص وما يريد هو منه والشاعر منه بريء. والواقع أن فكرة الأغراض الشعرية ليست من صميم الشعر نفسه وإنما من تداعيات المتلقي وتأويلاته يسمى الأشياء بمقتضى حاجياته وغاياته ولا يهمه في الأخير إن كان الشاعر يقصد ذلك أم لم يقصد. وهو مفهوم قد يضلل القراءة، فتصبح القصيدة لا تفهم إلا ضمن الغرض. فالشاعر ((لا يكتب القصيدة من أجل الوفاء بالمدح والهجاء والمناصرة والدعاية والفخر فحسب، بل يكتبها من أجل أن يخرج من هذه الدائرة الضيقة أيضا. ففي الفن عملية تحول وهدم وإعادة بناء، الشاعر يكشف المعنى الذي يذيب الغرض السابق ويجعله مجرد عامل يساعد العقل على إحداث تفاعلات في عالمه الجديد))¹⁹ وبذلك فقد تفهم العملية الشعرية على أنها تكسير وبناء على أنقاض الأغراض، ومن ثم فقراءة ((الأجناس ينبغي أن تكون بناء على خصوصياتها البنيوية لا انطلاقا من تسمياتها))²⁰؛ إذ الشاعر لا يمكن أن يحصر في ابن بيئته ومرتبة عصره بل في سعيه الدائم إلى تجاوز الشائع والمرئي ومن ثم يغدو تبرير صالح

خرفي ومعه رأي أبي القاسم سعد الله مرتبطا بقراءتهما الخاصة للشعر لا يمكن التسليم به. من الزاوية نفسها يعرض صالح خرفي الشاذ في قاعدته ويقر بوجود شعر عاطفي يمكن الاعتداد به في ذاك الزمن وبخاصة أن القصائد الممثلة له ((لا تشوبها ازدواجية في المضمون ولا مناورة في الأسلوب أو تحايل في العنوان، بل هي نصوص لوجه الحب والحبيب))²¹ ولست أعني هذه اللغة التقريرية التي تسمى عدم المناورة وعدم التحايل شعرا. ومهما يكن فصالح خرفي لا يقدم نماذج شعرية تثبت المنحى الجديد الذي اتخذته الشعر العاطفي "فن الغزل" بعيدا عن لغة التصريح التي لا يرتضيه الوسط المحافظ والأعراف الاجتماعية. كما أن الناقد لا يحدد بشكل دقيق تلك الأشكال الجديدة التي تسرب منها ذاك النوع الشعري واكتفى بظاهرة الالتواء والموارة دليلا على عدم انقطاع الشاعر الجزائري عن الغزل. في مقابل ذلك يحدد صالح خرفي بعض الاتجاهات الجديدة لفن الغزل في الجزائر ويسمي أوله بالغزل السياسي مبررا وجوده بحالة التمزق التي كانت تسم حياة الجزائري فقد كان ((ممزقا بين تعلقه بمبادئ الثورة الفرنسية الذي كان لها إلى ذلك العهد صدى كبير في نفوس الجزائريين يبعث فيهم الأمل من التمتع ببعض مكاسب الثورة الفرنسية من حرية وإخاء ومساواة وكان يغذي هذا الأمل مشاركة الجزائر في ضريبة الدم الذي سفكته الحرب العالمية الأولى))²².

فتصبح بهذا المفهوم ثورة فرنسا معشوقة محبوبة تنوق إليها النفوس وتشرئب إليها القلوب طمعا في التمتع بظلالها وأملا في دنوها لتعود البسمة والابتهاج بالحياة للعاشق الجزائري الذي يشكو الوجد لابتعادها عنه وتناهي ديارها عنه، بل إنها لا تنظر إليه إلا باستخفاف وتشككه دائما في أهليته للحرية والحياة الكريمة. إن التبرير الذي يعتسف وجود اهتمام بالغزل لدى الشاعر الجزائري الحديث لا يمكن أن تبني أركانه من هذه الزاوية، فهو إلى السياسة أقرب ولا تستطيع التاء المخاطبة أن تدخله عالم الغزل بأي شكل وبخاصة أن الطرف الغائب والذي يتألم الشعراء لغيابه معروف سلفا ولا يمنح التأويل مهما كان غارقا في الاعتساف والتقدير أن يجعل المقصود امرأة.

لم يخترق فن الغزل الآفاق ولم يشد الناس إليه عبر تاريخه الطويل عند العرب إلا باستحضاره للمرأة، وجودها أو غيابها هو وحده الذي يولد حرارة الشوق ويؤجج حرقه اللقاء، منطلقا من عواطف إنسانية خالدة لا يستغني فيها الرجل عن المرأة ولا تحلو له الحياة بدونها. أما عندما تتحول إلى رموز فإن ذلك من شأنه أن تضيق من مساحة انتشاره وتقلل من أعداد المولعين به. ولعل ما سماه صالح خرفي بالغزل السياسي لا يأخذ من تسمية الغزل إلا التسمية وإن استعار الشعراء لغته ومفاهيمه. مما يجعل التسمية تقريبية غير خاضعة لمقاييس علمية موضوعية.

يبدو أن التسمية لا تخرج عن دائرة ما كان يسميه القدماء بالهجاء السياسي والمديح السياسي المرتبطين بظروف انتقلت فيه المفاهيم من الفرد والجماعة إلى أمير أو وال. وقد لا يستبعد أن يكون الغزل السياسي من قبيل المنهج المدرسي الذي يهون من خطورة المصطلح ويخاطب المتعلم بناء على خلفيته المعرفية و مرجعيته الثقافية. إذ قد لا يتقبل بيسر تسمية شعر يتألم من فقدان الحرية بالسياسي أو ما شابه ذلك ولكنه قد لا يجد حرجا في الغزل السياسي على اعتبار تقاطع لغته مع لغة الغزل.

يؤرخ صالح خرفي لهذا النوع الشعري الذي سماه غزلا سياسيا بالفترة التي تلت الحرب العالمية الأولى ((وَأول من بشر به من شعراء الجزائر رمضان حمود في قصيدته الحرية التي نشرها في "واد ميزاب" سنة 1928 مناسبة 14 جويلية "العيد القومي الفرنسي".

لَا تَلْمَنِي فِي حُبِّهَا وَهَوَاهَا ** لَسْتُ أَخْتَارُ مَا حَيَّتْ سِوَاهَا
هِيَ عَيْنِي وَمَهْجَتِي وَضَمِيرِي ** إِنَّ قَلْبِي وَمَا إِلَيْهِ فِدَاهَا
إِنَّ عُمْرِي ضَحِيَّةٌ لَأَرَاهَا ** كَوَكْبًا سَاطِعًا يُرْجِعُ عَلَاهَا
فَهَنَائِي مُوَكَّلٌ بِرِضَاهَا ** وَشَقَائِي مُسَلَّمٌ لَشَقَاهَا²³

ويلحق صالح خرفي بقصيدة رمضان حمود قصيدة لمحمد العيد آل خليفة "أين ليلاي" ليظهر شبه اتفاق الشعراء على استبدال المرأة بالحرية والسعي إلى تتبع أثارها آملين في رجوعها إلى ربوعهم. إن استعراض النموذجين الشعريين لا يقود إلى الطرح نفسه الذي قدم له صالح خرفي، وحاول أن يقف على أسبابه وأبعاده، فالنصان سياسيان وريا عن غايتيهما بالرمز، ولا يعقل أن تقلل من قيمتهما الفنية فنسميهما غزلا سياسيا.

كان الناقد محمد ناصر أكثر إنصافا حين سماه الشعر الرمزي وعلل وجوده عند ما رأى أن ((الأديب الجزائري كان من أشد الناس حاجة إلى اللجوء إلى هذا الأسلوب ولاسيما في فترة الاستعمار الفرنسي الذي كان يفرض على الكلمة قمعا رهيبا))²⁴. وبذلك يدخل محمد ناصر شعر فترة 1925-1954 في مجال تعبير رمزي كان نتيجة سياسة تكميم الأفواه وروح التسلط التي طبعت الحكم الاستعماري، فأشد أعدائها الكلمة الداعية إلى التحرر و المحفزة للثورة وتكسير القيود، فلم يجد الشاعر الجزائري حلا لنفث روحه المتسامية غير اللجوء إلى الرمز والتلميح والاستعاضة عن التصريح والمباشرة. بيد أن عبد الله الركيبي لا يرى في ذلك الرمز سيرا وفق مذهب الرمزيين و يرجع ذلك إلى ((أن الشاعر يفسره في بداية القصيدة أو أثناءها أو في آخرها فيذكر غرضه من غزله ويصرح به، ثم انه لا يصور جوا معينا وإنما نجد الشعراء الجزائريين على اختلاف أساليبهم يعمدون إلى صورة المرأة العربية التي تغزل بها الشعراء فيتخذون منها مثلهم أثناء غزلهم بالموضوع الذي يتحدثون فيه فهم إذن لا يعانون من إحساس غامض أو من عجز في التعبير عن مشاعرهم مثل الرمزيين))²⁵ وان استثنى بعض القصاصد التي لم تنجح إلى فك شفراتها بل تركت ذلك للقارئ، فهو يرى ((أن أقرب القصائد إلى الرمز غير المباشر قصيدة محمد العيد في الحرية التي لا يفسر فيها الرمز مثل غيره وإنما يتركنا نستنتج ونفهم غرضه من خلال السياق))²⁶.

وأخيرا فصالح خرفي يرى أن غياب الشعر العاطفي من الساحة وعدم مرافقته لبقية الأغراض لم يكن عجزا من الشعراء أو فقداننا للأحاسيس وإنما يرده إلى تلك الأجواء الراضية له والمتهمة أصحابه بالخروج عن التقاليد ولكن ((عندما تفتح الآفاق لأبناء الجزائر في بعثات علمية إلى المشرق العربي أو إلى أوروبا وخاصة في الفترة الأخيرة سنلمس كيف ظهر عنصر الحب من جديد في القصة الجزائرية وفي القصيدة ظهورا سافرا لا يبرقه التستر ولا تخجله التقاليد وسنرى كيف برزت العاطفة الذاتية المجردة بروزا صارخا في أعنف أيام الثورة لا يشوبه الازدواج ولا يطمسه الهروب))²⁷. يفهم من هذا أن الذي أبعد هذا الضرب من الشعر عوامل كثيرة اجتمعت كلها على

تغيبه من الساحة، تقاليد متمزمة مع زعماء الإصلاح ونظرهم إلى هذا النوع من الشعر، الفهم الخاطئ لوظيفة الشعر؛ كل هذه العوامل جعلت الشعراء يلتجأون إلى أساليب أخرى للتعبير عن عواطفهم الذاتية.

الهوامش:

- 1 - صالح خرفي، صفحات من الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 175.
- 2 - صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1984، ص 271.
- 3 - المرجع نفسه، ص 271.
- 4 - المرجع نفسه، ص 272.
- 5 - ينظر إبراهيم روماني، أوراق في النقد الأدبي، دار الشهاب، باتنة، ط 1، 1983، ص 63 و ما بعدها.
- 6 - صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، ص 272.
- 7 - المرجع نفسه، ص 273.
- 8 - أحمد سحنون، الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 85.
- 9 - عبد الله الركيبي، الشعر في زمن الحرية، دراسات أدبية ونقدية، ديوان المطبوعات الجامعية، 1994، ص 90.
- 10 - محمد العيد آل خليفة، الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 445.
- 11 - المرجع نفسه، ص 443.
- 12 - محمد الأخضر السائحي، الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 08.
- 13* - ينظر ما سنّه ابن قتيبة في مقدمة كتابه الشعر والشعراء، دار إحياء العلوم، لبنان، ط 2، 1986، ص 32.
- 14 - شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، دار العلم للملايين، لبنان، ط 6، 1982 - ص 24.
- 15 - السنوسي الهادي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، المطبعة التونسية، 1926، 39/1.
- 16 - ينظر صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، ص 292، 293، 294.
- 17 - السنوسي الهادي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ص 296.
- 18 - أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الآداب، لبنان، ط 2، 1977، ص 80.
- 19 - مصطفى ناصف، دراسة الأدب العربي، دار الأندلس، بيروت، ط 3، 1983، ص 111.
- 20 - Oswald Durcot - Tzvetan Todorov - Dictionnaire Encyclopedique des - Sciences du Langage - Points - Paris - p 07.
- 21 - صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، ص 297.
- 22 - المرجع نفسه، ص 293.
- 23 - المرجع نفسه، ص 302 - 303.
- 24 - محمد ناصر، تطور الرمز في الشعر الجزائري، مجلة الثقافة، ع 94، وزارة الثقافة، الجزائر، ص 152.
- 25 - عبد الله الركيبي : الشعر الديني الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 1981، ص 646.
- 26 - المرجع نفسه، ص 654.
- 27 - صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، ص 318.

دور تطبيق التخطيط الاستراتيجي في تحسين أداء

كلية فلسطين التقنية – دير البلح

د. عاطف عبد الحميد عثمان الشويخ

د. رضوان الأمين عبد الرحمن

المحاضر في كلية فلسطين التقنية دير البلح

الأستاذ المساعد في جامعة الزعيم الأزهري

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى دراسة دور تطبيق التخطيط الاستراتيجي في تحسين أداء كلية فلسطين التقنية – دير البلح ولتحقيق أهداف الدراسة، استخدم المنهج الوصفي والتحليلي، وتم تصميم استبانة مكونة من (24) فقرة تم توزيعها على مجتمع الدراسة (الحصر الشامل) بكلية فلسطين التقنية- دير البلح والممثل بإدارة الكلية العليا ورؤساء الأقسام والإداريين والأكاديميين الذين لهم علاقة بموضوع البحث، والبالغ عددهم (100) عضواً، للفصل الدراسي الثاني 2013/2014م وقد استجابوا جميعهم .

وخلصت الدراسة إلى نتائج لعل من أهمها: أظهرت الدراسة أنه يوجد دور إيجابي لتطبيق التخطيط الاستراتيجي في تحسين أداء الكلية من خلال التزام إدارة الكلية فيه. وبينت الدور الإيجابي لتطبيق التخطيط الاستراتيجي في تحسين أداء الكلية من خلال نشر ثقافته بما يخدم عملية التخطيط وتطوير فيها. ويوجد دور إيجابي لتطبيق التخطيط الاستراتيجي في تحسين أداء الكلية بوضع هيكل تنظيمي يتناسب مع عملية التخطيط الاستراتيجي.

وخلصت الدراسة بمجموعة من التوصيات لعل من أهمها: ضرورة زيادة درجة الاهتمام من إدارات الكلية بتطبيق التخطيط الاستراتيجي لما له أهمية بتطوير وتحسين الأداء فيها. والاهتمام بنشر ثقافة التخطيط الاستراتيجي بين العاملين للوصول إلى كفاءة أداء متميز. وضرورة وضع هيكلية تتناسب والخطة الاستراتيجية للكلية.

Abstract

This research aims to study the role of the application of strategic planning to improve the performance in Palestine Technical College – Deir El-Balah.

The study uses the descriptive analytical approach in route for achieve its purposes; it contains a questionnaire composed of 24 paragraphs, which distributed to the community of the study, exclusively on the higher management members of Palestine Technical College – Deir El-Balah and its department heads, administrators and academics who are involved with the subject matter, totaling (100) members, for the second semester of year, 2013/2014.

The following are the most important results: The study shows that there is a positive role for the application of the strategic planning to improve the performance of the college through its' responsibilities. It showed a positive role for the application of the strategic planning to improve the performance of the college through the spreading of culture in order to serve the planning process and the development of college. There is the role of the application of the strategic planning to improve the performance of the college develop an organizational structure that matching with the strategic planning process.

The following are the recommendations: The necessity of increasing the importance of the colleges' management to apply the strategic planning because of its importance to develop and improve its performance. And interest in spreading the strategic planning culture among labor force to reach the better performance efficiency. And the development of the structure commensurate with the strategic plans of the college.

مقدمة

يعد التخطيط الإستراتيجي من المفاهيم الإدارية الحديثة التي ظهرت في منتصف القرن التاسع عشر، ويعتبر الطريقة التي تمكن المسؤولين من توجيه المنظمة بدءاً من الانتقال من مجرد العمليات الإدارية اليومية ومواجهة الأزمات وصولاً إلى رؤية مختلفة للعوامل الديناميكية الداخلية والخارجية القادرة على تحقيق التغيير في البيئة المحيطة بهم، مما يحقق في النهاية توجيهاً فعالاً بصورة أفضل لمؤسستهم.

إن توفر الفهم السليم والواضح لأهمية التخطيط الإستراتيجي من قبل صانعي القرار في المؤسسات التعليمية التقنية، أصبح ضرورة لنجاح العملية الإدارية لأي عمل أو نشاط أو مهارة، حتى تبقى هذه المؤسسات صامدة أمام تيارات التغيير بأسلوب علمي سليم لممارسة العمليات الإدارية المختلفة كما خطط لها من قبل. فأضحى التخطيط الإستراتيجي ضرورة لا بد من القيام به والعمل ضمن نطاقه في كلية فلسطين التقنية - دير البلح من أجل الوصول إلى أداء متميز. لذا جاءت هذه الدراسة لتتناول دور تطبيق التخطيط الإستراتيجي على تحسين أداء الكلية، ولتقف على أهميته فيها.

مشكلة الدراسة

تبلورت مشكلة الدراسة من خلال خبرة الباحث الميدانية في مجال العمل في حقل التعليم التقني ، إذ أدرك أنه : بالرغم من التطور في هذه الكلية وازدهارها، فإن هناك حاجة إلى المزيد من الممارسة والاستثمار لعملية التخطيط الإستراتيجي في تلك الكلية؛ الأمر الذي يشير إلى أن ثمة مشكلة يتعين دراستها والبحث فيها، فجاءت هذه الدراسة لتحاول الكشف عن دور تطبيق التخطيط الإستراتيجي في تحسين أداء كلية فلسطين التقنية - دير البلح، حيث يبرز التساؤل الرئيس لمشكلة الدراسة :

ما دور تطبيق التخطيط الإستراتيجي في تحسين أداء كلية فلسطين التقنية - دير البلح؟

ويتفرع من السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية التالية:

1. هل التزام إدارة الكلية بالتخطيط الإستراتيجي يؤدي لتحسين أدائها؟
2. ما مدى انتشار ثقافة التخطيط الإستراتيجي في الكلية للوصول إلى الأداء المتميز؟
3. هل الهيكل التنظيمي للكلية يخدم عملية التخطيط الإستراتيجي فيها لتحقيق الأداء الفعال ؟

أهمية الدراسة

تعود أهمية هذه الدراسة إلى ارتباطها بالعلوم التقنية التي تسهم في تلبية متطلبات التنمية في المجتمع الفلسطيني وإلى محاولتها التعرف إلى دوافع التوجه نحو دراستها.

ومن وجوه أهمية هذه الدراسة:

1. رفد الكلية بمعلومات حول التخطيط الإستراتيجي، وتوثيق التنسيق بين الكلية والكليات التقنية للنهوض بالتعليم التقني في فلسطين.

2. من المتوقع أن تثري هذه الدراسة المكتبة العربية بدراسة تحليلية عن التعليم التقني في محافظات غزة ومحاولتها سد جزء من الفراغ في المكتبة الناتج عن ندرة الدراسات المحلية، وربما العربية التي تتناول مثل هذا الموضوع محل البحث .

3. يتوقع أن تسهم هذه الدراسة في بلورة رؤية جديدة لفلسفة وإستراتيجيات التعليم التقني بحيث تلي متطلبات التنمية.

4. قد تسهم في تحقيق تحسين الأداء المؤسسي من خلال الوصول إلى الكفاءة والفعالية الإدارية، وعلى الرغم من توافر دراسات حول موضوع التخطيط الإستراتيجي في مجالات عدة، فإنها لم تتطرق إلى التخطيط الإستراتيجي ودوره في تطور وبناء التعليم التقني لتحسين الأداء المؤسسي - على حد علم الباحث - فجاءت هذه الدراسة لتغطي مجالاً من مجالات المعرفة، وتضع مقترحات حول موضوع التخطيط الإستراتيجي لأخذها بعين الاعتبار أثناء بناء وتطوير الكليات التقنية، والتي تعكس نفسها في التعليم التقني.

أهداف الدراسة

تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية :

1. استعراض دور وأهمية التخطيط الإستراتيجي في التعليم التقني للوصول لتحسين الأداء المؤسسي.
2. إبراز مدى ارتباط عملية التخطيط الإستراتيجي بكفاءة الأدوار والعمليات في النظام الإداري في الكلية.
3. توضيح كفاءة التخطيط الإستراتيجي في الكلية بتوافر برامج تدريب وتأهيل متواصلة.
4. بيان مواضع القوة والضعف في تلك الكلية وإمكانية معالجة القصور بما يحقق التغيير المرغوب لتحقيق التنمية على مستوى المؤسسة والمجتمع .
5. الكشف عن المسؤولية الاجتماعية للكلية وأخذ زمام المبادرة في تفعيل هذه المسؤولية.

فرضيات الدراسة :

تسعى هذه الدراسة إلى اختبار صحة الفرضيات التالية :

الفرضية الرئيسة الأولى:

توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين تطبيق التخطيط الاستراتيجي وتحسين أداء كلية فلسطين التقنية - دير البلح .

ويتفرع منها الفرضيات الفرعية التالية:

1. توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين التزام إدارة الكلية بالتخطيط الإستراتيجي وتحسين أدائها.
2. توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين انتشار ثقافة التخطيط الإستراتيجي في الكلية وتحسين أدائها.
3. توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الهيكل التنظيمي للكلية وتحسين أدائها.

الفرضية الرئيسة الثانية :

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين استجابات العاملين أفراد العينة تعزى إلى كل من متغير: طبيعة العمل والمؤهل العلمي وسنوات الخدمة.

ويتفرع من هذه الفرضية الفرضيات الفرعية الآتية :

1. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات أفراد العينة لدور تطبيق التخطيط الإستراتيجي في تحسين أداء كلية فلسطين التقنية - دير البلح تُعزى إلى متغير طبيعة العمل.
2. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات أفراد العينة لدور تطبيق التخطيط الإستراتيجي في تحسين أداء كلية فلسطين التقنية - دير البلح تُعزى إلى متغير المؤهل العلمي.
3. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات أفراد العينة لدور تطبيق التخطيط الإستراتيجي في تحسين أداء كلية فلسطين التقنية - دير البلح تُعزى إلى متغير سنوات الخدمة.

متغيرات الدراسة :

أولاً - المتغير التابع: تحسين أداء كلية فلسطين التقنية.

ثانياً - المتغيرات المستقلة: تشمل الدراسة على المتغيرات المستقلة التالية والمرتبطة بالتخطيط الاستراتيجي:

1. التزام إدارة الكلية.
2. ثقافة التخطيط الإستراتيجي.
3. الهيكل التنظيمي .
4. طبيعة العمل والمؤهل العلمي وسنوات الخدمة .

حدود الدراسة :

1. الحدود البشرية: اقتصر البحث على مجتمع الدراسة المتمثل بالعاملين في كلية فلسطين التقنية دير البلح من فئة الأكاديمي والإداري والأكاديمي بمنصب إداري.
2. الحدود الزمانية : تم تطبيق الدراسة خلال الفصل الدراسي الثاني للعام الجامعي 2013/2014م.
3. الحدود الموضوعية: تتناول الدراسة دور تطبيق التخطيط الإستراتيجي في تحسين أداء كلية فلسطين التقنية - دير البلح.
4. الحدود المكانية : اقتصرت الدراسة على كلية فلسطين التقنية دير البلح.

الدراسات السابقة

تم تناول بعض الدراسات التي تتعلق بموضوع الدراسة الحالية، للوقوف على أهم الموضوعات التي تناولتها، والتعرف إلى الأساليب والإجراءات التي تبنتها، والنتائج التي توصلت إليها، وتوضيح مدى الاستفادة منها، وتم ترتيب الدراسات السابقة بحسب تاريخ النشر.

أولاً - الدراسات المحلية والعربية

أ. الدراسات المحلية

1. دراسة (صيام، 2010) هدفت الدراسة إلى التعرف إلى تطبيق التخطيط الاستراتيجي وعلاقته بأداء المؤسسات الأهلية النسوية في قطاع غزة، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وصممت استبانة خصيصاً لجمع البيانات، حيث وزعت 69 استبانة واستردت 67 استبانة أي ما نسبته % 97 وكذلك قامت كاتبة

الدراسة بإجراء 5 مقابلات ومجموعة مركزة واحدة مع مدراء/ات المؤسسات الأهلية النسوية أو أعضاء مجلس الإدارة، وأظهرت نتائج البحث ما يلي : وجود علاقة إيجابية بين كلاً من (دعم الإدارة العليا للتخطيط الاستراتيجي، التحليل الاستراتيجي البيئي، وجود توجهات إستراتيجية" رؤية ورسالة وأهداف"، وجود خطة إستراتيجية، تنفيذ الخطة الإستراتيجية، متابعة وتقييم الخطة الإستراتيجية) وبين أداء المؤسسات الأهلية النسوية في قطاع غزة، كما كشفت النتائج أن إدارات المؤسسات الأهلية النسوية لديها فهم واضح وقناعة بعملية التخطيط الاستراتيجي وتشجع العاملين والعاملات على المشاركة في التخطيط الاستراتيجي، وكذلك تقوم بتطوير أهداف إستراتيجية ومحددة واضحة ومكتوبة، وأنها تقوم باجتذاب الموارد البشرية ذات الخبرة والمهارة اللازمة لتنفيذ الخطة الإستراتيجية وتقوم بنفس الوقت بتطوير قدرات عاملاتها بما يساهم في تنفيذ الخطة الإستراتيجية، وأن المؤسسات الأهلية النسوية تختار برامجها وأنشطتها بما يتلاءم مع احتياجات فئاتها المستهدفة، مما يساهم في زيادة الطلب على خدماتها.

2. دراسة (الدجني، 2006) : هدفت الدراسة إلى التعرف على واقع التخطيط الإستراتيجي في الجامعة الإسلامية بغزة، من خلال تحليل الخطة الإستراتيجية في ضوء معايير الجودة التي أقرتها الهيئة الوطنية للاعتماد والجودة والنوعية لمؤسسات التعليم العالي في فلسطين. وتم توزيع الاستبانة على كل مجتمع الدراسة المتمثل بإدارة الجامعة، وفريق التخطيط والجودة، البالغ عددهم (117)، عضواً. وقد توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج أهمها: وضوح المفهوم العام للتخطيط الإستراتيجي لدى إدارة الجامعة بدرجة مرتفعة بلغت (79.98%)، وقد ارتفعت درجة الميل بدرجة مرتفعة جداً للمفهوم الذي يربط التخطيط الإستراتيجي بالجودة بنسبة (88.08%). وأن نسبة (75.89%) من مجتمع الدراسة يمارسون التخطيط الإستراتيجي ويعتبرون أن جودة التخطيط الإستراتيجي خطوة لازمة ومهمة لتحقيق الجودة الشاملة في سياسات الجامعة وأدائها. وتوافر معايير الهيئة الوطنية للاعتماد والجودة والنوعية في مكونات الخطة الإستراتيجية للجامعة بنسبة مرتفعة بلغت (75.36%).

3. دراسة (الدهدار، 2006): هدفت الدراسة إلى تحليل العلاقة بين بعض متغيرات التوجه الإستراتيجي مثل (التزام الإدارة العليا بالتخطيط الإستراتيجي ومعدلات الابتكار والتغير التكنولوجي في مجال التعليم الإلكتروني، والتحسين المستمر، والاهتمام بالعنصر البشري) كمتغيرات مستقلة، وبين اكتساب الميزة التنافسية، وفقاً لنظرية بورتر (الكفاءة المتميزة، التزام الإدارة العليا بالجودة، الاستجابة لحاجات الطلبة) ، وقد اعتمدت الدراسة الاستبانة كأداة لجمع البيانات طبقت على (165) من العاملين في الإدارات العليا في الجامعات الفلسطينية بقطاع غزة، وقد توصلت الدراسة إلى نتائج عدة أهمها :أظهرت الدراسة أن نسبة (60.2%) من أفراد العينة توافق على وجوب أن تنظر الإدارة العليا إلى الجودة على أنها نظام متكامل يقوم في جوهره على التوجه نحو الطلبة وتحقيق رغباتهم وإشباع حاجاتهم. وكشفت الدراسة أن نسبة (61%) من مجتمع الدراسة يؤكد على ضرورة خلق بيئة مناسبة لتطبيق الجودة الشاملة للوصول للتميز. وأظهرت الدراسة أن نسبة (55.1%) من حجم العينة توكل القيام بالتخطيط الإستراتيجي للجان استشارية خارجية .

4- دراسة (عساف، 2005) : هدفت الدراسة إلى دراسة واقع الإدارة المدرسية في ضوء معايير الإدارة الإستراتيجية، ورصد مدى تطبيق هذا النمط الإداري في مدارس محافظة غزة، وكذلك التعرف إلى هذا النمط ، وقدرته على الإصلاح في ظل التغير الكمي والنوعي في البيئة. وأعد لذلك استبانة طبقت على جميع مديري ومديرات المدارس الحكومية بمحافظة غزة وعددهم (128) في العام الدراسي (2004-2005). وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية: أنّ مديري المدارس لديهم مفاهيم واضحة لمبادئ الإدارة الإستراتيجية ، واتجاهات ايجابية نحو تطبيقها في الإدارة المدرسية، وهم يمارسونها بنسبة (82.8%). وعدم وجود فروق دالة إحصائية في الممارسات الإدارية لدى مديري المدارس في ضوء معايير الإدارة الإستراتيجية تعزى لعامل الجنس، المؤهل العلمي، سنوات الخدمة، ولكن توجد فروق دالة إحصائية في هذه الممارسات تعزى إلى عامل المرحلة التعليمية وذلك لصالح المرحلة الثانوية.

ب. الدراسات العربية

1. دراسة (ميا وآخرون، 2007) : هدفت الدراسة إلى تبيان العلاقة بين تطبيق الإدارة الإستراتيجية في المنظمات الصناعية العامة في الساحل السوري والأداء فيها. كما تناولت الدراسة مدى توفر متطلبات تطبيق الإدارة الإستراتيجية في تلك المنظمات . وللوصول إلى نتائج الدراسة استخدمت الدراسة المنهج الوصفي والتحليلي ، ولعل من أهم هذه النتائج أنّ: عدد محدود جداً من مدراء المنظمات لديهم معلومات عن مفهوم الإدارة الإستراتيجية ومكوناتها، وجود قصور كبير واضح في كيفية وضع الدعائم الإستراتيجية في المنظمات، وجود قصور كبير في عملية تحليل البيئة الداخلية والخارجية في المنظمات بالمفهوم العلمي الواجب تطبيقها ، وجود قصور كبير في عملية اختيار الاستراتيجيات سواء على مستوى المنظمة أم على المستوى الوظيفي في المنظمات عن عملية اختيار تلك الاستراتيجيات بالمفهوم العلمي الواجب تطبيقها، وجود قصور كبير في عملية تنفيذ الاستراتيجيات سواء على مستوى المنظمة أم على المستوى الوظيفي في المنظمات عن عملية تنفيذ تلك الاستراتيجيات بالمفهوم العلمي الواجب تطبيقها. وجود قصور كبير في عملية رقابة الإستراتيجية سواء على مستوى المنظمة أم على المستوى الوظيفي في المنظمات عن عملية رقابة تلك الاستراتيجيات بالمفهوم العلمي الواجب تطبيقها.

2. دراسة (نصيرات والخطيب، 2005) : هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على واقع التخطيط الاستراتيجي في شركات صناعة الأدوية الأردنية المساهمة العامة، من حيث درجة وضوح المفهوم ودرجة الممارسة ومصادر المعلومات والأطراف المشاركة في عملية التخطيط الاستراتيجي، والعوامل البيئية التي تؤخذ بالاعتبار عند القيام بعملية التخطيط الاستراتيجي، كما تناولت تحليل العلاقة بين واقع التخطيط الاستراتيجي والأداء المؤسسي في شركات صناعة الأدوية الأردنية مقاساً بالعائد على الأصول وبالقائمة السوقية المضافة. وأظهرت نتائج تحليل البيانات لحمسين مديراً يشكلون مجتمع الدراسة، أنّ (52%) من مديري شركات صناعة الأدوية الأردنية لا يدركون المفهوم الصحيح للتخطيط الاستراتيجي، وأنّ (56%) منهم يرون أنّ عملية التخطيط الاستراتيجي تتم من خلال الإدارة العليا فقط. في حين لم يتم إثبات وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين المتغيرات المستقلة (درجة ممارسة التخطيط الاستراتيجي، درجة وضوح المفهوم، عناصر التخطيط الاستراتيجي، التحليل الاستراتيجي للبيئة

الداخلية والخارجية) وبين الأداء المؤسسي لهذه الشركات مقاساً بالعائد على الأصول والقيمة السوقية المضافة . وخلصت الدراسة الى تقديم توصيات تهدف إلى زيادة الاهتمام بموضوع التخطيط الاستراتيجي كأحد المكونات الرئيسية لنجاح منظمات الصناعة الدوائية.

3. دراسة (العويسى، 2003) : هدفت الدراسة إلى التعرف على ماهية التخطيط الإداري الإستراتيجي المدرسي ومميزاته وذلك من خلال عرض لأهمية وفوائد التخطيط الإستراتيجي لمدير المدرسة، وإجراءات تطبيقه لعمليات هذا التخطيط وهي: (تطوير الرؤية المستقبلية للمدرسة - تحديد وتطوير الأهداف الإستراتيجية - دراسة الوضع الحالي للمدرسة - تحليل البيئة الخارجية للمدرسة - التقييم النوعي - التحليل الإستراتيجي - تطبيق الخطة - تقييم النتائج). واستخدم الباحث المنهج الوصفي في هذه الدراسة بوصفه لدور مدير المدرسة. وخلصت الدراسة إلى أن المفهوم الحديث لدور مدير المدرسة يتطلب منه القيام بمهام متعددة ومتنوعة تستند إلى الاتجاهات الحديثة في الإدارة ، وخاصة التخطيط الإستراتيجي لما له من منافع كثيرة ومتعددة وثيقة الصلة بواقع المدرسة، وكذلك اغتنام الفرص لعمليات التغيير والتطوير المستمر، وإشراك أعضاء المجتمع المدرسي في عملية التخطيط، ودراسة القضايا الهامة، وتحديد مبدأ الأولويات في ذلك .

4. دراسة (حسين، 2002) : هدفت الدراسة إلى وضع تصور مقترح لكيفية تطبيق التخطيط الإستراتيجي كأسلوب في التعليم الجامعي المصري. وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي والتحليلي، وتوصلت إلى مجموعة من التوصيات تضمنها التصور المقترح من أهمها: إنشاء جهاز للتخطيط الإستراتيجي للتعليم العالي لضمان نجاح التطبيق الفعال للتخطيط الإستراتيجي، وإجراء التحليل البيئي لمؤسسات التعليم الجامعي، وتحديد الفئات المستهدفة من قبل مؤسسات التعليم الجامعي، والتعريف بسبل تطبيق الاستراتيجيات داخل المؤسسة نفسها وتحقيق المتابعة المستمرة والنوعية لكل خطوة من خطوات التخطيط عند لحظة تحديد رسالة ونظرية هذه المؤسسات وحتى مراحل التنفيذ.

ثانياً : الدراسات الأجنبية

1. دراسة (Devivo,2008) : هدفت الدراسة إلى تشخيص عملية التخطيط الاستراتيجي، ودوره في بناء علاقة الثقة في عملية صنع القرار، والدور الذي يجب أن يلعبه رئيس الكلية في عملية التغيير المخطط، ودور التخطيط الاستراتيجي في تنمية أداء المؤسسات. واتبع الباحث منهج دراسة الحالة، واستخدم المقابلات الفردية والمجموعات البؤرية، وتحليل الوثائق والبريد الإلكتروني، وملاحظات على الاجتماعات، واستخدم العينة الهادفة التي يمكن أن يستفيد منها بدرجة قصوى، وبناء على ذلك تم اختيار مؤسستين من ضمن (4004) مؤسسة تعليم عالي في الولايات المتحدة الأمريكية، حسب تصنيف (كارينجي 2005)، وحسب مواصفات معينة وضعها الباحث، وهاتان المؤسستان هما (أوكينا وكوبر). وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها : إن التخطيط الاستراتيجي يساعد العاملين على الفهم المشترك للمؤسسة ومستقبلها، وهذا يعتمد على عدة عوامل منها: الثقة بين الرئيس ومجلس الإدارة، والثقة بين الإدارة والعاملين، وإن استخدام نمط الإطار المتعدد للقيادة (السياسي والبيروقراطي والزميل والاجتماعي) يؤهل مستوى عالٍ من التكامل والتميز والمرونة، ويوسع دائرة المشاركة عبر

المناقشات للقضايا والقرارات الصعبة، والتي تناقش في مستويات إدارية أقل، مثل قضية المشاركة في تحمل المسؤولية.

2. دراسة (Hoffman, 2007) : هدفت الدراسة إلى تبيان العلاقة بين التخطيط الاستراتيجي والأداء وهل ثقافة العاملين من جنسيات مختلفة تؤثر، وخاصة أنه بتعدد الجنسيات أصبح من الضروري على المدراء أن يتعلموا إذا ما كان التخطيط الاستراتيجي يعزز أداء المؤسسات في حالة تعدد الثقافات . وقد اعتمدت المنهج الوصفي والتحليلي، وباستخدام عينة من المؤسسات الدولية وجدت الدراسة أن نموذج التخطيط الاستراتيجي العام مناسب لكل الثقافات، كما أظهرت الدراسة أن هناك علاقة بسيطة بين الثقافة والتخطيط، حيث وجدت الدراسة أن الثقافة تؤثر تأثير بسيط على التخطيط والأداء زيادة على ذلك وجد أن بعض القيم الثقافية لها تأثير في اختلاف الثقافة في التخطيط الاستراتيجي والأداء.

3. دراسة (Rudd & Others, 2007) : هدفت هذه الدراسة إلى بحث العلاقة بين التخطيط الاستراتيجي والأداء في المنظمات متوسطة وكبيرة الحجم في المملكة المتحدة، فهي تبحث في التأثيرات المتعلقة بأربع أنواع من المرونة في التخطيط الاستراتيجي وهي (المرونة التشغيلية المرونة المالية والمرونة التكنولوجية والمرونة الهيكلية) وعلاقتها بالأداء على اعتبار أن مرونة القرارات والبدائل الجديدة التي يولدها التخطيط الاستراتيجي تسمح أو تؤدي إلى تغييرات إيجابية على صعيد المؤسسة وهل يتم تكيفها مع بيئة المؤسسة المضطربة . وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية :التخطيط الاستراتيجي له تأثير مباشر وإيجابي على المرونة التشغيلية وأن المرونة التشغيلية لها تأثير إيجابي مباشر على الأداء المالي . وأن التخطيط الاستراتيجي له تأثير مباشر وإيجابي على المرونة الهيكلية وأن المرونة الهيكلية لها تأثير إيجابي مباشر على الأداء غير المالي . والتخطيط الاستراتيجي له تأثير مباشر وإيجابي على المرونة التكنولوجية وأن المرونة التكنولوجية لها تأثير إيجابي مباشر على الأداء غير المالي. وأن التخطيط الاستراتيجي له تأثير مباشر وإيجابي على المرونة المالية وأن المرونة المالية لها تأثير إيجابي مباشر على الأداء المالي أي أن اثنين من أنواع المرونة تتوسط العلاقة بين التخطيط الاستراتيجي والأداء المالي، والاثنين الآخرين تتوسط العلاقة بين التخطيط الاستراتيجي والأداء غير المالي.

4. دراسة (French & Other, 2004) : هدفت الدراسة إلى اظهار دور التخطيط الاستراتيجي في أداء منشآت الخدمات المهنية الصغيرة. وباستخدام عينة من منشآت الخدمات المهنية الصغيرة تم دراسة العلاقة بين أداء المنشأة وجوانب أوجه التخطيط الاستراتيجي . فقد تم تحديد عدد من العناصر ذات العلاقة مثل رؤية واضحة، ورسالة، وطاقات كامنة وتوجهات تنافسية وسوقية وكذلك تصنيف التخطيط إلى تخطيط عشوائي (بدون تخطيط)، وتخطيط رسمي وغير رسمي والتخطيط المتطور . ومن خلال استخدام مقاييس متعددة لتقييم العلاقة بين العناصر السابقة وتصنيفات التخطيط وأداء المنشأة فقد توصلت الدراسة إلى أنه لا توجد علاقة جوهرية بين قياس الأداء والعناصر السابقة إلا أنها توصلت إلى أن هناك علاقة هامة بين الربح والتخطيط غير الرسمي ظهرت من خلال الدراسة.

ثالثاً - التعقيب على الدراسات السابقة :

تعددت الدراسات المحلية والعربية والأجنبية التي تناولت التخطيط الإستراتيجي وتأثيره على الأداء المؤسسي ومن عدة جوانب علمية وتربوية وإدارية ، ومن خلال عرض وتحليل الدراسات السابقة يُستخلص النتائج التالية :-

1. اهتمت معظم الدراسات السابقة بإبراز المفهوم العلمي للتخطيط الإستراتيجي ومدى وضوحه للعاملين في الإدارات العليا للمؤسسات المختلفة.

2. تناولت بعض الدراسات واقع الإدارة المدرسية في ضوء معايير الإدارة الإستراتيجية.

3. تعرضت الدراسات إلى واقع التخطيط الاستراتيجي في منظمات الأعمال وعلاقته بالأداء المؤسسي.

4. قدمت دراسة حسين (2002) تصوراً مقترحاً لكيفية تطبيق التخطيط الإستراتيجي كأسلوب عملي في التعليم الجامعي المصري، وكذلك دراسة صيام (2010) وكذلك دراسة الدجني (2006) ودراسة الدهدار (2006) ودراسة (Devivo,2008) .

استخدمت الدراسات السابقة المنهج الوصفي والتحليلي .

رابعاً - أوجه الاتفاق :

تتفق الدراسة الحالية مع بعض الدراسات السابقة في دراسة دور تطبيق التخطيط الإستراتيجي في المؤسسات التعليمية وفي كوفها تتناول مشكلات التعليم بمستوياته المختلفة — غير التقنية — كما في دراسة كل من صيام والدجني والدهدار وعساف وحسين وفيفو، وتتفق الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في استخدام المنهج الوصفي والتحليلي.

خامساً - أوجه الاختلاف :

تختلف الدراسة الحالية من حيث مجتمع الدراسة مع الدراسات السابقة التي تناولت موضوع التخطيط الإستراتيجي في شركات ومؤسسات غير تعليمية ، كما تختلف مع الدراسات التي تناولت مؤسسات التعليم العالي، حيث أجريت الدراسة على مجتمع خاص بمؤسسات التعليم التقني. وتختلف هذه الدراسة في الحدود الزمانية والمكانية لمعظم الدراسات حيث تتعلق بالعام الدراسي 2013/2012. وتركز على تطبيق التخطيط الاستراتيجي للوصول إلى تحسين أداء كلية فلسطين التقنية دير البلح.

سادساً — أوجه الاستفادة من الدراسات السابقة :

1. تم الاستفادة من الدراسات السابقة في تحديد محاور الاستبانة وفي اختيار منهج الدراسة.

2. استفادت الدراسة من نتائج الدراسات السابقة في تقديم التوصيات والمقترحات .

3. كما استفادت الدراسة في عرض الإطار النظري وفي المراجع المستخدمة .

سابعاً - أهم ما يميز الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة :

1. تعتبر هذه الدراسة من أوائل الدراسات التي تتناول دور تطبيق التخطيط الإستراتيجي في مؤسسات التعليم التقني في محافظات غزة — على حد علم الباحث.

2. قدمت الدراسة توصيات لتطوير التخطيط الإستراتيجي في مؤسسات التعليم التقني في فلسطين لرفع من كفاءتها وتحسين أدائها.

الإطار النظري

1. التخطيط الاستراتيجي : يمكن التخطيط الإستراتيجي المؤسسات من تحديد قدراتها البيئية الداخلية والخارجية والمستقبلية، بما يضمن لها النجاح في تحقيق أهدافها ضمن اعتبارات البيئة الخارجية المتغيرة (أبو دولة وصالحية، 2005 : 86).

أولاً - التخطيط :Planning:

يعد التخطيط الوظيفة الإدارية الأساسية التي تسبق أية عملية إدارية والتي يتم من خلالها تحديد الغايات والوسائل عن طريق إصدار القرارات، ورسم السياسات المختلفة. والتخطيط ضرورة حتمية لنجاح أي عمل من الأعمال أو نشاط من الأنشطة وهو يختص بتحديد الأهداف والوسائل والإمكانات المطلوبة لتحقيقها، وتوضح دور كل فرد وقطاع في تنفيذ أهداف الخطة. ولضرورة فهم التخطيط لا بد من ذكر بعض التعاريف.

يعرف التخطيط الاستراتيجي في المؤسسات التعليمية بأنه " : خطة طويلة الأجل (3 - 5) سنوات يحدد فيها رسالة الجامعة، والغايات والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها، وطرق تحقيقها، والبرامج الزمنية لتحقيقها، مع الأخذ بعين الاعتبار التهديدات والفرص البيئية، والموارد والإمكانات الحالية للمؤسسة " (الفرا، 2005 : 5).

ويعرف بأنه " تحديد ما يجب عمله في المستقبل ، وتحديد أسلوب التنفيذ ، ويستند كل هذا على عمليات التنبؤ " (ماهر ، 2013 : 22).

ثانياً — الإستراتيجية Strategy :

وهي " مجموعة من القرارات والتصرفات التي يترتب عليها تكوين وتنفيذ الخطط المصممة لتحقيق أهداف المؤسسة " (أبو بكر ، والنعيم ، 2010: 31).

بينما عرف (Olsen) الاستراتيجية بأنها " الاختيار المحدد الذي يحدد توجهات الشركة وعلاقته بما يحدث في البيئة الديناميكية، بما يجعل الشركة أكثر استجابة للمتغيرات البيئية " (Olsen, 2007:P. 10).

وهذه التعاريف تركز على أهمية اتخاذ القرارات ووضع الأهداف للخطط الموضوعية كما أن الاستراتيجيات خطط شاملة ومتكاملة توضع لتحقيق أهداف المؤسسة وتقييمها.

بعد استعراض مفهومي الاستراتيجية والتخطيط يمكن أن نعرف التخطيط الإستراتيجي Strategic Planning بأنه :

" العملية المنظمة التي من خلالها تتفق المؤسسة وتبني الالتزام وسط كل ذي علاقة تجاه الأولويات الأساسية التي تحقق رسالتها وتتعاطى مع البيئة المحيطة " (عاشور، 2007 : 6).

ويعرف اجرائياً بأنه : مفهوم إداري يتضمن تحليل ودراسة جميع المتغيرات الداخلية في المؤسسة المتمثلة بنقاط القوة والضعف والمتغيرات الخارجية المحيطة بالمؤسسة المتمثلة بالفرص والتهديدات، ويتم من خلاله صياغة رسالة

المؤسسة ورؤيتها ووضع الإستراتيجيات والأهداف التي تطمح المؤسسة الوصول إليها خلال الفترة الزمنية المخطط- ط لها مع الاستغلال الأمثل لكافة الموارد المتاحة.

ثالثاً - مبررات التخطيط الإستراتيجي :

يمكن تلخيص مبررات التخطيط الإستراتيجي في النقاط التالية:(الوليد، 2010: 68).

1. وجود منهجية وإطار عمل واضح.
 2. اكتشاف أخطاء في عمل المؤسسة .
 2. تبلور فجوة ملفتة للنظر في أداء المؤسسة عندما تصبح نتائج الأداء تباعد كثيراً عن التوقعات، أو عن تلك العائدة للمؤسسات المنافسة، ويحدث ذلك عندما تختلف المؤشرات الأدائية بصورة ملفتة للنظر عن مثيلاتها عند المؤسسات المنافسة ، وهنا ينظر إلى رسالة المؤسسة وأهدافها الاستراتيجية وخططها وسياساتها بحثاً عن السبب . فهل كانت الأهداف تعكس طموحات أكبر من إمكانيات المؤسسة، وهل كانت الخطط والسياسات غير مناسبة، هل ارتكبت أخطاء في عملية التنفيذ. ذلك مما يطرح عملية التخطيط من جديد.
 3. تولي مدير عام جديد للمؤسسة .
- إن تمتع المدير العام الجديد بسلطات ومسؤوليات واسعة تتيح له تغيير معالم العمل المؤسسي للوجهة التي يراها أكثر صلاحية لإنجاز أهداف مؤسسته، فيلجأ إلى تغيير الوجهة الاستراتيجية للمؤسسة من خلال البدء بتغيير رسالتها أو الأهداف الاستراتيجية القائمة أو الخطط والسياسات المتبعة .

رابعاً - فوائد التخطيط الإستراتيجي :

يحقق التخطيط الإستراتيجي العديد من الفوائد ولعل من أهمها (ثابت، 2006 : ص 11):

1. توحيد جميع الجهود والإدارات داخل المؤسسة نحو غايات واحدة.
2. تحديد الأهداف والتوجه اللازم لمستقبل المؤسسة ككل، مما يؤدي إلى التمييز وتطوير أو تحسين الأداء الكلي للمؤسسة على المدى البعيد .
3. جعل المديرين باستمرار أكثر استجابة ووعياً بظروف البيئة سواء الداخلية أو الخارجية للمؤسسة وتغييراتها.
4. تنمية عادات التفكير في المستقبل، مما يوفر للمؤسسة إمكانية أفضل لرؤية المستقبل من خلال تحديد نقاط القوة وضعف المؤسسة.
5. توفير فرصة مشاركة جميع المستويات الإدارية في عملية التخطيط، وهذا له أثر على تقليل المقاومة التي قد تحدث عند القيام بتنفيذ أي برنامج للتغيير.
6. يساعد في توفير كم كبير من المعلومات من خلال تحديد وتقدير الفرص المستقبلية وكذلك المشكلات المتوقعة، بالإضافة إلى تحديد توجهات المؤسسة في المستقبل .. إلى أين تتجه؟

خامساً - مراحل عملية التخطيط الإستراتيجي

تتبع الإدارة العليا في المؤسسات المتقدمة إدارياً منهجاً متميزاً للتخطيط الإستراتيجي يتكون من عدة مراحل محددة سلفاً ومستويات مسندة إلى أفراد معينين وقد تختلف هذه مراحل من مؤسسة لأخرى ، كما قد تتأثر

بالاهتمامات الشخصية لرجال الإدارة العليا، ولكن في جميع الأحوال فإن "منهج" التخطيط لا بد أن يكون واضحاً (أبو النصر، 2009: 86). ويمر التخطيط الإستراتيجي بعدة مراحل وهي :

1. التخطيط لعملية التخطيط Planning To Plan
2. صياغة المستقبل Creating the Future
3. الوضع الحالي Analysis Current Situation
4. تطوير وصياغة الأهداف Setting Goals and Objective
5. تنفيذ الخطة Implementing the Strategic Plan
6. المتابعة والتقييم Monitoring and Evaluation

سادساً - التخطيط الإستراتيجي في مؤسسات التعليم التقني

يتفوق التعليم التقني على غيره من أنواع التعليم بارتباطه المباشر بالواقع الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع من جهة، والتطور التكنولوجي الذي يواكب المجتمع من جهة أخرى، مما يجعله متوافقاً في ارتباطه الوثيق مع الاحتياجات المتغيرة للقوى العاملة التي يقع عليها تحقيق طموحات المجتمع في التنمية.

وإن برامج التعليم التقني بدءاً من مرحلة التخطيط ومروراً بمرحلة التنفيذ وانتهاءً بمرحلة التشغيل. بينت من خلال الدراسات بأنه كفيل بحل كثير من المشكلات، كالبطالة، وسوء اختيار المهنة. وهناك آليات للتفاعل كثيرة ومتنوعة، مثل مشاركة ممثلي القطاعات المستفيدة في عضوية المجالس الاستشارية ومجالس الكليات والمعاهد، وكذلك في عضوية اللجان الفنية لتطوير المناهج الدراسية، وإلقاء المحاضرات تساعد كثيراً في تحقيق هذا الهدف.

وقد نشأ تناغم بين التعليم التقني والتخطيط الإستراتيجي مع اتساع الإقبال على التعليم في السنوات الأخيرة واهتمامه بتقديم التسهيلات في زمن التوسع السريع، حيث شهد التعليم التقني خلال المدة السابقة عقد المؤتمرات الوطنية والإقليمية والدولية إضافة إلى حلقات دراسية وورش عمل، فقد أوصى المؤتمر العلمي الثاني للتعليم التقني والمهني الذي عقد في سيؤول للفترة من 26-30/04/1999 بالتوصيات التالية والخاصة بتطوير العلاقة بين مؤسسات التعليم التقني وعالم العمل لعل من أهمها ما يلي (المجلة العربية للتعليم التقني، 2000)

1. يجب أن تكون هناك شراكة جدية بين التعليم التقني وعالم العمل من أجل تطوير العلاقة بين التعليم والصناعة، وبين القطاعات الاقتصادية لمواجهة التطورات الحاصلة في التكنولوجيا، والمهارات المطلوبة والاستجابة السريعة لها.

2. يجب أن تكون نظم التعليم التقني دائمة التعديل والتقويم، وأن تتميز بالمرونة والابتكار والإنتاجية ونقل المعرفة والمهارات المطلوبة للطلبة وحسب المتغيرات في أسواق العمل والتدريب وإعادة التأهيل.

يُستخلص من ذلك أن الوصول إلى الأهداف المنشودة من مؤسسات التعليم التقني في تنمية ورفع مستوى التعليم التقني في فلسطين، ورفع كفاءة العاملين فيه، وزيادة خطط التدريب، وتخرج أطر تقنية قادرة على حمل لواء البناء والتجديد والتطوير، كل ذلك يحتاج إلى إستراتيجية واضحة ومرسومة ومبرمجة، لذا أصبح التخطيط الإستراتيجي ضرورة لا بد منها للوصول إلى تلك الأهداف، ولتحقيق الأداء المؤسسي المتميز.

سابعاً - متطلبات التخطيط الإستراتيجي في مؤسسات التعليم التقني:

إن الارتقاء بمستوى أداء مؤسسات التعليم التقني في فلسطين يشترط أن تتكامل وتترابط كافة المتطلبات الواجب توفيرها في عملية التخطيط الإستراتيجي، حيث أورد (الفرا، 2005: 9) متطلبات هامة لنجاح التخطيط يمكن أن تطبق على التعليم التقني وهي :

1. وجود إدارة عليا تؤمن بالتخطيط الإستراتيجي.

2. هيكل تنظيمي واضح ومناسب للمؤسسة.

3. توفر الإمكانيات المادية والمهارات المناسبة والمتنوعة للقيام بالتخطيط.

4. توفر صورة واضحة عن بيئة المؤسسة وإدراك القصور جيداً.

5. التزام الموظفين والإدارة المتوسطة بالتخطيط.

6. توفر القناعة الكاملة للمشاركين بالخطوة بحجم الفوائد المترتبة على تطبيق الخطة الإستراتيجية.

ثامناً - العوامل التي تساعد على نجاح التخطيط الإستراتيجي في مؤسسات التعليم التقني:

إن نجاح عملية التخطيط الإستراتيجي في مؤسسات التعليم التقني ترتبط بشكل كامل بتوافر عوامل عديدة لا بد أن تتفاعل وتتكامل في عملها لأجل تحقيق الهدف المنشود من العملية وهي (العقيل، 2003: 3) :

1. قيام التخطيط الإستراتيجي على نظام واقعي متكامل بعيداً عن التخمين والحدس.

2. أن تكون الخطة نابعة من واقع بيئة العمل التي تتفاعل معها.

3. أن يشترك جميع العاملين في وضع الخطة لضمان تفاعلهم عند التطبيق.

4. أن تحقق الأهداف العامة للتخطيط حاجة الأفراد والمجتمعات إلى تنمية وتطوير ذاتها.

5. أن تكون الخطة الموضوعية قابلة للتغير والتطوير والزيادة والنقصان.

6. أن تكون الخطة منسجمة مع الأهداف الموضوعية لتحقيق النماء والتطور.

7. أن تركز الخطة على الأولويات في العمل بالمؤسسة.

8. أن تكون الخطة قابلة للتقييم والمتابعة والرقابة.

يُستخلص مما سبق أن التخطيط الإستراتيجي ضرورة هامة في مؤسسات التعليم التقني لما لها من دور كبير في تنمية هذا النوع من التعليم في فلسطين، والوصول إلى تحسين الأداء المؤسسي.

2. الأداء

أولاً - مفهوم الأداء

يُعرف الأداء بأنه انجاز الأهداف التنظيمية باستخدام الموارد بكفاءة وفاعلية. والأداء المؤسسي يقتضي التركيز على العناصر الفريدة التي تميز المنشأة عن غيرها من المنشآت الأخرى، والتي تكون محوراً للتقييم وبالتالي تشمل المؤشرات المالية وغير المالية وقياس الموجودات الملموسة وغير الملموسة، وتشمل الجوانب العريضة للأداء المؤسسي على الاستراتيجية والعمليات والموارد البشرية (العلي وآخرون، 2006) ويرتبط مفهوم الأداء بنقل العمل من الفردية

إلى الجماعية، ومن العفوية إلى التخطيط، ومن الغموض إلى الوضوح، ومن محدودية الموارد إلى تعدديتها، ومن التأثير المحدود إلى التأثير الواسع، ومن الوضع العرفي إلى الشرعية القانونية، (العدلوني، 2002 : 21).

كما عُرفت فاعلية الأداء بأنها مدى نجاح النظام في تحقيق الأهداف التي قام من أجلها، أهداف النظام لا تقتصر على تحقيق هدف الكفاءة بل تشمل أهداف البقاء والنمو والمرونة والتكيف، وبالتالي فهي تشمل كلا من الأهداف الاستراتيجية أو الأهداف طويلة الأجل والأهداف التكتيكية أو قصيرة الأجل (خطاب، 2001 : 11).

ثانياً – الأداء المؤسسي

يعتبر الأداء العام للمنظمة هو المنظومة (المحصلة) المتكاملة لتتاج أعمال المنظمة في ضوء تفاعلاتها الداخلية والخارجية وهو بهذا المفهوم يشتمل على أبعاد ثلاثة هي : (الرب، 2009 : 41).

1. أداء الأفراد في وحدتهم التنظيمية.
2. أداء الوحدات التنظيمية في الإطار العام للمنظمة.
3. أداء المؤسسة في إطار البيئة الخارجية (الاقتصادية والاجتماعية والثقافية).

ثالثاً – قياس الأداء

يعرفه الدوري ، بأنه نشاط مهم يتضمن مقارنة النتائج المتوقعة مع النتائج الفعلية وتقصي الانحرافات عن الخطط وتقويم الأداء الفردي واختبار التقدم الحاصل نحو الأهداف المقررة السنوية والبعيدة الأمد (الدوري، 2010 : 334).

رابعاً – أهمية عملية تقييم الأداء المؤسسي

تتوفر العديد من الأغراض التي تهدف المنظمات إلى تحقيقها من خلال تقييم الأداء المؤسسي وأهمها كما عددها (الخطيب، 2003 : 34).

1. تسليط الضوء على مدى الكفاءة في استغلال المنظمة لمواردها المتاحة.
2. حلقة أساسية في العملية الإدارية المتكاملة.
3. المساعدة في اتخاذ القرارات الإدارية.
4. المساعدة في التحقق من قدرة المنظمة على تحقيق أهدافها.
5. تطوير الأداء وتحسينه من خلال تحديد المعوقات وبيان الأسباب والحلول المقترحة.
6. تساعد هذه العملية في تحسين الكفاءات المتميزة والطاقات المتوفرة لإنجاح وظائف المنظمة

خامساً – تحسين الأداء

تحسين الأداء هو استخدام جميع الموارد المتاحة لتحسين المخرجات وإنتاجية العمليات وتحقيق التكامل بين التكنولوجيا الصحيحة التي توظف رأس المال بالطريقة المثلى. يتطلب تحسين الأداء لأي منظمة توازن العناصر التالية : الجودة، والإنتاجية، والتكنولوجيا، والتكلفة . وتوازن هذه العناصر يؤكد أن توقعات واحتياجات أصحاب المصلحة في المنظمة قد أخذت في الاعتبار (المربع، 2004 : 65).

3. كلية فلسطين التقنية - دير البلح : سيتم التطرق لنشأة الكلية ورؤيتها ورسالتها وغايتها من خلال الرجوع لدليل الطالب، (2013/2012: 2-4) وهي كما يلي:

أولاً - النشأة

نشئت الكلية عام 1992 م تحت اسم "كلية العلوم المهنية" . ولما استلمت السلطة الوطنية الفلسطينية مهام التعليم العالي سنة 1995 بدأت الكلية عهداً جديداً، إذ حولت وزارة التربية والتعليم العالي هذه الكلية إلى كلية تقنية تحت اسم جديد هو " كلية فلسطين التقنية - دير البلح " ، وتم وضع حجر الأساس لمبناها الجديد بتاريخ 1996/1/28 م وقد بدأت بأربعة تخصصات هي :- البرمجيات وقواعد البيانات، إدارة الأعمال والسكرتارية، والتكنولوجيا بالحاسوب، وفنون التلفزيون . وقد تم تطوير أقسام الكلية وتنويعها وتحديث معاملها ومشاعلها، وغدت الآن كلية جامعية تضم خمسة تخصصات بكالوريوس، وستة عشر تخصصاً للدبلوم ضمن خمسة برامج تقنية متنوعة تتناسب وحاجة المجتمع الفلسطيني في المرحلة القادمة.

ثانياً - رؤية الكلية :

نحو جامعة تقنية رائدة ترقى بالإنسان والوطن بما يلي احتياجات المجتمع المتجددة ويحقق التنمية المستدامة .

ثالثاً - رسالة الكلية :

تلتزم كلية فلسطين التقنية - دير البلح بتقديم برامج تقنية وأكاديمية متميزة تساهم في إعداد مخرجات وطنية مؤهلة وتوظيف تكنولوجيا المعلومات والبحث والتطوير لخدمة المجتمع وبناءه من أجل الرفعة والتطور.

رابعاً - غايات الكلية :

1- تطوير التعليم التقني والأكاديمي في مختلف التخصصات لسد احتياجات المجتمع وفقاً للمعايير الوطنية والعالمية.
2- تحسين البيئة التعليمية التعليمية من أجل تقديم وتوفير الخدمات والتسهيلات المناسبة لجميع العاملين والطلبة بالكلية.

3- تعزيز وتطوير القدرات الإدارية والتنظيمية للكلية بما يتفق مع رؤية ورسالة الكلية وغاياتها الإستراتيجية.

4- تنمية الموارد المالية للكلية وترشيد النفقات بما يحقق التوازن في الموازنة والاعتماد الكامل على الذات.

5- تطوير قدرات الكلية كي تتبوأ دوراً مميزاً في تنمية وتلبية حاجات المجتمع.

5. الطريقة والاجراءات:

أولاً - منهج الدراسة: تم استخدام المنهج الوصفي والتحليلي الذي يعتمد على جمع البيانات والمعلومات من أفراد الدراسة باستخدام أداة الدراسة وتحليل هذه المعلومات وتبويبها.

ثانياً - متغيرات البحث:

بالإضافة إلى متغيرات البيانات الشخصية مثل طبيعة العمل والمؤهل العلمي وسنوات الخدمة فإنّ الجدول التالي يبين متغيرات البحث و كذلك عدد الفقرات :

جدول (1)

متغيرات الدراسة وعدد الفقرات

رقم	متغيرات الدراسة	عدد الفقرات
1	التزام إدارة الكلية بالتخطيط الاستراتيجي يؤدي إلى تحسين أدائها	10
2	ثقافة التخطيط الاستراتيجي في الكلية يؤدي إلى تحسين أدائها	8
3	يخدم الهيكل التنظيمي للكلية تحسين أداء الكلية	6

ثالثاً - مجتمع وعينة الدراسة : حيث تم اختيار مجتمع وعينة البحث بأسلوب الحصر الشامل للعاملين في كلية فلسطين التقنية - دير البلح والذين قاموا بتعبئة الاستبيان كان عددهم (100) موظفاً منهم الأكاديمي والإداري والأكاديمي الإداري .

رابعاً - وصف عينة الدراسة:

يتضح من الجداول التالية كيفية توزيع عينة البحث (التوزيعات التكرارية والنسب المئوية) من حيث طبيعة العمل والمؤهل العلمي وسنوات الخدمة.

جدول (2)

توزيع عينة البحث حسب (طبيعة العمل والمؤهل العلمي وسنوات الخدمة)

المتغير	التكرار	النسبة المئوية
طبيعة العمل	أكاديمي	27%
	إداري	50%
	أكاديمي إداري	23%
المؤهل العلمي	دبلوم	20%
	بكالوريوس	48%
	دراسات عليا	32%
سنوات الخدمة	أقل من 5 سنوات	26%
	من 5 - أقل من 10	11%
	10 فما فوق	63%

خامساً - أدوات الدراسة:

لجمع البيانات تم الاعتماد على نوعين من البيانات، النوع الأول من البيانات هو البيانات الثانوية مثل الكتب والدوريات والدراسات السابقة والمقالات ومواقع الانترنت العربية والأجنبية التي تناولت موضوع الدراسة بشكل مباشر أو غير مباشر، وذلك للوقوف على أحدث ما كتب حول موضوع الدراسة، والتي ساعدت الباحث في بناء الإطار النظري للبحث.

أما النوع الثاني من البيانات فهي البيانات الأولية حيث تم جمع البيانات الأولية من خلال تصميم استبانة هدفت الى دراسة دور تطبيق التخطيط الاستراتيجي في تحسين أداء كلية فلسطين التقنية - دير البلح.

سادساً - الأساليب الإحصائية وتحليل البيانات:

بعد أن تم تجهيز البيانات والتأكد من دقة الترميز والتبويب تم تحليل البيانات باستخدام مجموعة البرامج الإحصائية الجاهزة SPSS، حيث تم استخدام الأساليب والاختبارات التالية في عملية التحليل واختبار الفرضيات:

- التوزيعات التكرارية والنسب المئوية لوصف عينة البحث.
 - اختبار ألفا كرونباخ لمعرفة ثبات فقرات الاستبانة.
 - معامل ارتباط بيرسون لقياس صدق الفقرات.
 - اختبار كولوموغروف سميانوف (one-sample K-S) لمعرفة توزيع البيانات حتى نتمكن من تقرير استخدام الاختبارات المعلمية أم الاختبارات اللامعلمية.
 - اختبار T-test وتحليل التباين لاختبار الفرضيات.
 - أي اختبارات أخرى يمكن أن تكون صالحة وتساعد في تحليل استبيانات البحث واختبار الفرضيات.
- سابعاً - صدق أداة الدراسة: وقد تم التأكد من صدق الأداة بطريقتين وهما :

1- صدق المحكمين : تم عرض الأداة في صورتها الأولية على مجموعة من المتخصصين في المجال، وقد طلب منهم إبداء ملاحظاتهم حول مناسبة فقرات الاستبانة ومدى انتماء الفقرات إلى كل مجال من المجالات، وكذلك وضوح الصياغة، وفي ضوء التعديلات والملاحظات تم تعديل الاستبانة لتصبح في صورتها النهائية.

2- صدق الاتساق الداخلي : تم التحقق من صدق الاتساق الداخلي للاستبانة من خلال حساب الارتباط الثنائي، حيث تم استخدام معامل ارتباط بيرسون لدراسة قوة الارتباط بين كل متغيرين من متغيرات الدراسة. يوضح الجدول التالي نتيجة الارتباط الثنائي:

جدول (3)

الارتباط الثنائي بين مجالات الاستبانة

المجال	مجال 1	مجال 2	مجال 3	جميع الفقرات
مجال 1: التزام إدارة الكلية بالتخطيط الاستراتيجي يؤدي إلى تحسين أدائها	1	0.793(**)	0.829(**)	0.940(**)
مستوى المعنوية		0.000	0.000	0.000
مجال 2: ثقافة التخطيط الاستراتيجي في الكلية يؤدي إلى تحسين أدائها	0.793(**)	1	0.848(**)	0.940(**)
مستوى المعنوية	0.000		0.000	0.000
مجال 3: يخدم الهيكل التنظيمي للكلية تحسين أداء الكلية	0.829(**)	0.848(**)	1	0.936(**)
مستوى المعنوية	0.000	0.000		0.000
جميع الفقرات	0.940(**)	0.940(**)	0.936(**)	1
مستوى المعنوية	0.000	0.000	0.000	

يُلاحظ من الجدول أن أعلى قوة علاقة بين المتغيرات التي يشار لها بنجمتين وعندها يكون مستوى الدلالة اقل من 0.05.

فمثلاً يُلاحظ من الجدول أنه توجد علاقة قوية جداً بين مجالات البحث وكذلك مدى الارتباط بين كل مجال من مجالات الاستبانة بالدرجة الكلية لفقرات الاستبانة، والذي يبين أن محتوى كل مجال من مجالات الاستبيان له علاقة قوية بهدف الدراسة عند مستوى دلالة (0.05).

وكذلك يُلاحظ من الجدول وجود علاقة قوية جداً بين مجال "التزام إدارة الكلية بالتخطيط الاستراتيجي يؤدي إلى تحسين أدائها" و مجال " ثقافة التخطيط الاستراتيجي في الكلية يؤدي إلى تحسين أدائها"، وكان معامل ارتباط بيرسون (0.793).

وكذلك يُلاحظ من الجدول وجود علاقة قوية جداً بين مجال "التزام إدارة الكلية بالتخطيط الاستراتيجي يؤدي إلى تحسين أدائها" و مجال " يخدم الهيكل التنظيمي للكلية تحسين أداء الكلية"، وكان معامل ارتباط بيرسون (0.829).

ثامناً – ثبات الاداة:

وتم اجراء خطوات الثبات على العينة الاستطلاعية بحساب معامل ألفا كرونباخ وهي كما يلي:

جدول (4)

ثبات العينة الاستطلاعية بحساب معامل ألفا كرونباخ

المجال	محتوى المجال	عدد الفقرات	معامل ألفا كرونباخ
مجال 1	التزام إدارة الكلية بالتخطيط الاستراتيجي يؤدي إلى تحسين أدائها	10	0.945
مجال 2	ثقافة التخطيط الاستراتيجي في الكلية يؤدي إلى تحسين أدائها	8	0.931
مجال 3	يخدم الهيكل التنظيمي للكلية تحسين أداء الكلية	6	0.923
	جميع الفقرات	24	0.971

تم استخدام طريقة ألفا كرونباخ لقياس ثبات الاستبانة وبين جدول (4) أن معاملات ألفا كرونباخ جميعها فوق (0.6) وأن معامل الثبات الكلي هو (0.971)، وهذا يدل على أن الاستبانة تتمتع بدرجة عالية من الثبات.

تاسعاً – تحليل النتائج واختبار الفرضيات

تم تناول نتائج التحليل الإحصائي الذي تضمن اختبار التوزيع الطبيعي (كولومجروف – سمرنوف)، حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لتحليل أجزاء كل الاستبانة، واختبار فرضيات البحث.

1. اختبار التوزيع الطبيعي:

لقد تم إجراء اختبار التوزيع الطبيعي (كولومجروف – سمرنوف) على الاستبانة، كما هو موضح في الجدول (5)، وذلك لمعرفة إن كانت البيانات التي تم الحصول عليها من المبحوثين تتبع التوزيع الطبيعي أم لا، لتحديد الاختبارات الإحصائية المناسبة لكل حالة (اختبارات معلمية – اختبارات لا معلمية).

وتستخدم الاختبارات المعلمية عندما يكون التوزيع طبيعياً، ويكون مستوى المعنوية أكبر من (0.05)، بينما تستخدم الاختبارات اللامعلمية عندما يكون التوزيع غير طبيعي، ويكون مستوى المعنوية أقل من (0.05)، ويوضح الجدول التالي اختبار التوزيع الطبيعي لأجزاء الاستبانة.

جدول (5)

اختبار (كولجروف - سمرنوف) لمعرفة التوزيع الطبيعي لأجزاء الاستبانة

رقم	عنوان الجزء	عدد الفقرات	قيمة Z	قيمة مستوى المعنوية
1	التزام إدارة الكلية بالتخطيط الاستراتيجي يؤدي إلى تحسين أدائها	10	0.771	0.592
2	ثقافة التخطيط الاستراتيجي في الكلية يؤدي إلى تحسين أدائها	8	0.950	0.328
3	يخدم الهيكل التنظيمي للكلية تحسين أداء الكلية	6	0.951	0.326
	جميع الفقرات	24	0.751	0.625

يتضح من الجدول السابق أنّ بيانات الاستبانة تتبع التوزيع الطبيعي، حيث إنّ مستوى المعنوية في كل مجال من مجالات الاستبانة أكبر من (0.05)، وبالتالي يجب استخدام الاختبارات المعلمية في التحليل الإحصائي.

2. اختبار فرضيات الدراسة ومناقشة النتائج:

لقد تم استخدام المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لكل سؤال من أسئلة الاستبانة، ولكل فرضية من الفرضيات لتحديد مدى موافقة أو عدم موافقة المبحوثين على هذه الأسئلة والفرضيات، ولمعرفة العلاقة بين المتغيرات المستقلة والمتغير التابع .

الفرضية الرئيسية الأولى:

توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$) بين تطبيق التخطيط الاستراتيجي وتحسين أداء كلية فلسطين التقنية - دير البلح.

ولغرض اختبار هذه الفرضية نقوم باختبار الفرضيات الفرعية التالية:

1. توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين التزام إدارة الكلية بالتخطيط الاستراتيجي وتحسين أدائها.

يوضح جدول (6-أ) المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لمجال التزام إدارة الكلية بالتخطيط الاستراتيجي حيث يؤدي إلى تحسين أدائها، حسب نتائج التحليل الإحصائي.

جدول (6-أ)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لمجال التزام إدارة الكلية بالتخطيط الاستراتيجي يؤدي إلى تحسين أدائها

الانحراف المعياري	الوزن النسبي	المتوسط الحسابي	الفقرات
0.852	80.8	4.04	يتوفر فهم واضح لدى الإدارة بالتخطيط الاستراتيجي.
0.847	79.8	3.99	تلتزم الإدارة بالتخطيط المستمر.
0.903	83.6	4.18	يوجد رؤية واضحة للكلية.
0.847	82	4.10	تناسب رسالة الكلية مع تطورها المستقبلي.
0.823	80.2	4.01	تضع إدارة الكلية لنفسها غايات محددة.
0.976	75.2	3.76	تتوافر الإمكانيات اللازمة لتحقيق الخطة الاستراتيجية.
0.742	82.4	4.12	لدى الإدارة المقدرة على اتخاذ القرار السليم.
0.877	76.6	3.83	تعمل الإدارة على مراجعة تنفيذ الخطة بشكل دوري.
0.943	76	3.80	تسعى الإدارة على تحقيق التميز المؤسسي مقارنة بالمؤسسات الأخرى.
0.915	79.4	3.97	يساهم التخطيط الاستراتيجي بالكلية في رفع مستوى جودة الخدمات المقدمة للمستفيدين.
0.716	79.6	3.98	جميع الفقرات

يتضح من الجدول (6 - أ) أن آراء أفراد العينة في جميع الفقرات ايجابية حيث إن المتوسط الحسابي مرتفع ويزيد عن (3.5) والوزن النسبي أكبر من (70%) ، فمثلا أفراد العينة يتفوقون بنسبة (80.8%) بأنّ الفهم واضح بالتخطيط الاستراتيجي يؤدي الى تحسين الأداء، وبشكل عام أفراد العينة يتفوقون بنسبة (79.6%) بأنّ التزام إدارة الكلية بالتخطيط الاستراتيجي يؤدي إلى تحسين أدائها.

ولاختبار صحة الفرضية تم استخدام اختبار بيرسون لإيجاد العلاقة بين التزام الإدارة العليا وتحسين الأداء في الكلية عند مستوى دلالة ($\alpha = 0.05$) والنتائج مبينة في جدول (6- ب) حيث إن معامل الارتباط بين التزام الإدارة العليا بالتخطيط الاستراتيجي وأداء الكلية بشكل عام يساوي (0.468) ، وأن القيمة الاحتمالية (Sig) تساوي (0.002) وهي أقل من مستوي الدلالة ($\alpha = 0.05$) وهذا يدل على وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين التزام الإدارة العليا بالتخطيط الاستراتيجي ومستوى تحسين أداء الكلية مما يدل على صحة الفرضية.

جدول (6 - ب)معامل الارتباط بين التزام الإدارة العليا وتحسين الأداء في الكلية

المحور	الإحصاءات	تحسين الأداء
التزام الإدارة العليا	معامل الارتباط	0.468
	القيمة الاحتمالية	0.002
	حجم العينة	100

قيمة r الجدولية عند مستوى دلالة 0.05 ودرجة حرية "98" تساوي 0.248

وهذه النتيجة تتفق مع دراسة كل من : صيام (2010)، والدجني (2006)، والدهدار (2006)، وعساف (2005)، ونصيرات والخطيب (2005)، ودراسة (Devivo,2008)، و Hoffman (2007)، و French & Other (2004)، حيث تناولت مفهوم التخطيط الإستراتيجي ومدى الالتزام به من قبل إدارة المؤسسات ووضوح فكرة تبني التخطيط الإستراتيجي فيها. ويعزو الباحث هذه النتيجة لوضوح رؤية ورسالة الكلية، ولأهمية تحليل العوامل الاجتماعية والاقتصادية، والاستفادة من نقاط القوة والفرص المتاحة، ومن تجارب الآخرين، وتوافر الكفاءات العلمية في الكلية التي من شأنها تنمي وتطور عملية التخطيط الإستراتيجي التي تؤدي إلى تحسين أدائها. ولم تتوافق الدراسة مع نتائج دراسة ميا وآخرون (2007) والتي أظهرت القصور في فهم وتطبيق التخطيط الاستراتيجي .

2. توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين انتشار ثقافة التخطيط الإستراتيجي في الكلية وتحسين أدائها.

يوضح الجدول جدول (7 - أ) المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لمجال ثقافة التخطيط الاستراتيجي في الكلية يؤدي إلى تحسين أدائها حسب نتائج التحليل الإحصائي.

جدول (7- أ)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لمجال ثقافة التخطيط الاستراتيجي في الكلية يؤدي إلى تحسين أدائها

الانحراف المعياري	الوزن النسبي	المتوسط الحسابي	الفقرات
0.900	78.2	3.91	يتم عمل ورش ودورات خاصة بالتخطيط الاستراتيجي.
0.765	76	3.80	يتم مراعاة ثقافة المجتمع المحلي عند وضع الخطة.
0.861	83.2	4.16	توجد خطة خاصة بالأقسام.
0.913	75.8	3.79	يتم تعديل الثقافة السائدة بين العاملين بما يخدم التخطيط الإستراتيجي.
0.952	77.8	3.89	يتم العمل بروح الفريق الواحد لإعداد الخطة الإستراتيجية.
0.989	77	3.85	تعقد اجتماعات دورية لفريق العمل.
1.297	71.2	3.56	يرسل فريق العمل في بعثات تدريبية.
1.345	70.2	3.51	تصمم منشورات خاصة بالتخطيط الاستراتيجي.
0.839	76	3.80	جميع الفقرات

يتضح من الجدول السابق أن آراء أفراد العينة في جميع الفقرات ايجابية حيث إن المتوسط الحسابي يزيد عن (3.5) والوزن النسبي أكبر من (70%)، فمثلاً أفراد العينة يتفوقون بنسبة (78.2%) بأن مراعاة ثقافة المجتمع المحلي عند وضع الخطة يؤدي الى تحسين الأداء، وبشكل عام أفراد العينة يتفوقون بنسبة (70.2%) بأن ثقافة التخطيط الاستراتيجي في الكلية يؤدي إلى تحسين أدائها .

ولاختبار صحة الفرضية تم استخدام اختبار بيرسون لإيجاد العلاقة بين ثقافة التخطيط الاستراتيجي وتحسين الأداء في الكلية عند مستوى دلالة ($\alpha = 0.05$) والنتائج مبينة في جدول (7 -- ب).

جدول (7 - ب)

معامل الارتباط بين ثقافة التخطيط الاستراتيجي وتحسين الأداء في الكلية

المحور	الإحصاءات	تحسين الأداء
ثقافة التخطيط الاستراتيجي	معامل الارتباط	0.489
	القيمة الاحتمالية	0.000
	حجم العينة	100

قيمة r الجدولية عند مستوى دلالة 0.05 ودرجة حرية "98" تساوي 0.248

ويبين الجدول (7 - ب) أن القيمة الاحتمالية تساوي (0.000) وهي أقل من (0.05) وقيمة r المحسوبة تساوي (0.489) وهي أكبر من قيمة r الجدولية والتي تساوي (0.248) مما يدل على وجود علاقة بين ثقافة التخطيط الاستراتيجي وتحسين الأداء في الكلية عند مستوى دلالة إحصائية ($\alpha = 0.05$). وهذا يدل على صحة الفرضية .

ويعزو الباحث ذلك لدور نشر ثقافة التخطيط الاستراتيجي في تحقيق الانتماء للكلية واهتمام العاملين في نشر ثقافة الكلية داخلها وخارجها لتعزيز مكانتها في المجتمع الفلسطيني والانتقال بها إلى مراحل متقدمة من العطاء والتطوير ونشر ثقافة التعليم التقني، والتخطيط الاستراتيجي له.

وقد اتفقت نتائج هذه الفرضية مع نتائج دراسة صيام (2010) ، ودراسة الدجني (2006)، ودراسة عساف (2005) و دراسة (Devivo,2008) ، ويمكن تبرير ذلك لأهمية نشر ثقافة التخطيط الاستراتيجي، وتفاعل العاملين في المؤسسة مع بعضهم البعض ، ومدى اهتمام الإدارات بالعمل كفريق واحد ، وتوفير المناخ الديمقراطي في عملية التخطيط الاستراتيجي .

3. توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الهيكل التنظيمي للكلية وتحسين أدائها.

يوضح جدول (8 - أ) المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لمجال " يخدم الهيكل التنظيمي للكلية تحسين أدائها"، حسب نتائج التحليل الإحصائي.

جدول (8 - أ) المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لمجال "يخدم الهيكل التنظيمي للكلية تحسين أدائها"

الفقرات	المتوسط الحسابي	الوزن النسبي	الانحراف المعياري
يتناسب الهيكل التنظيمي في الكلية مع عملية التخطيط الاستراتيجي.	3.95	79	0.999
توضح الصلاحيات في عملية التخطيط واتخاذ القرارات.	3.92	78.4	0.907
تتوافر قنوات اتصال بين الإدارة العليا والمستويات الإدارية الأخرى.	4.30	86	0.759
يتم تحديد أوجه النشاط في الهيكل التنظيمي وفقاً للتخطيط الاستراتيجي.	3.90	78	0.798
يتم التنسيق الأفقي بين أقسام الكلية فيما يخدم عملية التخطيط الاستراتيجي.	3.88	77.6	0.879
يتم إعادة تدوير العاملين في الهيكل التنظيمي في ضوء التخطيط الاستراتيجي.	3.81	76.2	1.089
جميع الفقرات	3.96	79.2	0.775

يتضح من الجدول السابق أنّ آراء أفراد العينة في جميع الفقرات ايجابية حيث إنّ الوزن النسبي أكبر من (70%)، فمثلا أفراد العينة يتفوقون بنسبة (79%) بأنّ مناسبة الهيكل التنظيمي في الكلية مع عملية التخطيط الإستراتيجي يؤدي الى تحسين الأداء، وبشكل عام أفراد العينة يتفوقون بنسبة (79.2%) بأنّ يخدم الهيكل التنظيمي للكلية تحسين أداء الكلية.

ولاختبار صحة الفرضية تم استخدام اختبار بيرسون لإيجاد العلاقة بين الهيكل التنظيمي وتحسين الأداء في الكلية عند مستوى دلالة ($\alpha = 0.05$) والنتائج مبينة في جدول (8 -- ب).

جدول (8 -- ب)

معامل الارتباط بين الهيكل التنظيمي وتحسين الأداء في الكلية

المحور	الإحصاءات	تحسين الأداء
الهيكل التنظيمي	معامل الارتباط	0.497
	القيمة الاحتمالية	0.000
	حجم العينة	100

قيمة r الجدولية عند مستوى دلالة 0.05 ودرجة حرية "98" تساوي 0.248

حيث يُبين الجدول (8 - ب) أنّ القيمة الاحتمالية تساوي (0.000) وهي أقل من (0.05) وقيمة r المحسوبة تساوي (0.497) وهي أكبر من قيمة r الجدولية والتي تساوي (0.248) وهذا يدل على صحة الفرضية والتي تدل على وجود علاقة بين الهيكل التنظيمي وتحسين الأداء في الكلية عند مستوى دلالة ($\alpha = 0.05$).

ويعزو الباحث ذلك لأهمية الهيكل التنظيمي في الكلية الذي يبيّن تسلسل الصلاحيات، ووضوح تصميمه ومفهومه الذي بُني عليه، كما يبيّن وضوح الأدوار والمسؤوليات والاختصاصات، وكذلك وضوح جهة المساءلة والمكافأة، ويعمل على تشجيع العاملين على المنافسة وانتشار روح الفريق، كل ذلك يؤدي إلى تحقيق الكفاءة وتحسين أداء العاملين في الكلية .

واتفقت نتائج هذه الفرضية مع نتائج دراسة كل من: الدجني(2006)، وعساف(2005)، و Rudd & Others (2007)، ويعزى ذلك إلى أهمية دور الهيكل التنظيمي في توفير قنوات اتصال جيدة ، وتبادل للخبرات والمعلومات والمعرفة، وكذلك دور الإدارة العليا في اتخاذ القرارات المناسبة والفعالة، وتوافر نظام رقابي جيد ، كل ذلك يعمل على نجاح عملية التخطيط الإستراتيجي في المؤسسات التقنية.

اختبار الفرضية الرئيسية الثانية: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين استجابات العاملين أفراد العينة تعزى إلى كل من متغير: طبيعة العمل والمؤهل العلمي وسنوات الخدمة.

ولغرض اختبار هذه الفرضية نقوم باختبار الفرضيات الفرعية التالية:

1. لا توجد فروق في دور تطبيق التخطيط الإستراتيجي في تحسين أداء كلية فلسطين التقنية - دير البلح تعزى إلى طبيعة العمل.

لاختبار هذه الفرضية و حيث إنّ المتغير المستقل يتكون من عدة فئات نستخدم اختبار تحليل التباين الأحادي. يوضح الجدول التالي نتيجة الاختبار:

جدول (9)

اختبار تحليل التباين الأحادي وفقا الى طبيعة العمل

المجال	مستوي الدلالة	قيمة ف
التزام إدارة الكلية بالتخطيط الاستراتيجي يؤدي إلى تحسين أداؤها	0.802	0.221
ثقافة التخطيط الاستراتيجي في الكلية يؤدي إلى تحسين أداؤها	0.253	1.393
يخدم الهيكل التنظيمي للكلية تحسين أداء الكلية	0.278	1.296
اجمالي الفقرات	0.504	0.689

يلاحظ من الجدول السابق (9) أنّ مستوى الدلالة المستخرج أعلى من (0.05) في جميع المجالات. أي أنّه لا توجد فروق في دور تطبيق التخطيط الإستراتيجي في تحسين أداء كلية فلسطين التقنية - دير البلح تعزى إلى دور طبيعة العمل. حيث إنّ معظم أفراد العينة من حملة الدرجات العلمية، ولهم خبرة في مجال عملهم تمكنهم من قياس الأمور واتخاذ القرار المناسب.

2. لا توجد فروق في دور تطبيق التخطيط الإستراتيجي في تحسين أداء كلية فلسطين التقنية - دير البلح تعزى إلى المؤهل العلمي.

لاختبار هذه الفرضية وحيث إنّ المتغير المستقل يتكون من عدة فئات استخدم اختبار تحليل التباين الأحادي. يوضح الجدول التالي نتيجة الاختبار:

جدول (10)

اختبار تحليل التباين الأحادي وفقا للمؤهل العلمي

المجال	مستوي الدلالة	قيمة F
التزام إدارة الكلية بالتخطيط الاستراتيجي يؤدي إلى تحسين أداؤها	0.717	0.334
ثقافة التخطيط الاستراتيجي في الكلية يؤدي إلى تحسين أداؤها	0.557	0.590
يخدم الهيكل التنظيمي للكلية تحسين أداء الكلية	0.335	1.106
اجمالي الفقرات	0.716	0.335

قيمة F الجدولية عند درجتي حرية 3، 97 " ومستوى معنوية " 0.05 " تساوي 3.09

يلاحظ من الجدول أنّ مستوى الدلالة المستخرج أعلي من (0.05) في جميع المحاور، وهذا يعني أنّه لا توجد فروق في دور تطبيق التخطيط الإستراتيجي في تحسين أداء كلية فلسطين التقنية - دير البلح تعزى إلى المؤهل العلمي. وقد تبدو هذه النتيجة منطقية ومقبولة للعقل حيث إنّ درجة التحصيل العلمي للشخص ترتقي بمستوى

تفكيره، وتجعله أكثر دقة في وزن الأمور ووضعها في نصابها دون مبالغة في تقديرها أو تقليل من شأنها دون مبرر موضوعي.

3. لا توجد فروق في دور تطبيق التخطيط الاستراتيجي في تحسين أداء كلية فلسطين التقنية - دير البلح تعزى إلى سنوات الخدمة.

لاختبار هذه الفرضية وحيث إن المتغير المستقل يتكون من عدة فئات فقد استخدم اختبار تحليل التباين الأحادي. ويوضح الجدول التالي نتيجة الاختبار:

جدول (11)

اختبار تحليل التباين الأحادي وفقاً لسنوات الخدمة

الجال	مستوى الدلالة	قيمة F
التزام إدارة الكلية بالتخطيط الاستراتيجي يؤدي إلى تحسين أدائها	0.440	0.828
ثقافة التخطيط الاستراتيجي في الكلية يؤدي إلى تحسين أدائها	0.027	3.738
يخدم الهيكل التنظيمي للكلية تحسين أداء الكلية	0.252	1.400
جميع الفقرات	0.161	1.860

قيمة F الجدولية عند درجتي حرية "3، 97" ومستوى معنوية "0.05" تساوي 3.09

يلاحظ من الجدول السابق (11) أن مستوى الدلالة المستخرج أعلى من (0.05) في جميع المجالات، ما عدا محور ثقافة التخطيط الاستراتيجي، أي:

أ. أنه لا توجد فروق في دور تطبيق التخطيط الاستراتيجي في تحسين أداء كلية فلسطين التقنية - دير البلح تعزى إلى سنوات الخدمة.

ب. توجد فروق في المجال الثاني فقط وهو "ثقافة التخطيط الاستراتيجي في الكلية يؤدي إلى تحسين أدائها" تعزى إلى سنوات الخدمة، وذلك بسبب تعمق الخبرة ووضوح الفكرة مع مرور الزمن.

ملخص النتائج والتوصيات

أولاً - نتائج الدراسة: يمكن تلخيص نتائج الدراسة على النحو الآتي :

1. أظهرت الدراسة أن نسبة (79.6%) من الذين أجريت عليهم الدراسة يوافقون على أنه يوجد دور لتطبيق التخطيط الاستراتيجي في تحسين أداء الكلية من خلال التزام إدارة الكلية فيه.
2. بينت الدراسة أن نسبة (70.2%) من عينة الدراسة يؤيدون وجود دور لتطبيق التخطيط الاستراتيجي في تحسين أداء الكلية من خلال نشر ثقافة التخطيط الاستراتيجي ، بما يخدم عملية التخطيط وتطوير الكلية.
3. يرى (79.2%) من عينة الدراسة أنه يوجد دور لتطبيق التخطيط الاستراتيجي على تحسين أداء الكلية بوضع هيكل تنظيمي يتناسب مع عملية التخطيط الاستراتيجي.

4. يتوافر في الكلية كفاءات علمية تقنية وإدارية لديها معرفة وقادرة على التخطيط الإستراتيجي ، ولديهم الخبرة على تعديل الخطط بما يتناسب وتطور الكلية لتحسين أداؤها.

5. أظهرت الدراسة أنه لا توجد فروق بين استجابات العاملين وبين طبيعة العمل والمؤهل العلمي في وجود دور لتطبيق التخطيط الإستراتيجي لتحسين أداؤها ، حيث إنَّ طبيعة العمل والمؤهل العلمي متقارب للجميع. ولا توجد فروق في دور تطبيق التخطيط الإستراتيجي في تحسين الكلية تعزى إلى سنوات الخدمة أيضاً. ولكن تبين من الدراسة وجود فروق في المجال الثاني فقط وهو " ثقافة التخطيط الاستراتيجي في الكلية يؤدي إلى تحسين أداؤها" تعزى إلى سنوات الخدمة.

ثانياً – التوصيات :

بناء على نتائج الدراسة فإنَّ الباحث يوصي بما يلي :

1. استخدام التخطيط الإستراتيجي كأسلوب إداري حديث يساعد المؤسسات بجميع أنواعها على التأقلم مع بيئتها الخارجية والداخلية في تحسين أداؤها.
2. ضرورة التزام إدارة الكلية بتنفيذ جميع بنود الخطة الإستراتيجية، ومتابعتها وممارسة الرقابة على تنفيذها للوصول إلى الأداء المتميز.
3. ضرورة التنسيق المستمر والبناء بين الكليات التقنية لبناء سياسة تقنية متقدمة ومتطورة تُخدم عملية التخطيط الإستراتيجي.
4. تشجيع التفكير الإستراتيجي والابتكاري والإبداعي ، الذي من شأنه تحسين وتطوير الخطط الإستراتيجية لتحسين أداء المؤسسات التقنية.
5. استمرار عقد دورات تدريبية متخصصة لكافة العاملين الذين تقع على عاتقهم مسؤولية التخطيط الإستراتيجي وإرسالهم في بعثات علمية تخص التخطيط الاستراتيجي والتعرف إلى ثقافة البلدان الأخرى.
6. تذليل المشكلات والمعوقات التي من شأنها أن تعيق عملية التخطيط الإستراتيجي.
7. تنمية روح العمل ضمن الفريق الواحد لخدمة عملية التخطيط الإستراتيجي في الوصول لكفاءة أداء عالية .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والكتب (العربية):

- أبو بكر، مصطفى محمود ، النعيم ، فهد بن عبد الله،(2010)، الإدارة الاستراتيجية وجودة التفكير والقرارات في المؤسسات المعاصرة ، الاسكندرية : الدار الجامعية.
- أبو النصر، مدحت محمد، (2009) ، مقومات التخطيط والتفكير الاستراتيجي المتميز، القاهرة: المجموعة العربية للتدريب والنشر.
- الدوري، زكريا، (2010): الإدارة الإستراتيجية مفاهيم وعمليات وحالات دراسية ، الطبعة العربية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- الرب، سيد محمد (2009)، موضوعات إدارية متقدمة وتطبيقاتها في منظمات الأعمال الدولية، دار الكتب المصرية : القاهرة .
- الفراء، ماجد (2005) : دورة تدريبية في التخطيط الإستراتيجي، الجامعة الإسلامية : غزة .
- ثابت، زياد (2006) التخطيط الاستراتيجي، مادة تدريبية، مركز التطوير التربوي، دائرة التربية والتعليم-وكالة الغوث الدولية.
- خطاب، عائدة (2001) : الإدارة الإستراتيجية :المدخل للقرن الحادي والعشرين، الطبعة الرابعة، مكتبة الأكاديمية، دار الفكر العربي، القاهرة - مصر.
- ماهر، أحمد، (2013) دليل المديرين إلى التخطيط الاستراتيجي، الإسكندرية : الدار الجامعية.
- الوليد، بشار يزي، (2010): مفاهيم معاصرة في التخطيط الاستراتيجي، عمان، دار الراية للنشر والتوزيع.
- ثانياً: الرسائل العلمية العربية :
- الخطيب، صالح (2003) : التخطيط الاستراتيجي والأداء المؤسسي دراسة تحليلية لقطاع صناعة الأدوية الأردنية، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية، عمان.
- الدجني ، إياد، (2006) : واقع التخطيط الإستراتيجي في الجامعة الإسلامية في ضوء معايير الجودة ". رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية ، غزة .
- الدهدار ، مروان (2006) : العلاقة بين التوجه الإستراتيجي لدى الإدارة العليا في الجامعات الفلسطينية وميزتها التنافسية - دراسة ميدانية على جامعات قطاع غزة - رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية ، غزة .
- صيام، آمال غمر(2010): تطبيق التخطيط الاستراتيجي وعلاقته بأداء المؤسسات الأهلية النسوية في قطاع غزة، رسالة ماجستير ، جامعة الأزهر ، غزة.
- العدلوني، محمد(2002) ، العمل المؤسسي ، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت.
- العلي، عبد الستار وآخرون، (2006): المدخل إلى إدارة المعرفة، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان.
- عساف، محمود عبد المجيد،(2005)، واقع الإدارة المدرسية في محافظة غزة في ضوء معايير الإدارة الإستراتيجية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة الإسلامية غزة.

- المربع، صالح (2004) : التطوير التنظيمي وعلاقته بالأداء، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض-السعودية.
- ثالثاً: الدوريات والمجلات والمؤتمرات
- أبو دولة، جمال وصالحية، لؤي (2005) : تقييم مستوى ممارسة التخطيط الاستراتيجي في إدارة الموارد البشرية ، دراسة مقارنة بين منظمات القطاعين العام والخاص الأردنية ، المجلة العربية للإدارة ، مج 25 ، ع 1 .
- حسين، حسن مختار، (2002) : تصور مقترح لتطبيق التخطيط الاستراتيجي في التعليم الجامعي المصري، مجلة التربية، عدد خاص، ص 162-210 الجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية : مصر.
- عاشور، صابر (2007) : دورة تدريبية في التخطيط الاستراتيجي، كلية مجتمع العلوم المهنية والتطبيقية، غزة .
- المجلة العربية للتعليم التقني(2000)، الاتحاد العربي للتعليم التقني، بغداد، المجلد 7، العدد الأول.
- ميا، علي وآخرون (2007) : الإدارة الاستراتيجية وأثرها في رفع أداء منظمات الأعمال - دراسة ميدانية على المنظمات الصناعية العامة في الساحل السوري. مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية _ سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية ، المجلد 29، العدد 1، 2007.
- نصيرات، فريد، والخطيب، صالح (2005)، التخطيط الاستراتيجي والأداء المؤسسي (دراسة تحليلية لقطاع صناعة الأدوية الأردنية) دراسات، العلوم الإدارية، المجلد 32 ، العدد 2 2005 .
- رابعاً: مصادر شبكة المعلومات العالمية (Internet)
- العقيل ، عبد الله (2003) ، " التخطيط الاستراتيجي " ، صحيفة الجزيرة ، العدد 11086 ، (2014/8/11): www.suhuf.net.sa
- العويسي، رجب بن علي، (2003)، التخطيط الاستراتيجي مسؤولية من مسؤوليات مدير المدرسة (04/08/2014) www.moe.gov.om\moe\bulletin\04.ht
- دليل الطالب ، كلية فلسطين التقنية دير البلح ، 05/06/2014، www.ptcdb.edu.ps
- خامساً : المراجع الأجنبية:

DeVivo, Sharon, Beth,(2008) "The Strategic Planning Process: An Analysis At Two Small Colleges", A Docorate Dissertation, University Of Pennsylvania, ProQuest Information and Learning Company.

French, SNJ, Kelly, SJ & Harrison, JL (2004): "The role of strategic planning in the performance of small, professional service firms" a research note, Journal of Management Development, Vol. 23, No. 8, PP: 765-776.

Hoffman, R. C. (2007): "The strategic planning process and performance relationship: does culture matter?", Journal of Business Strategies.

Olsen, E. (2007): "Strategic Planning for Dummies, Wiley Publishing, Inc. Indianapolis, Indiana. USA.

Rudd, J., Greenley, G. & Beatson, A. (2008): "Strategic planning and performance: Extending the debate", Journal of Business Research Vol. No. 61, PP. 99-108.

□ تقديم كتاب :

Giovanna Campani, Madri sole: Dalle concubine romane alle single mothers, Rosenberg & Sellier, Torino. Italie, novembre 2012, 220p. □

جيوفنا كامبني، الأمهات العازبات : من الخيلات الرومانيات إلى الأمهات العازبات،

دار النشر روزنبارغ وسوليي، تورينو، إيطاليا، نوفمبر 2012، 220 ص

الدكتور سعيد الحسين عبدولي، جامعة قرطاج، المعهد الوطني الاجتماعية،

تونس للشغل والدراسات



تقديم كتاب

جيوفنا كامبني، الأمهات العازبات: من الخليلات الرومانيات إلى الأمهات العازبات، دار النشر روزنبارغ وسوليبي، تورينو، إيطاليا، نوفمبر 2012، 220 ص.¹

1. تقديم هوية الكتاب:

الأمهات العازبات: من الخلية الرومانية إلى الأمهات العازبات، هو عنوان كتاب للكاتبة الإيطالية جيوفنا كامبني، المتخصصة في مجال الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع، الصادر سنة 2002، وهو كتاب من الحجم المتوسط يتضمن 220 صفحة باللغة الإيطالية.

ويتضمن الكتاب:

■ مقدمة للباحثة آنا ماريا فينيرا.

■ الباب الأول: نفس الأم العازبة في كل المراحل التاريخية

وقد تضمن هذا الباب مقدمة و 9 فصول، استعرضت فيها الكاتبة عرضا تاريخيا للأم العازبة عبر جملة من المراحل التاريخية بدءا من العصور الرومانية وفي مرحلة هيمنة الكنيسة والديانة المسيحية وآثار ذلك على الأسرة بصفة عامة، وصولا إلى مرحلة التحولات الكبرى في أوروبا. أي منذ القرن 17 وبداية التحولات الكبرى التي أفرزت ظهور الحداثة. حيث ركزت الكاتبة على ظاهرة الأرمال والأمهات بصفة عامة، مستعرضة آثار الإصلاحات الجديدة خاصة في مجال حقوق الإنسان وظهور القوانين الضامنة لذلك على واقع المرأة الذي منحها هامشا كبيرا من الحريات والحقوق والمساواة. لتظهر بذلك علاقات جديدة خارج إطار الزواج الرسمي خاصة في إطار الطبقة العاملة مركزة على أبرز المشاكل التي تتعرض لها الأمهات العازبات.

■ الباب الثاني: الأسرة المتغيرة:

وقد قسمت مؤلفة الكتاب هذا الباب إلى جزئين في كل منهما مقدمة، حيث استعرضت:

في الجزء الأول ملامح الأسرة الحديثة التي هي نتاج جملة التحولات التي شهدتها أوروبا عموما وإيطاليا على وجه الخصوص، وما للقوانين الجديدة من آثار على انتشار هذا النوع من الأسر الذي أفرز ما يسمى بالنساء العازبات. مثلما استعرضت في نفس السياق الزواج — نفس الجنس أي ما يصطلح عليه بالمثلين. أما في الجزء الثاني فقد ركزت في إطار تحليلها للعوامل التي كانت سببا في تغير الأسرة وخاصة العوامل الاقتصادية ممثلة في الفقر وقضية المساواة بين الجنسين ونظرة المجتمع إلى الأم وتطرق إلى نفس الظاهرة في الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها مثالا لقياس الحداثة وما بعدها. لتبرز علاقة ذلك بظاهرة الأمهات العازبات والأنماط الجديدة للأسرة.

¹ Giovanna Campani, Madri sole: Dalle concubine romane alle single mothers, Rosenberg & Sellier, Torino. Italie, novembre 2012, 220p.

2. المسألة المركزية في الكتاب:

تناول هذا الكتاب قضية المرأة في المجتمع الايطالي كعنصر منفرد من حيث الشكل، إلا أن مضمونه أعمق من ذلك بكثير حيث بحث في جملة من القضايا المتصلة بواقع المرأة وتحديدًا فيما يسمى بالأم المجهولة أو الأم العازبة. فمسألة الأمومة تختلف حسب طبيعة المجتمع ورصيده الثقافي أي العادات والتقاليد والدين، التي تعد جميعها من العوامل المنظمة للمجتمع وتنميط قوانينه التي تسيّر حياة الجماعة والأفراد.

ومن هنا فإن واقع المرأة بدوره لا يخرج عن هذه الدائرة مثل مسألة الزواج داخل الأطر الرسمية أو خارجها، الأمر الذي أفرز ما يصطلح عليه بالأمهات العازبات، حيث أن المرأة تنجب وتصبح خارج الموائيق الرسمية التي أفرزها المجتمع سواء بفعل القانون أو العادات والأعراف والأديان.

تلك هي الإشكالية المحورية التي حام حولها هذا الكتاب الذي تناول قضية الأمهات العازبات في المجتمع الايطالي باعتبارها ظاهرة متنامية ومتغيرة أي تتميز بالحركية. الأمر الذي أفرز عدة انعكاسات على بنية المجتمع. حيث اعتبرت الكاتبة أن ظاهرة الأمهات العازبات من أبرز الأسباب الفاعلة في التغيرات الديمغرافية والاجتماعية في السنوات الأخيرة. وهو ما يشار إليه في المجتمع الايطالي بالأسر ذات العائل الواحد، الأسر خارج إطار الزواج. معتبرة النساء المطلقات اللواتي انفصلن عن أزواجهن ينتمين إلى نفس الفئة، باعتبار أن الأم التي تنفصل لأي سبب من الأسباب تعد العائل الرسمي للأسرة وتحمل أعباءها بمفردها في كل الحالات، سواء كانت العلاقة الزوجية داخل إطار الزواج أو خارجه أو أثناء الطلاق.

بناء على ذلك كله، انشغلت الباحثة "جيوفنا" لسنوات طوال في دراسة هذا المشروع الذي أثمر كتابها حول الأمهات العازبات، وهي الفئة التي تعرف- كما أسلفنا القول- بعدة تسميات مثلما وردت في محتوى الكتاب: الأم الواحدة، الأم الحرة، ومعنى الوحدة والحرية هنا يشير إلى غياب الزوج أو الشريك. معتبرة أن هذا الصنف من العلاقات قد يكون اختياريًا ومتعمداً وناجحاً بعض الأحيان في المجتمع العصري اليوم، سواء بالنسبة للنساء أو الرجال قصد مجابهة تحديات الحياة. واستنتجت أن ذلك من الحلول التي يختارها البعض للتخلي عن العزلة. مثلما يمكن لهذا النوع من الارتباط بين المرأة والرجل أن يكون مؤقتاً لتكون المرأة الايطالية وابنها ضحية هذه العلاقة.

ومن أجل وضع المسألة في إطارها التاريخي انطلقت الكاتبة في معالجة الظاهرة من خلال تبيان سياقها التاريخي انطلاقاً من أوروبا وأمريكا الشمالية واستندت في ذلك على جملة الدراسات المتصلة بوضع المرأة في الزواج والأمومة على مر العصور أو عبر دراسة السيرة الذاتية لبعض العينات والشخصيات من الأمهات وأطفالهن، وممارسة الشهوات الجنسية خارج النطاق الشرعي، وكل ذلك أفرز ما يسمى بالمرأة الضحية التي تتحمل بمفردها وزر تلك العلاقات، و لتنشأ بذلك أسر حديثة دون نسب أصلي.

وقد اعتبرت الكاتبة أن تفشي ظاهرة النساء العازبات له عدّة تفسيرات سوسيولوجية، حيث أن التحولات التي شهدتها المجتمعات الحديثة في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية أفرزت بروز أنماط جديدة من العيش وكذلك

ظهور معاني جديدة لمسألة الأبوة. فسوء الأوضاع الاجتماعية أدى إلى ظهور الفقر والتوترات النفسية فضلا عن الجهل، على أن تردي الأوضاع الاقتصادية يعد حسب اعتقادها في مقدمة الأسباب المساهمة في بروز هذا النوع من الأسر ذات العائل الواحد، ثم تأتي العوامل الاجتماعية في المقام الثاني. مثلما سمحت قيم الحرية والديمقراطية للفرد بممارسة رغباته بعيدا عن رقابة التقاليد والعادات القديمة، هذا فضلا عن دور البطالة والفقر والخصاصة، وكل ذلك مجتمعا أفرز بروز هذه الظاهرة في المجتمع الأوروبي عموما وإيطاليا على وجه الخصوص: النساء العازبات.

وقد اعتبرت الكاتبة في معرض تحليلها لواقع الأمهات العازبات، أن عديد التشريعات والقوانين أهملت حقوق المرأة العازبة وابنها، في الوقت الذي ضمنت فيه حقوق الأم المتزوجة متسائلة عن أسباب وجود هذا النوع من العلاقات الذي أفرز أطفالا مجهولي النسب؟ معتبرة أن ذلك يعود لنفس الأسباب السابق ذكرها.

دافعت الكاتبة من ناحية أخرى في كتابها على قضية النساء العازبات معتبرة أن النظرة الدونية من قبل المجتمع تجاههن والتحقيق من شأنهن يعد في حد ذاته خرقا لحقوق المرأة وابنها، خاصة وأن العبء يبق دائما مسلطا على المرأة في تحمل المسؤولية سواء كانت عازبة أو أرملة، مما يدفعها إلى تحمل المسؤولية بمفردها. أي أنها على حد اعتبار الكاتبة تقوم مقام الأب وتعني بذلك الأب الغائب أو الشريك الذي يتجرّد من المسؤولية. ومن هنا يقترب مفهوم العازبة بمفهوم "الأبوة الواحدة" وهذا ما يضاعف من مسؤوليتها، مما يؤثر سلبا على شخصيتها وتصرفاتها سواء من الناحية المعنوية (التعصب والكلام البذيء) أو المادية (العنف والتسلط)، الأمر الذي ينعكس على العائلة ويتسبب في التشتت وكل ذلك يؤثر على الطفل الغير الشرعي والمنبوذ من قبل المجتمع، فيتحولون إلى أطفال من ذوي الميولات الإجرامية ومنحرفين.

3. أهم النتائج والتعليقات:

وقد انطلقت الكاتبة في تحليلها من بعض التصورات المنتشرة في المجتمع الإيطالي حول الأم مثل: "أمي هي أمي دائما"، لتستنتج أن الأم على عكس الأب هي الضحية في كل الحالات. معتبرة أن هذا المثل الشائع يجعل الأم في الصدارة ويعظم من قيمتها ومركزها. إلا أنه في الواقع هناك حطّ من قيمة الأمهات العازبات كما لو أنهن حالة شاذة أو أقلية داخل المجتمع مقارنة بالأسر الطبيعية. وقد اعتبرت أنه مهما تعددت أشكال العلاقات الزوجية فإن الأم هي الأم. وقد استنتجت الكاتبة تعدد أشكال الأم معتبرة أن الانخفاض الأخير للمؤسسة الزوجية الذي ظهر في الغرب الأوروبي إنما ظهر مع انتشار أشكال متعددة من التعايش أفرزتها طبيعة الحياة العصرية وما تحمله من خاصيات.

ومن ناحية أخرى استعرض الكتاب تحليلا واضحا من آلام اللوم الذي يصيب الأمهات العازبات في كل من الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، مثلما بدأ الأدب الخاص بالأسرة في أمريكا الشمالية بتفكيك الميل المتنقل إلى الوالد. فمعظم الظواهر السلبية التي تميز الأسرة من الناحية النفسية والاجتماعية والميول الإجرامية والإدمان والانتحار تؤدي إلى عواقب وخيمة بما فيها العلاقات الجنسية المتداولة بكثرة في المجتمع الأوروبي

الذي منه المجتمع الايطالي، واعتبرت أن ذلك من العوامل المغذية لانتشار ظاهرة الأسرة ذات العائل الواحد الذي هو الأم أو ما يسمى بالأم العازبة.

من النتائج التي توصلت إليها الكاتبة أن الأم في كل الحالات ضحية في المجتمع الايطالي، بمعنى أنها سواء أنجبت داخل الأطر الرسمية أو خارجها تبقى ضحية هذا الانفصال بحكم الأعباء التي تتحملها بمفردها. مثلما استنتجت الكاتبة أن ظاهرة الأم العازبة هي ظاهرة قديمة تواصلت حتى مجيء الحداثة و تجذرت في عديد المجتمعات الراقية مثل الولايات المتحدة الأمريكية. معتبرة في نفس هذا الاتجاه أن الأم العازبة تعاني عديد التوترات النفسية والاجتماعية، الأمر الذي يستدعي ضرورة تكثيف الجهود من أجل رعايتها، معتبرة أن أخطاءها لا يمكن أن تكون مبررا لإهمالها ولومها، وهذا الموقف تبنته الباحثة ودافعت عنه في كتابها هذا، و لأجل ذلك خلصت إلى اقتراح جملة من الحلول قصد الحد من تفشي هذه الظاهرة، وهو ما أمكن حصر أهمها وفق الآتي:

- سنّ جملة من القوانين التي تحمي المرأة سواء كانت داخل إطار الزواج أو خارجه،
- نشر ظاهرة الوعي والمعرفة بحقوق المرأة العازبة،
- المساواة بين الأم العازبة و الأم المتزوجة،
- المساواة بين الرجل والمرأة،
- الحد من البطالة باعتبارها دافعا لهذا النمط من الارتباط،
- إعادة بناء قرارات جديدة تخص الأم العازبة، أي السعي إلى تغيير النظرة والعقلية السائدة تجاهها.

إلا أن ما تجدر الإشارة إليه، أن الكاتبة جيوفنا كامبني أهملت في اعتقادنا جزءا هاما من العوامل المساهمة في تفشي ظاهرة النساء العازبات في المجتمع الأوروبي عموما والايطالي على وجه الخصوص، وخاصة فيما له علاقة بالحرية الشبه مطلقة التي تبيحها قوانين هذه البلدان بلغ أقصاها إباحة الزواج المثلي، الشذوذ الجنسي، المواقع الإباحية وعلاقة ذلك بالتجارة الجنسية. فصحيح أنها اعتبرت أن النساء العازبات من إفرازات الحداثة وما بعدها، ولكنها لم تعر اهتماما إلى أحد جوانب هذه الحداثة القائمة على المادية والفردانية المغيبة لكل ما هو نزعة محافظة أي تلك القيم التي اندثرت أو تقلصت في المجتمعات التي درستها. على عكس المجتمعات العربية الإسلامية التي تحضر فيها الرقابة الدينية والأخلاقية في تنظيم المجتمع وبالتالي فإن انتشار النساء العازبات أقل حدة.

References:

- 1- George D. Gopen and Judith A. Swan, “The Science of Scientific Writing”, the American Scientist (Nov-Dec 1990), Volume 78, 550-558.
- 2- John Beatty, “Masking Disagreement among Experts”, Episteme: A Journal of Social Epistemology, Volume 3, 2006, available online at:
<https://muse.jhu.edu/journals/episteme/v003/3.1beatty.pdf>
- 3- www.FDA.gov
- 4- John Beatty, “Who do biologists argue like they do?”, University of Minnesota, 1997 available online at :
http://www3.botany.ubc.ca/vellend/COM_ECOL/BeattyArgue1996.pdf
- 5- Worrall, John, “ Does Science Discredit Religion?”, p9, available online at
<http://core.ac.uk/download/pdf/112322.pdf>
- 6- Dawkins, Richard, “Is science a religion?” Humanist, 1997. Available online at
<http://www2.gol.com/users/fmyers/Media/Courses/IH2/Darwin/Is%20Science%20A%20Religion.pdf>
- 7- Antony Flew, “Marxism: Religious faith and bad faith”, Reason papers, No12, 1987, available online at
http://reasonpapers.com/pdf/12/rp_12.pdf

science speaks. A philosophical text that is totally involved in raising questions without answering them can be easily accepted regardless of the amount of doubt it may cause, while a scientific report can't be accepted as worth of interest if it doesn't affirm or deny anything.

The criteria that make a scientific report worth reading from the common point of view mean that, this report is giving answers. This observation is true for the three domains, science, religion and politics. The psychology of the public mind tends to believe those religious men, scientists and politicians who are more courageous in giving answers; more precisely, those who seem to be more confident in doing that, even if such kind of behavior is epistemologically forbidden or at least suspicious. This point which groups science, politics and religion in one category, explains clearly the religious- like adoption of some scientific. Science –although being so different from religion- becomes something like religion when commonly and zealously adopted. As we have seen before, the main point of conflict that separates religious and scientific attitudes is that, while the first contain faith the other is free of it; but when the scientific theory turns to be a subject of a common interest, or let's say when it is adopted by the common mind it is adopted as a faith, the point which shouldn't be easily neglected when dealing with the scientific text. An example of this tendency of scientific and political theories to turn into faiths the moment they are adopted by the common is clearly observable in the historical case of the way Marxism was adopted. In 1920 Bertrand Russell returned from visiting USSR to write "The theory and practice of Bolshevism" and to "describe Marxism –Leninism as a new secular Islam"¹¹.

In short, the dogmatic content of science when turns to be faith as a result of being commonly adopted gives another reason to suspect the credibility of public scientific reports.

Conclusion:

To sum up, in this article, I asked the question whether we are justified in trusting public scientific reports or not. I made a distinction between the scientific truth before and after it is presented to the common, or let's say between what we can call the isolated scientific observation as performed by the scientist himself and the published scientific report. The aim of this distinction was to prove that the scientific information suffers during the process of communicating it to the common from serious changes that can damage it in an irreparable way. The many discussed difficulties that challenge the reliability of scientific reports enable us to ask the question whether we can anymore trust scientists when they claim telling the truth, the whole truth and nothing but the truth.

Dawkins, 1997). However, despite of this fundamental conflict, science and religion share a significant point: each of them is required or at least is expected to give final answers to the most crucial human inquiries. This belief in the ability of science or religion to provide the most satisfying answers is what divides out theoretical attitudes into religious and scientific attitudes (and in some cases to scientific- religious attitudes).

Now even though the claim that any attitude is capable of providing final answers is more controversial to be accepted; science as well as religion derives their credibility from implicitly holding such a claim; because at the end of the day, any religion can gain the trust of his followers by depending on the allegation that the answers provided by this specific religion or doctrine is strong enough to face and defeat the answers provided by other competing religions or denominations. The same applies to science; any scientific theory can be adopted by the audience if proven to survive the competition from other available scientific theories.

No matter how any scientist tries to be objective in presenting his theory, at least a certain minimum degree of certainty- calming is needed to turn the isolated scientific proposal into socially accepted phenomena. To make it clearer, let us put it this way, claiming certainty is required even if this certainty was not quite approachable. Now, if certainty was beyond what any scientific theory can reach, does that mean that we have been cheated on by those scientific attitudes who maintain presenting final answers to our main questions? Again, this is a new epistemological difficulty that can profound the problem regarding the reliability of the scientific text more. This time the problem is caused by the nature of the scientific answer itself. This can be made clearer if we compare the way in which science deals with human concerns and the way philosophy deals with them, because while philosophy is more interested in asking questions, science is more interested in answering them. Since Plato, philosophers seem to be discussing the same issues without reaching any satisfactory results, and even the same discussions can be held again and again without breaking by doing that the rules of the philosophical investigation. In other words there is nothing in the philosophical discussion to be dismissed as absolutely wrong – except of course the cases of obvious violation of logic- . In philosophy, there is nothing to be walked over as being obsolete. Aristotle's views on physics are still philosophically interesting despite of their scientific inadequacy. In philosophy, the originality of the human intelligence is more crystallized in the sort of questions that can be asked. On the other hand, science as well as religion is asked and required to give answers. They should go beyond the scope of questions to the wider scope of answering them. And unlike philosophy, each new answer should be strong and convincing enough to overcome the previous answer provided by the other theories.

Now, the gap between the degree of certainty that any scientific theory can afford and the degree it should claim affording - to be good enough to survive the competing theories- is what makes room for the suspension that what scientists know is different from what they claim they know. To illustrate more, let's go back again to our comparison between the language philosophy speaks and the language

overlooking some details; but these taken for granted-details, dismissed in the process of simplification turn the final version of the offered theory to a project different from the original project before it is transformed into a publishing material. What complicates the problem more, is the fact that this process, namely the process of simplification, occurs twice, doubling by doing that the changing effect, because this process is applied not only by the expert who tries to make his work more popular and more readable by his audience, but also practiced by the reader, who by his turn applies his own act of simplification- which varies according to his level- pushing by doing so the theory from a first to a second level of simplification.

e. Masking disagreements among experts:

In his paper "Masking disagreements among experts", John Beatty says, "scientific experts often explicitly or implicitly agree to withhold information when they accept the position they report" (Beatty, 2006, p 52). As he makes clear, this "joint acceptance" is consistent with considerable disagreement among group members. Disagreements are hid from audience for the sake of them, exactly as parents may hide their disagreements about how to raise their kids for the sake of these kids and for appearing as having a more unified position. But this behavior, when scientifically practiced, makes it completely plausible to suspect the credibility of the overall represented position.

One might argue that simple differences between scientists can be easily neglected without having to worry about them if the purpose is to end up by a homogeneous unified theoretical position. But even this line of argument can face the difficulty of figuring out the way in which we can exactly demarcate the degree and the size of disagreement after which the disagreement is no more considered as being "small". In addition, another question one might ask is, what justification do scientists really have to leave behind small and not big differences? In his paper, "How do biologists argue like they do?" John Beatty asks the question, "The question remains, why extreme differences in relative significance should be worth arguing about and small differences not." (Beatty, 1987,S439)

f. Science, religion and the final answers:

Certainly, it would not be fair to claim that science is similar to religion. The two phenomena are historically and fundamentally separate and the dissension between both of them seems to be still ongoing towards more irreconcilable conflicts. In addition, despite the many promising attempts to achieve the missing reconciliation between religious and scientific attitudes, the belief that the gap between the two is going wider and wider is the mostly dominant convention. John Worrall in his paper "Does science discredit religion?" expresses this convention by saying, "There is no way in which you can be both properly scientifically-minded and a true religious believer." (Worrall). Richard Dawkins highlights one huge divergence by saying, "Science is not religion and it doesn't just come down to faith. Although it has many of religion's virtues, it has none of its vices. Science is based upon verifiable evidence. Religious faith not only lacks evidence, its independence from evidence is its pride and joy, shouted from the rooftops." (

bigger as long as the process of simplification is left to the personal choices of the scientific writers, and as long as there is no certain criteria to figure out the red lines after which scientists can't go beyond in their simplification behavior. John Beatty refers to this problem by saying, "Even if simplification and joint acceptance are in fact common features of expert committee reports, one might still find unfortunate the effect that they have in reinforcing the epistemological gap between experts and the lay public"⁴. (Beatty, 2006, p 56)

In the process of simplification, there are two kinds of information: the explicit information, which is exposed as the main result of what the scientist was working on, and the implicit information which is withheld or at least abbreviated for being accidental and for having nothing to do with the essential substance of the offered scientific theory. Unfortunately, in a considerable number of cases, the neglected part turns to have consequences even more fundamental than the highlighted part itself. To illustrate this point more, let's take the case of new discovered medicines in medical research. The problem of neglecting some parts of the research in favor of others in the medical research, as a kind of a simplifying behavior, can be found in the repeating tragedy of the unconsidered dangerous side effects of many drugs offered on daily bases in medicine markets. In such cases, the problem is not due to the scientific ignorance of those side effects, rather, it is due to the unjustifiable division of the results of the research to: major results, which are to be focused on and published, and minor results, which are to be abbreviated in the process of simplification, for having very little role to play if compared to the role played by the first kind of results.

In many cases, minor effects of the newly discovered medicine are neglected in favor of the major effects, therefore; when the minor effects play the essential role problems occur. Let's take an example; Trasyol 5 is a drug that has been on the market for more than 14 years. Eventually, it was discovered to be responsible of contributing to the deaths of thousands of patients. This drug was basically made by Bayer to be given in the operation room to control bleeding. In 2006 a study showed widespread death associated with Trasyol, to be eventually taken off the market although the concerns about this drug go back to the early 1980's. However, the tragedy had taken place, and for my paper's purpose the side that I am going to highlight is not whom to blame or how to avoid such things from happening in future, rather, I will focus only on the epistemological side of the case; because, in this case, as many other cases all over the world, what happened is that some effects of the drug were overlooked in the process of simplification for making more room for those effects, taken to be the more essential ones. Those unnoticed side effects of the drug turned out to be responsible of the whole case. Dr. Juergen Fisher, the director of the institute of experimental medicine at the University of Cologne wrote after finding severe kidney damage in animals that were given the drug, "I felt that Bayer wasn't interested to examine these side effects".

It is common for any theory to focus only on some sides even if this commonly held scientific practice threatened the whole theory by a high probability of

As we have seen, the scientific writer changes his style of writing to fit more the audience he is addressing his work to. However, it is not only the nature of the audience or even the scientific text which plays the essential part in deciding what style is to be chosen for expressing it; rather, it is the character of the scientific writer who chooses from the unlimited possibilities the best way to present his work.

However, if the style dominating scientific reporting is a matter of a personal choice, this means that the alleged objective content of the same scientific information will be a subject of changes when reported by more than one party, more importantly those changes will have nothing to do with the objectivity of the reported information.

d. Oversimplification of scientific information:

This problem is the other face of the same problem discussed earlier as the problem of the complexity of scientific knowledge. In other words, the oversimplification observed in some scientific reports comes as a reaction to the fear of the misunderstanding that can come out as a result of the complexity of the scientific theory. In his paper “Masking disagreements among experts”, John Beatty argues for the asymmetry between scientific experts and the lay public. For him, this asymmetry is mainly caused by two factors; first; simplification which I am going to discuss here and second; the so-called “joint acceptance” between scientists which I am going to discuss in the following paragraph. Jointly, these two factors form the gap that exists between what scientists know and what we know; more precisely: between what they know and what we think they know. For Beatty, this difficulties end by variable degrees of “withholding of information from the public” (Beatty, 2006, p52).

To sum up the problem, scientific information can be so difficult to be put in words; therefore, it should be –when presented to the public- put in a general frame of readable terms that can be easily interpreted by the audience. But the question here will be, to what extent can this simplification affect the scientific truth itself? Are all truths equally able to be simplified without affecting their content? What about the details that can be neglected during the process of simplification and appear later on to be more essential than what was presented? Science speaks the language of charts, diagrams and comparisons to illustrate phenomena that can be sometimes even beyond expectations, and try to reduce the natural unorganized chaos to an artificial organized readable data. This can help with no doubt expand our control on the world we are living in, but epistemologically speaking, do all the mentioned refinements we continuously apply to the scientific text leave a place to believe that the scientific outcome as we absorb matches the scientist’s original observation?

Roughly speaking, there is a degree of complexity after which, the information publicly presented is no more easily readable and understandable. Consequently, simplification appears as an unavoidable step. However, the necessity of simplification when not that applicable in some cases, suggests further worries regarding the accuracy of scientific information. The problem grows bigger and

published; here, I am arguing for different levels of interpretation as can be applied to the same information. These facts transfer-if fully taken by consideration- the problematic nature of writing a scientific report to a more sophisticated level. Because, it is not just that the scientific report should be interpreted; furthermore it can be also interpreted in so many different ways, and the question remains; whose interpretation is right and whose interpretation is wrong?

Roughly speaking, when the scientific expert holds his research, he holds it solely without taking in his consideration any criteria other than the criteria required by the scientific process itself. But when it comes to the announcement of the results of this research, any scientist can find himself obliged to put it in the way that can be both more readable and more convincing for his audience, whatever the nature of this audience might be. George D. Gopen & Judith A. swan asserts this point by writing, "It may seem obvious that a scientific document is incomplete without the interpretation of the writer; it may not be so obvious that the document cannot "exist" without the interpretation of each reader" (George D. Gopen & Judith A. swan, 1990, P16).

Scientists' work alone, but do announce their results while having others in mind; this fact makes it urgent to answer the question: who are those others? As a matter of fact, the nature of the answer can be of a crucial importance in deciding the way in which the scientific report will be received, because amongst the unlimited and even the unexpected varieties of the levels of those who will be interested in the scientific report, just one level will be able of grasping what is really meant by the information released through the published data. This level will be determined by the audience the scientist had in mind as his targeted audience.

Now, more paradoxical questions can be asked here regarding the way in which any scientist identifies exactly the level or the audience he is going to address, and the strategies he is going to adopt for communicating with it. Questions can even be asked about what changes a scientist should apply to released information to be ideally accepted by targeted audience. Obviously, even the identification of what can best be the targeted audience can be a controversial issue; because options can vary unpredictably. Some scientists might be merely interested in other scientists in the same field of specialization? Some might be interested in the wider circle that includes other scientists working in other fields? Or the scientist's targeted audience might pragmatically consist of vast crowds of the common who can support their preferable scientific projects? Or the elite of those who own the financial or the political power needed for approving the fund for some chosen scientific research.

In short, what I want to make clear here is the difference between writing science and writing science while having someone in mind; because the gap that exists between writing and writing for a specific reader involves changes in the content of the scientific knowledge itself, changes that can be sometimes more fundamental to be simply accepted as "scientific".

c. Difficulties related to the personal style of writing:

environment the results must be addressed to? Are they colleges in the same field of specialization, or is it simply the wider surrounding scientific community? Also, in what ways do scientists change their outcomes before presenting them to the public? How can such an alteration affect the structure of the scientific truth after this truth takes the shape of a report? In other words, how can the transformation of the scientific knowledge, from the darkness of the laboratories to the dazzling lightness of scientific conferences affect the core of this knowledge?

However, out of all these questions, the most important question to be answered is about the degree of which we can trust scientists when they claim they are telling us the truth; this question which will be the main concern of this article.

Difficulties of reporting scientific research:

a. Complexity:

It is commonly believed, that science by its very own nature is hard to read. Scientific reports and the academic language they use for explaining their data is more abstract to be understood by the non-expert. Consequently, interpretation appears as a necessity, which without, the scientific report becomes absolutely vulnerable to all kinds of misunderstanding. Scientific theories are notorious for easily becoming a subject to all kinds of misunderstandings and misinterpretations when not being explained by the qualified experts. This problem is more commonly observed when a specific piece of scientific knowledge turns from being a report to an issue of a public interest.

The complexity of the scientific knowledge is an essential element that limits to the minimum the scientists' ability of producing readable as well as accurate reports. This difficulty -despite being widely accepted- was challenged by some as being unfair. In their paper, George D. Gopen and Judith A. swan acknowledge one difficulty of writing scientific reports by saying, "We cannot succeed in making even a single sentence mean one and only one thing; we can only increase the odds that a large majority of readers will tend to interpret our discourse according to our intentions." (George D. Gopen & Judith A. swan, 1990, P7). Therefore, in their paper they introduced some strategies and technicalities that can be used by the scientific writer to make his work more "easily interpreted" by the reader without affecting the complexity of the scientific knowledge. Now, even if we accept such an argument, the need for an interpretation for the scientific report forms by itself a sufficient reason to raise the doubt whether the way we read, and more importantly the way we interpret, the scientific report makes a matching copy of what the scientist originally had in mind when he wrote what we read.

b. Audience related difficulties :

Scientific information is not just written, rather, it is written to be read and to be received by certain audience. Therefore, the variety of the levels of those whom the scientific report will be addressed to affects the way according to the same scientific report should be presented. In other words, if we have argued in favor of the complexity of the scientific knowledge as a major difficulty, which makes interpretation an essential need to make this knowledge understandable when

SCIENTIFIC LANGUAGE CREDIBILITY:

A PHILOSOPHICAL INVESTIGATION

ABLA HASAN, PHD

UNIVERSITY OF NEBRASKA-LINCOLN, USA

الاشكالية الفلسفية لموثوقية اللغة العلمية

ملخص

يتناول البحث صعوبات استخدام اللغة العلمية التي تواجه الباحث عند صياغة نتائج أبحاثه بهدف تقديمها للعامة. ويشير البحث إلى صعوبات تصل في الجدية إلى حد يجعل من التساؤل الفلسفي عن موثوقية اللغة المستخدمة لصياغة التقارير العلمية ضرورة ملحة. كما يؤكد البحث على خضوع المادة العلمية لعدة مستويات من التغيرات عند صياغتها كمادة قابلة للنشر قد تصل في عمقها إلى حد تغيير مضمون المادة العلمية- أي كما كانت قبل تسويقها للرأي العام-. هذا البحث يوضح بعضاً من هذه الإشكالات بهدف إلقاء مزيد من الضوء على الإشكالية الفلسفية لموثوقية لغة التقارير العلمية.

Abstract

This article discusses difficulties of communicating scientific knowledge. It argues for the seriousness of those difficulties to the degree that can affect the reliability and credibility of scientific reporting, especially when it comes to reporting to the public. As I argue in this article, scientific knowledge becomes apt to many kinds of changes when introduced to the public; some of these changes are serious enough to raise questions regarding the authenticity of the scientific content. In the paper, I explain those difficulties and call to question the philosophical reasons we have to trust scientific public language.

With no doubt, scientific writing is not like any other kind of writing. The many difficulties that may face any scientist when decides to write, more precisely speaking, when decides to write for the public, causes a problematic kind of change, the change that takes place when the scientific project turns from being an isolated personal effort that takes place in isolated laboratories to a public industry, after the results of this effort are published.

Difficulties of scientific reporting are more related to the process of introducing the scientific research results to the public than being related to the production of the scientific outcomes themselves. But their mere existence suggests the following questions: does the scientific truth remain the same before and after it is published? If not, what changes take place? And how fundamental these changes can be? Do they justify us suspect the originality of the scientific truth or not? More importantly, to whom do scientists address their work? Is it the scientific society or the common? If it is the first, the question will be: which scientific

Liste bibliographique :

1. AKLI, mohand Said. Si mohand Said raconte, Amghar le colonel Mohand Oulhadj. Tizi Ouzou : Editions Savoir, 2010. ISBN :978-9947-831-25-0. 243 p.
2. ATTOUMI, . Djoudi. Chroniques des années de guerre en Wilaya 3 (Kabylie) 1956-1962 : Récits de guerre, T.1. Bejaia : Editions Rym, 2001. 447 p.
3. AZOUAOUI, Amer. Jumelles, le déluge en Kabylie : Récits et témoignages. (s.l) : editions El Amel, 2009. ISBN : 978-9947-30-029-9. 310 p.
4. AZOUAOUI, Amar. Le colonel Si Mohand Oulhadj chef de la Wilaya 3 face aux diverses crises internes et à l'opération « Jumelles », récits et témoignages. 4^e éd. rev. et raj. (s.l) : Editions El Amel, (s.a). 288 p. ISBN : 978-9947-30-240-8.
5. BEKKA, Ouari. Parcours d'un maquisard de la wilaya III, Zone I. Béjaia : Editions Talantikit, 2006. 154 p. ISBN :9947-819-26-4.
6. BENYAHIA , Mohamed. La conjuration au pouvoir : Récit d'un maquisard de l'ALN, (s.l) : Editions ENAP, (s.a). 387p.
7. MEKACHER, Salah. Fureurs dans les djebels : la guerre de libération nationale, Alger : (s.e), 2010. 432 p. ISBN : 978-9961-882-07-8.
8. MEKACHER ,Salah. La guerre de libération nationale : Au P.C de la Wilaya III de 1957 à 1962 (Tamgouth, Bounaamane, Akfadou). (s.l) : (s.e), (s .a). 303 p. ISBN : 9947-0-1177-1.

Histoire de l'Algérie à la période coloniale, texte traduit de l'anglais par Christophe Jacquet, Paris, découverte, 2012 ; Alger, Barzakh, 2012, p.539-546.

25. Ibid.

26. Mohamed SAIKI, Chroniques des années de gloire : mémoires du capitaine de l'ALN, Oran : éd. Dar el Gharb, 2009, 220 à 222.

27 Salah MEKACHER, op.cit., p.45.

28 Amer AZOUAOUI, Jumelles, le déluge en Kabylie...op.cit., p.174-178.

29. Ibid., p.179.

30. Salah MEKACHER op.cit., p.164.

31. Ouari BEKKA, Parcours d'un maquisard de la wilaya III, Zone I, Béjaia, Editions Talantikite, 2006, p.121.

32. Amar AZOUAOUI, le colonel Si Mohand Oulhadj chef de la Wilaya 3 face aux diverses crises internes et à l'opération « Jumelles », récits et témoignages, 4e éd. Rev. Et Raj. (s.l) : Editions El Amel, (s.a), p. 166.

33. Salah MEKACHER, la guerre de libération nationale...op.cit. , p.166.

34. Akli mohand Said, Si mohand Said raconte, Amghar le colonel Mohand Oulhadj, Tizi Ouzou : Editions Savoir, 2010, p.27.

35. Amer AZOUAOUI, Jumelles, le déluge en Kabylie...op.cit. , p.106.

36. Ibid., p.179 - 181.

37. Amer AZOUAOUI, Jumelles, le déluge en Kabylie...op.cit. , p.181 à 182.

38. Mohamed BENYAHIA, la conjuration au pouvoir : Récit d'un maquisard de l'ALN, (s.l) : Editions ENAP, (s.a), p.219.

39. Salah MEKACHER, la guerre de libération nationale...op.cit. , p.166.

40 Amer AZOUAOUI, Jumelles, le déluge en Kabylie...op.cit. , p.178.

41. Ibid., p.189.

42. Ibid., p.190.

43. Ibid., p. 168.

44. Ibid., p.193.

45. Ibid., p. 170.

46 Salah MEKACHER, op.cit..., p.367.

47. Djoudi ATTOUMI, chroniques des années de guerre en Wilaya 3 (Kabylie) 1956-1962 : Récits de guerre, T.1, Bejaia :Editions Rym,2001,p.263.

48. Ibid.,p.261.

49. Salah MEKACHER, op.cit., p.364.

50. Ibid., p.366.

Les références :

1. Salah MEKACHER, Fureurs dans les djebels, la guerre de libération nationale, Alger : L'auteur, 2010, p.362.
2. Salah MEKACHER, la guerre de libération nationale : Au P.C de la Wilaya III de 1957 à 1962 (Tamgouth, Bounaamane, Akfadou), (s.l) : (s.e), (s .a), p.162.
3. Amer AZOUAOUI, Jumelles, le déluge en Kabylie : Récits et témoignages, (s.l) : éditions El Amel, 2009, p.91- 92
4. Abdelmadjid AZZI, Parcours d'un combattant de l'ALN, Wilaya III, 2e éd. Rev. et aug. Alger : Mille- feuilles, 2010, p.224.
5. Amar AZOUAOUI, le colonel Si Mohand Oulhadj chef de la Wilaya 3 face aux diverses crises internes et à l'opération « Jumelles », récits et témoignages, 4e éd. Rev. Et Raj. (s.l) : Editions El Amel, (s.a), p. 165.
6. Amer AZOUAOUI, Jumelles, le déluge en Kabylie...op.cit. , p.91- 92
7. Abdelmadjid AZZI, Parcours d'un combattant de l'ALN, Wilaya III, 2e éd. Rev. et aug. Alger : Mille- feuilles, 2010, p.225.
8. Amer AZOUAOUI, Jumelles, le déluge en Kabylie...op.cit. , p.89-91.
- 9 . Ibid., p.81.
10. Ibid., p.79.
11. Ibid., p.81.
- 12 Amar AZOUAOUI, le colonel Si Mohand Oulhadj...op.cit. p. 167.
13. Amer AZOUAOUI, Jumelles, le déluge en Kabylie...op.cit., p.97 et 98.
14. Ibid., p.98.
15. Ibid., p.104 et 105.
16. Ibid., p.151 à 153.
17. Ibid., p.171.
- 18 Ibid., p.187.
19. Salah MEKACHER, la guerre de libération nationale : Au P.C de la Wilaya III de 1957 à 1962 (Tamgouth, Bounaamane, Akfadou), (s.l) : (s.e), (s .a), p.164.
20. Amer AZOUAOUI, Jumelles, le déluge en Kabylie...op.cit. , p.187.
21. Salah MEKACHER, ...op.cit.,p.164.
- 22 Amer AZOUAOUI, Jumelles, le déluge en Kabylie...op.cit., p.168.
23. Ibid., p.173.
- 24 Neil Mac Master, « L'enjeu des femmes dans la guerre », , dans Abderrahmane Bouchéne, Jean pierre Peyroulou, Ounassa Siari Tengour et Sylvie Thénault, dir.

6. Les conséquences de l'opération :

Au lendemain de l'opération « Jumelles », comme dans les autres opérations, les stratèges français furent déçus par les maigres résultats obtenus sur le terrain, par rapport aux gigantesques moyens mis en œuvre⁴⁷.

Durant l'opération, il y avait eu environs 1500 accrochages et embuscades. Ces gigantesques opérations qui avaient secoué les maquis, avaient causé des pertes importantes dans le coté algérien et notamment les civils. Attoumi dans son témoignage dit : « La wilaya 3 a perdu 60% de ses effectifs, les pertes civiles sont de loin les plus importantes que celles de l'ALN »⁴⁸. Plus de 7500 martyrs sur un effectif total de 12000 combattants environs au niveau de la wilaya III. Mais les pertes étaient aussi effarantes parmi les jeunes de l'armée française sans aucune expérience dans la guérilla. Mekacher Salah dans son témoignage avait dit : « Il faut dire que les ratissages, les bombardements et les embuscades innombrables ont provoqué la perte d'un très grand nombre de moudjahidine. Les interrogatoires, la pratique de la torture, les déclarations des ralliés, ne tarderont pas à produire leurs effets néfastes et leurs ravages par la dénonciation, les découvertes des caches et des infirmeries »⁴⁹. Il ajoute que l'une des conséquences de Jumelles, fut cette floraison de villages qui ont accepté l'autodéfense. Les autres villages, les récalcitrants, furent détruits, rasés, incendiés et livrés à la rapacité du maquis »⁵⁰.

En guise de conclusion, nous constatons que la France coloniale avait misé le tout dans l'opération « Jumelles » pour étouffer la révolution dans l'un de ses réels bastions. Elle avait choisi les meilleures circonstances où la wilaya 3 vivait de réelles difficultés et engagé une armée supplémentaire de plus de 60000 soldats soutenus par l'aviation, les blindés et la marine pour anéantir une armée de 12000 moudjahidines éreintée par les cinq années de guerre et une pénurie en munitions. L'opération « Jumelles », est intervenue au moment où de Gaulle multipliait ses démarches et déclarations visant à trouver un règlement pacifique au problème algérien. D'abord, le 16 septembre 1959, il avait donné son fameux discours sur l'autodétermination ; tout en rejetant l'indépendance et la francisation, il choisit l'autonomie interne ou la souveraineté limitée. Ensuite, il appelle le Gouvernement Provisoire de la République Algérienne le 14 juin 1960 pour les négociations de Melun en parallèle avec ses tractations avec des cadres de la wilaya 4 pour un cessez le feu local. Tout ceci, est en parfaite contradiction avec les efforts déployés sur le terrain en vue de l'anéantissement de l'armée de libération nationale. Sur le terrain politique, De Gaulle, avait échoué dans ses manœuvres visant à deviser et provoquer des dissensions grâce à la vigilance des négociateurs algériens. Il avait aussi échoué sur le plan militaire grâce à la sagesse des chefs militaires, le courage des moudjahidines et l'engagement de peuple.

convenus de ravitaillement qu'elle prélevait sur ses maigres ressources pour soutenir la révolution»³⁷.

- Eviter le recours aux cellules de FLN pour l'acheminement de ravitaillement qui se ferait à l'avenir par les moudjahidines eux-mêmes. « De ce fait, ils n'avaient plus besoin du service de l'intendance qui a disparu dans l'intervalle. Le groupe devenait une unité vivante et dynamique qui se prenait elle-même en charge »³⁸.

B. Durant la deuxième phase de l'opération :

Devant la misère qui s'est abattue sur les villages ayant refusé de se constituer en auto défense, le conseil de commandement de la wilaya III est revenu sur sa décision en ordonnant aux délégués responsables de tolérer la constitution de l'auto- défense, sous réserve que ses éléments désignés continuent à militer et s'introduire profondément au sein de l'armée française pour effectuer des missions de renseignements et pour d'autres actions au profit de l'Armée de Libération Nationale³⁹.

Le redéploiement de l'armée française en commandos de chasse qui avait éreinter les moudjahidines, avait poussé le commandement de la wilaya à prendre de nouvelles dispositions très strictes ; entre autre le devoir d'effacer toutes les traces pendant les déplacements et d'éviter d'emprunter régulièrement les mêmes chemins⁴⁰, faire attention aux mines anti personnelles, faire attention aux fumées, aux fuites de lumières à travers les baraquements faisant office de refuges et interdiction de la cigarette. Et désormais, une nouvelle guerre s'était installée, c'était la guérilla qui rentrait dans les mœurs de l'armée française⁴¹.

Les redéploiements tactiques de l'ALN, avaient permis à celle-ci, non seulement de contrecarrer les stratégies de l'ennemi, mais aussi de mieux asseoir les bases pour l'information et le renseignement pour un combat plus efficace. Les résultats étaient éloquentes, plus de 20 postes militaires avancés avaient été attaqués et détruits et l'ensemble de l'armement récupéré, grâce à des contacts et des complicités organisées⁴².

En final, toutes les stratégies de l'armée française étaient déjouées par le colonel Si Mohand Oulhadj qualifié alors tantôt de vieux renard et tantôt de sage. Après cette opération, le P.C de la wilaya III se réinstalle à l'Akfadou⁴³. Le général Challe lui-même avait constaté selon la presse française que « les résultats de l'opération étaient décevants et que les rebelles étaient restés maîtres de terrain »⁴⁴.

Le général De Gaulle, avait bien compris toutes les mises en scènes des généraux français, lui faisant croire que l'opération avait atteint les objectifs tracés. « Jumelles a réussi dites vous, c'est une victoire, l'autodéfense en est la preuve, mais alors, dites moi, pourquoi faut- il encore conserver le contingent et la troupe pour assurer la paix ! », dira De Gaulle. « Avez -vous mis fin à l'état de guerre en Algérie ! », s'écria- t-il. « Nous vérifierons ! Pour l'instant et aujourd'hui, la guerre continue, et une journée de guerre en Algérie coûte à la France deux milliards et demi de francs lourds ! »⁴⁵

pour les pauvres maquisards qui n'avaient pas mangé à leur faim depuis longtemps... »³⁰.

5. Les mesures d'urgence prises par l'A.L.N en vue de contrecarrer l'opération « Jumelles »

A. Durant la première phase des opérations :

Au début, l'opération avait fait un effet de surprise, ce qui avait mis en accrochage les deux parties pendant deux à trois jours, causant des dégâts en vies humaines très importantes de part et d'autre, mais elles sont vite devenues inefficaces grâce aux dispositions prises par la commandement de la wilaya³¹. Parmi ces mesures, on peut énumérer ce qui suit :

- La dissolution de toutes les grandes unités (bataillons, compagnies et sections) et leur répartition en petits groupes commandos, tandis que les regroupements en sections de 30 djounouds ne se feront qu'en cas d'urgences dument justifiées, comme en prévision d'une attaque d'un poste militaire³².
- Le rapprochement des groupes combattants des agglomérations pour tenter de s'y réfugier et de se ravitailler.
- Eviter les stationnements prolongés et regroupés dans les zones interdites ou autres, ainsi que les attroupements inutiles.
- La mise des principales armes dans des abris³³.
- Ne pas gaspiller de munitions en cas d'accrochages forcés et devoir de se replier le plus vite possible.
- Eviter de circuler en plein jour et devoir d'effacer ses propres traces, notamment dans les zones interdites³⁴.
- Enrôlement des mousseblines pour servir de guide à l'ALN et les soustraire aux villages et aux populations soumises aux contrôles de l'ennemi.
- Le remplacement des mousseblines dans leurs activités par des femmes qui passaient inaperçues pour effectuer les missions de liaisons, de renseignements et de ravitaillements. « Ces dernières avaient pu approvisionner l'ALN en acheminant le peu de denrées à disposition des populations au moudjahidine au prix de leurs vies »³⁵. Elles avaient pu aussi effectuer des missions de renseignements en contactant les Algériens appelés, les éléments de l'auto-défense et également certains appelés français pour obtenir des informations pouvant intéresser les moudjahidines tel que : les ratissages, les bouclages éventuels, les personnes hostiles à la Révolution, le comportement des citoyens et leur relations avec l'armée coloniale. Ceci avait permis à l'ALN de planifier des embuscades et de contacter les personnes susceptibles de les aider à récupérer des armes et munitions qui lui faisait défaut durant cette période cruciale³⁶. Mohamed BENYAHIA (dit Boulahya), dit que « malgré les miradors et les patrouilles qui rodaient autour des villages, ainsi qu'un couvre feu de plus rigoureux ou toute personne l'enfreignant, était abattue sans sommation, la femme était là pour nous ravitailler...elle se glissait à travers les barbelés pour déposer à des endroits

soldats à elle, son mari et ses enfants, car elle savait que parler ne lui sauverait pas la vie...»²⁶

Le plan Challe ne prévoyait pas seulement la mise en route d'une nouvelle stratégie militaire devant compléter et parachever la précédente, axée sur le quadrillage et le regroupement des populations, il envisageait aussi des actions politiques devant consolider les avantages acquis sur le front des opérations militaires et prévoyant l'anéantissement progressif des unités combattantes. Alors le deuxième volet des opérations Challe, consistait dans la généralisation, par douars entiers, les ralliements des villages en acceptant de se constituer en auto défense. L'action psychologique incitait la population à s'ériger en harka pour bénéficier du retour du ravitaillement et de l'arrêt des persécutions.²⁷ Cette démarche avait été favorisée par les longues et interminables années de guerre qui avait fait souffrir les populations désarmées, mais d'autres avaient accepté sans trop de mal à cause des aléas et péripéties et dépassements de certaines unités de moudjahidines. De ce fait, les S.A.S leur attribuèrent des vieux fusils 86 avec quelques cartouches pour donner l'alerte par crainte que celles-ci tombent entre les mains des moudjahidines. Les autres villages qui avaient refusé d'obéir à l'autorité coloniale avaient souffert à cause de blocus alimentaire imposé à ses populations réduites à manger l'herbe et les glands²⁸.

Les SAS avaient également procédé au ravitaillement de la population par le rationnement. « L'armée française est là pour s'occuper de cette question. Des gens que nous avons choisis parmi vous et qui travailleront avec nous, seront autorisés, auront des bons de rationnements, et des laissez-passer pour créer un magasin dans le village même. Vous pourriez alors vous ravitailler, suivant la situation familiale et le nombre de personnes à charge. Le ticket de rationnement sera strictement en vigueur, ensemble nous vaincrons », arguaient les officiers des sections administratives spécialisées.²⁹ Ce blocus alimentaire imposé aux populations des villages, avait obligé celle-ci à s'adresser aux SAS pour s'approvisionner. Ces derniers exigeaient des populations des renseignements en échange de la nourriture²⁹. Sur ceci, BEKKA Ouari, un maquisard de la wilaya III témoigna : « Après l'opération Jumelles, nous étions très atteints du manque d'approvisionnement en nourriture et surtout nous étions épuisés. Nous sommes retournés vers le douar d'Ait Smail proche de Kherrata. Nous avons envoyé un message pour Khentache Hocine pour lui étaler notre condition et notre état. Khentache Hocine nous a envoyé un message en réponse au notre qui nous a beaucoup encouragé, il nous a fixé un rendez-vous au village de Tala-Atta, un village d'Ait Smail, organisé par l'armée française en autodéfense. Nous étions accueillis par des hommes en armes. À la vue de ces inconnus armés qui nous entouraient, nous étions à juste titre surpris et effrayés au début. Serions-nous tombés dans un traquenard ? Non ! D'ailleurs, nous n'avons pas tardé à être rassurés, devant l'affabilité et le dévouement manifeste de ces gens. En fait, c'était des amis sincères, nous devant leur faire entière confiance. En s'installant dans un beau salon, les moudjahidine n'en croyaient pas leurs yeux. Seraient-ils au paradis ? Un plantureux couscous au mouton n'avait pas tardé à arriver. Quel régal

soldats au maximum¹⁸, aguerris aux techniques de combat de proximité. Ils ratissaient les forêts, tentaient de provoquer des accrochages¹⁹ et plaçaient des mines sur leur passages et autours des points d'eau²⁰. Ces commandos «disposaient selon Mekacher d'une autonomie d'action et en vivres et munitions de trois jours et pourraient bénéficier de renforts, le cas échéant, puisqu'ils disposaient d'appareils de transmission et qu'ils sont reliés, en permanence avec les centres opérationnels qui suivent leur progression sur nos plates-bandes »²¹. Cette étape des commandos de chasse avait été très pénible pour les moudjahidines qui préféraient affronter plusieurs compagnies en ratissage que des petits groupes de commandos imprévisibles appliquant les mêmes stratégies de l'ALN.

Après tout les massacres perpétrés sur des populations désarmées, le général Challe fut relevé de ses fonctions, et l'opération portant son nom continuera sans lui, mais avec le général Crépin, vers un objectif précis ; celui d'encadrer les populations dans l'espoir d'une pacification complète et durable de la région. Parallèlement aux massacres, les Sections Administratives Spécialisées (S.A.S), intervenaient pour soit disant sauver les populations de la sauvagerie coloniale. Dans le même processus, les S.A.S faisaient évacuer des populations entières vers d'autres villages pour soit disant les protéger, mais en réalité « pour permettre à l'armée de faire ses ratissages au sein des villages qui soutenaient l'A.L.N, et ses opérations se sont distinguées par des viols et rapines, surtout des bijoux Kabyles, qui était la spécialité des Goumiers et des Harkis et le renversement des quelques produits alimentaires comme l'huile et les figues sèches »²²

Ces opérations avaient permet à l'armée française d'élargir les zones interdites qui étaient à l'origine constituées par les espaces de forets et de montagnes spécialement désignés jusqu'aux villages les plus reculés qu'ils avaient fait évacuer et regrouper. Ce procédé avait facilité à l'armée coloniale la localisation de toutes trace de vie ou de passage et d'agir en conséquence.

Dans cette situation, la femme algérienne était la mieux placée pour animer les liaisons, les renseignements et le ravitaillement. Car « les Mousseblines étaient soustraits aux villages pour intégrer l'Armée de Libération Nationale et ne restaient dans les villages que les indécis, les harkis, les vieux et les enfants à qui on ne pourrait affecter de pareilles missions »²³. Il est à démontrer qu'à partir de la deuxième année de la guerre de libération, le rôle de la femme algérienne commençait à se déterminer, car les deux parties belligérantes comprirent tout à coup « l'importance stratégique des femmes et le besoin urgent qu'ils avaient de se gagner cette moitié de la population en se présentant comme le héraut de ses droits et de ses intérêts »²⁴. Ceci avait provoqué une véritable course entre le FLN et l'armée française. « Cette prise de conscience fut renforcée par la pénétration rapide dans l'armée française de la doctrine de la guerre révolutionnaire »²⁵. Saiki avait présenté un tableau magnifique de celle-ci : « La femme rurale avait su comment demeurer stoïque et ne révéler pas la présence des *moudjahidines* ou des produits d'approvisionnement en dépit des scènes de tortures infligées par les

blindés, des camions et jeeps circulaient dans tous les sens. Toutes les routes de la wilaya étaient submergées de colonnes de convois militaires. Des navires de guerre, au large des côtes pilonnaient la forêt de Bounamane, de l'Akfadou jusqu'à Kherrata et Jijel. Toutes les crêtes étaient occupées par les troupes hélicoptérées et étaient entrées en action, d'autres en réserve, sur les crêtes, prêtes à intervenir »¹³.

L'armée coloniale avait également fermé les limites Ouest et Est de la wilaya par des régiments en replis des opérations « Courroie », et les limites Est par les régiments des opérations « Etincelle », « Flammèche », « Tridents », et « Pierres Précieuses » pour maintenir la pression sur les combattants de la wilaya 3¹⁴.

Cette action militaire d'envergure menée par l'armée coloniale, était complétée et épaulée par une autre action très redoutable menée par les services de 2^e Bureau Français, par l'intermédiaire de deux à trois officiers de l'A.L.N. de la deuxième zone qui était l'action psychologique ayant pour but de discréditer de nombreux chefs de la révolution en wilaya 3, entre autres, le colonel Mohand Oulhadj et le commandant Abderrahmane Mita et le capitaine H'mimi, dans l'affaire des officiers libres.¹⁵

4. L'opération dans sa deuxième phase :

La seconde phase qui découlait de cette opération, avait pour objectif, la mise en place d'un dispositif d'isolement des forces de l'ALN des populations. Pour ceci, les militaires revenant des montagnes, se retournent contre les villageois ou ces derniers étaient exposés durant une longue période à la sauvagerie des parachutistes, des commandos de chasse et des tirailleurs sénégalais. A cet effet, tous les villages suspectés de leur allégeance ou de leur soutien au Front de Libération Nationale avaient subi différents types de représailles : la torture, la violence sans distinction d'âge et de sexe, viols, éventrement des femmes, assassinats collectifs. Beaucoup de villageois, étaient transférés sur l'annexe de Poste de Commandement « Artois » situé dans l'Akfadou pour des « interrogatoires avancés », terme utilisé par l'armée française qui fait référence aux interrogatoires sous torture¹⁶.

L'armée française avait également installé des postes militaires avancés dans des villages entourés de barbelés sous prétexte de « protéger les villageois et d'éviter toutes les entrées de personnes étrangères »¹⁷, d'après ce que disaient les lieutenants des S.A.S. De ce fait, tous les villages étaient pratiquement sous barbelés et sous contrôle militaire à longueur de journée et de nuit, et la population s'était retrouvée prisonnière de l'armée coloniale.

Ayant jugé que les ratissages effectués dans les montagnes et forêts étaient caducs et inefficaces, car l'ALN avait causé des pertes considérables à l'armée française qui agissait en grandes unités. L'armée française se repositionne sur le terrain avec des commandos de chasse, constitués et renforcés par des harkis, chargés quotidiennement de patrouiller dans les zones interdites pour traquer les moudjahidines. Pour cette mission, l'armée française avait fait appel à des unités d'élite ayant des connaissances rigides en guérilla. Ceux-ci, sont composés de 300

immédiatement l'opération de ratissage autant de fois qu'il serait nécessaire³. Cette appellation est diversement interprétée, disait AZZI, « Pour les plus naïfs, elle voudrait dire l'observation de loin à la jumelle au lieu du déplacement des troupes. Mais l'explication la plus plausible serait que jumelles signifierait opérations jumelées et persistantes »⁴. L'opération devait aller à septembre 1959, mais elle avait duré jusqu'en 1960, et ira même au delà⁵. Elle se repose sur le principe de tenir l'armée française prête 24 heures sur 24 heures à intervenir à chaque fois que cela serait nécessaire à l'aide des commandos aéroportés, ce qui permet de prendre n'importe quel groupe A.L.N. en tenaille en espace de quelques minutes⁶. Selon AZZI, « Cette opération n'est pas une opération ordinaire limitée dans le temps. Elle est en effet permanente »⁷. Cette opération avait dans sa première phase un objectif principal, celui de donner l'occasion aux généraux français, qui ne voulaient pas en démordre avec l'Algérie et qui avaient tendance à insister d'avantage sur l'Algérie française de tenter d'anéantir l'Armée de libération Nationale de la Wilaya 3 et l'exterminer. Tandis que dans sa deuxième phase, le général Challe avait visé la destruction totale de l'A.L.N et la pacification totale de la population, et en cas d'échec, permettre à De Gaulle de négocier avec Le Front de Libération Nationale sans remords⁸.

L'opération avait pour théâtre deux secteurs ; le secteur Ouest de la wilaya qui englobe Tizi Ouzou, Azazga, Fort National, Michelet, Draa El Mizane, Bouira, Palestro et Sour El Ghoulane. Et le secteur Est de la wilaya qui englobe Bejaia, El Kseur, Akbou, Sidi Aich, Kherrata, M'sila, Bordj Bou Arreridj et Setif⁹. Pour, cela l'armée coloniale avait mobilisé des moyens gigantesques : Jeeps de type américain, des camions GMC, des halfs tracks à roues et à chenilles, des chars de toutes catégories, des mortiers à roues type 105 et 120 mm, , des ambulance, des avions de combat de toutes sortes , des bombardiers B.52 et B.26, des jaguars et chasseurs T.6, des hélicoptères de type « Banane » et « Sikorski », des alouettes surnommées par l'ALN « Thagénéralth », des petits avions de reconnaissance piper-cubs surnommés « Tamoucharth », des navires de guerre pour le débarquement et le bombardement au large des cotes de Dellys, Tigzirth, Azzefoune, Cap Sigli, Bejaia et Tichy.¹⁰ Tout ces moyens été à disposition de diverses divisions, d'un effectif total de 60.000 hommes composés de parachutistes, de tirailleurs, de légionnaires et de chasseurs. Toute cette armée se déferla sur l'armée de la wilaya 3 composée de 12000 combattants qui souffrait d'armes, munitions et approvisionnement¹¹.

3. L'opération dans sa première phase :

Dans la première phase de l'opération, les troupes de l'armée coloniale avaient entamé l'opération en déferlant directement sur les sites de combat, les forêts et les montagnes où la présence de moudjahidines avait été signalée. Une armée coloniale de plus de 60.000 supplémentaires, est entrée en action derrière 40 généraux sous l'égide du Général Challe¹². Un Moudjahid décrit : « Tous les points stratégiques étaient envahis de troupes hélicoptées, des avions de type H.21.C « Bananes » atterraient et décollaient sans cesse, des chars, des auto-

Abordant l'histoire de la glorieuse révolution dans la wilaya III, il nous viendra à l'esprit beaucoup d'événements qui avaient marqué la région et qui étaient de rudes épreuves. L'opération « Jumelles », en est l'une parmi d'autres, et qui est survenue suite à une série de coups qui avaient affaibli la puissance de la wilaya ; la nuit rouge, Melouza, la bleuïte, la mort du colonel Amirouche. Le sujet est important, car il nous permettra d'une part de connaître le véritable degré d'engagement de la France de De Gaulle pour mettre fin à la guerre et anéantir l'armée de libération nationale, en dépit des signes d'une volonté de trouver une solution pacifique au problème algérien. D'une autre part, nous pourrons savoir comment cette wilaya a-t-elle pu faire face à une telle opération dans l'un des moments les plus pénibles : disparition du colonel Amirouche, manque de munition, crise de confiance après l'affaire de la bleuïte et des officiers libres.

L'immensité des moyens humains et matériels réquisitionnés pour une opération chapeautée directement par le chef de forces armées en Algérie le général Challe. Nous pousse à poser les questions suivantes : quels étaient les facteurs qui avaient encouragé l'armée coloniale à mener une telle opération qui visait l'extermination définitive de l'ALN dans la wilaya 3 ? Quelle était la nature de l'opération dans ses différentes phases ? et quelle était la stratégie de réplique suivie par la direction de la wilaya ?

Pour répondre à ses questions, nous avons fait appel aux nombreux témoignages écrits par les acteurs de cette glorieuse révolution. Nous citons parmi eux Azoauoui Amar et Mekacher Salah.

1. Situation de la Wilaya 3 avant l'opération Jumelle :

L'ennemi a obtenu suffisamment de preuves et de renseignement sur la situation qui prévaut dans la wilaya 3. Sur ceci, on parle surtout des problèmes d'ordre organisationnel et structural après la tragique disparition de colonel Amirouche, et on parle aussi d'une pénurie de munitions et l'enfouissement de plus de la moitié des armes de l'ALN. « Aucun secours n'arrivait des frontières, aucune cartouche, aucune arme. Les acheminements se sont arrêtés et les katibat ne possédaient plus pour combattre et tenir tête à l'ennemi que l'équivalent d'une journée de combat. Beaucoup d'armes sont rendues inutilisables faute de cartouches. Des centaines d'entre elles furent enfouies sous terre »¹, disait Mekacher Salah. Pour cela, les seules munitions existantes sont portées par les djounouds et ne suffisent que pour une seule journée de combat. Il était tout à fait évident que l'ennemi avait misé sur l'état psychologique des troupes ALN dans la région qui avaient vécu de rudes épreuves : la bleuïte, la mort d'Amirouche et l'affaire des officiers libres dans le tumulte des opérations.²

2. La nature et objectif de l'opération

Comme son nom l'indiquait, l'opération « Jumelles » conduite par le général Challe, à partir du 22 juillet 1959, avait pour but de se jumeler dans leurs actions et d'être répétitives, c'est-à-dire d'unir les efforts de l'armée et de recommencer

LA STRATÉGIE DE LA RÉVOLUTION ALGÉRIENNE FACE À L'OPÉRATION JUMELLES DANS LA WILAYA III

RÉALISÉ PAR : DOCTEUR MAHMOUD AIT MEDDOUR.
FACULTÉ DES SCIENCES HUMAINES ET SOCIALES.
UNIVERSITÉ DE BEJAIA

ملخص البحث

بتاريخ 22 جويلية 1959، أعطيت إشارة انطلاق واحدة من أكبر العمليات العسكرية الفرنسية ضد الثورة التحريرية في منطقة القبائل (الولاية الثالثة) والتي سميت بعملية "المنظار". العملية التي جند لها أكثر من 60 ألف عسكري تحت قيادة العديد من الجنرالات وعلى رأسهم الجنرال شال قائد القوات الفرنسية في الجزائر، كانت تهدف إلى إخماد الثورة في المنطقة والقضاء على المجاهدين المتواجدين فيها والذين كان عددهم لا يتجاوز الـ 12 ألف مجاهد في أجل لا يتعدى شهر سبتمبر من ذات السنة. كانت كل الظروف ملائمة لنجاح العملية وبأقل الأضرار؛ وهي مرور المنطقة بامتحانات عصبية على إثر عملية "الزرق"، استشهاد العقيد عميروش، مشكل نقص الذخيرة ثم قضية "الضباط الأحرار" في خضم العملية. لكن إصرار المجاهدين وإيمانهم بقضيتهم و فطنة قيادات الثورة في المنطقة أطال من أمد العملية إلى غاية 1960 وبعدها، واستترف جيوش الاستعمار وأفضل جل مخططاته بعد أن دفعت المنطقة ثمن غالٍ تمثل في استشهاد أكثر من 60 % من مجاهدي المنطقة إضافة إلى الخسائر في صفوف الأهالي المدنيين خاصة في القرى والمداشر.

الكلمات المفتاحية:

حرب التحرير الجزائرية، منطقة القبائل، العمليات العسكرية، عملية "المنظار"

مجال تخصص البحث

المجال العام هو التاريخ المعاصر

المجال الدقيق هو تاريخ الثورة الجزائرية وبالتحديد في الولاية الثالثة التاريخية.



THE ARABIC JOURNAL IN HUMAN AND SOCIAL SCIENCES
AN INTERNATIONAL REFEREED SCIENTIFIC JOURNAL

PUBLISHED BY ELITE OF ALGERIAN RESEARCHERS
- ISSUED IN DJELFA UNIVERSITY

7th Year_ issue 20_ September 2015- Thul Hijjah 1436

1) Scientific language credibility: a philosophical investigation

Abla Hasan, PhD

University of Nebraska-Lincoln, USA

2) La stratégie de la Révolution Algérienne face à l'opération Jumelles dans la wilaya III

Docteur Mahmoud AIT MEDDOUR.

Université de Bejaia

International Standard Serial Number (ISSN): 1112 - 9751

Electronic International Standard Serial Number (E-ISSN) : 0363 - 2253

Legal deposit: 2009/6013